

ألان أنترمان



اليهود

عقائدهم الدينية وعباداتهم



ترجمه وقدم له

د. عبد الرحمن الشيخ

مراجعة

د. أحمد شلبي

Alan Unterman

JEWS

**Their Religious Beliefs
and Practices**

ألان أنترمان

اليهود

عقائدهم الدينية وعباداتهم

ترجمه وقدم له

د. عبد الرحمن عبدالله الشيخ

مراجعة

د. أحمد شلبي



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٤

الألف كتاب الثانى

نافلة على الثقافة العالمية

المشرف العام

١ . د . سمير سرحان

رئيس التحرير

١ . د . محمد عنانى

مدير التحرير

عزت عبد العزيز

المشرف الفنى

محسنة عطية

سكرتير التحرير

هند فاروق

تصحيح

محمد حسن

بدر شفيق

فهرس تفصیلی

مقدمة المراجع : (ص ٩) — مقدمة الترجمة العربية (ص ١١) — المجهول
من اسباب النزول (ص ١٥) — المصريون في الشعائر والمبادات
اليهودية (ص ٢٣) — اليهود وغير اليهود (ص ٢٥) — منهج
الترجمة (ص ٢٥) .

الجزء الاول

العقائد الدينية

الفصل الاول : بعض المقولات الاساسية وامور بحاجة الى توضيح
(ص ٣١) — باى معنى تعتبر اليهودية ديناً ؟ (ص ٣١) — اليهودية
والشعب اليهودى (ص ٣٣) — الشريعة اليهودية : الهالاخاه
(Halakhah) ثقافة وعقيدة (ص ٤٠) — ابعاد الهوية اليهودية
(ص ٤٣) — الاصل البيولوجى (ص ٤٤) — الاندماج الدينى
(ص ٤٥) — الانتماء الى مجموعة ثقافية (ص ٤٨) — الانتساب
العرقى او الوطنى ، واستخدام اللغة (ص ٤٩) .

الفصل الثانى : العقائد الدينية الاساسية (ص ٥٢) — طبيعة الله فى
اليهودية (ص ٥٢) (١) — التشبيه والمشبهة (ص ٥٢) (٢) —
المتعالية والمتعالون (ص ٥٧) (٣) — الله غير خلقه ، ولكنه موجود
فى كل خلقه (ص ٥٨) (٤) — الاصطفائية (ص ٥٩) (٥) — الاتجاه
الكونى ، الله رب الكون والخلائق كلها ، (ص ٦٠) — الحلول
والتعالى والوثنية (ص ٦١) — الانسان والله (ص ٦٣) — افكار
عن الروح (ص ٦٦) — التوراة (ص ٧٠) — متسفاه لاوامر الله
ونواهيه (ص ٧٢) — الخطيئة والتوبة (ص ٧٤) — الثواب
والعقاب (ص ٧٥) — الخلاص (ص ٧٨) — مبادئ عقديّة
(ص ٨٠) — تعليقات المترجم على بعض ما ورد فى الفصل الثانى
(ص ٨٤) .

الفصل الثالث : الكتاب المقدس اليهودى والوحى (ص ٩١)
- التاريخ والتراث (ص ٩١) - الكتاب المقدس اليهودى
(ص ٩٧) - دراسة الكتاب المقدس اليهودى وشروحه
(ص ١٠٥) - شروح التوراة فى العصور الوسطى والعصور
الحديثة (ص ١١١) .

الفصل الرابع : اصول الفكر اليهودى وتطوره (ص ١١٥) - الحركات
المبكرة فى اليهودية وظهور الفرق (المذاهب) الاولى (ص ١١٥) -
الفريسيون (ص ١١٩) - القوالب الفكرية المدرائية (ص ١٢١)
- المواجهة مع الفلسفة (ص ١٢٤) - يهوذا هاليفى (ص ١٢٧)
- موسى بن ميمون (ص ١٣٠) - التطورات بعد ابن ميمون
(ص ١٣٦) - سبينوزا (ص ١٣٨) .

الفصل الخامس : تطور الفكر اليهودى الحديث (ص ١٤٤) -
موسى مندلسون (ص ١٤٤) - الحركات الفكرية فى القرن
التاسع عشر (ص ١٥٢) - القرن العشرون (ص ١٥٨) - الفكر
اليهودى الحديث (ص ١٦٥) - تعليقات المترجم على بعض
ما ورد فى الفصل الخامس (ص ١٧٣) .

الفصل السادس : التراث الصوفى فى اليهودى (ص ١٧٤) - مقدمة
(ص ١٧٤) - اصل الصوفية اليهودية وتطورها (ص ١٧٥) -
الصوفية اليهودية فى العصور الوسطى فى المانيا (ص ١٨٢) -
القبالة فى بروفنس واسبانيا (ص ١٨٥) - تعاليم الزهر (ص ١٨٨)
- اليهود الصوفيون فى صند والقبالة اللورباتية (ص ١٩١) -
المسيحانية بعد الصوفية الميرباتية (ص ١٩٧) - الحركة التطهيرية
(الحلسيدية) (ص ١٩٨) - الجاه النيلنى يكتب (ص ٢٠٦) -
حركة الموسار (ص ٢٠٧) - تعليقات المترجم على بعض ما ورد
فى الفصل السادس (ص ٢١٣) .

الجزء الثانى

الشريعة اليهودية « الطقوس والممارسات اليهودية »

الفصل السابع : الهالاخاه (الشريعة) (ص ٢١٩) - الطريق اليهودى
(ص ٢١٩) - تنظيم الهالاخاه (الشريعة) وتصنيفها وتبويبها
(ص ٢٢١) - الفتاوى الشرعية (الهالاخاوية) (ص ٢٢٩) .

الفصل الثامن : شعائر مراحل العمر : الطفولة والشباب (ص ٢٣٥) —
مقدمة (ص ٢٣٥) — المحددات الزمنية الخطية : ولادة الطفل
(ص ٢٣٦) — الطفل (ص ٢٣٩) — الختان (ص ٢٤٠) — معنى
الختان (ص ٢٤٤) — تخليص المولود الذكر البكر من الخطيئة
(ص ٢٤٧) — تربية الطفل (ص ٢٤٨) — بدايات البلوغ
(ص ٢٥١) .

الفصل التاسع : شعائر مراحل العمر : الزواج والشيخوخة (ص ٢٥٥)
— الأخلاق الجنسية اليهودية (ص ٢٥٥) — التودد تمهيداً
للزواج ، والزواج (ص ٢٥٧) — الزواج (ص ٢٦٠) — يوم
العرس (ص ٢٦١) — المباشرة الزوجية (ص ٢٦٥) — تحديد
النسل (ص ٢٧١) — الاجهاض (ص ٢٧٢) — الطلاق (ص ٢٧٣)
— الشيخوخة (ص ٢٧٨) — الموت والدفن (ص ٢٧٩) .

الفصل العاشر : العام اليهودي من خلال الطقوس (الشعائر) :
من بدء العام الجديد الى خيمة الهيكل النقال (المظلة) (ص ٢٨٣) —
اليوم (ص ٢٨٣) — الدورة الأسبوعية ويوم السبت (ص ٢٨٧)
— الشهر (ص ٢٩١) — مهرجان العام الجديد (ص ٢٩٣) —
أيام التوبة العشرة (ص ٢٩٦) — يوم الغفران (يوم كيبور)
(ص ٢٩٩) — عيد المظلة (خيمة الهيكل النقال) (ص ٣٠٢) .

الفصل الحادي عشر : العام اليهودي من خلال الطقوس : من الشانوكاه
(الحانوكاه) الى شهر آب (Av) (ص ٣٠٨) — الشانوكاه
(الحانوكاه) (ص ٣٠٨) — بين الحانوكاه (شانوكاه) والبوريم
(المسخر) (ص ٣١١) — البوريم (عيد المسخر) وشهر آذار
Adar (ص ٣١٢) — عيد الفصح (ص ٣١٤) — عيد الحصاد
(ص ٣٢٣) — أسابيع الحداد الثلاثة (ص ٣٢٥) .

الفصل الثاني عشر : المعبد والبيت والمجتمع اليهودي (ص ٣٢٨)
— المعبد (ص ٣٢٨) — البيت اليهودي (ص ٣٣١) — الأسرة
(ص ٣٣٢) — القوانين الشرعية للطعام (ص ٣٣٣) — اللحم
والسمك (ص ٣٣٤) — اللحم واللبن (الحليب) (ص ٣٣٦) —
الخضراوات والفواكه (ص ٣٣٧) — النبيذ والحليب والجبن
وما طبخه الاغيار (ص ٣٤٠) — الجماعة اليهودية (ص ٣٤١) —
الرابي (ص ٣٤٢) — امام الصلاة والابتهاالات (ص ٣٤٤) —

الجزار الشرعى (الشوحيط) (ص ٢٤٥) - وظفت صفرى
نوات طبع دينى (ص ٢٤٥) - القيادة العلمانية (ص ٢٤٦) -
تنوع الجماعت اليهودية (ص ٢٤٦) .

الفصل الثالث عشر : اليهودية المعاصرة : اتجاهات وحركات (ص ٢٥١)
- الاختلافات الدينية (ص ٢٥١) - اليهودية الإصلاحية
(ص ٢٥٢) - اليهودية المحلظة (ص ٢٥٨) - اليهودية
الارثونكسية (ص ٢٦٢) .

الفصل الرابع عشر : اليهود والأغيار (غير اليهود) (ص ٢٦٦)
- الدين المسيحى (ص ٢٧١) - اليهودى وأرواح الأغيار
(ص ٢٧٢) - الاتجاهات اليهودية نحو الأغيار فى هذه الأيلم
(ص ٢٧٥) .

حواشى الكتاب : (ص ٢٨١) .

معجم المصطلحات العبرية للواردة بالكتاب : (ص ٢٩٤) .

المراجع : (ص ٤٢١) .

مقدمة المراجع

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما طلب مني أن أراجع هذا الكتاب (اليهود : عقائدهم الدينية وعباداتهم) للكاتب اليهودي « ألان انترمان » لم أتخيل أن ما يرد بهذا الكتاب ، يوافق ما لدى المسلمين من فكر وقيم في العقائد والعبادات ، فاليهود - كما يظهر في كتابي « اليهودية » - لهم في أنبيائهم نظرتهم الخاصة التي تختلف مع نظرة المسلمين لهؤلاء الأنبياء ، وكذلك لهم عقائدهم وعباداتهم التي تختلف مع عقائد المسلمين وعباداتهم ، ومن أجل هذا كتبت بابين مختلفين في كتابي « اليهودية » وضحت في أولهما ، رأي الإسلام في هؤلاء الأنبياء ، وتفاصيل العقائد التي أوحى الله تعالى بها لبني إسرائيل ، ووضحت في الباب الثاني الاتجاه الواقعي لفكر اليهود نحو هؤلاء الأنبياء ، والعقائد والعبادات التي يمارسها اليهود .

وليس من المتوقع أن يكتب مؤلف يهودي هذا النمط من البساطة، فجاء كتاب « ألان انترمان » معبرا عن فكر اليهود وعقائدهم كما يراها اليهود .

وتبعاً لذلك رحمت أقرأ الكتاب بعناية ، وأجمع الهنات التي لا يرتضيها الفكر الإسلامي وهي كثيرة متناثرة في هذا الكتاب مثل :

- الله غير خلقه ، ولكنه موجود في خلقه .

- خلق الله الإنسان على صورته .

- حتى الله يدرس التوراة .
- الثواب والعقاب مرتبطان بالأعمال وليس الايمان .
- اليهود نوع من الجنس البشرى ، وغير اليهودى مجرد اشياء .
- الله مات فى الهولوكست .

وكثير جدا مما يرفضه الفكر الاسلامى .

وقمت هذه القائمة ، للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الشيخ مترجم الكتاب ، وكان الأستاذ الدكتور عبد الرحمن سمحا كعادته وواسع الاطلاع ، فعنى عناية كبيرة بهذه القائمة من الهنات ، وكتب تعليقات مهمة من التى نشرت فى مطلع هذا الكتاب .

وبقى على بعد ذلك ، ان اشير اشارات سريعة ، فى هامش بعض الصفحات التى وردت بها هذه الانحرافات ، لأذكر القارىء بما اتفق عليه رأى المترجم والمراجع .

وهناك اتفاق واضح بيننا ، ان هذا الكتاب كتبه يهودى عن عقائد اليهود ، فهو ليس مصدرا للمسلم يستقى منه الفكر ، وانما هو تعريف بواقع هذه الجباعة التى اصبحت تعيش بيننا ، والتى تربطنا بدولتهم معاهدات رسمية ، فمن الطبيعى أن نتعرف على افكارهم ونظم حياتهم .

وفى هذه المقدمة ، يتحتم على ان اشكر الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الشيخ على جهده وتعاونيه ، وأدعو الله ان يحسن جزاءه على الترجمة الدقيقة والتعليقات الشافية الكافية التى نشرت فى صدر الكتاب .

د. احمد شلبى

استاذ التاريخ الاسلامى والحضارة
الاسلامية بجامعة القاهرة

٢٠٠٠/٥/٢٤

مقدمة الترجمة العربية

بين يدي - وقت كتابة مقدمة هذه الترجمة - ثلاثة كتب تراثية تناولت اليهودية ، هي :

١ - « الفصل في الملل والأهواء والنحل » لابن حزم الأندلسي الطاهري ، المتوفى في سنة ٤٥٦ هـ (في ثلاثة أجزاء) .

٢ - « الملل والنحل » المشهور ستاني ، المتوفى في سنة ٥٤٨ هـ (في جزئين) .

٣ - « هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى » لابن قيم الجوزية ، المتوفى سنة ٧٥١ هـ .

وهي كتابات تغطي أكثر من أربعة قرون من الفكر الاسلامي . ولم يرد في هذه الكتب التراثية ، أية حقيقة تتعارض مع ما ورد في هذا الكتاب المترجم ، والذي كتبه يهودى يعرض دينه ، فما أورده ابن القيم عن اجبار الشريعة اليهودية التلمودية لأخى زوج الزوجة التى مات زوجها أن يتزوجها ليبنى نسلا لأخيه ، ورد في هذا الكتاب - الذى بين أيدينا - الذى ذكر أنه لم يبلغ الا فى بواكير القرن العشرين . والخلافات التى ذكرها ابن القيم بين القرائين (طائفة يهودية) وغيرهم من اليهود ، لم يخالفها الكتاب الذى بين أيدينا .

والعرض الذى قلناه الشهر ستاني عن اليهودية ، ليس فيه ما يناقض كتابنا هذا الذى تحدث عن طائفة اليهود المسيحيين ، ويقصده بهم

يهودا آمنوا بالمسيح ووقروه ، ولم يشتركوا في تعذيبه أو السخرية من
لكنهم لم يؤلهوه . أما كتاب ابن حزم ، فيتسم بطابع هجومى عنيف
ومع هذا ، فالإنكار الذى أوردها ، قال بها على نحو أو آخر بعض اليهود .
وإذا كان ما ورد في الكتب التراثية الإسلامية لا يتعارض مع ما ورد في
هذا الكتاب ، فقد ورد في كتابنا هذا أكثر بكثير مما ورد في علم
الكتب التراثية لسببين :

أولهما : أن معلوماتنا عن الأديان المختلفة وحقاتها تزداد برور
الزمن ، فقد أتبع للمؤلف معرفة بالآرامية والعبرية قد لا يجيدها هؤلاء
الكتاب التراثيون ، كما أتبع له كثير من الوثائق الدينية لم تكن متاحة
لهم ، وثانيهما : أن بعض الأديان تحتفظ ببعض النصوص سرا ، لا يطلع
عليه إلا القليلون منهم ، وينقل شفاهة على شكل وصايا أو أسرار .
والأهم من ذلك ، أن مؤلف كتابنا هذا يهودى .

وسيجد القارىء أن معرفة تفاصيل الأديان الأخرى والوصول
- بقدر الامكان - الى دقائقها وأسرارها مسألة ذات أبعاد اقتصادية
وسياسية واجتماعية مفيدة . فمن غير الممكن ، أن يجهل مسلم أو مسيحي
بمفهوم السبت Shabbat عند اليهود ، ويكون قادرا في الوقت نفسه
على فهم جزء من طبيعة السوق ، والحديث عن السبت ينطبق على الحديث
عن السنة السبتية التى يسميها بعض الكتاب العرب سنة التبوير ،
وهى السنة التى يجب فيها ألا تنتج الأرض التى يملكها يهود شيئا .
وما دور هذه العقيدة في الانتاج الزراعى والتجارى بل والصناعى
المعتمد على انتاج الأرض ؟ ومهما فعل التنويريون اليهود لابطال هذا ،
ألا يظل فاعلا مؤثرا يتحتم علينا فهمه والتعامل معه ؟ وثمة نباتات أو
اشجار معينة لابد أن يجمع منها اليهودى سبعة أفرع ، في مناسبات
طقسية مختلفة قد لا تتوافر في أوروبا ، وفي حالة السنة السبتية
- (سنة التبوير) - يفضل اليهود التقليديون تناول الأطعمة الواردة من
بلاد الأغيار (غير اليهود) على الأطعمة التى أنتجتها الأرض التى يملكها

يهود . لأن هذه الأطعمة في هذه الحالة تكون (غير شرعية) لانتاجها في السنة السبئية . وما الأبعاد الاقتصادية للطعام الحلال اليهودي (كوشر) ؟ وما معنى أن « الجبن » الذي تنتجه مصانع غير يهودية ليس حلالا إلا إذا كان المشرف على صناعته يهوديا ؟ وما معنى هذا أيضا بالنسبة لمزارع الألبان ؟ وكيف نفهم طقس بيع الخبز الذي استخدمت فيه خيرة للأغيار ، قبل عيد الفصح ، ثم شرائه بعد انتهاء الفصح ؟ وكيف نفهم أيضا بيع اليهودي لأرضه خلال السنة السبئية للأغيار (غير اليهود) ثم شرائها بعد انتهاء هذه السنة ؟

هذا عن المجال الاقتصادي ، فإذا ما انتقلنا لمجال آخر فكيف نستفيد أو حتى نفهم الفكر اليهودي المناهض للصهيونية والمصر على أن إقامة الدولة هي من مهام المسيح (المשיح) الآتي ؟ وكيف ننتبه إلى الطقوس التي تحض أثناء العبادة على إيذاء شعوب بعينها ؟ وكيف نفهم الأفكار اليهودية عن « أرواح » الأغيار ؟ وكيف نفهم عقيدة قطاعات من اليهود أنهم « عنصر نظيف » في محيط من القذارة (والمقصود بهذا المحيط العالم أجمع) والأساس العقائدي لهذا مما أوضحه مؤلف هذا الكتاب ؟ وكيف نفهم اقتصار الزواج داخل المجموعة الدينية على الزواج الداخلي ، أي من أفراد المجموعة الدينية نفسها ؟ وما معنى هذا على المدى الطويل ؟ وما معنى التوافق الشرعي في كثير من الأمور بين المسيحية والإسلام ؟ وما معنى تصنيف اليهود للمسيحيين ضمن الوثنيين ، مع أنهم أهل كتاب سماوي لا شك فيه ؟ وعلى كل حال ، فبعد طرد اليهود - والمسلمين - من الأندلس لعب اليهود على هذا التوتر لقرنين من الزمان وتحالفوا - ظاهريا على الأقل - مع المسلمين ، وعملوا بكل الجهد على عدم تحسين العلاقات الإسلامية (العثمانية في ذلك الوقت) مع أوروبا ، وكانت النتيجة غير طيبة للمسلمين والمسيحيين على سواء . كل هذه الأمور لا يمكن فهمها إلا بفهم العقيدة اليهودية والشرعية اليهودية فهما حقيقيا محايدا بلا مزايمة ولا مغالطة ، وهو ما يقدمه هذا الكتاب .

فإذا ما انتقلنا الى أهمية دراسة اليهودية وغيرها من الأديان كعامل فعال ومفيد في مجالات أخرى ، تساءلنا : أليست اليهودية هي الدين السماوي الأول المعروف لنا ؟ اليس من المعقول أن تكون آيات قرآنية كثيرة تقصد اليهودية وإن لم تشر لذلك صراحة ؟ فدراسة اليهودية ، إذن ، مسألة لا بد منها لفهم أسباب النزول (أى نزول القرآن الكريم) ، وهو ما أفردنا له فقرة كاملة في هذه المقلمة .

إنه لأمر مؤسف حقا أن نفتقد في اللغة العربية ترجمة للوثائق اليهودية الرئيسية ، فيما عدا أسفار موسى الخمسة وأسفار الأنبياء فيما يسميه اخواننا المسيحيون العهد القديم ، وهو طبعا عنوان غير مقبول من اليهود . أين التلمود ؟ لقصد ترجم أكثر من مرة للغة الانجليزية . وأين الزهر ؟ هذا النص الصوفي المشهور والفاعل والمؤثر بين اليهود ؟ وأين ملونة الشريعة اليهودية المعروفة باسم « شولحان عاروخ » . تلك هي الوثائق الأساسية لليهودية عقيدة وشريعة ، واتاحتها للباحثين العرب . تعينهم على فهم كثير من أسباب نزول القرآن الكريم ، وكثير من الأحاديث الشريفة وما ورد بها من اشارات .

وان قيل ان في هذه الوثائق الأنف ذكرها ما قد يفسد الفكر الاسلامي ، لكانت الاجابة أن هذا غير صحيح ، لأن الفكر الاسلامي ليس ضعيفا ، ولأن المفكرين المسلمين يستطيعون بسهولة التفريق بين الطالح والصالح من الأفكار ، وقد أثبت التاريخ أن التحول كان دائما في صالح الاسلام لا العكس ، وأن اليهودية عندما طورت بل وغيّرت بنض عقائدها وشرائعها - مما يجده القارئ في هذا الكتاب - إنما هي بفعلها هذا اقتربت كثيرا من الشرع الاسلامي ، كما أن كثيرا من أفكار القبالة اليهودية قد أدخلها اليهود بالفعل الى التراث الاسلامي ، فمسألة استمرار الحروف واستخدامها لتحقيق الشفاء والمعجزات نجدها في آخر معظم كتب الطب والأقرباذين التي كتبها مسلمون . خذ هذا المثل الطريف من تذكرة داود الأنطاكي (١٠٠٨ هـ) وغيره كثير جدا : (غيره) يكتب في جلد أسد ثم يوضع على الصليب فإن صاحبه ينعط .

السماويين السابقين على الاسلام ، وهما : اليهودية والمسيحية . ولما كان موضوع هذا الكتاب هو عقيدة اليهود وشريعتهم ، فقد ربطنا بين جوانب في العقيدة اليهودية - نحسبها تعرف في اللغة العربية لأول مرة - وآيات كريمة لا نجد تفسيراً لها سوى أنها تصحح عقائد يهودية (*) .

● نبدا بالآية الكريمة (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له . ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له . . .) الحج / ٧٢ .

والتفسير المتاحة (ابن كثير وغيره) تربط بين هذه الآية وعبادة المشركين للأصنام التي لا تستطيع خلق شيء . وهذا اجتهاد على آية حال ، لكن الآية الكريمة ليست للعرب وحدهم ، ومن هنا لابد لمعرفة اسباب نزولها من البحث في ثقافة أو ثقافات تزعم أن هناك من يستطيع ان يخلق كائنات حية بها روح . فهل هناك من قال أو يقول هذا ؟ نعم هناك . انهم بعض الرابيين اليهود المشتغلين بمعرفة أسرار الحروف العبرية ودلالاتها الرقمية ، والذين زعموا أن لديهم علماً باطنياً بكيفية الخلق . يحدثنا هذا الكتاب عن « الجوليم Golem » ، أي الانسان الذي « خلقه » اليهود من خلال معرفتهم بالقبالة (التراث السري الباطني) . وهذا هو نص تعريف « الجوليم » من هذا الكتاب الذي ألفه يهودي :

Golem : Artificially Created man, brought into existence through Kabbalistic means.

وتراث القبالة يمتد بمسميات مختلفة الى فترة ما قبل الاسلام . ونجد في هذا الكتاب الذي بين أيدينا أن أحد العارفين بأسرار الحروف والباطن كان وحيداً فلم يجد رسولا يبعثه الى جماعة اليهود ،

(*) رأى الفكر اليهودي في اسباب النزول في الحالات المذكورة هنا ، رأى مرفوض ، وليس من الضروري أن يكون هناك سبب لنزول كل آية - (المراجع) .

فخلق انسانا وارسله ، ولكن الحبر اليهودى الذى وصله هذا الرسول عرف حقيقته فقال له ارجع الى التراب الذى أنت منه ، فتحول هذا المخلوق فى التو الى تراب !

وفى هذا الكتاب أيضا أن العارفين بأسرار التوراة ، والحروف العبرية اجتمعوا - وكانوا ثلاثة - فلما جاعوا ولم يجدوا طعاما خلقوا عجلا ابن ثلاث سنين وذبحوه واكلوه !

هل قال عرب الجاهلية شيئا كهذا ؟ وهل قالوا ان الأصنام تخلق ، أم كانوا يقولون انهم يبدونها لأنها تقربهم الى الله زلفى ؟ الآية الكريمة اذن ، نزلت بشأن هذه القننة من اليهود . والله اعلم . ان الدين الوحيد الواضح المعروف المفهوم لدى اتباعه وأعدائه على سواء هو الاسلام . أما اليهودية وبعض المذاهب الأخرى فمعلوماتنا عنها تزيد شيئا فشيئا كل يوم وببطء شديد ، لما فيها من أسرار يحرس اتباعها على كتمانها ، ولو أن علماء المسلمين الذين كتبوا عن الأديان الأخرى كانوا عالمين بهذه الحقائق لذكروها ، لكن المعلوم عن الأديان يزداد بسرور الوقت بظهور الوثائق ، وترجمة ما حال اختلاف اللغة بيننا وبين معرفته ... الخ .

● * * * وأنه تعال جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا (٣) وأنه كان يقول سفيها على الله شططا (٤) ، الجن / ٣ ، ٤ . وإنجد فى التفاسير تركيزا على الولد ، فالقرآن الكريم ينهى نفيا قاطعا أن يكون لله ابن على الحقيقة ، وإنما على سبيل المجاز ، فكلنا عيال الله . لكن من الذى قال ان الله سبحانه اتخذ صاحبة . ان عرب الجاهلية المشركين لم يقولوا ذلك ، وإنما كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله وغير ذلك . ولم يقل النصراني ان لله سبحانه صاحبة ، بمعنى زوجة أو رفيق أنثوى . ولم يصف أى مذهب مسيحى العذراء مريم عليها السلام بأنها (زوجة الله) . لكن حقيقة الأمر أن اليهودية ، رغم أنها من أديان التوحيد الخالص ، إلا أن فكرة الإله الواحد تحوى كثيرا من التفاصيل

والمفاهيم المختلفة ليس في اليهودية فقط ، وإنما في الأديان الأخرى أيضاً ، فبعض اليهود رغم توحيدهم لله ، لم يستطع أن يتصور أن سبجانه بدون أنثى ، لكن معنى وجود أنثى لله (سبجانه وتعال علوا كبيرا) يعنى أن له شريكا ، فهل هناك أنثى لا تسيطر ؟ وحلت طائفة من اليهود هذه المشكلة التي افتعلوها حلا غريبا ، بقولهم ان الله سبحانه رغم أنه واحد ، إلا أنه ينطوى في واحدته على جانب أنثوى ، وإن (استغفر الله) ان أراد أن يستأنس قليلا أو « يسمد » أطلق جانبه الأنثوى هذا الذى هو جزء منه (منه فيه) ، وهذه الفكرة منتشرة بين اليهود حتى اليوم ، اذ تعرف باسم الشخيناء Shekhinah .
وتفضل هنا نقل تعريف الشخيناء بالفاظ المؤلف - وهو يهودى -
« The feminine aspect of the divine » ، وهذا هو مفهوم
« الحاضرة الالهية The Divine Presence » . . . وأفاض المؤلف
في شرح هذه الفكرة في أكثر من فصل من فصول الكتاب ، خاصة
الفصل الذى تناول فيه الصوفية اليهودية . ان هذه الاشارات القرآنية
تمثل اعجازا ، اذ توضح حقائق عن الأديان الأخرى لم تكن معروفة
للعرب قبل الاسلام ، وربما لم تكن معروفة للباحثين المسلمين حتى وقت
متأخر لفرط السرية التي يحيط بها بعض أصحاب الديانات دياناتهم .
آية الكريمة ، اذن - في جانب منها - توضح هذه الفكرة وتنكرها .
تعالى الله علوا كبيرا .

● ثمة آية كريمة أخرى نرى أنها مرتبطة بمقيدة حفظ السبت اليهودية ، فما يوم « السبت » في العقائد والشرائع اليهودية ؟ نفهم من الكتاب الذى بين أيدينا أن يوم السبت « الذى يحظر فيه عند اليهود كل عمل دنيوى » لا يبدأ مع شروق شمس هذا اليوم المعروف Saturday ولا مع بزوغ فجره ، بل لا يبدأ في الساعة الواحدة ليلا ، ولكنه يبدأ من مغرب يوم الجمعة أو قبله بقليل ، أى قبل « صلاة المساء » عند اليهودية يوم الجمعة ويستمر صباح الأحد . الشبات Shabbat أو السبت اليهودى ، اذن ، ليس مجرد يوم السبت Saturday

الذي نعرفه ، وانما فترة زمنية تبدأ من قبيل مغرب يوم الجمعة .
في ظل هذه المعلومة التي أعرف ابداها للمرة الأولى ، كيف أفهم
الآيتين الكريمتين :

(يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا
الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون (٩) فاذا قضيت
الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا
لكم تفاحون (١٠)) (سورة الجمعة : ٩ و ١٠) . فهل كان تجار
قريش في حاجة الى تذكيرهم بالسعى في تجارتهم بعد الصلاة ؟ ربما
كانوا في حاجة لتذكيرهم بحضور صلاة الجمعة وان ينفروا البيع .
ان القرآن الكريم للناس كافة . وفي هاتين الآيتين المجزئتين إشارة
واضحة - بعد ان فهمنا معنى السبت اليهودي - الى ان العمل واجب
ولا يتعارض مع العبادة .

● ثم نتعرض لآية كريمة أخرى في سياق هذه الفقرة .
فالشهور العبرية (اليهودية) شهور قمرية (كالشهور الهجرية) ،
وهي كما جمعناها من هذا الكتاب :

١ - تشرى : ٣٠ يوما	(معظمه في شهر أكتوبر)
٢ - حشبان : ٢٩ أو ٣٠ يوما	(آخر أكتوبر - نوفمبر)
٣ - كسلو : ٢٩ أو ٣٠ يوما	(آخر نوفمبر - ديسمبر)
٤ - طيبث : ٢٩ يوما	(آخر ديسمبر - يناير)
٥ - شباط : ٣٠ يوما	(آخر يناير - فبراير)
٦ - آذار : ٢٩ يوما	(آخر فبراير - مارس)
٧ - نيسان : ٣٠ يوما	(آخر مارس - أبريل)
٨ - أيار : ٢٩ يوما	(آخر أبريل - مايو)
٩ - سيفان : ٣٠ يوما	(آخر مايو - يونيو)
١٠ - تموز : ٢٩ يوما	(آخر يونيو - يوليو)
١١ - آب : ٣٠ يوما	(آخر يوليو - أغسطس)
١٢ - أيلول : ٢٩ يوما	(آخر أغسطس)

وإذا كانت الشهور في التقويم اليهودي تتبع الدورة القمرية ، فالسنون تتبع الدورة الشمسية المعروفة في التقويم الميلادي ، فكيف هذا وعدد أيام الشهور القمرية الآن ذكراها لا يكفي لمثل السنة الشمسية (الميلادية) ؟ هنا أضاف اليهود شهرا آخر بعد شهر آذار سواه آذار الثاني كل بضع سنين لتصبح السنة ١٣ شهرا . في ظل هذا الفهم يمكن أن تكون الآية الكريمة :

(ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله)
التوبة / الآية ٩ . يمكن أن تكون هذه الآية موجهة للعرب خاصة وانها في سورة مدنية ؟

ويجد القارىء في معجم المصطلحات بأخر الكتاب تحت شهر آذار ما ننقله بنصه كالتالى :

Hebrew month usually falling around February / March. In a leap year an extra month, Azar Sheni, is intercalated at its Conclusion.

مسألة اخرى ، وهى أن اليهود كانوا يحددون بدايات الشهور القمرية ونهاياتها باستطلاع الهلال ، وكانوا يكلفون من يحاول رؤيته فاذا رآه استجوبته المحكمة الشرعية (بت دين) للتأكد من صحة شهادته ، ثم ترسل أخبار بداية الشهر (رؤية القمر) للتجمعات اليهودية في كل مكان بطرق شرحها المؤلف . لكن صعوبة الاتصالات أدت الى اختلاف بدايات الشهور عند الجماعات اليهودية المختلفة ، وما كان اليهود ليقبلوا أن تختلف أعيادهم ، فاستغنوا عن « الرؤية » كوسيلة لتحديد بداية الشهر القمري ونهايته ، ووضعوا حسابا فلكيا بدءا من القرن الرابع للميلاد وحددوا الشهور، وعدد أيامها مما يراه القارىء بين ما ذكرناه آنفا . ويبدو أن هذا الحساب لم يكن منضبطا فلم تكن الأجهزة الفلكية قد تطورت ، ولم يكن هناك - بطبيعة الحال - أقمار صناعية . لا أستطيع

إن أهم الحديث الشريف الذى يشير الى تحديد بداية الشهر القمري برؤية الهلال دون أن يغفل هذه المعانى ، مع التوسع فى مفهوم الرؤية .
 أما الأمر الطريف حقاً ، فهو أن اليهودى المتدين كان - وظل الى عهد قريب - يرتدى تحت ثيابه العادية قميصاً او رداء قصيراً لابد أن يكون نسيجه من خيط أبيض وآخر أسود او أزرق ، والهدف فيما يقول مؤلف هذا الكتاب - وهو يهودى - أن يستطيع تحديد ميعاد صلاة الفجر اليهودية ، فاذا تبين اليهودى الخيط الأبيض من الخيط الأسود فمعنى هذا أن صلاة الفجر اليهودية قد حل وقتها . اذن ، لقد كانت الآية الكريمة (واكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) البقرة / ١٨٧ تشير الى ممارسة موجودة بالفعل وليس مجرد صورة بلاغية ، وهذا لا يتعارض مع تفسير ابن كثير وغيره ولا مع الأحاديث الشريفة فى تفسير هذه الآية الكريمة مما نوردنا عن ابن كثير كالتالى :

وقوله (واكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) ثم أتوا الصيام الى الليل (أباح تعالى الأكل والشرب مع ما تقدم من إباحة الجماع فى أى جزء من الليل شاء الصائم الى أن يتبين ضياء الصباح من سواد الليل ، وعبر عن ذلك بالخيط الأبيض من الخيط الأسود ورفع اللبس بقوله (من الفجر) كما جاء فى الحديث الذى رواه الامام أبو عبد الله البخارى حدثنى ابن أبى مريم حدثنا أبو غسان محمد بن مطرف حدثنا أبو حازم عن سهل بن سعد قال أنزلت (واكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) ولم ينزل (من الفجر) وكان رجال اذا أرادوا الصوم ربط أحدهم فى رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما فانزل الله بعد (من الفجر) فاعلموا أنما يعنى الليل والنهار . وقال الامام أحمد حدثنا هشام أخبرنا حصين عن الشعبي أخبرنى عدى بن حاتم قال لما نزلت هذه الآية (واكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) عمدت الى عقالين أحدهما أسود والآخر أبيض قال

فجعلتهما تحت وسادتي ، قال فجعلت أنظر اليهما فلما تبين لي الأبيض من الأسود أمسكت فلما أصبحت محدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (فأخبرته) بالذي صنعت فقال : ان وسادك اذا لعريض انما ذلك بياض النهار من سواد الليل ، اخرجاه في الصحيحين من غير وجه عري . ومعنى قوله ان وسادك اذا لعريض أى ان كان ليسع الخيطين الخيط الأسود والأبيض المراد من هذه الآية تحتها فانهما بياض النهار وسواد الليل فيقتضى ان يكون بعرض المشرق والمغرب . وهكذا وقع في رواية البخارى مفسرا بهذا حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا ابو عوانة عن حصين عن الشعبي عن عدى قال اخذ عدى عقالا أبيض وعقالا أسود حتى كان بعض الليل نظر فلم يستبيننا فلما أصبح قال يا رسول الله جعلت تحت وسادتي قال : ان وسادك اذا لعريض ان كان الخيط الأبيض والأسود تحت وسادتك ، وجاء في بعض الالفاظ : انك لعريض القفا ، ففسره بعضهم بالبلادة وهو ضعيف بل يرجع الى هذا لأنه اذا كان وساده عريضاً فقفاه أيضاً عريض والله أعلم : ويفسره رواية البخارى أيضاً حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن مطرف عن الشعبي عن عدى ابن حاتم قال : قلت يا رسول الله ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود أهما الخيطان ؟ قال : انك لعريض القفا ان أبصرت الخيطين ثم قال لا بل هو سواد الليل وبياض النهار . . .

● ما ذكرناه آنفاً ، مجرد أمثلة على ضرورة اللام بثراث الأديان الأخرى لفهم الاشارات القرآنية الكريمة ومعناها ، فالقرآن الكريم نزل للناس كافة وليس للوثنيين في شبه الجزيرة العربية فقط . وكما أشرت من قبل ، فان معلوماتنا الآن عن الأديان الأخرى أكثر بكثير مما كان يعرفه الشهر ستاني ، والبغدادى وابن حزم وغيرهم ، رغم فضل السبق لهم .

المصريون في الشعائر والعبادات اليهودية

قد يكون الأمر مفهوما لو أننى جعلت لهذه الفقرة عنوانا كالمصريين في عقائد اليهود ، أو اثر المصريين في الثقافة اليهودية . . الخ ، لكن هل للمصريين وجود في صلاة اليهودى وطقوسه وشعائره ؟ الغريب ان الاجابة هي « نعم » ، ونضرب لذلك عدة أمثلة مما شرح ابعادها مؤلف هذا الكتاب .

● من طقوس عيد الفصح الأخيرة تناول آخر قطعة خبز غير مختمر (الماتساء) ومع تناول هذه القطعة يجرى صب النبيذ في كأس يخص للنبي اليباه ، وفتح الباب الامامى حتى اذا وصل دخل (كنوع من التكريم له) . . ومن المفهوم ان هذا اجراء رمزى فالنبي اليباه ان يحضر فعلا ، ثم يصب النبيذ في كؤوس الحاضرين ، وفي هذه الاثناء يروى الراوى قصة الطواعين (جمع طاعون) العشرة التى اصابته المصريين ، وعند ذكر كل طاعون من هذه الطواعين يقوم الحضور بسكب جزء من النبيذ (المفروض ان هذا يتم بعصبية) ويفسر المؤلف هذا الطقس بأنه نوع من المشاركة الرمزية في تسبب الالذى للمصريين وزيادة معاناتهم . انه طقس اشبه ما يكون بالنفث في العقد ، أى عقد عقدة ، مع ترتيل دعوات تصيب من نتمنى له الشر . ومثل هذا الطقس شبيه بكثير من الطقوس الوثنية في افريقيا وغيرها . ومن المفهوم طبعا ان اليهودى عند سكب هذا النبيذ يستحضر - فى قلبه وعقله - كل مشاعر الكراهية والحقد .

اننا نفهم من هذا الكتاب ان الطقوس والشعائر اليهودية جرى تعديلها أكثر من مرة لتوائم الأحداث التاريخية الكبرى ، وإن الرايين والحاخامات وقبلهم حكماء التلمود كانوا يزدون أو ينقصون أو يعدلون في هذه الشعائر ، حدث هذا بعد تدمير الهيكل الاول وبعد تدمير الهيكل الثانى ، وفى الأسر البابلى ، وبعد الطرد من الأندلس ، وبعد الهولوكوست . . لذا ، فقد أصبح من المفهوم الآن ازالة هذا الطقس

(أو هذه الشعيرة) من عبادة الفصح اليهودية ، فمن غير اللائق ان تتمتع الكراهية في نفوس شباب اليهود واطفالهم جيلا بعد جيل ازاء المصريين . ان سكب النبيذ مصحوبا بعبارات على شاكلة (شيل وخط عليهم) ، مسألة تبدو بعيدة عن الدين الصحيح . وأظن أن هذا موضوع ملائم - بل وقابل - للتفاوض بين المسئولين الدينيين على الجانبين . كيف نفتح مع قوم تنطوى طقوسهم على الرغبة في زيادة معاناتنا ؟

● من اللائق ان يكون ضمن الطقوس اليهودية يوم صيام شكرا لله على نجاة ابنائهم البكور ، لكن هذا الصيام نفسه يتم شكرا لله ان اهلك الابناء البكور للمصريين .

● حتى في مجال تبرير الحلال والحرام في الشريعة اليهودية ، لا تبعد مصر في بعض الأحيان . لقد ناقش علماء الشريعة اليهود موضوع الاستمناء وانتهوا الى تحريمه لأنه اهدار لبذور seed الرجل ، لكن ماذا عن السحاق ؟ هنا لم يجد علماء الشريعة (الهالاخاويون) دليلا على تحريمه في التلمود أو التوراة ، لكنهم يحسبون أنه خطر ، ولا بد من تفسير لتحريمه ، فلم يجدوا الا القول بأن السحاق حرام لأنه امر كان شائعا بين المصريين . يا الهى ! من أين أتوا بهذا وأسفار موسى الخمسة لم تذكره ، وأسفار الأنبياء بعدها لم تذكره . لكنه الحق التاريخي النى لا أساس له وحن وقت التخفف منه ، خاصة وأن هذه تهمة تسيء للمصريين والمصريين على سواء .

● وعندما ناقش علماء الشريعة اليهود مسألة الخلوة ، أى علم جواز بقاء المرأة مع الرجل غير المحرم وحدهما في مكان مغلق ، عرض أحد علماء الشريعة اليهود أنه من المستحسن أن تمنع الخلوة بين رجلين منفردين أيضا في مكان واحد خشية ارتكاب فاحشة اللواط ، وذكروا أنه رغم أن الشعب اليهودي غير لواط الا أن هذا من باب الاحتياط ، ومن الطبيعي أن يعترض معظم علماء الشريعة اليهود على هذا الرأي المتطرف ، وقالوا في معرض اعتراضهم ان عالم الشريعة

الذى قال بهذا كان يعيش فى بعض البلاد الاسلامية التى شاع فيها اللواط ، وكان يحترس على نفسه ، لذلك أفتى بهذه الفتوى !!

اليهود وغير اليهود

لا شك ان هذا الكتاب يضم افكارا كثيرة حاول فيها بعض الاصلاحيين اليهود أن يقنعوا أبناء جلدتهم أن « روح » اليهودى مثل « روح » غير اليهودى ، كما يضم افكارا أخرى حاول فيها بعض المفكرين اقناع بنى جلدتهم أن « المسيحيين » أهل كتاب وليسوا من الوثنيين ، لكن المؤلف يذكر لنا أنه سواء أكان هؤلاء المفكرون صادقين فى رأيهم أم لا ، فإن القارىء اليهودى غالبا ما يفهم أن هذا الكلام لم يكتب الا لتحقيق مصالح اقتصادية أو خوفا من الرقيب أو خوفا من معاداة المسيحيين . ونفهم أيضا من الكتاب أن اليهود لم يعانون فى ظل المسلمين ما عانوه فى ظل مسيحيى أوروبا ، ويعمل ذلك بأنهم فى البلاد الاسلامية كانوا « أهل ذمة Protected people » ، ويذكر أن المسلمين قلما كانوا يجبرونهم على التحول الى الاسلام . أما أغرب ما فى الكتاب ، فهو أن المسيحيين هم الذين أجبروا اليهود على التعامل بالربا ! والحق ، ان شهرتهم (اليهود) فى هذا المجال تمتد لتشمل البلاد الاسلامية أيضا ، فكيف يجبرهم المسيحيون على التعامل بالربا ؟ والربا محرم فى الشريعة اليهودية كما نفهم من هذا الكتاب ، لكن نظرة اليهود لغيرهم باعتبارهم جنسا منفصلا هى التى جعلتهم يسمحون بالربا مع غير اليهود (الأغيار) . لقد وصل الأمر الى حد مناقشة قضية على شاكلة : هل لغير اليهودى روح أصلا ؟

منهج الترجمة

التزمنا فى هذه الترجمة بصيغ أسماء الفرق أو المذاهب أو الأجناس كما وردت فى التوراة (أسفار موسى الخمسة) ، وكتب الأنبياء (الأسفار التى بعدها) كما وردت فى الترجمة العربية المتداولة

فى مصر للعهد القديم ، وعلى هذا قلنا ان اليهود انقسموا الى صفارد واشكناز (. . . صفارد بالصاد وليس بالسين ، رغم شيوع كتابتها بالسين ونوهنا الى ذلك حتى يعلم القارىء ان الصفارد هم السفارد) . وحققنا ما امكنا تحقيقه من أسماء الاعلام فى قاموس الكتاب المقدس والموسوعة الكتابية .

ونظرا لقرب الشريعة اليهودية فى بعض المواضع من الشريعة الاسلامية ، فقد استعملنا المصطلح الاسلامى فى حالة التطابق او فى حالة ما اذا كان المعنى واحدا . وعلى هذا ، فى القسم الثانى من الكتاب الذى يتناول الشريعة اليهودية يجد القارىء مصطلحات على شاكلة : « خلوة » ، بدلا من حظر أن يكون الرجل مع امرأة غريبة عنه فى مكان مغلق . . . ومصطلح الفسل (بضم الفين) لوصف الاجراء المستخدم مع الميت قبل دفنه ، ومصطلح الحيض والنفاس ، وصلاة الاستسقاء . . الخ مع عبارات شارحة .

ولم نكتف بذكر المصطلح اليهودى بلغته العبرية ، وانما عمدنا فى احيان كثيرة الى ذكر ما يفيد مفهومه ، فلم نكتف « بالحاسيديم ، او « الحاسيديين » او الحسديين ، وانما كتبنا الى جوارها « التقوين ، وفقا للمعنى الذى اوردته المؤلف فى معجم المصطلحات بآخر الكتاب ، واشرنا للصيغ الاخرى المستعملة فى بعض الكتابات العربية ، مثل (كاسيديم) . . الخ .

وكان المعنى هو هدفنا ، نقصد توضيحه ونبغى توصيله للقارىء العربى ، فعلى سبيل المثال ترجمنا ritual year بعبارة « العام من خلال طقوسه أو شعائره » فضلنا هذا على عبارة « العام الطقسى » وعبارة messianic age الى « العصر الذى يعتقد اليهود أن المسيح أو المسيح سيأتى فيه ليحكم العالم » ، بدلا من العصر المسيحى أو المسيانى ، فهذه العبارة الأخيرة فى حاجة الى شرح ، وفى كل الأحوال ، أثبتنا المصطلح الانجليزى مراعاة للأمانة العلمية .

وفى حالات كثيرة ، اوردنا تعليقات وجدناها ضرورية من المصادر
الاسلامية وغيرها ، لكننا لم نكثر على اساس ان القارىء العربى اصبح
على درجة كبيرة من الوعى ، ويفهم اننا نعرض دراسة عن اليهودية بقلم
يهودى . ان هذه الدراسة لازمة تماما للمشغولين بتاريخ الأديان ،
ومقارنة الأديان ، وهى أكثر أهمية للمشغولين بالسباسة والاقتصاد .

واخيرا فلعل هذه المقدمة تكون مقنعة للدعوة الى محاولة تقديم
التراث الدينى للآخرين بحياد وتفصيل ، من خلال نصوصه الأصلية .

وعلى الله قصد السبيل .

د . عبد الرحمن عبد الله الشيخ

الجزء الأول

العقائد الدينية

بعض المقولات الأساسية وأمر بحاجة الى توضيح

باى معنى تعتبر اليهودية ديناً ؟

سواء أردنا أن نعتبر اليهودية ديناً أم لا ، فإننا سنعتمد فى هذا - الى حد ما - على المفهوم السائد لهذا المصطلح الذى يستخدم بكثرة - ونعنى به الدين . فوصف اليهودية بأنها دين امر مفيد ما دمنا نعنى الملامح المميزة التى نناقشها فى ثنايا هذا الكتاب ، والتى تفصل اليهودية عما قد نكون قبلناه بشكل عام عن الدين بتعريفه اللغوى - أى تعريفه الاشتقاقى أو الصرفى فى لغة من اللغات deafining puradigm

فاليهودية - من الناحية التقليدية - لا تعتبر نفسها ديناً ، وإنما هى تقدم نفسها ، كمجموعة تعاليم ووصايا ارتبطت بالعلاقة التعاهدية بين الله (سبحانه) واسرائيل (١) . وعلى هذا ، فلم يكن اليهود ينظرون للعبادات الوثنية ومسلك البشر الآخرين (غير اليهود) كمعتقدات مناقضة للدين اليهودى (٢) ، وإنما اعتبروها أساليب أو طرائق غريبة (يتخذها الأغيار - أى غير اليهود) تمثل تهديدا لبقاء عهد الله وميثاقه Covenant لبني اسرائيل . وليس هناك مفهوم للدين ينطبق على

هذا المعنى فى الكتاب المقدس اليهودى ، ولا فى النصوص القديمة الأخرى .

ونفهم من سياق النصوص الحديثة وجود معارضة بين اليهود التقليديين لوصف اليهودية بأنها دين ، فهذا - فيما يرون - تقليل من شأنها . فهؤلاء اليهود التقليديون لا يعتبرون اليهودية ديناً على نفس ما نقول : الدين المسيحى ، أو الدين الإسلامى أو الدين البوذى ، وإنما هو (دين) متفرد (لا نظير له) وهو فى حد ذاته أمر لا نظير له () ، أو هو (دين) لا يمكن إدراجه فى تصنيف مع الأديان ، الأخرى ، وذلك باعتباره التساليم الإلهية الموحى بها التى تمثل (عهد) الله (وميثاقه) God's Covenant مع إسرائيل .

ومع أن هذه الاتجاهات قد تعتبر عوامل تذكرنا بشكل مفيد أنه يتحتم علينا ألا نفرض المقولات الدينية بشكل تعسفى على التراث الدينى ، فإن هذا لا يعنى إنكارنا لخصوصية التراث الدينى وتفرد ، من حيث تصنيفه ضمن السياق الأوسع والأشمل لدراسة الأديان . وقد فعل ذلك اللاهوتيون اليهود الرواد فى العصور الوسطى ، عندما ناقشوا عقائد المسيحية والإسلام وقارنوها بالعقائد اليهودية - رغم أن هدفهم - كما نقر - كان مهاجمة عقائد الدينين الآخرين .

ولا بد أن نضع فى أذهاننا ملمحاً إضافياً آخر عند حديثنا عن الدين اليهودى . فحتى وقت حديث نسبياً ، لم يكن هناك انفصال أو انفصام بين الجانب الدينى ، والجانب الدنيوى فى الثقافة (الحضارة) اليهودية . فوعى الثقافة اليهودية بذاتها ، والوعى التاريخى اليهودى (وعيهم بتاريخهم) والوعى اليهودى بالهوية ، والوعى بالوجود اليهودى ، كل هذا ككل واحد متكامل قد ذاب أو اتحد فى هيكل دينى بشكل

(*) بلغة أخرى : الديانة اليهودية هى نمط من السلوك ارتضاه اليهود ليعيشوا عليه وهو فى الغالب من صنيعهم وتبشيرهم وموافقة الهمم (يهوه) أو جهوفاه - (المراجع) .

رئيسي . وربما كان هذا الملمح هو - أكثر من أى ملمح آخر - ما يسهم في افتقاد فكرة الدين بشكلها المتكامل في اليهودية .

اليهودية والشعب اليهودي

ترتبط التوراة وما يتصل بها بأساليب حياة وأبنية فكرية ، ارتباطا لا فكك منه بتجربة الشعب اليهودي ومفاهيمه عن هويته (احساسه بذاته) . هذا الرباط يخلق ازدواجية (أو تناقضا) في اللاهوت اليهودي عن طبيعة التعاليم اليهودية . فمن ناحية لابد من النظر للتوراة باعتبارها حاوية لرسالة من الله (سبحانه) للإنسان . رسالة وان كان قد نقلها أنبياء يهود الا أنها رسالة ذات صلاحية عالمية of Universal Validity ومن ناحية أخرى ، فان التوراة جزء - وان كانت جزءا مجوريا - من العهد الخاص بين الله واسرائيل وشعبه الخاص المعين appointed (المختار) - أى اليهود .

هذان البعدان - البعد العالمي ، والبعد الخاص ، موجودان معا جنباً الى جنب في اليهودية ، وربما لم يكن يتم دائما ادراك هذين البعدين ، باعتبارهما بعدين منفصلين ، كفكرتين (منظورين) متصارعتين الى حد ما (في بعض الحالات) .

فقد صاحب البعد العالمي الاتجاه الايجابي نحو الدعوة لليهودية والجهود التبشيرية الفعالة . فيهودية الامبراطورية الرومانية قبل سيادة المسيحية ، كانت تعتبر نفسها دينا ذا رسالة للأغيار في هذا العالم (لغير العرق اليهودي gentiel أو للأمم الأخرى غير بني اسرائيل) . ففي هذه الفترة كان التحول لليهودية شائعا ، وان كان من غير الواضح

الى اى مدى كان الراييون اليهود rabbies (*) فعالين فى مجال التبشير باليهودية ، كما انه لم يكن من الواضح ما اذا كانوا موافقين على كل جوانب هذا المشروع (مشروع التبشير باليهودية) . ونورد فيما يلى نص كلمات العهد الجديد :

« لكن ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المرامون لانكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحدا ، ومتى حصل تصنفونه ابنا لجحهم اكثر منكم مضاعفا » (١) (**) .

رغم ان هذا النص يعكس - بلاشك - معارضة لاسلوب الفريسيين (***) فى الدعوة الفعالة . ونحن نعلم ايضا من يوسفوس

(*) استخدم القران الكريم (الربيون) بتشديد الراء وكسرها ، وجعلت لها المصاحف المترجمة مقابلا انجليزيا هو goodly men ؛ لذا لم نفضل استخدام هذا اللفظ ، واليهود الذين كتبوا بالعربية (مترجم رحلة التطليلي مثلا) يستخدم كلمة (ربي) والجمع (ربيون) يفتح الراء ، وقد لا يستريح بعض القراء لذلك . والكلمة على كل حال تعنى المعلم كما أوضح المؤلف ، وقد يكون مقبولا نقل الكلمة حرفا حرفا كما مى رابي ، وراييون rabbies - (المترجم) .

(***) من العهد ايراد الآيتين الواردتين قبل هذه الآية :

« لكن ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المرامون لانكم تغفلون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون انتم ولا تدعون الداخلين يدخلون . ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المرامون لانكم تملكون بيوت الارامل . ولعلة تطيلون صلواتكم . لذلك تأخذون دينونة عظم » (المترجم) .

(****) فيما يلى التعريف بالفريسيين كما ورد فى مقدمة لجنة ترجمة الكتاب المقدس (الابا غريغوريوس ، زكى شتوده ، مراد كامل ، بامور لبيب ، حلمى مراد) لانجيل متى - ١٩٧٢ : « الفريسيون هم طائفة متطرفة ميزت نفسها عن عامة الشعب فى الراى والسلوك ، ولاسيما انها كانت الفئة المتعلمة من الشعب ، وقد تصدت للمحافظة على الفريضة والتمسك بها وصيانة التقاليد التى تناقلها الخلف عن السلف . ولذلك حصر الفريسيون همهم فى درس الشريعة وتفسيرها ، ولكنهم تمادوا فى التمسك بالشكليات وبحرفية للمبارات ، حتى انتفى المعنى الروحى من الشريعة لديهم ، وانتهى الامر بهم الى اعتبار الشريعة كائما هى صنم يعبدونه . وقد كان لذلك اثره الشديد فى عامة اليهود الذين كانوا يحيطون الشريعة بهالة من الاجلال والتقديس . وكان الفريسيون

.....

في نظرهم هم حفلة الشريعة ، فكانوا يحترمونهم ويطيعونهم ، ومن ثم استبعد
 الفريسيون الضرب فلم يتركوا أي شيء للارادة الحرة ، بل وخسروا كل شيء تحت
 جهود العبادة الحرفية للشريعة ، حتى أصبح اليهودي يتساءل في كل خطوة يخطوها
 من حكم الشريعة ، وباتت الحياة عذابا لا يطاق بالنسبة للرجل المتزمت الذي يخشى
 في كل لحظة أن يقع في خطر التعدي على الشريعة . ومن الأمثلة على عقلية
 الفريسيين وأسلوب تفكيرهم ، ما كانوا يضعونه للطهارة من مرجات كثيرة لا يرتقى
 الإنسان من أحدها إلى الأخرى إلا بعد الدرس الطويل والتحصيل الدقيق . ومن خذلقهم
 لهما يتعلق بالطهارة أنهم كانوا يضيفون إلى أحكام الشريعة في هذا الصدد عددا
 لا يحصى من الطقوس ، إذ كانوا يوجبون غسل الأيدي مرارا قبل كل أكل وعند كل
 عودة من السوق . فإن لم يجد اليهودي ماء لهذا الغرض كانوا يوجبون عليه أن
 يفتش عنه ولو على بعد أربعة أميال . وكانت لديهم بهذا الخصوص جملة أوامر تحتوي
 على ست وعشرين صلاة ينبغي تلاوتها في أثناء غسل الأيدي والأواني على المائدة ،
 وكانوا يمدون أصابعهم بسنلة قبل النفس استجارا ، إذ يؤدي لديهم إلى الحرمان من الحياة
 الأبدية . وقد خصص التلمود أربعة أبواب كاملة منه لإجراءات الغسل والتطهير . ومع
 كل هذا التحقيق والتشدد في تطبيق الفريسيين للشريعة والتقاليد ، يقرر التلمود أنهم
 لم يكونوا كلهم أبرار ، فلم يكن أغلبهم كذلك إلا في الظاهر .
 أما في باطنهم فكانوا أول مخالفين لتعاليم الشريعة ، ومن ثم كانوا مثالا صارخا
 للتظاهر والرياء . وقد قسم التلمود الفريسيين إلى سبعة أقسام . وذكر أن ستة من هذه
 السبعة لا تستحق الاعتبار لمخالفتها الغاية المقصودة ، أما السابعة فإفراحم وحدهم
 هم الفريسيون الحقيقيون . وذلك أن الفريسيين مع أنهم كانوا يعتقدون أن الغرض
 الاسمي من وجودهم هو إقامة « المسابجات » التي تصون الشريعة ، لأنهم كانوا على
 استعداد تام لابتلاع الحيل كي يتخلصوا من أحكام الشريعة إذا تعارضت مع مصالحهم
 ومآربهم . وربما كان أبرز مثال لذلك هو الوسيلة التي احتالوا بها ليحلوا أنفسهم
 من القاعدة الشرعية القاضية بالآلا تتجاوز أية رحلة في يوم السبت مصافة إلى ياردة ،
 وإذا كان الفريسيون حريصين على الاشتراك في الولات اليومية العامة ، في حين كانت
 منازلهم في بعض الأحيان تبعد أكثر من ألفي ياردة عن أمكنة هذه الولات ، كانوا
 يحتالون على ذلك بأن يضعوا في عشية السبت بعض الاطعمة على بعد ألفي ياردة من
 منازلهم ، وبذلك يخلقون مسكنا مفتلا يستطيعون أن يسبروا بعد ألفي ياردة أخرى ،
 ومن ثم يتاح لهم أن يضاعفوا المسافة المفروضة . كما أنهم كي يتخلصوا من عقبة تحريم
 حمل أي شيء يوم السبت إلى خارج البيت كانوا يحتالون بخدعة أخرى . وهي أن
 يضعوا قوائم وعوارض أبواب ونوافذ في مختلف الشوارع ، فتصير المدينة كلها
 بمثابة بيت كبير يحل في داخله حمل الأشياء . ومن الأمثلة كذلك على تلاعبهم أن
 الشريعة كانت تلزم الابن بأن يبول والديه في حالة الشيخوخة والموز ، ولكن الفريسيين
 كانوا يتحون للبناء التهرب من هذا الالتزام بحيلة كذلك ، وهي أن يذهب الابن - إذا
 طالبه أبوه - إلى الكهنة ويتلق معهم على أن يوقف كل أمواله وممتلكاته على الهيكل
 (المترجم) .

Josephus ان المتحولين لليهودية كانوا موجودين فى كل من بلاد
الغريق ، والملعن البربرية (٢) بل وحتى بين زوجات المناهضين لششاطات
الدعوة الى اليهودية فى دمشق (٣) .

ويعد البعد العالمى فى اليهودية اكثر ما يكون وضوحا وتحديدا
فى التوجيه التالى ، الذى صاغه الرايى اليعازر بن بيدات Eleazar ben
Pedat فى القرن الثالث للميلاد :

« الله الواحد ، تبارك اسمه لم يشتت بنى اسرائيل بين الامم
الا ليضيفوا مهتدين جددا الى تعدادهم - اى تعداد بنى اسرائيل » (٤) .

وعلى اية حال ، فقد كان هناك ملمح خاص ساد الاستشراف
الدينى فى للعصور الوسطى ، واستمر الى حد كبير بين اليهود
التقليديين فى العصر الحديث . والخلفية الخارجية لهذا الملمح الخاص
هى تجربة اليهودية مع المسيحية العسكرية (التى تستخدم القوة
العسكرية لنشر المسيحية) ، وبعد ذلك تجربتها مع الاسلام العسكرى
الذى حذا حذو المسيحية فى هذا المجال بالدرجة نفسها (*) . ومعنى
هذا ان التحول من المسيحية لليهودية كان يعنى مخاطرة من التحول
مخافة مواجهة عقاب شديد ، وبالنسبة لليهود الذين كانوا قد تحولوا ،
على الاقل منذ عهد قسطنطين Constantine . فليست هناك حاجة
للافتراض بان ظهور هذه الاتجاهات الخصوصية (الاتجاهات باحساس
اليهود بان لهم وصفا خاصا) كانت مجرد نتيجة للضغط الخارجى ضد
نشاطات الدعوة لليهودية ، لان هناك اسبابا لاهوتية خاصة داخل
اليهودية لمنع اليهود من دعوة الاغيار (غير بنى اسرائيل) لليهودية .

(*) الكاتب كما هو معروف يهودى ، وهو يتهم المسيحية والاسلام على سواء
بالانتشار بعد السيف . لذا ليس من مبرر لاطالة الحواشى بالتعليق خاصة وان المؤلف
عاد بعد ذلك لفكر ان هناك اسبابا لاهوتية داخل اليهودية نفسها تمنع اليهود من دعوة
الاغيار لهذا الدين . ولا ينكر التاريخ حالة واحدة دخل فيها فرد الاسلام تحت التهديد
بالسيف ، واستمال السيف كان للدفاع .

لقد كانت المسيحية والاسلام - بشكل واضح - بمثابة دينين
نبعا من اليهودية (أو هما ابنان لليهود) ، لأنهما تضمنتا كثيرا من
الأفكار والممارسات الأساسية في الدين الأم (*) (اليهودية) ، فالجهود
التبشيرية للمسيحية يمكن النظر اليها كاستمرار مباشر لجهود الهداية
اليهودية - وان كان بطريقة مبسطة (أو خفيفة) تتناسب مع الأغيار
(الأمم الأخرى غير اليهود) . فقد نقلت المسيحية والاسلام الدين
اليهودي للأغيار ، ورات اليهودية نفسها وقد تخلصت من عبء الصل
على هداية غير اليهود ، ولم يعد مطلوبا منها أن تركز على (تنقية) أو
« تكرير » نفسها لتناسب الأغيار فتعوق تطورها الديني الطبيعي (**).

وهذا الاتجاه الذي أوردناه آنفا تضمنته ملاحظات موسى بن ميمون
- أعظم اللاهوتيين اليهود التقليديين - فقد كتب في حوالى نهاية القرن
الثاني عشر فقرة حذفها الرقيب المسيحي من معظم طبقات مشناة التوراة
: Mishneh Torah

« وكل هذه الأمور المتعلقة بيسوع الناصري ، والاسماعيلي (***)
الذي ظهر بعده ، لم تكن الا لتمهد الطريق للمسيا Messiah ،
ولتهيئة العالم كله لعبادة الله معا (ليكونوا جميعا عبيدا لله to serve
God together » (٥)

فهنا نرى أن موسى بن ميمون وقد احتفظ لليهودية بعالمية معدلة
بطريقة تحيل اليهودية نحو الخصوصية بشكل حاد . فلم يكن كل
المفكرين اليهود راغبين حتى في الذهاب الى الحد الذي ذهب اليه موسى
ابن ميمون في عالميته المعدلة Qualified Universalism

(*) بل خرجت هذه الأديان جميعا من مشكاة واحدة - (المترجم) .

(**) لا يوافق المسلمون على أن الاسلام نبع من اليهودية ، فالعقائد الاسلامية
والتشريع الاسلامي والأخلاق الاسلامية ، مختلفة مع نظيراتها اليهودية وكل ما يمكن
قوله هو أن اليهودية الصحيحة والمسيحية الحقة والاسلام جميعا من معين واحد -
(المراجع) .

(***) يقصد محمدا صلى الله عليه وسلم - (المترجم) .

وكانوا في اتجاههم هذا ، أكثر انتحاء للخصوصية الموجودة بالفعل في التراث الفكري للرايين ، وهو أن التوراة لم توجه للأغيار فهم غير ملزمين سوى بمجرد الالتزام بشرائع نوح Noachidie Laws وهي :

- ١ - إقامة المحاكم ، ٢ - منع التجديف على الله ، ٣ - منع عبادة الأوثان ، ٤ - منع الفسوق الجنسي ، ٥ - منع القتل ، ٦ - منع السرقة ، ٧ - علم اكل لحم تم اقتطاعه من حيوان حي (٦) . وعلى هذا فالأغيار (غير اليهود) غير مطلوب منهم لا دراسة التوراة (٧) ولا حفظ السبت (٨) ، لكن إذا رغب واحد من الأغيار - بشكل صادق - أن يضع على كاهله الارتباط بمملكة الله ، والوصايا العشر، فيمكن قبول رغبته في اعتناق الديانة اليهودية . وعلى أية حال ، فهو في غير حاجة إلى ذلك (إلى التحول لليهودية) ، مادام محافظا على شرائع نوح السبع Seven Noachide Laws فهو - في هذه الحال - يعد من الأغيار الصالحين وله مكان في يوم الرب الآتي (*) World to Come (٩) .

وبرغم أن الاتجاه الخاص ساد في العصور الوسطى ، فإن الاتجاه العكسي (العثماني) كان لا يزال موجودا يعبر عنه أفراد من الرايين Rabbies ، ومن ذلك أن الراي موسى الكوسي Moses of Coucy يحذر اليهود ، مطالباً إياهم باصلاح أساليبهم التي تنفر الأغيار ، ما دام هدف تشتيت اليهود بين الأمم هو تحويلهم لليهودية (١٠) .

وفي أزمنة أكثر حداثة ، ومع تركيز تجدد على الأبعاد العالمية لليهودية بين اليهود التقدميين Progressive Jews ، صاحب ذلك تساهل في شروط الهداية (شروط التحول لليهودية) ، وقد ظل غالب اليهود التقليديين معارضين لجعل عملية التحول أسهل ، ومعارضين للايديولوجية الكامنة وراءها (**). فالخصوصية اليهودية - في بعض

(*) أو يوم البينونة - (المترجم) .

(**) يلاحظ أن اليهودية ليست دين دعوة فهي دين لبس بني اسرائيل وهي مفعلة للديون ، واديان الدعوة هي : الاسلام والمسيحية والبوذية وسيذكر المؤلف هذا بعد الليل - (المراجع) .

جوانبها - كانت هي الاتجاه الأكثر قبولا عند المعاصرين ، لان اليهودى غير متورط فى انكار التراث الدينى للآخرين ، ما داموا غير وثنيين .
فالتخصوصية اليهودية أكثر ملاءمة فى بيئة التسامح والتعددية الدينية .
والعالمية المطلقة تحمل معها مفهوم ان الطريق الواحد الى الله هو طريق اليهودية ، بينما « التخصوصية » اليهودية قد تسمح بطرق مختلفة الى (الى الله سبحانه) ، فاليهودية ببساطة هي الطريق الذى رسمه الله لليهود .

والصيغة الكلاسية لتعددية التخصوصية نجدها فى خطاب كتبه موسى مندلسون Mendelssahn لأحد معارفه المسيحيين واسمه ج . س . لافاتر J. C. Lavater ، فى عام ١٧٦٩ يقول فيه :
« وفقا لمبادئ دينى ، فانه غير مسموح لى أن أحاول تحويل أى شخص لم يولد على تراث اسرائيل . فهذه الروح التبشيرية التى يتوق كثير من الناس لان يغزوها لليهودية وأن يجدوا لها أصولا فيها ، تعتبر غريبة تماما عن اليهودية . فالرabbies متفقون باجماع على ان الشرائع المكتوبة والمنقولة شفاهة ، والتى تعد أسس ديننا اليهودى الموحى به ، غير مرتبطة الا بأبناء عقيدتنا - اليهود .

أما كل الأمم الأخرى ، فهى - كما نعتقد - مسوقة من الله للمراعاة قانون الطبيعة ودين الآباء Patriarchs فالبحر الذين يعيشون وفقا لدين الطبيعة Religion of nature ودين العقل Religion of reason نسبيهم الأغيار الأتقياء Pious of the gentiles ولهم نصيب فى يوم الرب الآتى World to come . . . فاذا وجدنا فى عالمنا المعاصر شخصا مثل كونفوشيوس Conficius أو صولون الأول Solon 1 فأننى وفقا لمبادئ دينى ، سأحب مثل هذا الرجل العظيم وأحترمه ، دون أن أضع فى اعتبارى الفكرة المضحكة السخيفة التى مؤداها تحويل كونفوشيوس أو صولون الى اليهودية .

الشريعة اليهودية (الهالاخاه) (Halkhah) ثقافة وعقيدة :

لا يقسم التراث اليهودي أفكارا أساسية معينة عن الله والوحي والإنسان ، فحسب ، وإنما يعبر أيضا عن هذه العقائد من خلال شعائر وطقوس وشرائع موجهة للسلوك تؤدي بدورها لقيام مؤسسات دينية وتصيب الحياة والثقافة اليهودية *religious institutions* . وعلى هذا ، فإن تكون يهوديا لا يعنى بالضرورة أن تكون بصيغة مميزة . كما أن اليهودي المتدين ليس من الضروري أن يصب يهوديا متدينا ، (أو قالب عقائدى) *doctrinal formula* نفسه فى صيغة دينية (تعتبر هى الأساس فى اعتباره يعرف نفسه من خلالها بشكل أساسى) تعتبر يهوديتهم أو إيمانهم باليهودية يهوديا . فبالنسبة لبعض اليهود ، تعتبر يهوديتهم أو إيمانهم باليهودية أقرب إلى « خصوصية » الحياة فى مجتمع عرقى ، منه إلى الالتزام الصارم بشعائر أو عقائد . وبالنسبة ليهود آخرين ، نجد أن البعد الأساسى لليهودية - هو مراعاة محرمات الهالاخاه وأوامرها التى تحدد المسلك المعبى ، مع قضايا لاهوتية تحتل مرتبة أدنى بحيث يصبح وجودها شبيها بالظل (أى ملازما وإن كان أقل قيمة) .

ومن الانصار المعاصرين لوجهة النظر الأخيرة - والتى قد يكون من الملائم أن نطلق عليها « الوضعية الهالاخاوية » أو « الالتزام بما هو واضح فى الهالاخاه » *Halakhic Positivism* - من كتب :

« .. ذلك الذى أعطى لليهودية استمرارها ، وحفظ ذاتيتها لم يكن سوى دين إسرائيل كما تضمنته التوراة والوصايا *mitzvot* (*) » .

اننى لا أنكر أن هناك ملامح أخرى للوجود اليهودي ، لكن أيا من هذه الملامح لا يحوى قيمة بناءة لتأمين استمرار اليهودية ، والحفاظ على

(*) المسود الوصايا التى أعطىها الله لموسى عليه السلام على جبل سيناء لكن الكلمة *mitzvot* تعنى قائمة بالوصايا الدينية - راجع معجم المصطلحات الذى وضعه المؤلف فى آخر الكتاب - (المبرمج) .

ذاتيتها . فاللامح أو الطواهر الأخرى للوجود اليهودي : من آراء ، وفلسفات ، وقيم ، وأخلاق وإنتاج فكري وأشعار ، وفالكلور وسياسة ، ونظم اجتماعية - كل هذا يشترك فيه البشر عامة . انها لم تكن تمثل خصوصية يهودية ، فقد كانت ظواهر غير منصلة في مسار التاريخ اليهودي العام . فلم تتمثل كل الأفكار والآراء المختلفة في اليهودية إلا من خلال الأبنية الفوقية *Supra-structures* ، القائمة على الهالاخاه ، (*) (١١) .

وهذا الاتجاه الذي يعطى الأولوية لهالاخاه - طريق اليهودية أو جانبها التشريعي - الذي يعنى بشكل أساسى الوصايا *Mitzbot* ، لم يوجد إلا بين مجموعة صغيرة - لكنها مؤثرة - من المفكرين اليهود السلفيين *Orthonox* . وبطبيعة الحال ، فإن هذه « الوضعية الهالاخية » أو هذا الاتجاه القائم على الأخذ بما هو واضح في الهالاخاه *Halakhic Positivism* يمثل تفسيراً خاصاً (معينا) للوجود اليهودي . لقد قدمت أرضية خصبة من خلال اليهودية لتطوير السكولاستية ذات النظرة الداخلية (**) ، التي لم تحاول أن تربط الدين اليهودي بقضايا الطبيعة الدينية العامة .

إن ذلك ساعد الذين التزموا بهذا الاتجاه في التغلب على المشاكل التي أحدثت بالفكر اليهودي في عالمنا المعاصر بفصلهم أنشطتهم الفكرية عن القضايا اللاهوتية العامة .

وثمة اتجاه دنيوى مواز لهذا الاتجاه الذى يفصل وسط الفعل المعيارى (أو بيئته أو محيطه) عن المباحث اللاهوتية (***) . ونحن هذه

(★) الجانب التشريعي في اليهودية أو الطريق اليهودي أو التعاليم اليهودية المتعلقة بالسلوك والممارسات الطقسية - راجع معجم المصطلحات العبرية للمؤلف بأخر الكتاب - (المترجم) .

(★★) النعى *Inword-Looking Scholasticism* والمقصود بالسكولاستية في هذا السياق ، محاولة إخضاع الفلسفة للاهوت أو الربط بينهما .

(★★★) مؤلف الكتاب يهودى يبين لنا العقائد اليهودية - (المترجم) .

النظرة اللاهوتية الى أن كل العناصر الدينية في اليهودية - بما في ذلك
عنصر الهالاخاه - ليست الا مجرد ثمار أو نتائج لثقافة اليهود العرقية ،
الاولوية فيها هي الاحساس المشترك بتاريخ عام واحد ،
وسلسلة من أساليب الحياة اليهودية ، واستخدام لغات يهودية
و *the use of judaic languages* ، وعادات اجتماعية ،
وقيم ذوات طابع عرقى ، وقيم مستمرة من الأساليب الشخصية في
الحياة . وبينما الدينويون (العلمانيون) ينجذبون انجذابا طبيعيا
نحو هذا الشكل من أشكال اليهودية العرقية أو اليهودية الثقافية ،
وجدنا - غالبا - الأرثوذكس المغالين *Ultra-orthodox* هم الذين
يدافعون عن أشكال أكثر تطرفا نحو « الوضعية الهالاخية » .

والغالبية العظمى من اليهود - بمن في ذلك الأرثوذكس والمحافظةون
والاصلاحيون - تقبل منظورا أوسع للدين اليهودي والحياة اليهودية . .
رغم اختلافها في التركيز على عنصر أو آخر من عناصر اليهودية ،
فالسلفيون يركزون على الهالاخاه أكثر من تركيز الإصلاحيين عليها ،
الا أنهم جميعا يدركون التفاعل بين الممارسة والعقيدة في اليهودية
(كون اليهودية دينا ودنيا) ، كما يدركون التوتر القائم بين اليهودية
والعالم المعاصر . فالصلات الحرة المفتوحة بين اليهود والأغيار (غير
اليهود) في العالم الغربي قد عمقت من وعى اليهود بوضعهم العقائدى
واشكالية هذا الوضع ، بالإضافة الى تساؤل « الذاتية اليهودية » أو
« الخصوصية اليهودية » ، نتيجة استيعاب المجتمع الغربى لليهود أو
هضمه لهم ، ونتيجة الزواج المختلط (بين اليهود وغير اليهود) . وقد
أدى ظهور الدولة اليهودية في الأرض المقدسة التاريخية ، الى أن أصبحت
الوطنية اليهودية *Jewish nationalism* ملمحا مكمل للوعى اليهودى
المعاصر ، الذى يحتاج للتوافق مع مزيد من الوطنية المحلية
Localized nationalism لليهودى الذى تحرر (من - الشكليات)
ليصبح مثله مثل المواطن الأمريكى أو البريطانى أو الفرنسى . لقد أحييت

القضايا الاجتماعية والأخلاقية في زماننا هذا ، الاهتمام اليهودي في الاتجاه نحو الهالاخاه بمعناها التقليدي ، نحو السلوك المعيارى ومدى قدرته على التغلب على المجتمع المتساهل Permissive Society .

لا يمكن أن نتجنب التعرض لآى من هذه القضايا ، سواء على المستوى الفكرى أو على المستوى العلمى المتعلق بأسلوب الحياة بعيدا عن القيم الأخلاقية لثقافة علمانية (دنيوية) حاشدة . وأكثر جوانب هذا الموضوع حساسية هو التعليم ، حيث الأطفال اليهود عرضة تماما لاستيعاب أفكار المجتمع العام واتجاهاته وقيمه . واحد الحلول التى اتخذها الآباء اليهود من الأقليات المهمة هو ارسال أطفالهم الى مدارس يهودية ، وهذا يعنى التلطيف من أثر البيئة التى يقطنها الأغيار ، وتوثيق الروابط الاجتماعية بزملائه اليهود ، والحد من احتمالات الزواج بين اليهود وغير اليهود . والحد من تقديم قدر ضئيل من التعليم الدينى اليهودى . وعلى أية حال ، فان المدارس اليهودية قد ولدت مشاكلها الخاصة منذ زادت (عمقت) معنى الغربة التى يشعر بها الطفل اليهودى وزيادة وعيه بالحواجز غير المرئية لثقافة الجيتو ghetto ، التى تفصل اليهود عن عالم غير اليهود . وثمة حل آخر لم يكن مقبولا الا من نسبة صغيرة من اليهود الغربيين - وان فكر فيه كثيرون - وهو الهجرة الى اسرائيل . وهذا يزيح القيد الثقيل ، المثل فى تنازع ولاء اليهودى بين اسرائيل والبلد المضيف (الذى يقيم فيه) .

ابعاد الهوية اليهودية

بعد تحليل العناصر المختلفة المكونة للشخصية (الهوية) اليهودية Jewishness - بمعناها الواسع ، مسألة مهمة لمعرفة مفهوم اليهود للذاتية اليهودية ، ومفهوم غير اليهود لها أيضا . وباختصار ، فانه يمكننا عزل أربع مقولات تقيم الهوية اليهودية : ١ - المقولة البيولوجية،

٢ - التبع الدينى - الجذور الدينية ، ٣ - الانتماء الى مجتمع ثقافى - له خصائص ثقافية ، ٤ - الانتماء الوطنى او العرقى ، واللغة المستخدمة .

وكل مقولة من هذه المقولات منفصلة عن الاخرى ، وعلى هذا فمن الممكن ليهودى ما ان ينتمى الى فئة واحدة ، فعلى سبيل المثال ، ان تكون يهوديا من الناحية البيولوجية دون انتماء الى مجتمع يهودى او وطنية يهودية او دين يهودى . ومعظم اليهود يمكن ان يكونوا يهودا وفقا لغالب هذه المقولات Categories الآنف ذكرها ، الا ان المجموعات اليهودية المختلفة ليس لها الثقل نفسه داخل الفئات المختلفة للمجتمع اليهودى ، فبعضها يعتبر معيارا كافيا للهوية اليهودية ، ولا يعتبر بعضها الآخر كذلك ، دعنا نتفحص هذه المقولات او المعايير الاربعة بتفصيل اكثر .

الاصل البيولوجى

وفقا للهالاخاء ، يكفى ان يولد شخص ما من ام يهودية ليعتبر يهوديا . وكان هذا يعنى - من الناحية التاريخية - ان الاطفال الذين اجبتهم امهات يهوديات اغتصبهن غير اليهود - وهو امر لم يكن نادر الحدوث فى اوربا قبل العصر الحديث - كانت تقبلهم الجماعة اليهودية كيهود كاملى اليهودية . ولم تكن الهالاخاء (الشريعة) التقليدية تطبق القاعدة نفسها على الاطفال المولودين من آباء يهود ونساء من غير اليهود ، فالطفل من هذا النوع (الاب يهودى والام غير يهودية) يعتبر من الاغيار ، برغم ان اليهودية الاصلاحية Refor Judaism غالبا ما تقبل هؤلاء الاطفال كيهود .

وهذه المقولة البيولوجية تزداد تعقيدا بحقيقة ان غير اليهود لم يكونوا - عادة - يعترفون بهذا التصنيف اليهودى الداخلى (الخاص بهم) ، وربما اعتبروا شخصا ما يهوديا اذا كان أحد والديه يهوديا ، واعتبر هذا بالتأكيد صحيحا لدى الاتجاهات المعادية للسامية ، وهناك أمثلة على ذلك فى قوانين المواطنة للرايخ النازى ، الذى اعتبر أن اليهودى

هو من سرت في عروقه دماء يهودية ، وهذا يعنى أن بعض الذين اضطهدهم هتلر باعتبارهم يهودا ، لم يكونوا يهودا من وجهة نظر اليهود التقليديين .

• • • • •

فالوثنى او اللاديني او اليهودى اذا ولد من ام يهودية، فهو يهودى، من وجهة نظر الهالاخاه ، ويتم ضمه - على هذا - لزملائه اليهود . ولم تنشأ مشكلة متعلقة بالهوية اليهودية الا بالنسبة لليهودى المولود من ام يهودية وتحول الى دين آخر ، فهنا نواجه تصادما بين مقولتين : مقولة الاصل البيولوجى فى مواجهة الانتماء الدينى ، فالاتجاه اليهودى التقليدى يعتبر مثل هذا الشخص يهوديا (رغم تحوله لدين آخر) من بعض الجوانب ، وغير يهودى من جوانب اخرى . وقد عرضت قضية لها هذه الطبيعة أمام المحكمة الاسرائيلية العليا فى سنة ١٩٦٢ ، عندما ادعى دانييل رفيزن Daniel Rufeisen - وهو يهودى تحول للمسيحية - هوية يهودية وأراد أن يسجل كمواطن اسرائيلى بناء على قانون المردة Law of Return ، الذى يعطى - فورا - الجنسية لليهود المقيمين فى اسرائيل دون ضرورة لانتظار فترة كشرط للحصول على الجنسية الاسرائيلية ، الا ان المحكمة رفضت طلبه بأغلبية اعضائها برغم أن هذا الرفض لم يكن مبنيا على أسس هالاخانية ، فقد تمسكت المحكمة بأن اطلاق لفظ (يهودى) على شخص هو عضو ممارس فى عقيدة أخرى - اذ كان دانييل راهبا كاثوليكيًا - يتناقض مع الوعى الوطنى اليهودى ، ويتناقض مع الاستخدام الشائع للكلمة .

الانتماء الدينى

من الناحية الشكلية فى مفاهيم الهالاخاه ، يمكن لشخص من الأغيار (غير اليهود) أن يصبح يهوديا بالمضوع لاجراءات التحول الى اليهودية . وقد وجد خلاف ذو شأن بين الأرثوذكس والمحافظةين والاصلاحيين ، فيما يتعلق بما يجب أن تشتمل عليه عملية التحويل هذه . فالتحول

التقليدى لليهودية وفقا للهااخاء - كعملية طقسية خالصة - تتضمن الغمس فى المكفاه *mikveh* ، وهى بمكانة حوض معد خصيصا لهذا الغرض ، على أن يكون امتدادا لحوض يخزن فيه ماء حتى *Living water* كماء مطر مثلا . واذا كان التحول لليهودية ذكرا ، فإن الطقوس تشتمل أيضا على عملية الختان قبل الغمس فى الماء . وكان يتمم ان تتم عملية التحول فى حضور ثلاثة من الرابينين *Rabbies* يشكلون محكمة الشريعة (أو بيت دين *Beit Din*) ، فاذا لم يكن هناك (بيت دين) لاقت عملية التحول بعض الاعتراض بين السلطات هناك (بيت دين) فيما يتعلق بصحة اجراءات الدخول فى اليهودية .

ولا زال اليهود الأرثوذكس يتبعون هذا الاجراء التقليدى لقبول التحول لليهودية . واى تغييرات أخرى قد يتم ادخالها ، ما هى فى الواقع الامائل تجميلية او شكلية *Cosmetic* . فعلى سبيل المثال، المرأة التى تتحول اليوم لليهودية - قد ترتدى ثوبا فضفاضاً أثناء عملية غمرها بالماء *immersion* ، فهذا يكفى المتطلبات التى تقضى بان ماء المكفاه *Mikveh* لابد أن يصل الى كل أجزاء الجسد ، فى الوقت الذى يتم اعفاء التحول لليهودية من الارباك المتمثل فى ضرورة حضور ثلاثة رابينين أثناء اتمام هذه العملية (الغمر بماء المكفاه) .

فالممارسات المحافظة تقترب اقترابا وثيقا من الممارسات التقليدية فى الحالة المذكورة آنفا ، كما فى كثير من الطقوس الدينية الأخرى ، لكنها قد لا تتبع تفاصيلها حرفيا . وكان هذا يعنى أن الرابينين الأرثوذكس لا يعترفون - بشكل عام - بالتحول لليهودية وفقا للطقوس التى يقرها المحافظون ، سواء اكان ذلك لأسباب سياسية أم لأنهم يتشككون فى كل من صحة طقوس التحول ذاتها ، أو فى الرابينين الذين يشرفون عليها . ومادامت اليهودية الإصلاحية *Reform Judaism* قد ألغت طقس الغمر بالماء ، ولم تعد تمارس الختان بالطريقة الطقسية المطلوبة ، فإن المتحولين لليهودية وفقا لطريقتهم لم يعودوا مقبولين من أتباع اليهودية الأرثوذكسية ، وأتباع اليهودية المحافظة ، على حد سواء .

وبهذا ، أصبح الموقف الحالئ مائما جدا ، نظرا لاختلاف معايير التحول لليهودية كما تطبقها الجماعات اليهودية المختلفة ، كما اختلفت ايضا معايير قبول طقوس التحول .

فالذين تحولوا لليهودية فى ظل طقوس اليهودية الاصلاحية Reform ، والذين يظنون انفسهم يهودا ، لا زال بعض رفاقهم اليهود يعتبرونهم من الاغيار (الاميين او غير اليهود) . وهذا - بطبيعة الحال - يؤدى الى مشاكل متعلقة بالهوية ذات ابعاد متعددة ، طالما ان السلفيين (الارثوذكس) او المحافظين اليهود لن يتزوجوا مع اولئك الذين تحولوا لليهودية فى ظل طقوس الحركة الاصلاحية اليهودية Reform . وتوجد المشكلات نفسها بالنسبة للمتحويلين لليهودية فى ظل طقوس محافظة فى مواجهة اليهود الارثوذكس ، وحتى الآن ، لم تبدأ هذه الاتجاهات الثلاثة فى اليهودية الحديثة ، فى حل هذه المشكلة حلا حقيقيا ، تلك المشكلة التى قد تؤدى على المدى الطويل الى تقسيم الشعب اليهودى Jewry الى ثلاث مجموعات نتيجة التزاوج الداخلى (ويعرف أحيانا بالتزاوج اللحمى ، أى عدم السماح بزواج الذكر أو الأنثى خارج المجموعة أو القبيلة أو العشيرة ٠٠٠ الخ) . وفى دولة اسرائيل الحديثة ، عادة ما تنتصر الممارسات الأرثوذكسية Orthodox عندما تنور قضايا حول المتحولين لليهودية بين الحين والحين ، مسببة أزمات سياسية بين أعضاء الحكومة الائتلافية المكونة من عناصر دينية وأخرى علمانية . ولأن اسرائيل والحركة الصهيونية تتلقيان كثيرا من الدعم من دوائر اليهود المحافظين واليهود الاصلاحيين فى أمريكا الشمالية ، فقد تزايد الاحتجاج على اعتراف اسرائيل بالمتحولين لليهودية كمحافظين أو اصلاحيين . حقيقة ، ان العادة جرت أن يكون الراييون الارثوذكس فى اسرائيل اكثر مرونة بالنسبة لموضوع التحول لليهودية من السلفيين الذين يمشون خارج اسرائيل (أرثوذكس الشتات أو الدياسپورا Diaspora) ، فالراييون السلفيون فى اسرائيل لديهم مؤسسات تدريبية خاصة للتعامل مع اليهود المحتملين (المتحولين لليهودية) ، كما أنهم يختصرون

فترة الانتظار قبل قبول التحول (دخول اليهودية) ، إلا أنه من المستبعد أن يقبلوا - تحت أى ظرف من الظروف - التحول لليهودية وفقا للطقوس التقدمية Progressive Conversions .

وعملية التحول لليهودية تتضمن أن يقبل المتحول العقيدة اليهودية ، وتعاليمها وشرائعها سواء كان ذلك وفقا للاتجاه الأرثوذكسى أو المحافظ أو الإصلاحى . ويشترط لقبول المتحول لليهودية أن يمر بفترة دراسة قبل التحول ، ليس فقط ليستوعب ما هو لازم منه إن أصبح يهوديا ، وإنما أيضا لتتاح له فرصة إعادة التفكير فى اتخاذ هذه الخطوة (التحول لليهودية) على بصيرة . وتعد فترة الدراسة هذه أطول ما تكون عند الأرثوذكس ، وقد يمعا بيت الدين لتصل الى أربع سنوات أو خمس .

الانتهاى الى مجموعة ثقافية

فكرة الجماعة اليهودية أو المجتمع اليهودى أو الأمة اليهودية Community ، تعد فكرة محورية بالنسبة للحياة اليهودية سواء بمعناها العام الواسع الذى يعنى كل اليهود (الشعب اليهودى أو الأمة اليهودية) والتى يعبر عنها اليهود بالمصطلح (كلال يسرائيل Kelal Yisrael) ، أو بمعناها الضيق الذى يعنى تشكيلا أو تنظيما body من اليهود فى موقع بعينه . وفى الأزمنة القديمة ، لم يكن المجتمع اليهودى قسرا على اليهود دون سواهم ، فالأغيار الذين كانوا يعيشون فى أرض اسرائيل (*) ووافقوا على الالتزام بشرائع نوح السبع - كانوا يعرفون باسم جير توشاف Ger toshav ، ومعناها الأجانب المقيمون أو الأغيار المقيمون . وكانت لهم حقوق ومسئوليات محدودة داخل المجتمع اليهودى ، واستمرت صيغة معدلة من هذه

(*) مؤلف الكتاب يهودى يبين لنا العقائد اليهودية - (الترجمة) .

بعض المقولات الأساسية وأمر بحاجة الى توضيح

الممارسة منتشرة بين الجماعات اليهودية قبل أن تصبح الامبراطورية الرومانية امبراطورية مسيحية ، عندما ارتبط كثيرون من الأغيار المتحدثين باليونانية بمعابد يهود الشتات (الدياسبورا) دون أن يتحولوا لليهودية تحولا فعليا .

ولم يعد وضع الأغيار المقيمين موجودا الآن ، نظريا على الأقل ، فكل الذين ينتمون علنا لمجموعة أو جماعة يهودية اما أنهم يهود أو يعتبرون أنفسهم يهودا ، وعلى أية حال ، فمن الناحية العملية ، سيكون هناك افراد داخل بعض المجتمعات اليهودية ، ممن لم يولدوا من امهات يهوديات وممن لم يتحولوا لليهودية ، مادامت حياة هذا المجتمع اليهودي تضم ابعادا ثقافية واجتماعية ، بالاضافة للبعد الديني .

اذ يحدث أحيانا - على سبيل المثال - أن يتزوج رجل يهودي من امرأة من الأغيار ، ويدخل أولاده منها في الجماعة ، فستظهر مشاكل لانفكاك منها ، عندما يكبر هؤلاء الصغار ويسعون للمشاركة في الحياة الدينية ، أو يسعون للزواج من يهوديات ، وفقا للطقوس السارية في المعابد اليهودية .

الانتساب العرقي أو الوطني ، واستخدام اللغة

يظهر دولة اسرائيل المعاصرة ، اكتسبت الهوية اليهودية بعدا جديدا . فهناك شباب اسرائيليون ولدوا في اسرائيل ونشأوا على الحديث باللغة العبرية ، وخدموا في الجيش الاسرائيلي ، وبذا فان هويتهم كاسرائيليين يهود غير هوية الاسرائيليين المسيحيين أو الاسرائيليين المسلمين (المسيحيين أو المسلمين ذوي الجنسية الاسرائيلية) ، فهؤلاء الآخرون ليس لهم ثقافة الهالاخاه اليهودية . انهم - أي هؤلاء الشباب - دائما نتاج زواج مختلط من رجال يهود ونساء من الأغيار .

وما دامت الهالاخاه التقليدية تؤثر فى وضع الشخص بشكل فعال فى اسرائيل نظرا لان الحكومة الاسرائيلية تتكون من احزاب دينية واخرى علمانية ، فان هؤلاء اليهود غير اليهود non-Jewish Jews يشكلون منطقة نزاع خاصة فى حياة الدولة اليهودية . وغالبا ما يكون الاتجاه الارثوذكسى قادرا على تجاوز المشكلة ، باتخاذ الاجراءات الطقسية لتحويل الراغبين منهم لليهودية . وعلى اية حال ، فهناك البعض منهم يرفض الخضوع لطقوس التحول مع تمسكه بحق المواطنة اليهودية .

وفى سنة ١٩٦٨ ، طالب بنيامين شاليت Shalit ، الضابط فى البحرية الاسرائيلية ، بتسجيل ابنائه من زوجته غير اليهودية فى وزارة الداخلية باعتبارهم يهودا (يحملون الجنسية اليهودية Jewish nationality) وقد قبلت المحكمة العليا التى لجأ لها شاليت طلبه ، برغم انها اشارت الى انه ما دامت الشرائع الدينية هى التى تحكم الاحوال الشخصية فى اسرائيل ، فان اولاد شاليت يعتبرون من الاغيار (غير اليهود) . وبعد اعتراض شديد من الاحزاب الدينية ، غيرت الحكومة الاسرائيلية اخيرا قانون تسجيل المواطنين ليصبح انه لاحق لاحد فى المطالبة بتسجيله كيهودى الا اذا كانت امه يهودية ، او اعتنق اليهودية (المقصود وفق اجراءات التحول الآنف ذكرها) .

والوضع القائم الآن يترك شجبا اسرائيليين - فى نفس اوضاع ابناء شاليت الآنف ذكره - هائمين لا هم يهود ولا هم غير يهود . ويرجع سبب اثاره القضايا المحيطة بالهوية اليهودية الى أن اسرائيل من الناحية الرسمية - هى دولة يهودية لا تضم فحسب عددا كبيرا من الاغيار (غير اليهود) ، وانما تضم أيضا عددا كبيرا من اليهود العلمانيين (Secular Jews) ، بل ان التشريع اليهودى نفسه مختلط ، ففى بعض المجالات ، يتم تطبيق التشريع الدينى ، وفى مجالات اخرى يتم تطبيق التشريع المدنى (غير الدينى Secular) . ويحمل كل مواطن اسرائيل بطاقة هوية (شخصية) مسجلا بها عرقه (او انتماءه

العرقى) . وتصدر هذه البطاقة عن وزارة الداخلية ، وهي وزارة - من الناحية الرسمية - غير ملتزمة باعتبارات الهالاخاه (الشريعة) فيما يتماق بتحديد من يعتبر يهوديا ، ولكن من الناحية الفعلية تسيطر الأحزاب الدينية على هذه الوزارة . وقد تم تسجيل هوية غالب مواطنى اسرائيل كيهود (تم تسجيل كلمة (يهودى) امام الدين) مع ان اليهود المتدينين يعارضون ويطالبون بان يكون تحديد من هو اليهودى خاضعا لاعتبارات الهالاخاه ، وليس لاجتهادات الموظفين المدنيين .

واهمية هذه المعايير التى تستخدم فى تحديد من هو اليهودى leom ، ترجع الى حقيقة أن القوانين الاسرائيلية المتعلقة بالزواج والطلاق يتحكم فيها الراييون الأرثوذكس ، بينما يتحكم المسئولون الدينيون المسيحيون فى زواج المسيحيين ، والأمر نفسه بالنسبة للمسلمين . فاليهودى العرقى ethnic (أو السلالى أو الأصل أو الوطنى national) الذى لم تجر عليه الطقوس الشكلية وفقا للهالاخاه ، لا يمكن تصنيفه كمسلم أو كمسيحى - ليس امامه أى سبيل للزواج فى دولة اسرائيل ، فاذا تزوج (أو تزوجت) وفقا للاجراءات المدنية خارج دولة اسرائيل ، فعلى الدولة عندئذ أن تعترف بزواجه بحكم الاتفاقات الدولية . ويمكن ان تكون مشاكل (الهوية) لهؤلاء اليهود العرقيين ethnic الذين يعيشون فى اسرائيل - ذات طبيعة قاسية ، وبرغم أنها تؤثر فى نسبة قليلة من السكان فانها تنطوى على وضغ قابل للانفجار ، يشكل صراعا بين القوى الدينية والمدنية (*) .

(*) من المبادئ الاسلامية المسلم بها أن الاسلام دين على لسان جميعا . وما على الانسان الذى يريد دخول الاسلام الا أن ينطق بالشهادتين فيصبح مسلما مكلفا بكل القوانين الاسلامية بصرف النظر عن أصله وأرديته - (المراجع) .

الفصل الثانى

العقائد الدينية الأساسية

طبيعة الله فى اليهودية •

عادة ما نفهم التوحيد على انه الايمان بإله واحد ، لكن يكمن وراء هذا التعريف الذى يبدو - فى الظاهر - بسيطا سيل من التفاصيل المعقدة • وكانت اليهودية طوال مسيرتها التاريخية الطويلة على وعى دائما بارتباطها بالايمان بإله واحد ، وإن كان معنى هذه العقيدة (عقيدة الايمان بإله واحد) ، وما أحاط بها من لاهوت (*) - يختلف بشكل ملحوظ من فترة الى فترة • الا أنه فى أى عصر أو فترة كانت الأفكار المختلفة عن الله (سبحانه) تتعايش معا ، بل ويؤثر بعضها فى بعضها الآخر • بل ان ذلك قد يصدق بالنسبة لعقيدة فرد واحد ، فقد تشتمل فكرته عن الله على عدد من العناصر المختلفة استقفاها أو تشربها من الماضى • وفيما يلى ، سنتناول المكونات الأساسية التى تشكل الصورة المركبة للعقيدة اليهودية ، فيما يتخلق بطبيعة الله (سبحانه) •

١ - التشبيه والمشبهة Anthropomorphism

يقصد بالتشبيه ، وصف الله باستخدام الفاظ أو صياغات ، نستخلصها من نفسها فى وصف العلاقات بين البشر بعضهم البعض الآخر من ناحية ، وبينهم وبين العالم المادى من حولهم من ناحية أخرى •

(*) فى هذا السياق يعتبر اللاهوت اقرب ما يكون الى مفهوم علمى التوحيد ، والكلام عند المسلمين - (المترجم) •

والتشبيه بهذا المعنى وبما يحويه من الفاظ ومصطلحات ، يعد من خصائص اليهودية منذ تاريخها المبكر حتى الوقت الحاضر . إن (التشبيه) فكرة محورية في اللاهوت اليهودي ، برغم أنه موضوع مثير للنقاش والجدل إلى أقصى الحدود ، دفع الفلاسفة اليهود في العصور الوسطى لبذل كل ما أمكنهم من طاقة عقلية ، في محاولة منهم لتحييد ما تنطوي عليه هذه الفكرة من صعوبة (أو عدم استساغة) في عقول البشر ، أو بتصوير آخر في محاولة منهم للتخفيف من حدة سيطرتها على فكر البشر . فإذا تحدثنا عن الله (سبحانه) باعتباره (أبا) أو (ملكا) ، وباعتباره غضبانا أو سعيدا ، وباعتباره خالقا للكون ، وباعتباره ساخطا على مخلوقاته ... الخ ، فإن هذا يجعلنا نطرح قضية علاقة الإنسان بالله ، بأكثر الألفاظ والمصطلحات المتاحة للبشر ، حيوية (*) . وهذا الاتجاه يشجع

(*) أثبتت هذه الفكرة نفسها ، وبالطريقة نفسها تقريبا في كتب علم الكلام عند المسلمين ، فحدثنا ابن حزم الظاهري في كتابه : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، عن المجسمة أو المشبهة ما ننقله كالتالي (ج ٢ - ص ٢ - طبعة دار الكتب العلمية) :

« قال أبو محمد : قال الله تعالى : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) [سورة الرحمن : ٢٧] فذهبت المجسمة إلى الاحتجاج بهذا في مذهبهم .

وقال الآخرون : وجه الله تعالى إنما يراد به : الله عز وجل .

قال أبو محمد : وهذا هو الحق الذي قام البرهان بصحته ، لما أبطلنا من القول بالتجسيم .

وقال أبو الهذيل : وجه الله هو الله .

قال أبو محمد : وهذا لا ينبغي أن يطلق ، لأنه تسمية ، وتسمية الله تعالى لا تجوز إلا بنسب ، ولكننا نقول . وجه الله ليس هو غير الله تعالى : فلا نرجع منه إلى شيء سوى الله تعالى . برهان ذلك قول الله حاكيا عن من رضى قوله : (إنما نطعمكم لوجه الله) [سورة الإنسان : ٩] .

فصح يقينا : أنهم لم يقصدوا غير الله تعالى به .

وقوله عز وجل : (فأينما تولوا فثم وجه الله) [سورة البقرة : ١١٥] .

أنما معناه : فثم الله تعالى بعلمه ، وقبوله لمن توجه إليه .

وقال تعالى : (يد الله فوق أيديهم) [سورة الفتح : ٩٠] .

وقال تعالى : (لما خلقت بيدي) [سورة ص : ٧٥] .

وقال تعالى : (مما عملت أيدينا أنعاما) [سورة يس : ٧١] .

وقال : (بل يدها مبسوطتان) [سورة المائدة : ٦٤] .

وقال رسول الله ﷺ : « المفسدون عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين » .
 لخصبت الجسمة الى ما نكرنا مما قد سلف من بطلان قولهم فيه .
 ونصبت المعتزلة : الى أن « اليد » : النعمة . وهذا أيضا لا معنى له ، لانها
 دعوى بلا برهان .
 وقال الأشعري : ان المراد بقول الله تعالى : « أهدينا » انما معناه « اليدان » وان
 ذكر « الأمين » ، انما معناه « ميان » . وهذا باطل مدخل في قول المجسمة . بل نقول :
 هذا اخبار عن الله عز وجل ، لا يرجع من نكر اليد الى شيء سواء تعالى .
 وقر ان لله تعالى - كما قال - يدا ، ويدين ، وايد ، وعينا ، واعينا كما قال عز وجل :
 « ولصنع على عيني » [سورة طه : ٣٩] .
 وقال تعالى : (فأنك باعينا) [سورة الطور : ٤٨] .
 ولا يجوز لاحد أن يصف الله تعالى بأن له عينين لأن النص لم يأت بذلك ونقول :
 ان المراد بما نكرنا الله عز وجل لا شيء غيره .
 وقال تعالى حاكيا عن قول قائل : (يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله)
 [سورة الزمر : ٥٦] .
 وهذا معناه فيما يقصد به الله عز وجل وفي جانب عبادته . وصح عن رسول
 الله ﷺ : « وكلتا يديه يمين » و « عن يمين الرحمن » .
 فهو مثل قوله : (وما ملكت أيمانكم) [سورة النساء : ٢٩] . يريد « وما ملكتم » .
 ولما كانت اليمين في لغة العرب : يراد بها الحظ للأفضل كما قال الشماخ :
 اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين
 يريد أن يتلقاها بالصعي الأعلى ، كان قوله : « وكلتا يديه يمين » أي كل ما يكون
 منه تعالى من الفضل فهو الأعلى .
 وكذلك صح عن رسول الله ﷺ انه قال : « ان جهنم لا تملأ حتى يضع فيها
 قدمه » .
 وصح أيضا في الحديث : « حتى يضع فيها رجله » .
 ومعنى هذا ما قد بينه رسول الله ﷺ في حديث آخر صحيح فيه أن الله تعالى
 بعد يوم القيامة يخلق خلقا يدخلهم الجنة ، وانه تعالى يقول للجنة والنار . لكل واحدة
 منكما حلزها .
 فمعنى التقديم في الحديث المنكود : انما هو كما قال تعالى : « ان لهم قدم صدق
 عند ربهم » [سورة يونس : ٢] .
 يريد سالف صدق ، فمعناه الأمة التي تقدم في علمه تعالى انه يملأ بها جهنم ،
 ومعنى « رجله » مثل ذلك ، لأن « الرجل » : الجماعة في اللغة أي يضع فيها الجماعة
 التي سبق في علمه أن يملأ جهنم بها .

وكذلك الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « ان قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الله تعالى » .

أى بين تدبيرين ونعمتين من تدبير الله عز وجل ونعمه ، اما كفاية تصرفه ، واما بلاء واجره عليه . والاصبع فى اللغة : النعمة . وقلب كل أحد بين توفيق الله وجلاله ، وكلامها حكمة . وأخبره عليه السلام : « ان الله تعالى يبدو للمؤمنين يوم القيامة فى غير الصورة التى عرفوه عليها » .

وهذا ظاهر بين ، وهم أنهم يرون صورة الحال من الهول والمخافة غير الذى كانوا يظنون فى الدنيا .

وبرهان صحة هذا القول : قوله عليه السلام فى الحديث المذكور : « غير الذى عرفتموه بها » . وبالضرورة نعلم أننا لا نعلم الله عز وجل فى الدنيا صورة أصلاً فصيح ما نذكرنا يقينا . وكذلك القول فى الحديث الثابت : « خلق الله آدم على صورته » فهذه اضافة ملك ، يريد الصورة التى تخيرها الله عز وجل ليكون آدم مصورا عليها . وكل فاضل فى طبقة ، فانه ينسب الى الله عز وجل ، ويضاف اليه ، كما نقول بيت الله عز وجل عن الكعبة والبيوت كلها بيوت الله ولكن لا يطلق على شيء منها هذا الاسم ، كما يطلق على المسجد الحرام : وكما نقول فى جبريل وعيسى عليهما السلام « روح الله » والارواح كلها لله تعالى . فعل هذا المعنى قيل : على صورة الرحمن . والصورة كلها لله ، وهى ملك له ، وخلق له . وقد رأيت لابن غورك ، وغيره من الاشعرية فى الكلام فى هذا الحديث أنهم قالوا فى معنى قوله عليه السلام : « ان الله خلق آدم على صورته » انما هو على صفة الرحمن من الحياة والعلم والافتداز ، واجتماع صفات الكمال فيه ، واسجد له ملائكته كما أسجدهم لنفسه ، وجعل له الامر والنهى على نريته ، كما كان لله ذلك .

قال أبو محمد : هذا نص كلام أبى جعفر السمنانى قاضى الموصل الضرير عن شيوخه حرفا حرفا ، وهذا كفر مجرد لا مزية فيه ، لانه سوى بين الله عز وجل وبين آدم فى الحياة ، والعلم ، والافتداز واجتماع صفات الكمال فيهما والله يقول : (ليس كمثله شيء) [الشورى : ١١] . ثم لم يقنعوا بهذا حتى جعلوا سجود الملائكة لآدم كسجودهم لله تعالى . ولا خلاف بين أحد من اهل الاسلام ، فى ان سجودهم لله تعالى سجود عبادة ، ولآدم سجود تحية واکرام .

ومن قال : ان الملائكة عبدت آدم كما عبدت الله عز وجل فقد اشرك ، ثم زاد فى الامر والنهى لآدم على نريته كما هو لله عز وجل ، وهذا شرك لا خفاء به . ولو أردنا ان نعرف ما هى صفات الكمال التى نكر هذا الانسان أنها اجتمعت فى آدم كما اجتمعت فى الله عز وجل ؟ ان هذا الالحاد والاستخفاف بالله تعالى ، لا ندرى كيف تكلم وانطق لسانه من يعرف أن الله تعالى لم يكن له كفوا أحد ؟ والله ان صفات الكمال فى الملائكة لاكثر منها فى آدم ، وان صفات الاثنين التى شاركوا فيها آدم عليه السلام كصفات الجن ، ولا فرق بين الحياة والعلم والقوة والتناسل ، وغير ذلك ، فالحال على هذا على صورة الله تعالى

على تكوين صورة متخيلة لله ، تتعارض مع تعاليم يهودية أخرى عن طبيعته (أى طبيعة الله) . وغالبا ما كان الرابيون التلموديون يهودون لاوصافهم المصنوعة فى تشبيه الله بمخلوقاته بعبارة (هذا أن جاز لنا ان نتحدث عن الله بهذه المصطلحات) (*) وقد ادى استخدام اللفاظ ومصطلحات لوصف الله مماثلة للالفاظ والمصطلحات المستخدمة فى وصف البشر ، الى احداث تأثير فى نوعية التوحيد ، كما تنطوى عليها الالفاظ او المصطلحات المستخدمة ، وبتعبير آخر فان اللغة الأنثروبوموفية تؤثر من خلال الالفاظ المستخدمة فى نوعية التوحيد . فهذه الالفاظ والمصطلحات تركز على استمرار وجود الله ، وربطه بوجود الانسان ، لكنها تبرز الله أكثر قوة من الانسان ، وافضل منه اخلاقا ، اما من ناحية الوجود فكلاهما سواء : الله والانسان Manlike entity . ويظهر الله عند اصحاب هذا الاتجاه (المشبهة او المجسمة) كموجود يرعى الانسان ويطلب منه أن يسترضيه (يعنى أن الله فى حاجة الى أن يسترضيه الانسان أو يطلب رضاه) . needing to be Placated by man .
واذا فتحنا جانباً التوراة والتراث التلمودى ، فان كتاب الصلوات اليهودية Jewish prayer book يعد بمثابة المستودع الرئيسى - تقليديا - لأفكار المشبهة اليهود .

(*) لا يخرج هذا عن عبارة (بلا كيف) الواردة فى كتب علم الكلام عن المسلمين ، ونقل هنا قيسا مما أورده الشعراى فى كتابه (الإبانة عن أصول الديانة) :
« ... قال الله تعالى : (كل شيء هالك الا وجهه) وقال تعالى : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) فاخبر أن له سبحانه وجهاً لا يفنى ، ولا يلحقه الهلاك .
وقال تعالى : (تجرى باعيننا) (واصنع الفلك باعيننا ووحينا) فاخبر تعالى أن له وجهاً وعينا ، لا بكيف ولا حدود .
وقال تعالى : (واصير لحكم ربك فانك باعيننا) وقال تعالى : (ولتصنع على عيني) وقال تعالى : (وكان الله سميعاً بصيراً) .
وقال لموسى وهارون - عليهما أفضل الصلاة والسلام - : (انتى معكما اسمع وأرى)
لاخير (تعالى) عن سمعه وبصره ورؤيته ... » (المترجم) .

٢ - المتعالية والمتعالون Transcendentalism

يركز هذا الاتجاه على أن الله غير ما سواه ، فهو موجود آخر غير ما سواه ، كما يركز على الفرق الجوهرى بين الله من ناحية ، والكون المخلوق من ناحية أخرى . وهذا الاتجاه فى الفكر اليهودى الذى ينظر لله كموجود متعال يعد هو الاتجاه المضاد لاتجاه المشبهة (الأنثروبومورفين) . وهم يرون أن كل الألفاظ والمصطلحات التى نصف بها الله human language about God ، إنما هى مجرد محاولة بشرية لإدراك أو لفهم ما لا تحيط به المدارك والأفهام in comprehensible . وهذا الاتجاه (المتعالية) فى شكله المتطرف ، يفصل بين الله من ناحية والكون من ناحية أخرى بهوة سحيقة . ويعطى هذا الاتجاه مفاهيم مختلفة للكلمات إذا استخدمت معزوة لله ، وإذا استخدمت معزوة للبشر . فنعلمنا نتحدث عن (أفكار) الله ، و (أفكار) البشر فنحن نقصد شيئا مختلفا ، و (طرق ways) الله ليست هى « طرقنا our ways » .

واللاهوت اليهودى الذى يعتمد التفكير الفلسفى يؤثر بلا تردد هذا الاتجاه (المتعالية) ، برغم أنه ليس قصرا على الفلاسفة اليهود - والتوراة تراوح بين اتجاه المشبهة الخالص (اتجاه الأنثروبومورفين المحض) واتجاهات الذين يتعالون بالله عن التشبيه (المتعالية) ، والأشكال المبكرة للتأمل الباطنى اليهودى (الصوفية اليهودية) التى تتضمنها المركاباه Merkabah (*) ، مشبعة بالتعالى بالله عن التشبيه ، لعبادة الأوثان - التى هى أمر بغيض بالنسبة للتوحيد اليهودى - كان ينظر إليها كتحد مباشر لفكرة توحيد الله وتنزيهه عن خلقه ، فالله ليس كمثله شئ ممن خلق أو مما خلق (**) .

(*) المركاباه أو المركابة ، وواضح أنها هى الكلمة العربية المركبة ، تعنى فى التراث اليهودى عربية ذات طابع قدسى ترد فى رؤى المسبحين أو المتأملين أو الصوفيين اليهود الأوائل - (المترجم) .

(**) « المتعالية » و « المتعالون » ترجمة تقريبية أو اجتهادية للكلمتين Transcendentalist Transcendentalism وأفكارهم وجدت بحدافهما فى كتب علماء =

٣ - الله غير خالقه ، لكنه موجود في كل خلقه Pan-en-theism (*)

ويقصد بهذا الاتجاه في التفكير ان الله سبحانه موجود في كل شيء برغم انه ليس هو كل الوجود او ليس هو كل الكون المخلوق ، وانه بالتأكيد ليس مع أي جزء منه . وهذه الفكرة عن الله قد تطورت في وقت متأخر نسبيا ، وانتشرت بين اصحاب الاتجاه التأمل الباطني من اليهود (المتصوفة اليهود) منذ العصور الوسطى فصاعدا . وبينما كانت فكرة المشبهة عن الله فكرة مربكة لانهم يختزلونه ، ليصبح متناسبا مع ابعاد التجربة البشرية (**) ، فان اصحاب الاتجاه الآخر الذين اطلقنا عليهم « المتعالية » غالبا ما يعزلون الله عن التجربة البشرية (***) ،

المسلمون ومي كتب الملل والنحل ، تحت عناوين مختلفة لكنني لم اشأ ان اطلق عليهم اسم فرقة اسلامية لاسباب لا تخفى ، لكن من المفيد جدا ان نورد هنا بعضا مما ورد منسوباً الى علماء المسلمين كمفيدة لهم - اي للمسلمين - في هذا الصدد . من الابانة عن اصول الديانة للأشعري (ص ٢٥ - ٢٦ / طبعة دار النفائس) فنقل على سبيل المثال :

« ونؤمن .. ان الله استوى على العرش ، على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي اراده ، استوى مفزها عن الممارسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال ، لا يحمله العرش ، بل العرش وحمله العرش محمولون بلطف من قدرته ومفهورون في قبضته . وهو فوق العرش وفوق كل شيء ، الى تخوم فوقية ، لا تزيده قريبا الى العرش والسماء بل هو رفيع الدرجات عن العرش ، كما انه رفيع الدرجات عن الثرى ، وهو مع ذلك قريب من كل موجود ، وهو اقرب الى العبد من جبل الوريد ، وهو على كل شيء شهيد ، وان له سبحانه وجها بلا كيف ... »

وقد عقد الشهرستاني في كتابه الشهير الملل والنحل ، فصولا عن (الصفاتية) الذين يثبتون صفات ندية اذلية ، و (المعلقة) اي الذين ينفون هذه الصفات ، والمشبهة او المجسمة . ويتعرض لمن قال بعباز رؤيته ، ومن قال باستحالتها ... الخ . ونفهم من هذا ، ان هذه القضايا المتعلقة بالله سبحانه ، كانت مشاعا بين الاديان المختلفة وليست قصرا على دين بعينه ، وان كنا نستبعد ان مثل هذه القضايا قد اثارها عقل عربي خالص ؟ كما ان كثيرا من الانكار اللاهوتية اليهودية لم تثر الا بعد مطالعة اليهود للفلسفة اليونانية بعد نقلها للعربية في العصور الوسطى الاسلامية ، كما يشير المؤلف نفسه في بعض مواضع هذا الكتاب - (المترجم) .

(*) وهو غير مذهب وحدة الوجود Pantheism (المترجم)

(**) المقصود هو ابعاد فكرة الذات الالهية المتسمة بالجلال والسمو والعلو

عن خصائص تلك التجربة والنزول بها الى مستوى الصفات البشرية .

(***) راجع مقدمة المترجم في صدر الكتاب - (المراجع) .

مما يؤدي الى نوع من الفصل بين وجود الله ، وقدرته على التحكم في نواميس الكون deism ، فان الاتجاه الذي نحن بصدد (البانثيزم) الذي يعنى ان الله الموجود غير خلقه لكنه فى الوقت نفسه موجود فى كل خلقه - يحاول أن يحل هذا التوتر الجدلى (الديالكتيكي) فى اللاهوت اليهودى بين فكرة الفلاسفة عن الله من ناحية ، وفكرة احبار اليهود المؤسسين Patriarches من ناحية اخرى ، - بأن وضعوا الله وراء كل الظواهر . فهو مختلف عن الكون المخلوق ، لكنه متصل به اتصالا وثيقا . ومثل هذه الفكرة يعارضها الذين لا يأخذون بالاتجاه التأملى الباطنى عند اليهود (الذين لا يؤمنون بالصوفية اليهودية) ، اما لأنهم لم يفهموا مضمون هذا الاتجاه ، واعتبروه مرادفا لوحدة الوجود أو حلول الله فى مخلوقاته ، أو لأنهم رأوا فيه تناقضا ، فاذا كان كل شىء هو مظهر من مظاهر الله ، أو تجل من تجلياته ، فلا مجال اذن للفصل بين ما هو مقدس ، وما هو دنس ، أو الفصل بين ما هو خير ، وما هو شر .

٤ - الاصطفائية Individualism

ويقصد بها أن الله هو اله اسرائيل ، فالتوراة تصور الله على أنه دخل فى علاقة تعاقدية خاصة مع بنى اسرائيل . فالله عامل فاعل مؤثر باعتباره هو المخلص (بتشديد اللام وكسرهما) فى تاريخ اسرائيل ، ولم يلتزم اسرائيل بالولاء والطاعة الا لله وحده . وقد واكب هذه الفكرة عن خصوصية التعاقد بين الله واسرائيل ، افتراضات متعلقة بالشعب اليهودى ووضعه الخاص ، وقدره . وقد كان هذا الاتجاه الاصطفائى (اصطفاء الله لاسرائيل - وبالتالى لبنيه - تعاقد ملزم للطرفين) ، ملمحا واضحا مميزا فى كل حقبة التاريخ اليهودى ، لكن ليس من الضروري أن تكون له السيادة فى كل الحقبة جميعا ، فقد كانت هناك اتجاهات اخرى أكثر ميلا لنظرة أوسع تشمل البشر جميعا .

٥ - الاتجاه الكوني « الله رب الكون والخلائق كلها » Universalism

الله هو خالق السماء والأرض ، وهو رب التاريخ البشرى كله ، الذى يرمى الجنس البشرى كله ويتحكم فى أموره . . . is active in . وبرغم أن هذا يعنى عدم وجود علاقة - بالضرورة - بين هذا الاتجاه ، والمتعالية transcendentalism الآنف ذكره ، كما يعنى تناقضا مع الاتجاه الاصطفائى Particularism - فان هذا لا يمنع وجود روابط فكرية بين هذه الاتجاهات أو المذاهب جميعا . فاذا كان الله منفصلا تماما عن خلقه بمعنى أن وجوده مستقل عن وجودهم is totally other ، وأن معنى الوجود الذى نصفه به فى قولنا انه موجود يختلف فى شكله عن أى مظهر من مظاهر وجود خلقه ، فاننا يمكن أن ننظر اليه ببساطة على أنه ذو صلة بكل ما خلقت يدها ككل the whole of His handiwork . أما اتجاه المشبهة (الأنثروبومورفين) الذى ينطوى على الحلول immanence أو على الأقل ينطوى على علاقة شخصية مع الله ، فمن السهل أن نرى أنه أقرب الى الاتجاه الاصطفائى Particularistic tendency لأن هذا الاتجاه الأخير ينظر الى الله على أنه أب Father بنى اسرائيل ، أو ملك بنى اسرائيل . King .

هذه العناصر كلها حاضرة فى فكرة اليهود عن الله ، برغم أن اصحاب أحد هذه الاتجاهات ، قد تنطوى نظرتهم لله على شعائر أو طقوس قد لا تكون عند اصحاب الاتجاهات الأخرى ، وبرغم أن اللاهوتيين اليهود واصحاب الاتجاه التأمل الباطنى (الصوفيين اليهود) واليهود البسطاء المتدينين قد تختلف تصوراتهم عن الله ، فيركزون على جانب من الصورة دون سواها . ومع ظهور اليهودية الحديثة وتشعبها الى تيارات تقليدية وأخرى تقسمة ، بدأ تقييم الوعى الذاتى بفكرة اليهود عن الله - يزداد . ووصل الأمر الى حد أن الأفكار التقليدية عن الله لم يعد ينظر الى أى منها على أنها كافية تماما بالنسبة لليهودى الحديث ، خاصة فى حقبة

ما بعد المحرقة (*) Auschwitz era . ومع ذلك ، فإن الالتزام بأفكار التوحيد ظل كما هو : فالله واحد ، وظل توحيد الله هو النقطة المحورية لمعظم الأفكار اليهودية عن الله - في القرن العشرين . لكن تفسير معنى التوحيد اليهودي ، ظل محل خلاف بين مختلف المذاهب الفكرية المعاصرة .

الحلول والتعالى والوثنية Immanence, Transcendence & Idolatry

برغم اشارتنا لعناصر خمسة رئيسية تحلقت حولها افكار اليهود عن الله ، فانه يوجد استقطاب واحد أساسى لفكرتين هامتين أساسيتين لفهم اللاهوت اليهودي - ونعنى بهما الفرق بين الحلول الالهى divine immanence ، والتعالى الالهى divine transcendence . فاليهودية تشهد جدلا متوترا بين أصحاب فكرة حلول الله وقربه closeness من ناحية ، وتعاليه المطلق من ناحية أخرى .

فابن ميمون (فى القرن الثانى عشر) كتب بروح فاسفة العصور الوسطى « أن معنى أن تعتقد أن الله جسد من لحم ودم Corporeality هو أنك تهترق أو تعتقد اعتقاد الهراطقة (غير المؤمنين) » (١) . وفى موضع آخر حاول ابن ميمون أن يجد حلا لمشكلة اللغة ، خاصة فيما يمس مسألة تشبيه الله سبحانه بمخلوقاته (الاتجاه الأنثروبومورفى) بأن قال شارحا ، اننا لا نستطيع أن نفهم الله الا باستخدام صيغ النفى بمعنى أن نقول ان الله ليس ... كذا ، لا أن نقول انه كذا أو كذا ... الخ (**) ، وعلى هذا فاللغة التى يستخدمها المشبهون - فيما

(★) المحرقة النازية قيل ان اليهود بالغوا كثيرا فى رواية أحداثها ، وظهرت كتب بلغات مختلفة تؤكد هذه المبالغة .

(★★) ترددت الفكرة نفسها فى كتب علم الكلام عند المسلمين انظر على سبيل المثال (مقالات الاسلاميين للأشعرى ، ج ١ ، ص ٢٤٧ وغيرها) :

« ... وقال النظام : معنى قوله أن الله عالم اثبات ذاته ونفى الجهل عنه ، ومعنى قوله قادر اثبات ذاته ونفى العجز عنه ، وحى معناها اثبات ذاته ونفى الموت عنه ... الخ » . (المترجم) .

يرى ابن ميمون - ما هي الطريقة مختزلة لانكار القصور أو المحدودية والنقص أو عدم الكمال - عندما يتحدثون عن الله (٢) ٠٠ قاله كما تصوره الفلاسفة لا مجال لمخاطبته (انت السرمدي الباقي) هذا الاله الشخص الذي يلقاه اليهود في صلواتهم وفي كل صفحة من صفحات التوراة . وقد رفض المناهضون لاتجاه ابن ميمون فكرة الله كموجود متعال غير مشخص ، الذي كان لاهوته - أى لاهوت ابن ميمون - دافعا لإعادة التأكيد على أن الله حال Immanentist ، تلك الفكرة التي عبر عنها المنسبون (الأنثروبومورفيون) بلغة حية . وهذا في حد ذاته أدى الى ترك كل القضايا التي وجدها ابن ميمون مرتبطة بالتشبيه أو التجسيم - دون حل . وحاول أصحاب الاتجاه التأملى الباطنى من اليهود (الصوفيون اليهود) الذين كانوا في طليعة المنتقدين لابن ميمون ان يؤكدوا على الاحتفاظ بفكرة الحلول والتشبيه ، باضفاء معان باطنية عليها ، فقالوا ان الصفات البشرية يمكن أن نطلقها على الله لا لأن الله يشبه الانسان man-Like ، وانما - بمعنى أقرب ما يكون الى المعانى الأفلاطونية - لأن الانسان هو الذى يشبه الله God-Like ، فكل جانب من جوانب التجربة الانسانية له انعكاسه - وان كان انعكاسا شاحبا - على الذات الالهية divine structure ولا يمكن ادراك هذا الانعكاس بشكل اعق الا من خلال التأمل mystic Contemplation .

وفي العصر الحديث - حيث كان هناك رفض لأفكار التشبيه البسيطة (الساذجة) وأفكار الصوفية اليهودية ، كان لابد من اعادة التفكير في انقسام اللاهوت اليهودى الى اتجاهين : الحلول والتعالى (بالمفاهيم التي أوردناها آنفا) ، فقد رجع اللاهوت الحلولى الى الشخصية الانسانية والى النفس أو الروح Psyche ، واعتبرها اساسا لفهم علاقة الله بالانسان ، بينما أصحاب الاتجاه الذى ينظر لله كموجود متعال transcendentalists - برغم ارتباطهم على نحو خاص بحركة اعادة بناء الفكر اليهودى Reconstructionist movement فى الولايات المتحدة - فقد طوروا صورة لله كموجود

مجرد (غير مشخص وغير مجسم) ، وذلك كتصور لمثل الحضارة اليهودية وقيمتها . وربما يكون اللاهوتي المشهور مارتن بوبر Martin Buber ، الذى يتخذ موقف الحلول - والذى تبين كتاباته طبيعة العلاقة بين الذات البشرية والله (*) بحيث يكون الله هو الموجود الأبدى السرمدى - قد حقق تأثيرا خارج حدود الفكر اليهودى ، خاصة بين المفكرين المسيحيين .

الانسان والله

القصة التوراتية عن الخلق كما وردت فى الاصحاحين الاولين من سفر التكوين ، يفهم منها أن اليهودية تجعل لخلق الانسان أهمية قصوى او محورية بين كل المخلوقات الأخرى . ومن الأفكار الأساسية التى تؤكد ذلك ، أن الله خلق الانسان على صورته (**) (وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا) ٢٦/١ ، ٢٧ . وأمر الله للانسان أن يملأ الأرض ويتحكم فيها وأن يبسط سيطرته على كل مخلوقات الأرض (فيتسلطون - أى البشر - على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدواب التى تدب على الأرض ٢٧ / فخلق الله الانسان على صورته . على صورة الله خلقه ، ذكرا وأنثى خلقتهم ، وباركهم الله وقال لهم اثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها تسلطوا على سمك البحر ، وعلى طير السماء وعلى كل حيوان ... الخ) . وفكرة أن الانسان منفصل عن المخلوقات الأخرى (له كيانه المستقل) ولا يمكنه أن يجد رفقة أو صحبة معها - هذه الفكرة تطورت فى الفكر اليهودى لتصبح تأكيدا للاتجاه المشبه (الأنثروبومورفى) بشكل صارخ ، وفيما يلى نص هذه الفقرة فى الاصحاح الثانى من سفر التكوين :

(*) النص : the nature of the I. Thou relationship it which God ...

و I-Thou مصطلح يقصد بلفظ (هو Thou الله سبحانه ، و I أو الـ او الانسان) (المترجم)

(**) راجع مقدمة المترجم فى صدر الكتاب . (المراجع) .

(وجعل الرب الاله من الارض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فاحضرها الى آدم ليرى ماذا يدعوها . وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها . فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية . وأما لنفسه فلم يجد معيناً نظيره . ٢٠/)

فالإنسان يحتل مكاناً سامياً في الفكر اليهودي ، وهناك عدد من الفقرات في النص التلمودي تشير الى أن الإنسان - وخاصة الإنسان اليهودي - أعلى مرتبة من الملائكة ، وذلك لأن آدم - على سبيل المثال - وهو النموذج الأصلي للإنسان كان على درجة من الذكاء تفوق الدرجة التي كانت عليها الملائكة ، كما يتضح من الوصف الذي قدمه لنا المدراش Midrash (*) لحوار بين الملائكة والله :

« قالت الملائكة المفوضون للواحد القدوس تبارك : يا سيد الكون، ما هذا الإنسان الذي أردت معرفته ؟ انه كشيء لا فائدة منه ، ولا يستطيع حتى أن يتحكم في طبيعته . فاجابهم الواحد القدوس : كما أنكم تسبحونني في الأعلى ، فانه - أي الإنسان - يوحدني في العوالم الدنيا Lower worlds ، وهناك ما هو أكثر ، أيمكنكم الوقوف وتذكر أسماء الخلائق كلها ؟ فوقفوا (أو حاولوا الوقوف) ، لكنهم كانوا غير قادرين على اخبار الواحد القدوس بأسماء الخلائق ، وهنا وقف آدم فسمى كل الخلائق بأسمائها (التكوين ٢/ ٢٠) (٤) »

وبرغم اختلاف الآراء حول وضع الإنسان بالنسبة للملائكة ، فإننا نرى في النصوص التلمودية ، وفي كتابات المفكرين اليهود في العصور الوسطى (ككتابات أبراهام بن عزرا Ezra (١٠٨٩ - ١١٦٤) وابن ميمون) أن هذه النظرة التي تجعل الإنسان هو الحقيقة الأساسية في الكون وهو غايته القصوى ، تشير الى مدى القيمة التي

(*) حرفياً تعني المشاهيد ، والمقصود بالمدراس هنا طريقة أو منهج في تفسير تنويرة اعتماداً على العظات الدينية .

الفكر عن الروح

برغم أن اللاهوت التوراتي لا يتعرض - إلا قليلا - لموضوع طبيعة الإنسان وقدره الروحي ، فإن اليهودية - كما تناولها الرابيون rabbies - سواء في العصر التلمودي (أي العصر الذي كتب فيه التلمود) أو العصور الوسطى - اهتمت بتوضيح هذه القضايا بتفصيل شديد . ومع هذا ، لم تخط أية عقيدة تلمودية أو فلسفية أو باطنية (صوفية) متعلقة بالإنسان - بموافقة اجماعية في نطاق اليهودية التقليدية ، وإنما كان لكل وجهة نظر - من وجهات النظر الكبرى - مؤيدوها . وطالما لم تكن هناك نتائج عملية مرتبطة بالتفكير اللاهوتي ، فكل ما هو مطلوب للأغراض العقائدية dogmatic هو هيكل فضفاض غامض . وبشكل عام ، فإن الفكرة التي مؤداها أن الموتى سيبعثون في الحقبة التي سيحكم فيها المسيح العالم المسمى messianic era (ليس المقصود المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام) - قد جرى التعبير عنها في المشناه (*) بشكل معياري ، لكن محتوى هذه العقيدة أو مضمونها ظل غامضا (٨) . وعلى النحو نفسه ، فإن فكرة بعث الأجساد تحمل في طياتها معنى أن الروح ليس لها وجود مستقل استقلالا تاما عن جسد الشخص الحي .

ومن ناحية أخرى ، فإن الحساب في الآخرة يمكن أن يكون للروح دون الجسد ، لكن الرابين rabbies الذين يميلون بشكل متزايد نحو فكرة الوجود المنفصل للأرواح يشرحون الحاجة إلى بعث الأجساد بضرب أمثلة على شكل حكايات رمزية كالتالي :

« كان أحد الملوك يمتلك بستانا جميلا ، به أشجار تين نضج ثمرها ، وصار لذيذا . وجعل عليها حارسين ، أحدهما كسيح والآخر أعمى . فقال الحارس الكسيح للحارس الأعمى : « اني أرى تينا ناضجا شهيا في هذا البستان . تعال فأحملني لنجمعه ونأكله » فركب

(*) تكتب أحيانا المشناه . (المترجم)

الكسيح فوق ظهر الأعمى فجما التين واكلاه . واخيرا أتى صاحب البستان وسالهما عن التين الشهى الناضج ، فقال الحارس الكسيح : « الذى قدما أمشى بهما ؟ وقال الحارس الأعمى : « الذى عينا كى لرى بهما ؟ فماذا فعل صاحب البستان ؟ . لقد وضع الكسيح فوق كفى الأعمى وراح يحاكمهما باعتبارهما شخصا واحدا (وحدة واحدة as one unit) . وبالطريقة نفسها ، فإن الله (الواحد القدوس) تبارك هو - يحضر الروح ويقذف بها فى الجسد ويحاسبهما معا ككيان واحد (as one unit) .

وتعزى هذه الحكاية الرمزية الى الراوى يهوذا الأمير Judah the prince (القرنين الثانى والثالث للميلاد G.e) ، وتمثل - أى هذه الحكاية - اجابة عن سؤال مطروح حول المسئول من افعال الانسان فى هذه الحياة ، أهى الروح أم الجسد ؟ وتبدو هذه الحكاية الرمزية محاولة تنسب الى الهجادة (*) aggadic attempt لتناول القضايا الناتجة عن الأفكار المتضاربة عن طبيعة الروح . هل الروح هى الانسان الحقيقى أى أن الانسان روح لا جسد ؟ أهى العنصر المسئول الفاعل فى كيان الانسان ، ولا يعدو كون الجسد أداة أو آلة ؟ أم أن الروح ليست هى مكونة الشخص ، وانما هى عنصر روحى لا حياة بدونه ؟ ان الحكاية الرمزية التى أوردناها آنفا تبدو وكأنها تميل للخيار الثانى ، وان عبرت عنه بمصطلحات المسئولية أكثر من تعبيرها عنه بمصطلحات القدرة . فالشخصية البشرية المسئولة لا وجود لها الا بارتباط الروح بالجسد . ومن ناحية ، نجد فكرة أن الأرواح التى تم فصلها عن شخصها - تبقى فى السماء ، منتظرة يوم النشور ، سواء فى مخزن الأرواح Store of Souls أو تحت العرش الجليل (١٠) ، ومن ناحية أخرى نرى ظهور فكرة أخرى مختلفة نوعا ما ، فالتلمود (١١) يناقش ما اذا كان الميت يظل على وعى بما يجرى على الأرض . ووفقا لما ذكره الراوى شيا R. Chiyya القرنين الثالث

(*) الهجادة Aggadah . (المترجم)

والرابع من الحقبة المسيحية (c.5) ، فان المرء اذا مات انقطع وعيه بما يحدث على الارض ، ودعم رايه بما ورد في سفر الجامعة Ecclesiastes ٥/٩ (لكن الموتى لا يعرفون شيئا) ، اما وجهة النظر الأخرى المعارضة فقال بها معاصره الراى يوناتان R. Yoitan وهي ان الميت يبقى واعيا حقا بما يجرى ، وأن أى نص فى الكتب المقدسة اليهودية يشير الى عكس ذلك يحتاج الى أن يفسره تفسيراً غير حرفى .

وهذه الفكرة لها جذورها فى الكتاب المقدس اليهودى ، حيث تعيش أرواح الأموات بعد انسلاخها من الأجساد فى شيشول She-ol ، لكنها تظل على وعى بما يجرى على الأرض (١٢) . وبعد الفترة التى كتب فيها التلمود ، ساد الاهتمام بفكرة الحياة الروحية للروح بعد الموت . على حساب فكرة انتظارها حتى يتجدد دورها فى يوم النشور . وعلى أية حال ، فللفكرة الأخيرة أسانيد من العقيدة ، وقد سبب هذا ظهور بعض القضايا اللاهوتية الجادة . فبرغم أن ابن ميمون يذكر عقيدة البعث كواحدة من بين مبادئه العقيدية الإيمانية ، فإنه تناولها بإيجاز وبشكل غامض . وفى كتاباته التى تنحو - أكثر من غيرها - نحو فلسفيا لم يتناول مسألة الخلود ، ومسألة طبيعة الروح بعد تخلصها من الجسد ، وقد اتهمه زملاؤه الذين ليس لهم عقول فلسفية على نفس درجة عقليته ، بانكاره عقيدة البعث أو تقويض أسسها ، ودفعوه أخيرا لكتابة مبحث فى موضوع البعث ، يوضح موقفه ازاءه - ومع هذا ، فقد استمر جمهور اليهود المتدينين الذى يؤمن بعقيدتى : البعث وحياة الروح بعد الموت ، يرى أن آراء ابن ميمون غامضة وغير مفهومة .

ومع ظهور حركة التأمل الباطنى اليهودية (الصوفية اليهودية) فى العصور الوسطى ، غدا الأمر أكثر تعقيدا . ونرى فى التعاليم

القبلانية (*) Kabbalistic teachings أن الروح لها تكوين داخلي (بنية داخلية) ، وأنها مجمعة (مكونة) من عناصر منفصلة . وعند الموت تنجزا (أو تتحطم break up) ويعاد تشكيلها بدخول عناصر أخرى فيها ليتقوسها جسد جديد ، وعقيدة تقمص الأرواح أو مكونات الروح هي انقسامها إلى عناصر Soul Components ، كان رجال الدين اليهود السابقون قد رفضوها ، مثل جاؤن Saadiah Gaon في مؤلفه : كتاب العقائد والآراء Belief & opinions (القرنين التاسع والعاشر) ، واعتبرها غريبة على اليهودية . وإذا اعتبرنا التناسخ أو التقمص transmigration امتدادا لفكرة البعث ، فإن تعدد مرات البعث كمضامين تنطوي عليها معنى الروح - تصبح بهذا الشكل - غير جديدة . وعلى أية حال ، فإلى جانب هذه الفكرة تمسكت القبلانية بشدة بالاعتقاد الذي مؤداه أن الأرواح التي تخلصت من الأجساد لها وجودها الواعي ، وكانت هذه الفكرة معتقدا أساسيا من معتقدات اليهودية الشعبية ، منذ القرن الثالث على الأقل .

يتضح مما سبق أن أفكارا مختلفة - بل ومتنافرة إلى حد ما - عن الروح ، قد وجدت في اليهودية ، جنباً إلى جنب دون أن يبذل اليهود محاولات كثيرة لحل الاضطراب العميق المتأصل بين هذه الأفكار . وكل التيارات التقليدية في العصر الحديث تأخذ بفكرة أو أخرى من الأفكار التي أوردناها آنفاً . وقد أسقطت اليهودية الإصلاحية Reform Judaism - بشكل عام - معتقد البعث لصالح معتقد خلود الروح بعد الموت . وحاول المفكرون الأرثوذكس أن يجدوا وسائل لتوحيد مفاهيم هذه الأفكار المختلفة ، برغم أن التناسخ لم يلق التأييد نفسه الذي لقيته الأفكار الأخرى - خارج دائرة المفهوم الباطني (الصوفي) الضيق والفولكلور اليهودي المتأثر به .

(*) حركة دينية في العصور الوسطى ذات طابع صوفي يقوم اتباعها بتفسير الكتاب المقدس تفسيراً باطنياً (بغير ظاهر النص) . (الترجم)

التوراة

التوراة - بمعناها الضيق - تعنى الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم ، لكن الكلمة تعنى بالنسبة لليهودية معانى أكثر وأعمق تستند امتدادا بعيدا خارج نطاق معناها الضيق . فالتوراة هى إحدى المقاصم التى تتخلق حولها اليهودية ، وهى فاعلة مؤثرة فى الشريعة واللاهوت والتصوف على سواء . والتلمود يقدم لنا الحكيم اليهودى كجسيد حى للتوراة ، لأنه بعد أن درس التوراة وتمعن وأذاب نفسه فيها ، أصبحت كل فكرة من أفكاره ، وكل عمل من أعماله تعبيرا عن التوراة . وفى ضوء هذا ، يتعين علينا أن نفهم سلسلة الحكايات التلمودية التى تبين كيف أن التلاميذ كانوا يتبعون شيوخهم حتى إلى دورات المياه ليتعلموا منهم كيف يخرجون ، ليحذوا حذوهم فى ذلك ، وفى الحكايات التلمودية كيف أن أحد التلاميذ اختبأ خلف سرير استاذة ، ليرى بنفسه كيف يمارس الأستاذ وزوجته الجنس معا . فاذا اعترض معترض على مثل هذا التصرف غير الملائم كانت الإجابة : « هذه هى التوراة وأنا أريد أن أتعلم » (٢) . والفكرة التلمودية عن التوراة هى أنها سابقة لخلق العالم ، وأنها - أى التوراة - بمثابة مخطط عمل كامن وراء الطبيعة كلها : وتبدو هذه الفكرة مشتقة من بعض أفكار الكتاب المقدس اليهودى عن الحكمة ، فقد كانت الحكمة سابقة لخلق الكون .

فى سفر الأمثال : الرب بالحكمة أسس الأرض ، وأثبت السماوات بالفهم ، بعلمه انشفت اللجج وتقطر السحاب ندى « (١٩) (١٦) ، ونقرأ أيضا (الرب قناني (الحكمة) أو طريقه من قبل أعماله منذ القدم . لا وضع للبحر حده فلا تتمدى المياه تخمه ، ولا رسم أسس الأرض كنت عنده صانعا (١٠٠٠ / ٨ - ٣٠) (١٧) .

(٢) سوء فهم للتوراة - (المراجع) .

وبرغم أن اليهودية - على عكس المسيحية - لم تأخذ بعقيدة (الكلمة Logos) ولم تطورها ، فإنه يمكن اعتبار التوراة نفسها بمثابة لوجوس (كلمة) مساوية للكلمة (اللوجوس) بمفهومها المسيحي - في اللاهوت اليهودي . فابن سيرا Sira (القرن الثاني قبل الميلاد) ينظر إليه كأول من جعل التوراة مساوية للحكمة ، كما وردت في الكتاب المقدس اليهودي ، وقد أصبح هذا التفسير تفسيراً معتمداً ومباركاً في المصور التلمودية . وقد قلل فلاسفة المصور الوسطى اليهود الأكثر عقلانية من شأن عقيدة وجود التوراة قبل الوجود The pre-existence ، لكن بالنسبة للباطنية القبلانية التي تقول بـلاهوت أن الخلق أو التكوين نشأ عن الفيض الإلهي ، فمن الواضح أن وجود التوراة قبل الوجود ، يعنى أنها مرحلة الفيض الإلهي (*) . وعلى هذا ، فإن التوراة - ببساطة - قد أصبحت هي الشكل المادى أو المظهر المادى Clothed form للالهية . فإذا درس الإنسان التوراة وعاش حياته وفقاً لتعاليمها ، أصبح على صلة مباشرة بالهجرة الإلهية (١٨) . وقد طور شيم R. Chaim وفلتسهاين Volozhin (القرنين الثامن عشر والتاسع عشر) فكرة التماثل الباطنى (الصوفى) بين الله والتوراة ، وشرحها بالتفصيل فى كتابه Nefesh Ha Chaim (١٩) ، ونجد هذا التماثل (بين الله والتوراة) فى عدد من النصوص الصوفية فى المصور الوسطى .

وهذا يعنى بمصطلحات الوعى الدينى اليهودى الشعبى - خاصة بين أولئك الذين تأثروا بالأفكار الباطنية بشكلها المنتشر بين العوام - أن حياة التوراة هى المثل الأعلى لليهودية . فالآباء اليهود يقاسون الحرمان لتمكين أبنائهم من دراسة التوراة دون تأخير ، ولإمدادهم بما يحتاجون حتى يتفرغوا تماماً للتوراة بعد الزواج . والتهنئة

(*) ردد بعض الصوفيين المسلمين الأفكار نفسها : نور النبى السابق لخلق

السموات والأرض ... الخ . راجع مقدمة - المترجم .

التقليدية لليهودى عندما يرزق بمولود جديد هي : « جعلكم الله جديرا بان تجعله ابنا للتوراة ، وان تزوجه وتخرجه على الأعمال الصالحة » ، فابن التوراة (٢٠) فى أى مجتمع هو شخص ذو سلطة واحترام ، سواء كان « رابى Rabbi » ، أو يشغل منصبا دينيا أم لا .

فالتوراة بالنسبة لليهودى التقليدى يمكن مقارنتها بنبض كل الخلاق متجمعا على نحو متناغم ، انها روح كل عمل اجتماعى ، كما انها تمثل نظام الشريعة ، والأخلاق ، والشعائر ، وهى بكل هذا لها روح فعلها المستقل عن التجربة الدينية ، اذ ان لها - فى حد ذاتها - عقيدتها وموثوقيتها . فحتى الله يدرس التوراة (*) (٢١) وهو يقوم بدور المعلم الذى يعلم التوراة لبني اسرائيل . ومن التراتيل الدينية التى يحرص اليهودى المتدين على ترديدها فى الصباح ، عدد من الصيغ طلبا للبركة ، تتضمن شكر الله لانه وهب التوراة ، واحدى هذه الصيغ تنتهى على هذا النحو : « مبارك انت يارب يا من تعلم التوراة لشعبك ، شعب بني اسرائيل » .

متسفة Mitzvah (اوامر الله ونواهيه)

ويلزم مفهوم التوراة فى اليهودية مفهوما آخر أساسيا لا يفارقه وهو المتسفة والمقصود بها اوامر الله التى توجه أفعال اليهود ، والتى تمت لتشمل كل مناحى السلوك الانسانى . وعلى هذا ، فالمتسفة ليست فقط آية قواعد مستقاة من تفاسير الكتب المقدسة اليهودية ، وانما لها أيضا مفهوم أشمل وأوسع ، يضم بين جنبه كل الأفعال الطيبة بشكل عام ، والعادات والشعائر والطقوس اليهودية المتوارثة (أو التى اكتسبت قبولا وقرارا من خلال التراث اليهودى) .

وعندما يدرس اليهودى التوراة يعتبر نفسه على صلة بإرادة الله وعقله (عقل الله سبحانه) ، ولذا فان هذه الدراسة - دراسة

(*) راجع مقنة المترجم فى صدر الكتاب . (المترجم) .

التوراة - تعد واحدة من أرقى الأنشطة الدينية وأكثرها سموا . وعند تنفيذ المتسفة (بما فى ذلك الأمر بدراسة التوراة) ، يكون اليهودى فى حالة طاعة للإرادة الالهية ومن خلال شعائر وطقوس يوجه نفسه نحو الله . المتسفة هى نظام لطاعة الله ، وهى نقطة اللقاء بين الله والإنسان (أو عن طريقها يكون العبد على صلة بالله) . وفى اليهودية الرابينية (يهودية الأحبار) (rabbinic Judaism) ، يسبق الطقوس المتعلقة بالمتسفة مدح وتبريكات للذات الالهية . الذى جعلنا - أى الله - مخلصين من خلال أوامره His Mizvot وأمرنا أن نفعل وكان أصحاب الاتجاه الباطنى (الصوفية اليهودية) ، خاصة التقويون (الحاسيديم Chasidic mystics) فى القرن التاسع عشر - يرتلون دعوات قصارا فى خشوع وتأمل ، قبل كل تعرض لاحدى بركات المتشفاه . وهذا التأمل الذى تنطوى عليه صلوات أو دعوات الخشوع الآنف ذكرها ، تهدف الى استخراج المعانى الباطنية المتسفة وجعلها على وشك التحقق بذكر الملائكة أو الأسماء المقدسة المناسبة لاستحضارها ، وما ينتج عن ذلك من مستويات سامية من الحقيقة . ودعاء التقويين (الحاسيديم) التأمل النمطى يجرى على هذا النحو :

« من أجل التوحد مع الواحد القدوس ، تبارك [الواحد المقدس الذى يمثل مبدأ الذكورة] ، وشخيناته His Shekhinah [الشخيناه هى العنصر المؤنث الخاص بالله] فأننى مستعد بكل الاخلاص له ، والحشية منه ، أن أنفذ المتسفة هذا أو ذاك لأحقق أمر خلقى أو الغرض من خلقى » .

وبينما طور القبلانيون التفسير الباطنى لدور المتسفة فى الحياة الدينية لليهود لأفعال ذات معان كونية تصل تأثيراتها بعيدا الى ما وراء عالم الإنسان فى محيط من القداسة ، فإن مجموعات يهودية أخرى كانت لها تفسيراتها الخاصة بها . فالأخلاقىون اليهود Moralists

رأوا في كل متسفة (امر الهى) ارتباطا بمبدأ خلقى (بضم الخاء واللام) معين ، ورأى اللاهوتيون فيها طريقا لخلاص الانسان من مادية الدنيا الى الكمال الروحي . ان تنفيذ المتسفة هو تقليد لله *imitatio dei* او محاكاة له (٢٢) . وهو عمل خاص باليهود دون سواهم من الامم الأخرى ، وبمعنى آخر دون سائر خلق الله . انه عمل يجعله - اليهودى - عضوا في ملكة من الكهنة ، وعضوا في شعب *a member of a kingdom Priests & holy nation* مفلس . وقد تغيرت الأفكار عن مكانة الشعائر (أو الطقوس) في اليهودية في العصر الحديث ، فبينما احتفظت اليهودية التقليدية (٢٣) *Progressive Judaism* ببعض المتسفة كقيمة رمزية واجتماعية ، بل وحتى علاجية *therapeutic* ، فان يهودا آخرين رفضوها باعتبارها أمرا عتيقا ماضى زمانه *archaic* . وعلى أية حال ، فاليهود التقليديون لا يزالون يرون المتسفة باعتبارها أكثر استجابات اليهودى لله ، قربا ومباشرة - ان لم تكن هي الطريق الوحيدة لهذه الاستجابة . ويرى اليهود التقليديون ان الصبب بالمتسفة ، وتقويمها باعتبارها غير ذات جدوى او باعتبارها منحى خلقيا امينا ، يعد من قبيل التجديف على الله . لانه لا يجوز للانسان ان يكون حكما على أوامر الخالق .

الخطيئة والتوبة

وفقا لوجهة نظر الرايين اليهود ، فان في الانسان نزعتين نزعة للخير *(Yetzar tov)* ونزعة للشر *(Yetzar ha-ra)* ، فاما النزعة للخير فتحت الانسان على الالتزام بمبادئ المتسفة ، وعلى أن يحفظ عهده مع الله ، واما النزعة للشر فتقود الانسان « بعد قلبه وعينه » الى ارتكاب الخطيئة . ويرى القبلانيون ، ان المتسفة هي بمكانة تعبير عن الطبيعة الأعمق للروح ، فتطبيقها لا يعنى ببساطة الالتزام الظاهرى بالقاعدة (الأمر) المقروضة ، وانما هو تعبير ذاتى عن عنصر الهى فى باطن الانسان . وعلى هذا ، فالنزعة للخير هي الأقرب الى أن تكون دافعا حقيقيا أو وازعا حقيقيا للانسان ، الذى ربما عطلها باستخدامه

الخطيئة. لوازع الشر لديه . وهذا غير بعيد جدا عما عبر عنه التلمود
« ليس من خطيئة لبشر اذا لم تتغلغل فيه روح الغباء » (٢٤) .

فباب التوبة مفتوح دائما أمام الآثم ، وله ان يعود مرة أخرى
ليكون علاقة طيبة مع الله ، وتعرف هذه العودة في التراث الدينى
اليهودى باسم تسهوفاه Teshovah ، التى ينطوى معناها على العودة
حبا فى الله اكثر مما ينطوى على الخوف من العقاب ، فيبدل الله
سيئات التائب الى حسنات (٢٥) . وحتى التوبة (تسهوفاه) التى
نتجت عن دوافع أقل سموا يمكن أن تزيل الآثام السابقة ، وان كانت
لا تحولها الى حسنات ، فأبواب التوبة دائما مفتوحة ، والنقد الذاتى
الأمين يتردد ذكره فى كتابات التقويين اليهود (الحاسيديم) ليبين ان
اليهودى لابد أن يعكس مدى تقصيره فى أوامر الله . وكان من نتيجة
تكرار الحديث عن التوبة (تسهوفاه) فى الآداب اليهودية ، السماح
لليهودى بأن يبدأ من جديد ان ضل الطريق ضللا بعيدا ، اذ يصنف
فى هذه الحالة على أنه تائب عاد الى الصواب (بال تسهوفاه
baal teshuvah) وليتم تصحيح زلاته التى تحدث بين الحين والحين ،
ببساطة ، تلك الزلات التى قد تجثم بلا رحمة على ضميره .

الثواب والعقاب

قامت فكرة الثواب والعقاب - سواء فى الدنيا أم بعد الموت أم
يوم الحساب بعد البعث - انبثاقا من فكرة المتسوفاه (أو أمر الله
ونواهيه) . ولا يستطيع الانسان أن ينفذ أوامر الله ونواهيه
(المتسوفاه) وأن يتوب عما سلف من ذنوبه الا وهو حى (وروحه فى
جسده) (٢٦) . هناك - اذن - نوع من الالحاق فى كثير من كتابات
التقويين لتذكير الانسان ، أنه لا تسويف فى الأمور التى تؤثر فى
الانسان بالنسبة للخلود . وقد وردت هذه الأفكار بشكل ملخص فى
تعليمين من بين تعاليم المشناه (مباحث المشناه Avot) ، التى تتناول
الأمور ذوات الطبيعة الأخلاقية اللاهوتية :

يقول الرايى يعقوب R. Jacob (القرن الثانى للميلاد) : « هذه الدنيا بمكانة مدخل للعالم الآتى (يوم الرب الآتى) فجهز نفسك فى المخل ، كى تكون مستعدا لدخول القاعة (الملكية) » (٢٧) .

وفى نسخة اكثر اصرارا نقرا ما كتبه الرايى ترفون R. Tarfon (القرنين الثانى والثالث للميلاد) :

« اليوم قصير ، والعمل المطلوب انجازه كثير ، والعمال كسالى . والنواب كبير ، وصاحب العمل يلح طلبا للانجاز » (٢٨) .

والطبيعة الفعلية لآى ثواب فى المستقبل أو عقاب - عادة ما يجلبها الاغراق والغلو فى الأوصاف التى اوردتها الهجادة . وبشكل عام ، فمن عمل صالحا كان ثوابه جنات عدن Garden of Eden ، ومن اساء فعآله الى جهنم Gehinnom . وجهنم تشمل الجحيم والأعراف (المطهر أو موضع المذاب المؤقت) ، فحتى الصالح عليه أن يقضى بعض الوقت فى جهنم بعد الموت يتطهر من خطايا . وهذا هو السبب وراء تلاوة القائم بالحداد للدعوات الكداشية Kaddish (*) لمدة أحد عشر شهرا بعد موت والديه . أما ان استمر هذا الدعاء الكداشى لاثنى عشر شهرا كاملة ، فهذا يعنى أن الميت كان شريرا ويحتاج لقضاء فترة كاملة فى المطهر (الأعراف) . وفى الحقيقة ، فان الشرير جدا (الممعن فى شره) يبقى فى جهنم حتى بعد قضاء فترة المطهر (الأعراف) ويبقى قدمه غير واضح بعد ذلك (٢٩) ، بينما الشرير المعتدل يفادر جهنم بعد فترة الأعراف (المطهر) الآنف ذكرها .

وقد فسر المفكرون اليهود بطرائق مختلفة الأوصاف الحية للمذابات فى نار جهنم ، كما اختلفوا أيضا فى تفسير «باهج جنّة عدن» .

(*) نسايج باللغة اللارامية فى الشفاء على الله ، تتل فى المآبىد اليهودية بين كل قسم من أقسام العبادة ، أو عند الانتقال من شكل من اشكال العبادة الى شكل آخر / قدّاش . (المترجم)

فالفلاسفة واللاهوتيون ركزوا على المعاني الروحية للأوصاف الرمزية ، فالمرء يصبح عند الموت كما يهيئه له تكوينه النفسى ، ورغباته .
لما الباطنيون اليهود (الصوفية اليهودية) ، فلم يحاولوا شرح هذه العقيدة فى مصطلحات رمزية ، برغم أن بعضهم يرى أن كل فكرة تنطوى على معان على مستويات مختلفة فى آن واحد . أما بالنسبة للفكر الشعبى اليهودى والكلكلور اليهودى ، فقد قبلوا الصور المختلفة التى قسمتها الهجادة كوصف حرفى لما ستواجهه الروح .

والمبارات الدالة على العلاقة بين مصير الروح بعد الموت (قدرها) ويوم البعث ، عبارات غير متسلسلة منطقيا ، أو بتعبير آخر غير محكمة احكاما كاملا ، وكثير منها يعتريه الغموض : والفقرات التلمودية عن مصير الصالحين فى يوم الرب الآتى World to Come (يوم الدينونة) اعتبر أنها تشير الى حياة ما بعد البعث ، وإن كان ذلك بشكل غامض :

• يوم الرب الآتى ليس كالعالم الذى نحياه الآن . فهو يوم ليس فيه تناول طعام أو شراب ، وليس فيه انجاب أو أعمال مالية تؤدى للغيرة أو الكراهية أو المنافسة ، فليس فيه بالنسبة للصالحين الا أن يجلسوا وعلى رؤوسهم التيجان ، ليأنسوا بضياء الحضرة الالهية
• the radiance of the Sheikhinah (*) (٣٠)

وبينما نجد اليهود التقليديين فى أيامنا هذه قانعين بالحركة داخل الاطار المقتضى ، حتى وإن شعروا بضرورة إعادة تفسير بعض الأمور ، فإن اليهود التقدميين Progressive Jews قد أراحوا جانباً جزءاً كبيراً مما اعتبروه صورا دينية غامضة ، وما اعتبروه فروضا تعود للمصور الوسطى .

(*) الشخينة أو الشكبيناه تعنى الحضرة الالهية The divine presence
أو الجانب الانثوى فى الاله . راجع : معجم المصطلحات للمؤلف باخر الكتاب . (المترجم)

ورغم أن فكرة التسفاه النفسية عن التواب والعقاب تربط
 ضيقة الخلاص بالأعمال ، أكثر من ربطها بالإيمان *Works rather than Faith* (٣) . لكن هذا لا يبنى بالضرورة نظرة واحدة (ميكانيكية)
 للخلص . وكلمت ميخا : « قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح ، وماذا
 يطلب منك الرب الآن تصنع الحق ، وتخب الرحمة وتسلك متواضعا مع
 الله ، ميخا / الإصحاح السادس / الفقرة ٨ » . وكلمات حقوق
 « والبار بآياته ينجي » سفر حقوق / الإصحاح الثاني / الفقرة ٤ ،
 قد وردت في التلمود باعتبارها تمثل المحور الجوهرى لليهودية (٣١) .
 لقد أثر في اليهودية منذ مرحلة ظهورها الأولى ذلك التعارض بين تنفيذ
 لأوامر الله ونواميه (التسفاه) من الناحية الكمية أو الشكلية ، وبين
 تنفيذها بإيجادها الداخلية (الصيغة inner) بتحقيق أهدافها
 ومقاصدها . هذا الاضطراب أو التعارض في فهم معنى تنفيذ أوامر الله
 ونواميه (التسفاه) قد أدى في فترات مختلفة إلى قيام حركات أحياء
 داخل اليهودية ، ذات طبيعة باطنية (و صوفية) أو ذات طبيعة
 أخلاقية Messianic . وازدادت هذه الحركات أن تعيد التأكيد على مكانة
 الإيمان والقيم الأخلاقية وعلى داخلية الإنسان ، في مواجهة النوازع
 الظاهرية الشكلية (الميكانيكية) ، التي تبدو وكأنها نمت من قاعدة
 طبقية (شعائرية) يهودية وهيمنت على حياة اليهود ووعيهم .

الخلاص Redemption

بالإضافة لقيمة التوحيد ، والمقولات المتعلقة بالعلاقة التعاهدية
 الخاصة بين الله وبني إسرائيل ، والتعبير عن هذا العهد في التوراة
 والتسفاه - هناك أيضا مكون آخر إنساني في الديانة اليهودية ونعنى
 به الاعتقاد في الخلاص التاريخي historic Redemption ، ونعنى به حقبة
 أو فترة يسببها ظهور المسيح المنتظر ، وقد يكون هناك أكثر من مسيح
 messianic era brought about by a messianic figure or figures.

(*) لم السلام يعتبر الإيمان أساسا يمكن معه العمل للصلح ، وغير المؤمنين
 عليهم حد . قال تعالى « وقفنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا »
 (الفرقان ٢٢) . (المراجع)

(ليس المقصود المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، فالمسيح المقصود بالنسبة لليهود لم يظهر بعد ، وكذلك ليس المقصود محمد ﷺ - المترجم) . وقد ارتبط بفكرة الخلاص بظهور المسيح (المهدي المنتظر) ، تجمع اليهود المطرودين في أرض إسرائيل وإعادة بناء الهيكل ، وبعث الموتى ومحاكمة الجنس البشري ، وقد اختلفت المذاهب الفكرية في ترتيب هذه الأحداث وفي طبيعتها وفي تفسير ما يتعلق بها . وعلى أية حال ، فإن معانيها شائعة بين كل الاتجاهات في اليهودية حتى التاريخ المعاصر ، عندما بدأ الحداثيون اليهود Jewish modernists في إخضاعها لإعادة التقييم جنباً إلى جنب ، مع الجوانب المقدية والشعائرية التقليدية الأخرى .

وخلال ليل الشتات الطويل في القرون التي أعقبت الخراب الثاني للهيكل ، عندما أصبح اليهودي واعياً بشكل مؤلم بالتناقض بين وضعه المثالي كفرد من الشعب الذي اختاره الله وأحبه من ناحية ، ووضعه على أرض الواقع كفرد من مجموعة يزدريها العالم بل ويضطهدها من ناحية أخرى ، وفي ظل هذه الظروف كانت فكرة الخلاص بالمسيح الآتي ذات أهمية لا نظير لها . وبرغم المعاناة ، عاش اليهودي على أمل رؤية عصر ذهبي قادم . وكان باستطاعته أن يتطلع لزمان توحى فيه طبيعة إسرائيل الحقبة إلى العالم ، عندما تأتي الأمم لتتحنى في بيت الرب (*) في القدس . وهاتان الفكرتان - عدم الاعتراف بالوضع السامى للشعب اليهودي ، وفكرة الخلاص - تظهران بوضوح في دعوات الأليينو Aleinu (**) التي تتلى في نهاية كل طقس ديني . والصيغة الأصلية للأليينو قد شكلتها الحكمة التلمودية للاستخدام في احتفالات العام الجديد ، لكنه جرى تحويلها لتتلى ثلاث مرات يومياً ، وسبب الحاجة إلى تكرارها باستمرار هو مواجهة اليأس والظروف الصعبة :

(*) House of God (المترجم)

(**) دعوات تتلى في نهاية كل عبارة تتضمن فكرة الله ونشأته عليه ، لأنه أسمى

بطبيعته الحق لإسرائيل - (المترجم) .

« لا بد ان نحمد الله اله كل شئ » . وان نصف الخالق بالمظلمة
لانه لم يجعلنا كسائر امم الارض ، ولم يجعلنا كاسر الارض . لانه
- اى الله - لم يقسم نصيبنا our lot كما قسم أنصبتهم ، ولم يجعل
قدونا كقدرهم ، فهم يسجدون عبثا وللخواء ، ويدعون ربنا لا ينقذ ، بينما
نحن نركع ونسجد ونقلم شكرنا امام الملك ، ملك الملوك ، الواحد
القدوس ، تبارك اسمه ... فهو - وليس غيره - هو الهنا ، وهو ملكنا
الذى يعد كل ما سواه - حقا - لا يساوى شيئا ...

لذا ، فاننا نوجه آمالنا اليك ، يا سيدى يا الهى لأرى جلال
قدرتك واستطاعتك عاجلا ، لتبعد الاوثان عن عالمنا ، وتحطم كل الآلهة
الزائفة وان تصحح العالم فى ظل مملكتك جل جلالك ، وسينادى كل
ابناء اللحم « كل البشر » باسمك ، لتعيد كل شريرى العالم اليك ، دع
كل من على الارض يعترفون ويعلمون انه لا ركوع ولا سجود الا لك ،
ولا قسم الا بك ... دع الجميع يقبل العبودية لمملكتك ، وسوف تحكمهم
وتبسط سلطانك عليهم حالا والى الأبد » .

مبادئ عقديّة Doctrinal Principles

برغم أننا استخلصنا بعض المكونات الرئيسية للعقيدة اليهودية،
فانه ليس هناك اتفاق عام ، فى نطاق اليهودية ، على المحتوى العقدي
الأساسى اللازم لتام العقيدة اليهودية الأرثوذكسية التقليدية Orthodoxy
وحتى فترة اللاهوتيين فى العصور الوسطى ، لم تكن هناك أية محاولات
لوضع هذه الأسس أو المكونات ، وظلت القضية العقديّة برمتها فى حالة
مرنة بدرجة كبيرة . وقد عدت المشناه (٣٢) فئات اليهود الذين
يفقدون حظهم فى يوم الرب الآتى the world to come كالتالى :
اولئك الذين ينكرون أن بعث الموتى ورد فى التوراة (٣٣) ، وأولئك الذين
ينكرون أن التوراة وحى من الله ، والأبيقوريين Epicurean ،
أى المنهمكين فى اللذات الدنيوية . وأضاف بعض الحكماء الى ذلك
أيضا ، أولئك الذين يقرأون (على سبيل العبادة) الكتب التى تضم

افكارا الحادية (هرطقة) ، وأولئك الذين يتلون الرقى والتعاويذ على الجروح ، وأولئك الذين يعلنون الاسم المقدس أو الاسم الالهى كما هو مكتوب . وعلى أية حال ، فمن الواضح أن المشناه قاصرة على فترة بينها وليست صادرة عن مختلف أحوال العقيدة اليهودية السلفية (الأرثوذكسية) . ولم يكن فى صيل المناقشات الربية (التى جرت بين الربيين) أى قاسم مشترك عن مبادئ عقدية متفق عليها يعتبر رفضها بكمائة حكم على رافضها بالهرطقة (الاتحاد) أو البعد عن عقيدة الجماعة . فعانى هذه المبادئ وتفصيلها موضع مناقشات وخلافات فى الكتابات التلمودية .

ولم تبدأ محاولة صياغة قانون ايمان يهودى حقا ، الا فى القرن الثانى عشر بتعليقات موسى بن ميمون وشروحه على المشناه ، اذ خلاص بثلاثة عشر أساسا- من أسس العقيدة ، سبعة منها متعلقة باعتقاد فى الله : وجوده ، وكونه واحدا ، وكونه لا يشبه أحدا من خلقه أو غير منسبه *incorporeality* ، وكونه خالدا ، وأنه هو وحده المقصود بالعبادة (لا معبود سواه) وكونه يعلم أفكار البشر وأفعالهم ، وكونه شيب ويماقب . وأربعة أسس متعلقة بالوحي : الاعتقاد فى النبوة ، وأن موسى عليه السلام هو أعلى الأنبياء درجة ، وأن التوراة قد تسلمها موسى من ربه ، وأن التوراة لا تتغير . وأخيرا ، هناك أساسان متعلقان بمجيء المسيح *Messiah* أى المسيح (*) ، والبعث .

وبعد فترة ابن ميمون ، جرت مناقشات مهمة حول ما اذا كانت كل هذه الأسس ضرورية كمعيار للعقيدة اليهودية ، وأيضا حول ما اذا كانت كافية لتحقيق هذا الغرض . وقد تراوح النقد الموجه لابن ميمون بين اتهامه باختيار الأسس على نحو اعتباطى أو تحكمى ، فليست الأسس التى ساقها على الدرجة نفسها من الأهمية ، وبين اتهامه بالاختصار على ثلاثة عشر أساسا . وبمرور الوقت ، وبرغم التحذيرات ،

(*) الذى تنبأت به التوراة واليهود لا يقصدون هنا المسيح مله السلام . (المترجم)

فقد أصبح الثلاثة عشر أساسا التي صاغها ابن ميمون ، بمكانة قانون ايمان يهودى غير رسمى ، لكثير من المذاهب اليهودية ، واتخذت طريقها بأشكال مختلفة الى كتب الصلوات والدعاء المعتمدة ، والتي يتلوها اليهودى فى بداية صلاة الصباح أو فى نهايتها . وعلى أية حال ، فالتقويون اليهود ظلوا حذرين من استخدامها ، لأنها تبدو لهم عاكسة لروح فلسفة العصور الوسطى التي يرفضونها باعتبارها عنصرا دخيلا على اليهودية ، وأنها لعنة بالنسبة للتفكير الذى ينحو نحوا باطنيا أكثر من غيره (بالنسبة للاتجاه الصوفى) .

وقد ساعد وجود قانون ايمان يهودى (أسس عقائد المسيحيين والمسلمين ، وعلى تحديد خلافاتهم على نحو خاص مع الحركات اليهودية الانشقاقية) الخارجة عن عقائد الجماعة اليهودية) ، وعلى هذا فالحاجة الى صياغة رسمية للعقيدة اليهودية (قانون ايمان يهودى) تمثل مرحلة معينة فى تاريخ الأفكار عند اليهود . فالقضايا التي تحيط باليهودى المعاصر ذات طبيعة مختلفة ، وتعود به الى قضايا مرتبطة بالمضى ، ومرتبطة بالى الى مدى يجب فهم العقيدة - كليا أو جزئيا - حرفيا أو فى ظل إعادة التفسير وفقا للمقولات الحديثة . فأسلوب صياغة الأسس العقدية اليهودية كما قام عليها ابن ميمون أو غيره من لاهوتى العصور الوسطى ، أسلوب واضح جزئيا لليهود العصر الحديث ، وإن كانت اهتماماتهم - أى يهود العصر الحديث - تختلف بشكل ملحوظ عن اهتمامات يهود العصر الوسطى . وطريقة تعبير حكماء التلمود المتسمة بالمبالغة ، والفلو فى الأمور العقدية ، مع الاختلاف المربك فى الآراء بين حكماء وآخر ، قد قلت بالتدريج بمرور الزمن . فالهجاء الراهية بطبيعتها الخاصة ، يتم استخدامها لتفسير هذه الأسس الايمانية ، وبالتالي تتيح لليهود التاريخ الحديث أن يجعلوا أبعاد الممانى المتصلة بالله أو الوحى أو الانسان . فالخطوط التي حددها مفكرو العصور الوسطى كانت - على العكس - أكثر رقة ، ومرتبطة جدا بالصياغات الفلسفية الوسيطة - كمحاولات لتقديم عرض نهائى للعقيدة .

وفي القرنين التاسع عشر والعشرين ، تعرضت العقيدة اليهودية
لإعادة فحص بدرجات متفاوتة على نحو أكثر ، وذلك خارج نطاق اليهودية
الأرثوذكسية Orthodoxy . فيهود حركة إعادة البناء الحديثة (*) .
التي ظهرت في العشرينيات من القرن العشرين في أمريكا الشمالية -
على سبيل المثال - قد استبدلت بأسس ابن ميمون الثلاثة عشر في
كتاب الصلوات الخاص بها: ثلاثة عشر معيارا للولاء اليهودي
Jewish Loyalty ، ووفقا لهذه المعايير ، فإن أسس الولاء لم تعد
مسألة تصديق أو إيمان ، وإنما تجربة الحياة يتم اثراؤها من خلال
التراث اليهودي . فمعايير اليهودي من جماعة إعادة البناء ، قد جرى
تعديلها ، وأصبحت الأسس الأخلاقية ، وتوجيه الأفعال وترشيدها
(تقديم الهداية لها) تمثل ما يطلبه يهود حركة إعادة البناء من
اليهودية (٣٤) .

(*) the modern Reconstructionist movement (الترجم)

تعليقات المترجم

على بعض ما ورد في الفصل الثاني

لا شك أن كثيرا مما ورد في هذا الفصل عن عقائد اليهود ، لا يتفق - كما هو مفهوم - مع عقائد المسلمين ، أهل السنة والجماعة منهم على الأقل ، لذا سنوضح ذلك بإيجاز فمن غير المتوقع أن يستقى مسلم معلومات عن عقيدته من كتاب عن اليهودية . والاسلام (اسلام أهل السنة والجماعة على الأقل) أكثر الأديان تنزيها لله عز وجل فهو سبحانه واحد خرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وأنه سبحانه قد استوى على العرش استواء لا يعلم كيفيته إلا هو . لقد استوى سبحانه منزها عن الحلول والانتقال والماسة . الخ لا يحمله العرش بل العرش وحمله العرش محمولون بلطف قدرته . وهو سبحانه رفيع الدرجات عن العرش وعن الثرى ، وهو مع ذلك قريب من كل الوجود وهو على كل شيء شهيد وهو أقرب إلينا من حبل الوريد ، وهو سبحانه غير خلقه فكيف يكون هو ومن خلق شيئا واحدا ؟! ونزعم أن هذه هي النظرة العلمية الوحيدة ، فانه سبحانه لم يعط سره لأحد ، وهو سبحانه لا يخضع لما يسميه الناس أساليب البحث العلمي التجريبي من مشاهدة وملاحظة وتجربة ، وإنما ترك خلقه علامة على وجوده ، وإى ادعاء أكثر من هذا ليس بعيدا عن روح الاسلام فحسب ، وإنما هو بعيد عن روح العلم أيضا .

أما القول بأن الله سبحانه قد خلق الإنسان على صورته ، فأهل السنة والجماعة يؤمنون بظواهر النصوص القرآنية بهذا الشأن ، ويشنفونها

يقولهم (بلا كيف) فله سبحانه وجه (ويبقى وجه ربك) الرحمن/٢٧ وله ينان (بل يده مبسوطتان) المائة/٦٤ أما وصف يده سبحانه فلا ندريه ، أى أن له يدا بلا كيف ، وقل القول نفسه بالنسبة للعين . ونزعم أن تلك هى النظرة العلمية الوحيدة ، ومن قال غير ذلك أفات على الله وقال ما ليس له به علم .

وقد خلق الله الناس سواء ، لا فرق بينهم الا بالايمان والتقوى والعمل الصالح لكن اليهود لظروف تاريخية خاصة بهم انحرفوا عن عقيدتهم الصحيحة (عن المسيرة التاريخية لليهود راجع : د . أحمد شلبي : اليهودية (سلسلة مقارنة الأديان ، النهضة المصرية ، ١٩٨٧ الباب الأول) فقالوا بأنهم شعب مختار وأنهم شركاء مع الله . الخ فقولهم بأنهم - وحدهم - أعلى درجة من الملائكة من كان منهم صالحا ومن كان منهم غير ذلك ، يتنافى تماما مع العقيدة اليهودية الصحيحة كما أتى بها موسى عليه السلام . وفيما يلى عرض مجمل لهذه العقيدة كما وردت فى القرآن الكريم ننقله من المراجع الآنف ذكره (ص ١٤٩ - ١٥٥) :

« ... ويجيء الآن دور الحديث عن عقيدة بنى اسرائيل ، وكما اعطى القرآن الكريم صورة طيبة لأنبياء بنى اسرائيل ، فانه كذلك تحدث عن العقيدة التى كانوا بها فصورها سليمة صادقة ، لا تختلف عن عقيدة المسلمين ، قال تعالى : « انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط » . فالعقيدة الاصلية لبنى اسرائيل كانت الايمان بالله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، اله الناس جميعا ، خالقهم وراعيهم ، العالم بكل شئ ، والقادر على كل شئ ، والايمان بالملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر ، وما يتصل بذلك من الحساب والثواب أو العقاب .

ونسوق فيما يلى من آى الذكر الحكيم ما يوضح هذه الصورة ، قال تعالى على لسان ابراهيم :

— « انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا ، وما انا من المشركين ، وحاجه قومه ، قال اتحاجونى فى الله وقد هدانا ، ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى شيئا ، وسمع ربى كل شىء علما ، افلا تتذكرون ؟ وكيف اخاف ما اشركنتم ولا تخافون انكم اشركنتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا ، فالى الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون ، الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ، اولئك لهم الامن وهم مهتدون ، وتلك حجتنا آتيناهما ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ، ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين ، واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ، »

وتوضح هذه الآيات ايمان ابراهيم بالله الذى فطر السموات والارض ، ومقاومته لقومه عندما حاجوه فى ذلك ، وتأكيده ان الله وسع كل شىء علما ، كما توضح ان ابتلاء نالوا من الهدى والرشاد ما نال ابراهيم وبنوه ، كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان

وهناك مجموعة اخرى او مجموعات من آيات القرآن تشهد لابراهيم وبنيه انهم آمنوا بالاله الواحد القهار ، نسوق منها قوله تعالى :

— « ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين ، اذ قال له ربه : اسلم . قال : اسلمت لرب العالمين ، ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب : يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ، ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه : ما تعبسون من بعدى ؟ قالوا : نعبده الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون ، »

ومن العقائد التى كان على بنى اسرائيل ان يتبعوها ، ايمانهم بالبعث متبعين فى ذلك سنة ابيهم ابراهيم ، قال تعالى : « واذا قال ابراهيم

رب ، ارنى كيف يحيى الموتى ، قال أولم تؤمن ؟ قال بلى ، ولكن ليطمئن قلبى . قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ، ثم ادعهن يأتينك سعييا ، واعلم ان الله عزيز حكيم .

ويشرح الأستاذ محمد جاد المولى وزملاؤه هذه العقيدة بقولهم :
وقد كان ابراهيم مفعم القلب بالايمان بربه ، محتثا بالثقة واليقين بقدرة خالقه ، مؤمنا بما أوحى اليه من بعث الناس بعد موتهم ، وحسابهم فى حياة أخرى على أعمالهم ، ولكنه أراد أن يزداد بصيرة وايمانا ، وثقة و يقينا ، وتطلع الى أن يلمس البرهان البين على البعث ، ويرى الحجة الواضحة على النشور ، فسأل ربه أن يريه كيف يحيى الموتى بعد موتهم ، ويبعثهم بعد فناء أجسامهم ، فقال الله له : أولم تؤمن ؟ قال : بلى ، فله أوحيت الى لآمنت وصدقت ، ولكن قاقت نفسى الى المشاهدة ، ليطمئن قلبى ويزداد يقينى . فاستجاب الله دعاءه وآتاه سؤله ، وأمره أن يأخذ أربعة من الطير فيقطعها أربا ، ويفرق أشلامها بأن يجعل على كل جبل منهن جزءا ، ثم يدعوهم فيأتينه سعييا باذن الله .

وفعل ابراهيم ذلك ، وعادت الأشلاء تتجمع ، وسمعت اليه الطيور الأربعة ، وزاد يقين ابراهيم ، وامتلا قلبه اطمئنانا .

وتكررت عقيدة التوحيد والايمان باليوم الآخر منسوبة الى غير ابراهيم من أنبياء بنى اسرائيل والصالحين منهم ، قال تعالى على لسان يوسف : « انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ، واتبع ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ، ذلك من فضيل الله علينا ، وعلى الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون ، يا صاحبى السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟ ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، ان الحكم الا لله أمر الا تعبدوا الا اياه ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وعن التوحيد واليوم الآخر والحساب يقول الله تعالى مخاطباً موسى :
 « اننى انا الله لا اله الا انا فاتبعنى واقم الصلاة لذكركى ، ان الساعة آتية
 اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ، فلا يصدنك عنها من لا يؤمن
 بها واتبع هواه فتردى » ويقول الله تعالى على لسان موسى واصفاً الله
 جل وعلا بأنه خالق كل شئ ، ومانحه الهدى « ربنا الذى اعطى كل شئ
 خلقه ثم هدى » . وعن علم الله سبحانه وتعالى يقول القرآن الكريم
 على لسان موسى : « انما الهكم الله الذى لا اله الا هو ، وسع كل شئ
 علماً » .

وعن الحياة الدنيا ومتاعها ، والحياة الآخرة وما بها من جزاء يقول
 الله تعالى على لسان موسى : « يا قوم ، انما هذه الحياة الدنيا متاع ،
 وان الآخرة هي دار القرار ، من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ، ومن
 عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن ، فاولئك يدخلون الجنة يرزقون
 فيها بغير حساب » .

وهكذا كانت العقيدة التي نادى بها أنبياء بنى اسرائيل متفقة تماماً
 مع عقيدة المسلمين ، تهتم بوحداية الله اله الكون ، واسناد الصفات
 المقتضية اليه سبحانه ، كما تهتم باليوم الآخر والحساب ، وغيرهما من
 المعتقدات .

هذه فكرة واضحة عن انبياء بنى اسرائيل وعقيدتهم من وجهة النظر
 الاسلامية . ولكن بنى اسرائيل ثاروا فى وجه انبيائهم ، ورفضوا
 الاستجابة لهم ، واطرحوا العقيدة التي جاء بها هؤلاء الانبياء ، ثم هاجموا
 الانبياء ، وقتلوهم احيانا ، واستبد بهم الضلال والجحود ، فعبدوا غير
 الله وانكروا البعث ، ونسبوا لانبيائهم ما لا يمكن ان يصدر من انبياء ،
 ويجدر بنا ونحن لا نزال مع القرآن ان نستعرضه لنقتبس منه بعض
 الآيات التي تحدثت عن بنى اسرائيل ، ووصفت اخلاقهم وصفاتهم ،
 قال تعالى :

- ... وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباعوا بغضب من الله ،
ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير حق ، ذلك
بما عصوا وكانوا يعتدون .

- ثم قسمت قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة .

- افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل
ذلك منكم الا خزي فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب
وما الله بغافل عما تعملون .

- افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ، ففريقا
كذبتم وفريقا تقتلون .

- يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ، وتكتمون الحق وانتم
تعلمون .

- ضربت عليهم الذلة اينما تقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس ،
وباعوا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون
بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

- من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا
وعصينا واسمع غير مسمع ؛ وراعنا ، ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين ،
ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ،
ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا .

- فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الانبياء بغير
حق ، وقولهم فلوبنا غلف ، بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون
الا قليلا .

- فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون
الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة
منهم الا قليلا منهم ...

« - وقالت اليهود يد الله مظلولة ، غلت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا ، والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ، ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين . »

« - لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . »

« - واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ، ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ، اتخذوه وكانوا ظالمين . »

« - ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا ، وكذلك نجزي المقترين . »

« - اقتلوا يوسف او اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم ، . »

وربط اليهودية مبدا الثواب والعقاب (بالأعمال) أو (الممارسات) و (الطقوس) دون الايمان يجعلها متناقضة مع المسيحية والاسلام على صواء ، فجانب كبير من المسيحيين يقولون (بالتبرير بالايمان) ويربطون (الخلاص) بالايمان ، اما الاسلام فيقوم على الايمان والعمل معا ، والآيات القرآنية التى تشيد بالعمل الصالح كثيرة واضحة ، وخصص المسلمون كتباً للتوحيد تعنى بدراسة العقيدة ، وكتباً للفقهاء يشغل فيها فقه المعاملات مساحة كبيرة .

الفصل الثالث

الكتاب المقدس اليهودي والوحي

التاريخ والتراث

برغم أن التفسير اللاهوتي للتاريخ والأحداث التاريخية مسألة تعد من خصائص الجانب الأكبر للكتاب المقدس اليهودي ، إلا أنه لا النصوص الدينية في الكتاب المقدس اليهودي ولا اليهودية كما قدمها الرابيون ، كانتا مهتمتين بالتاريخ بمفهومه الحديث الذي نعرفه اليوم . فاليهودية - تمشياً مع مثل كتابها المقدس - غير مهتمة بتقديم مفردات تاريخية موضوعية ، فليس للتاريخ أهمية سوى في محتواه الديني والأخلاقي ، ولم تكن هناك محاولات كثيرة للفصل بين ما هو حقيقة تاريخية خالصة ، وما هو تأويل أو تفسيرى .

فقد كان اللاهوتيون اليهود يعيدون باستمرار تفسير الماضى (التاريخ) لالقاء الضوء على الأفكار الدينية الحالية ، ورأى المفسرون الرابيون فى الأبطال الدينيين فى الكتب المقدسة اليهودية مثلاً علياً للطهارة الدينية يحتذىها الرابيون . وهذه النظرة التى تعد اتجاهها سائراً - على نحو ما - فى التعامل مع الماضى ، هى من خصائص الفكر اليهودي حتى الحقبة المعاصرة ، ويعد التفسير المدرشى للكتاب المقدس اليهودي مثلاً على ذلك . وأن كان بعض المفكرين اليهود قد حاولوا - فى بعض المناسبات - أن يجدوا تفسيراً للتناقضات فى الهجادة القائمة فى الأساس

على بناء من العظات الدينية - ليصلوا الى الحقائق الخالصة التي تقوم عليها ، ولكنهم في محولاتهم هذه كانوا استثناء من القاعدة .

تماما كما فعل يوسفوس Josephus ، المؤرخ اليهودي الذي عاش في القرن الاول للميلاد ، اذ لم يجد ما يشين في ان ينسب خطبا واحاديث طولا للشخصيات التاريخية التي يكتب عنها - وكان معاصروه من غير اليهود يفعلون الشيء نفسه - وعلى هذا ، فقد سمح حكماء التلمود ان يستطروا مناقشاتهم في الافكار الدينية على أحداث ماضية لم تكن معاصرة لهم ، او بتعبير آخر يسمحون بان يقرأها اليهود باعتبارها منسوبة الى الماضي to be read back into the past ، وما دام التلمود قد حقق قدرا كبيرا من التأثير على اليهودية في العصور الوسطى واصبح بذلك نصا شبه شرعي (نصا دينيا نصف معتمد) في اليهودية في العصور الوسطى ، لذا فقد اصبح خروجا عن التدين الصحيح ان يرفض اليهود تراث الرايين القائم على التجاوز عن المفارقات التاريخية كاسلوب تعليمي . او بعبارة أخرى ، اصبح رفض هذا الاسلوب الذي لا يقيم وزنا للحقائق التاريخية في حد ذاتها امرا ينطوي على عدم التقوى ، لانه ينطوي على رفض لافكار الرايين او حكماء التلمود . اما المفكرون اليهود الذين استمروا في التمسك بموقف مستقل في مثل هذه الأمور ، فقد تعرضوا لنقد شديد ، واتهمهم اليهود المحافظون بالهرطقة ، ذلك لان المحافظين يعتبرون كل كلمة من كلمات التلمود نصا دينيا مقدسا .

وقد تركت خلافا العصور الوسطى هذه اثرها على التاريخ الحديث ، فكان مما اثار مشاكل للاهوت اليهودي المعاصر ، حقيقة أن اليهودية كانت اكثر اهتماما بدور الله في التاريخ الانساني ، من اهتمامها بالتفاصيل التاريخية التي كانت ابعد عن تناولهم في بعض الاحيان . فعدد من المفكرين الارثوذكس Orthodox يشعرون باستسلامهم لسلطان الماضي ، خاصة الماضي التلمودي في نظرتهم لتاريخ الكون ، وتاريخ الجنس البشري ، وتاريخ الشعب اليهودي والديانة اليهودية ، استسلاما يجعلهم على خلاف مع الافكار الحديثة في هذه المجالات .

ففتح نجد أن الراي مناحم شنيروهن (ولد سنة ١٩٠٢)
R. Menachem Schneersohn ، الذي درس الهندسة على المستوى
الجامعي ، وترأس جماعة لوبافتشس التقوية (الحاسيدية) في نيويورك ،
قد أحيا أخيراً نظرية القرن التاسع عشر ، التي مؤداها أن الكون خلق
كاملاً بما في ذلك البقايا المتحجرة لحيوانات ما قبل التاريخ وبحقبة
الجيولوجية المختلفة . ولأن عمر الكون - وفقاً للحسابات اليهودية -
لا يزيد إلا قليلاً عن ٥٧٠٠ سنة ، فإن أي اكتشافات علمية لا تؤيد ذلك
تعتبر حسابات غير صحيحة - اعني أن الحفريات والبيانات الجيوفيزيائية
تمثل تطوراً حقيقياً مؤقتاً (*) .

ونعتبر مسألة القبول الحرفي لأفكار التراث اليهودي التقليدي عن
الماضي ، من المسائل التي تشكل خطاً فاصلاً بين الأرثوذكسية اليهودية
Orthodoxy من ناحية ، واليهودية المحافظة والأصلاحية من ناحية أخرى ،
فالمحافظون والأصلاحيون يميلون ، بدرجات متفاوتة ، إلى عدم اعتبار
آراء الرابين في المصور الوسطى مسائل ليست مرتبطة باليهودي
الحديث ، رغم احتوائها على حكمة يمكن الاستفادة منها . لكن الأرثوذكس
orthodox بحكم عقيدتهم في هيمنة النص التلمودي والنصوص المقدسة
بعبه - أقل انفتاحاً نحو هذا الفكر المتسم بالمرونة . وبينما نرى بعض
المفكرين الأرثوذكس يرغبون في أن يفسروا روايات سفر التكوين عن
الخلق تفسيراً غير حرفي ، بل يقبلون رؤية معدلة لنظرية التطور باعتبارها
غير متناقضة مع التعاليم اليهودية ، إلا أن أحداً ما لم يستطع أن يوفق بين
وجهات النظر الحديثة ، فيما يتعلق بالتاريخ اليهودي أو التراث اليهودي
التوراتي والتلمودي من ناحية ، والتعاليم اليهودية التقليدية من ناحية
أخرى .

(*) هناك فكرة شبيهة عند الصوعية المسلمين ، وقال بها النظام ، وهي أن الله خلق
العالم - ماضيه وحاضره ومستقبله - مرة واحدة ، وأن ما يحدث أو يستحدث مجرد
(ظهورات لفيضه الأول - (المترجم) .

وفي بواكير العقد السادس من القرن العشرين ، فوجئ يهود لندن مفاجأة عيفة بالآراء التي نشرها الرابي لويس يعقوب عضو جماعة الرابينين rabbinical establishment ، والتي يبلى فيها تعاطفا مع الاتجاه القائل بالنقد التاريخي للكتاب المقدس اليهودي ، واعترضت الهيئة الكهنوتية الرابية في لندن على تعيينه عميدا لكلية اليهود Jew's College - وهي منشأة تعليمية لتدريب الرابينين اليهود الارثوذكس - وذلك على اساس علم تضحى آرائه مع العقائد اليهودية التقليدية .

وفي سنة ١٩٦٤ ، تطور موقف مماثل في اسرائيل ، عندما تم تعيين سيسل دوث Cecil Roth في جامعة بار الان Bar Ilan ، وهو يهودي على المنصب الارثوذكسي الحديث . وقد عرض دوث في أحد مؤلفاته عن التاريخ اليهودي وجهته النظر : التقليدية ، والمؤيدة للنقد التاريخي للكتاب المقدس اليهودي ، دون أن يؤيد هذه الفكرة الأخيرة وإنما اكتفى بعرضها ، ومع هذا فقد عارض تعيينه بعض الرابينين الاسرائيليين البارزين ، فتمرضت بار الان لضغوط شديدة لسحب درجة الاستاذية منه ، وانخرا قدم دوث استقالته ، وغادر اسرائيل ليقيم في الولايات المتحدة الأمريكية .

واحدى العقبات التي لازالت الارثوذكسية تواجهها ، هو توضيح موقفها من مسألة الدراسات الحديثة للكتب المقدسة اليهودية ، وقد ظهر بهذا الصدد اتجاهان ، أما تطوير بعض أنواع المزاوجة بين وجهات النظر التقليدية ووجهات النظر الحديثة ، وأما الدفاع عن الموقف التقليدي باستخدام المعايير العلمية والتاريخية المقبولة بشكل عام . إلى هذا الحد اختارت الارثوذكسية أن تحافظ على موقفها الضعيف ، فلم يبحث الا عدد قليل من الباحثين (الارثوذكس) في امكانية الدفاع عن الموقف التقليدي بهذه الطريقة ، وحتى هؤلاء كانت دفاعاتهم غير مستقيمة .

وكان لابد أن يتناقض هذا ، مع محاولات التوفيق بين نظريات عمر الكون أو تطور الحياة من ناحية ، والمعتقدات الدينية اليهودية من ناحية

أخرى ، تلك المحاولات التي قام عليها مفكرون أرثوذكس اتخذوا الحداثة منهجا لهم . فمسألة نقد الكتب المقدسة اليهودية ، مسألة تبدو برمتها في الغاية من الحساسية ، ومهما كانت وجهات النظر الخاصة التي صدرت عن الرابينين ، فقد كان الاحساس العام أن موقف الأرثوذكسية اليهودية من الوحي ، ومن الكتب المقدسة اليهودية والتراث اليهودي يمكن أن ينفو ضميما في حالة قبول الافتراضات الناجمة عن النقد التاريخي . وبناء عليه ، فإن أي رابي *rabbi* يدافع عن فكرة قبول مثل هذا النقد التاريخي إنما هو - بدفاعه هذا - يعلن أنه خارج نطاق الأرثوذكسية اليهودية

Outside the Sphere of Orthodoxy

فحتى مجرد تناول أفكار الدراسات الحديثة المتعلقة بالكتاب المقدس اليهودي تعد - بالنسبة لمعظم المفكرين الأرثوذكس اليهود - لئنة ، خاصة تلك الأفكار المتعلقة بانكار نسبه الاسفار الخمسة الأولى من العهد القديم الى موسى . وبالتالي ، فإن امكانية دراسة مثل هذه الأفكار تعد من قبيل المستحيلات ، فلا مجال لتفنيد وجهة النظر التقليدية فيما يتعلق بالتواريخ المتعلقة بالكتاب المقدس اليهودي ، ومدى موثوقيته . اننا نجد واحدا من الرابينين السلفيين المهمين في الجيل الأخير ، يشكو من قلة استجابة زملائه للتحديات التي أسفرت عنها الدراسات النقدية ، وهو يعبر عن ذلك كالتالي :

« لقد أشهر الدارسون المعاصرون سلاح النقد خاصة في وجه التوراة كتاب الله الكامل ، وهم يقصدون بذلك أن يحفروا تحت التراث الذي تلقيناه وأن يقوضوا أركانه ... فكتابات فلهوزن *welhausen* وكتل *Kittel* قد ترجمت الى العبرية ، وما يدعو للأسى والحزن أن هذه الكلمات المخربة والمسمومة قد وجدت أذانا مصغية ... وهناك أيضا كثيرون منا ممن تلقوا تعليما تقليديا ، وكثيرون من الشباب ... لكن مما يثير الحزن والأسى أن أحدا من حكماء بني اسرائيل لم يخرج ... ليحارب حربا مقدسة ضد أولئك الذين يريدون اقتلاع كل شيء من الجذور ، (١) .

وعلى النقيض من اللاهوتيين اليهود التقدميين **Progressive** - الذين قبلوا الصورة النقدية التاريخية للكتاب المقدس اليهودى باعتباره مجموعة مرويّات ترجع لحقب زمنية طويلة ، وبالتالي فهي تعكس منطلقات دينية مختلفة ومتباينة - فقد واجه الأرثوذكس مشكلة بناء شكل جديد لفكرة الوحي . (بتعبير آخر : مشكلة تصور شكل جديد لطريقة تكوين الكتاب المقدس اليهودى) .

فما دامت الفكرة الكلاسيكية اليهودية التي مؤداها أن الله قد أوحى الكتاب المقدس اليهودى الى موسى وأنبياء بنى اسرائيل بالمعنى الحرفى للوحي - أى أملاه عليهم كلمة كلمة - فكرة مرفوضة ، فإن القضايا المتعلقة بصحة هذا الكتاب المقدس (أو موثوقيته) وصلته بالوصايا العشر ، تعد بالنسبة للانسان الحديث أو المعاصر مسألة على أعلى درجة من الأهمية . ان هذه القضايا لا تزال تمسك بتلابيب المفكرين اليهود ؛ للمحافظين منهم والاصلاحيين على سواء ، ولم يصل أحد منهم الى حلول لاهوتية تحظى بقبول عام ، بآية حال من الأحوال .

أما بالنسبة لليهودية الأرثوذكسية فالمسألة أشد تعقيدا ، لكنها فى الوقت نفسه أيسر فى حلها ، باستخدام مقولات عقائدية تتسم بالمرونة الشديدة (المقصود غير المحددة) . وعلى هذا ، فبينما يقدم التلمود عددا من القضايا عن النبوة والوحي ، بل ويقدم أيضا قوائم بالكتب المقدسة أو أجزاء منها كتبها هؤلاء الأنبياء - إلا أنه يظهر لنا موسى وكأنه غير قادر على فهم يهودية القرن الثانى للميلاد .

• عندما صعد موسى الى أعلى ، وجد الواحد القدوس تباركت ذاته ، جالسا وهو يربط التيجان فوق الحروف . فقال موسى له : يا سيد الكون من الذى يفرض هذا منك ؟ ، فقال الله : سيظهر فى نهاية عدة أجيال من يدعى أكيفا بن يوسف Akiva ben Joseph فهو الذى سيستنبط جبالا فوق جبال من الشرائع من كل حطب وصوب . فقال له موسى : يا سيد الكون أرنيه . فقال الله : استمر للخلف فذهب موسى

الكتاب المقدس اليهودى والوهم

وجلس فى نهاية الصف الثامن ولم يكن يعلم ما كانوا يقولونه .. فشرح بالوهم (أو التعب) . وعندما وصل الى نقطة معينة [أعنى الرايى أكيفا Akiva] سأل التلاميذ : رايى ، من أين علمت بذلك ؟ فقال لهم : انها شريعة موسى من سيناء . لقد استراح عقله [أعنى موسى] ، (٢) .

ومن المؤكد انه يمكن تفسير هذه القصة بالقول ، ان اليهودية قد خضعت لعمليات تطوير دينى ، وان الرابيين اليهود اعترفوا انها نمت وتطورت وتغيرت فى حقبة المشناه mishnaic period لتصبح فى شكل غير مفهوم بالنسبة للأجداد الوارد ذكرهم فى الكتب المقدسة اليهودية . وهذه القصة التى رويناها آنفا لو وضعناها جنبا الى جنب ، مع التعاليم الأخرى المتعلقة بطبيعة الدين الذى أوحاه الله الى موسى ، لخلصنا منها جميعا بزعم مؤداه ان موسى لم يتلق من الله - فى سيناء - التوراة فحسب ، وانما تلقى أيضا المشناه ، والحوارات التلمودية والهجادة ، بل وحتى ما سيثيره طالب ناضج أمام معلمه فى المستقبل (٣) .

الكتاب المقدس اليهودى

الكتاب المقدس اليهودى مماثل - بشكل قل أو كثر - للعهد القديم ونفا للتعبير المسيحى ، غير أن بعض ما يدرجه المسيحيون ليس جزءا من الأسفار المقدسة بالمفهوم اليهودى مثل : اسدراى ، والمكابيين وطوبيت Tobit ويهوديت Judith ... الخ . فهذه الأسفار معروفة باسم الأبوكريفا (غير القانونية) ، ويرجع اقحامها فى العهد القديم الى أنها وجدت فى الترجمة السبعينية - أول ترجمة يونانية للكتاب المقدس - مما جعل وجودها يؤثر فى المناقشات المسيحية حول مدى قانونيتها (٤) .

(٥) الفكرة نفسها التى أشار إليها النظام ، وهو أن ما سيحدث قد تم خلقه فعلا وأن المسألة لا تبدو كونها (ظهورات) ، (المترجم)

(٦) فكرة موجزة عن الأبوكريفا - كما وردت فى دائرة المعارف الكتابية (تأليف مسونيل حبيب ، فايز فارس وآخرين) :

يطلق اسم « أبو كريفا » على مجموعة من الكتابات الدينية التى اشتملت عليها الترجمتان السبعينية والفلجيات (مع اختلافات لا تذكر) زيادة على ما فى الأسفار القانونية عند اليهود وعند البروتستانت . ولكن ليس هذا هو المعنى الأصل أو الصحيح للكلمة - كما سنرى فيما بعد - وإن كان هذا هو مفهومها الجارى الآن .

ويطلق النقاد في العصر الحاضر على مجموعة هذه الكتابات اسم « أبو كريفيا العهد القديم » ، لأن بعض هذه الكتب على الأقل كتب باللغة السبرية - لغة العهد القديم - كما أنها جيبها أكثر انتهاء إلى العهد القديم منها للعهد الجديد ، ولكن توجد أيضا أسفار أبو كريفيا للعهد الجديد من أناجيل ورسائل الخ .

كما أن كلمة « أبو كريفيا » كثيرا ما تطلق الآن على ما يسمى « بالكتابات المزيفة » وسببت هكذا لأنها تنسب إلى كتاب لا يمكن أن يكونوا قد كتبوها حقيقة (مثل اخنوخ ، ابراهيم ، موسى ... الخ) ، فهذه الشخصيات المنسوبة إليها هذه الكتب من أشهر الشخصيات في تاريخ إسرائيل ، ولا شك في أن الهدف من نسبتها إليهم هو لاضفاء أهمية وإصالة عليها .

الاسم أبو كريفيا : عندما أطلقت كلمة « أبو كريفيا » على الكتابات الدينية ، كانت تحصل معنى أنها مقصورة على دائرة معينة ضيقة ، لا يمكن أن هم خارج هذه الدائرة أن يفهموها ، فالكلمة بمعنى « خفي - غامض - مبهم - عويص » .

كان هناك نوعان من المعرفة عند اليونانيين القدماء : النوع الأول يشمل عقائد وطقوسا عامة لكل الناس أما النوع الثاني فكان يشمل عقائد وطقوسا غامضة عويصة لا يفهمها إلا فئة متميزة خاصة ، ولذلك بقيت « مخفية » عن العامة . ثم أطلقت كلمة « أبو كريفيا » في الصور المسيحية على بعض الكتابات غير القانونية في العهد القديم ، وكذلك في العهد الجديد ، وبخاصة الكتابات التي تشتمل على « رؤى » تتعلق بالمستقبل ، والانتصار النهائي للملكوت الله ... الخ ، إذ أنها أمور تسو عن فكر البشر وحكمة « المطلقين » .

وللمسيحية ليس فيها شيء من هذا القبيل ، فلا يوجد فيها شيء للعامة وشيء آخر للخاصة المتميزة ، فالإنجيل - منذ أيامه الأولى - يركز به للفقراء والجهلاء والأغنياء والحكماء ، كما أن الكتب المقدسة كانت تقرأ في الكنائس على مسامع الجميع . وكان جبروم (توفي حوال ٤٢٠ م) وكيرلس الأورشليمي (توفي حوال ٣٨٦ م) هما أول من أطلق لفظ « أبو كريفيا » على ما جاء في الترجمة السبعينية زيادة عما في الأسفار العبرية القانونية .

ويمكن أن نفهم كيف بدأت مثل هذه الكتابات في الكنيسة الشرقية ، متى علمنا أن كثيرين من أتباع الفلسفة اليونانية ، قبلوا الإيمان المسيحي ، وكان من الطبيعي أن

ينظروا اليه من خلال الفلسفة القديمة . وقد رأى الكثيرون منهم بعض المعانى الصوفية فى الاسفار القانونية ، ففسحوا هذه المعانى كتباً خاصة موجهة للفئة متميزة . وعلى نفس هذا المنوال ، نشأ بين اليهود - بجانب التاموس المكتوب - تاموس شفهي يتضمن تعاليم معلمى اليهود ، التى وضعوها فى مرتبة اهل من سائر الكتب . وقد يجد الانسان شبيهاً لذلك فى نظرة بعض اتباع الطوائف المختلفة الى مؤلفاتهم الخاصة واعتبارها ملزمة لهم اكثر من الكتاب المقدس نفسه .

وقد ساعد على حركة تأليف مثل هذه الكتب ، المذاهب الغنوسية وتعاليمها السرية للخاصة . وقد تأثر هؤلاء الغنوسيون بالصوفية البابلية والفارسية وكتاباتهما . ويذكر اكليمنديس الاسكندري (توفى ٢٢٠ م) أسماء بعض الكتب السرية للديانة الزرادشتية ، ولعله اول من أطلق لفظ « أبو كريفا » على هذه الكتابات الزرادشتية ، وبخاصة اليونانية نزعت الى اعطاء الفلسفة المكانة التى يعطيها المهد الجديد والمسيحية الغربية للمهد القديم ، ففى ظنهم ان الفلسفة مهدت لديانة المسيح اكثر مما مهد المهد القديم .

ثم أصبحت كلمة « أبو كريفا » تعنى كتباً اقل قيمة ، وأضعف سلطاناً من اسفار المهدين القديم والجديد . وقد حدث هذا لسببين : (١) أنه لا يمكن ان يكون قد اوحى لكاتب ممن عاشوا بعد عهد الرسل . (٢) لا يمكن ان يعتبر أى كتاب قانونياً الا اذا كانت قد قبلته كل الكنائس . وبذلك اعتبرت الكتابات التى ظهرت فى نهاية القرن الثانى وأطلق عليها « أبو كريفا » - للحط من قدرها - أنها نبعت أساساً من المذاهب الهرطوقية مثل الغنوسيين ولم تحظ قط بالقبول لدى مجموع الكنائس . فيقول إيريجانوس (توفى ٢٥٣ م) ، انه يجب أن نفرق بين الكتب المسماة « أبو كريفا » ، فالبعض منها يجب رفضه كلية ، لأنه يحوى تعاليم تناقض تعليم الكتاب ، وهكذا نجد أنه من نهاية القرن الثانى ، أصبحت كلمة « أبو كريفا » تطلق على ما هو زائف وتافه ، وبخاصة الكتابات التى تنسب لأناس لم يكتبوها .

ويعارض إيريناوس (توفى ٢٠٢ م) اكليمنديس الاسكندري فيرفض ان يكون للكتابات السرية أى اعتبار ، وكان يعتبر (وكذلك جيروم فيما بعد) أن كلمتي « قانونية » ، « أبو كريفا » على طرفى نقيض . كما أن ترتليان (توفى ٢٣٠ م) كانت له نفس النظرة ، لكلمة أبو كريفا كانت تعنى عنده الاسفار غير القانونية .

ولمى القرون الاولى كانوا يصنعون هذه الكتب الى ثلاثة اقسام (١) كتب يمكن قراءتها في الكنيسة . (٢) كتب يمكن قراءتها على الافراد ولكن ليس في الاجتماعات . (٣) كتب يجب الا تقرأ اطلاقا . وقد اطلق الكنايسفوس (تولى ٣٧٣ م) كلمة ابو كريفا على هذا القسم الثالث وجعلها مرادفة لكلمة « مزيفة » .
والخلاصة هي :

١ - في الكتابات الكلاسيكية ، والهيينية ، كانت كلمة ابو كريفا تدل على معنى « زور » او « غامض » او « غير الفهم » .
٢ - في بداية عصر الآباء ، كانت كلمة ابو كريفا مرادفة لكلمة كتابات للخاصة اى « لغة معينة متيزة » .

٣ - في الصور التالية لذلك ، كانت تستخدم في اليونانية (مثل ايزيناوس وغيره) وفي اللاتينية (جيروم ومن بعده) بمعنى « غير قانوني » اى انها دون الاسفار القانونية .

٤ - تطلق كلمة ابو كريفا - عند الكنائس البروتستنتية - على الكتب الموجودة في الترجمات السبينية والفولجاتا ، ولكنها لا توجد في الكتاب المقدس العبرى .
٥ - لا يوجد مرادف لكلمة « ابو كريفا » في العبرية بمعنى الكتابة للخاصة او الكتاب غير القانونية .

واسفار الابو كريفا للعهد القديم ، تشمل :

(١) اسفار تاريخية وهي : (١) اسدراى الاول والثاني . (٢) المكابيين الاول والثاني . (٣) اضافات لسفر دانيال (هي : نشيد الفتية الثلاثة - قصة سموسنة - قصة بعل والتنين) . (٤) تكملة سفر استير . (٥) رسالة ارميا (وتلحق عادة بسفر باروخ) (٦) (صلاة منسى) .

(ب) اساطير : (١) سفر باروخ (وتارة يلحق بالاسفار النبوية ، وتارة اخرى بالروى) ، (٢) طوبيا . (٣) يهوديت .

(ج) اسفار رؤيوية : (١) اسدراى الثاني او رؤيا اسدراى .
(٢) اسفار تعليمية : (١) حكمة سليمان . (٢) يشوع بن سيراخ .
وسياى الكلام عن كل سفر منها في موضعه . =

ومصطلح « العهد القديم » مصطلح مسيحي على نحو خاص ، مادام يجمعه بفهوم الكتاب المقدس العبرى فى مقابل العهد الجديد للمسيحية New Testament of Christianity . والمضامين المنطوية فى استخدام هذين المصطلحين (العهد القديم والعهد الجديد) هى أن العهد (أو الميثاق) بين الله واسرائيل القديم (اليهودية) كما هو فى العهد القديم ، قد بطل أو نسخ بعهد أو ميثاق بين الله واسرائيل الجديد (المسيحية) كما هو فى العهد الجديد . لذا ، فقلما يستخدم اليهود مصطلح (العهد القديم) وإنما يفضلون أوصافا أقرب للحياة ، مثل الكتاب المقدس العبرى Hebrew Bible أو التاناخ Tanakh ، وهذا المصطلح الأخير يضم الحروف الأولى للكتب المقدسة الثلاثة فى اليهودية ، وهى : التوراة (البنتاتوش أو الأسفار الخمسة الأولى فيما يعرف بالعهد القديم) ، والنيفيم (الأنبياء أو أعمال الرسل) (*) والكتوفيم Ketu Vim (أو الهاجيوجرافا Hagiographa - مير القديسين) ، ومن المصطلحات الشائعة الأخرى بين اليهود الكتابات المقدسة أو - ببساطة - التوراة التى تستخدم بمعناها الواسع لتعنى كل الكتب المقدسة اليهودية .

وفكرة شرعية الكتاب المقدس ، أو بتعبير أوضح مدى قانونيته ، لم توجد على هذا النحو فى اليهودية الكلاسيكية ، ففى زمن المشناه

= اللغة الأصلية للأبوكريفا : كتب الجزء الأعظم من الأبوكريفا فى اللغة اليونانية أصلا ، ولكن أسفار طوييا ويهوديت ويشوع بن سيراخ والمكابيين الأول يظن أنها كتبت أصلا بالبرية أو بالحرى بالأرامية ، وترجمت لليونانية .

تاريخ كتابتها : وسيأتى الكلام عن تاريخ كل سفر فى موضعه ، ولكن بوجه عام فإن فترة كتابة هذه الأسفار يمكن تحديدها ، فأقدمها سفر يشوع بن سيراخ ترجع كتابته بالبرية إلى ١٩٠ - ١٧٠ ق م ، أما ترجمته لليونانية فالى ١٣٠ - ١٢٠ ق م . ولا تتأخر كتابة أى سفر من سائر الأسفار الأبوكريفا للعهد القديم عن ١٠٠ م ، أى أنه يمكن أن يقال بحق أن أسفار الأبوكريفا كتبت فيما بين ٢٠٠ ق م - ١٠٠ م . ولذلك فلها أهميتها فى معرفة أخبار اليهود وأحوالهم الدينية والثقافية فى تلك الفترة .

(*) أى ما بعد الأسفار الخمسة فيما يسميه المسيحيون العهد القديم ، وليس المقصود

ملاحق الأنجيل : بولس . الخ . (المترجم) .

mishnaic times - اعنى فى نهاية القرن الثانى بالتقويم المسيحى - كان يبدو ان هناك انواعا مختلفة من الحدود أو الفواصل عند التعامل مع مجموعة الكتب المقدسة اليهودية . فثمة مجموعة من الكتابات عرفت بالكتابات المقدسة ، جرى الاعتراف بها باعتبارها وحيا بدرجات مختلفة ، على النقيض من كتابات اخرى عرفت بالكتب المنخيلة **Extraneous** وهذا النوع الأخير اما انه يضم أعمالا خالصة من الحكمة البشرية ، وبالتالي فليس لها الا قيمة علمانية (غير دينية) ويعمل الرابيون على الفصل بينها وبين الكتابات المقدسة (الموحى بها) (٤) ، واما انه يضم كتابات تنطوى على الكفر (الهرطقة) ومع ذلك تعطى انطبعا أنها وحى الهى (٥) .

فالأعمال التى تعبر عن الحكمة البشرية - من بينها كتاب حكمة ابن سيرا **Ben. Sira** أو الجامعة **Ecclesiasticus** - كان الحكماء غالبا ما يستخدمونها ويقتبسون منها ، مما يجعل الأمور تبدو غير واضحة فيجرى الخلط بين ما هو وحى وما هو حكمة بشرية . أما الأعمال المنطوية على هرطقة ، فقد تم رفضها كلية . ومن بين هذه الأعمال التى يعدها اليهود هرطقة ويرفضونها تماما بعض الأناجيل المسيحية الأولى . وقد ظل الفصل بين ما هو مقدس وما هو دخيل موضوع خلاف فى حقبة المشناه ، كما كانت هناك قضية خلافية أخرى يمثلها السؤال التالى : أيسمح بتداول حر لكل الكتابات المقدسة ، أم لابد من سحب بعضها من التداول ؟ وقد ظهر أول خلاف فى مناقشات المشناه عن نجاسة الأيدي (نجاسة معنوية) ، مما يستدعى عدم لمسها للكتابات الدينية (*) .

• كل الكتابات المقدسة تجعل الأيدي غير طاهرة - طقسيا - ، فنشيد الانشاد ، والجامعة **Ecclesiastes** يلوثان الأيدي ، ويقول الرابى يهوذا **R. Judah** : نشيد الانشاد ينجس الأيدي لكن هناك خلاف فيما يتعلق بالجامعة أينجس الأيدي أم لا . ويقول الرابى جوز

(★) وجدت الفكرة نفسها فى الفكر الاسلامى الرسمى والشعبى .

R. Jose : كتاب الجامعة لا ينجس الايدي ، لكن هناك خلاف حول نشيد الانشاد . . . ويقول الرابي سيمون بن عزاي R. Simeon ben Azzai : ان لدى تراثا . . . ان كلا من نشيد الانشاد والجامعة ينجس الايدي . وقال الرابي اكيفا R. Akiva : ان الله يمنع ان يجادل احد من بنى اسرائيل مطلقا فيما يتعلق بنشيد الانشاد زاعما انه ينجس الايدي . ذلك ان العالم كله لا يساوى ذلك اليوم الذى منح الله فيه بنى اسرائيل نشيد الانشاد فهو اقدس ما فى الكتاب المقدس اليهودي ، لكن ان كان هناك خلاف حول ما ينجس اليد ، فليكن هذا حول كتاب الجامعة Ecclesiastes ، (٦) .

فالمناقشات التى سجلتها الحشناء تدور حول ما اذا كان سفر الجامعة وسفر نشيد الانشاد . وحيا الهيا وبالتالى فهما من الكتابات المقدسة ، ام انهما مجرد تعبير عن حكمة بشرية صاغها مؤلفون من البشر . فكلا العاملين (الجامعة ونشيد الانشاد) مشكوك فى امرهما . فسفر الجامعة يبدو وكأنه يدعو الى ما يعرف بالفلسفة الكلبيية Cynicism المعبرة عن ان السلوك البشرى تحكمه المصانح الذاتية وحدها ، ونشيد الانشاد يبدو كالحب ثنائى بين عاشقين (*) . وفى ايام الرابي اكيفا R. Akiva - فى القرن الثانى للميلاد - قبلت بعض الجماعات اليهودية نشيد الانشاد باعتباره حوارا رمزيا معبرا عن الحب بين الله واسرائيل ، ومن هنا كان موقف اكيفا المغمم حماسا وعاطفة دفاعا عن نشيد الانشاد . وسفر الجامعة ايضا تم تفسيره اخيرا بطريقة تجعله مقبولا كسفر مقدس (٧) واثارت مشكلة مشابهة فيما يتعلق بسفر استير Esther الذى كتب بطريقة علمانية (غير دينية) و دنيوية ظاهرة ، لكنه قبل اخيرا باعتباره وحيا الهيا (٨) .

(*) الرمز للحب الالهى بحب بين عاشقين موجود لدى الصوفية المسلمين ايضا .

(المترجم)

والقضية الثانية هي السماح بتداول بعض النصوص المقدسة (النصوص الموحى بها) تداولاً حراً ، كالنبوءات الواردة في سفر حزقيال Ezekiel ، رغم أن هذا السفر يفترض أنه من بين الكتابات المقدسة ، مان بعض تعاليمه تبدو متناقضة بشكل جلي مع التعاليم اليهودية ، ورغب حكماء بني اسرائيل في منعه من التداول وايداعه في الجنيزة Genizeh اى خزانة الكتب التى تحفظ فيها النصوص الدينية المقدسة الممنوعة من التداول . ولم يعتبر سفر حزقيال سفراً شرعياً (معتمداً قانونياً) الا بفضل شائنياء بن شزكيا Chananiah ben Chizkiah ، وهو زعيم فصيل شبيت Shammaite faction اليهودى فى القرن الاول (الميلادى) . اذ قام بتاويل السفر تاويلاً جعله يتلاءم مع الرؤى المقبولة بين اليهود (٩) ، وعلى النحو نفسه فقد حددت الطبيعة المتناقضة لبعض نصوص سفر الأمثال - لفترة من الزمن - بعزل هذا السفر ، ومنعه من التداول بوضعه فى الجنيزة (١٠) .

وعلى هذا ، فاللائحة اليهودية التى تشير الى النصوص اليهودية المقدسة ، قد تحكم فيها عاملان . أولهما ، ما اذا كان هذا النص قد جرت كتابته تحت تأثير الوحي الالهى ، أم لا ، وثانيهما ما اذا كان هذا النص الموحى به مسموحاً بتداوله تداولاً حراً بين الناس ، أم يجب سحبه من التداول مخافة أن يساء فهمه . لقد كانت الظروف السائدة هى التى تقرر مدى الحاجة الى قائمة محددة بالكتابات المقدسة ، وتفضيل ذلك على الاعتماد على مجموعات غير محددة من النصوص المقدسة ونصف المقدسة التى كتبها بشر Secular ، وعندما تكون هناك نصوص مقبولة باعتبارها وحيها الهيا يتداولها اليهود ، وتضم - أى هذه النصوص - أفكاراً معارضة للدين (هرطقة) ، ففى هذه الحال ، لابد من وضع حد فاصل بين ما هو وحي ، وما هو خارجى أو دخيل extraneous . وعندما تخضع النصوص المقبولة باعتبارها وحيها لتفسيرات تتعارض مع التراث ، عندئذ لابد أن نضع فى الاعتبار أن الخطوة التالية هى ابعاد هذه النصوص (الأعمال)

من التداول (عن الاشارة اليها practical reference (١)) (*)
وفى نهاية القرن الثانى للميلاد ، كانت هذه الاعتبارات مأخوذا بها ،
واخيرا استطاعت اليهودية تحديد نصوصها المقدسة بشكل نهائى ، وهى
تلك النصوص التى لازالت معتمدة حتى اليوم .

دواصة الكتاب المقدس اليهودى وشروحه

برغم أن الكتاب المقدس العبرى Hebrew Bible هو المكون الأساسى
للتراث اليهودى ، كما أنه الأكثر أهمية على الإطلاق - فإن اليهود قلما
يقرؤونه بشكله المباشر ، وإنما - بدلا من ذلك - نجدهم يدرسونه بمساعدة
الشروح الكلاسيكية ، وعلى هذا ، لم يعد الكتاب المقدس العبرى
Hebrew Bible مقدسا الا من خلال الشروح اليهودية التقليدية التى
قام عليها المفسرون الراييون اليهود ، فاسفار موسى الخمسة (الاسفار
الخمسة الأولى من العهد القديم) - وهى أكثر أقسام الكتب المقدسة
اليهودية شهرة - تتم قراءتها كلها فى دورة سنوية فى المعابد اليهودية
التقليدية ، سبتا بعد سبت . أما الجماعات اليهودية التقدمية ، فاما أنها
تتبع الدورة نفسها وان كانوا يفضلون اختيار جزء يقرؤونه اسبوعيا بدلا
من قراءة النصوص كاملة ، اذ يعتبرونها أطول مما ينبغى أن تكون عليه
القراءة الجماعية ، أو أنهم يتبعون نظاما تتم بمقتضاه تلاوة التوراة الأصلية
(اسفار موسى الخمسة) كل ثلاث سنوات . وما دامت قراءة هذه الاسفار
- تقليديا - باللغة العبرية كانت تستلزم طريقة خاصة فى التنغيم أو
التلاوة ، فقد جرت العادة أن يتابع المرتلون المحتشدون هذه التلاوة ، من
خلال نصوص عبرية بالاضافة الى ترجمة ، وغالبا ما تكون هناك أيضا
شروح موجزة باللغة الدارجة .

وبصرف النظر عن أسفار موسى الخمسة (الاسفار الأولى من العهد
القديم) ، فإن بعض أقسام معينة من أسفار الانبياء ، يعرف اليهود أنها
تشكل آخر ما يتلى كل أسبوع . وعلى أية حال ، فهذه تمثل فقط نسبة

(*) المعنى غير مفهوم للمترجم (المترجم) .

بسيطة من الكتابات المقدسة عند اليهود . وثمة كتب مقدسة أخرى تتم قراءتها في مناسبات خاصة ، مثل اللفائف الخمس (أو الأسفار الخمسة) : نصيد الانشاد ، وراعوث Ruth ، والمرائي و (الجامعة واستير) ، ويونان . وكثير من المختارات من الأسفار الأخرى من الكتاب المقدس اليهودي قد تم إدراجها في الطقوس المقدسة ، فتلاحمت مع كلمات الدعاء ، وقد أصبحت المزامير أوضع مثال على هذا النوع .

وثمة أجزاء كثيرة من الكتاب المقدس اليهودي لا يعرفها عدد كبير من اليهود على وجه الحقيقة ، حتى أولئك الذين يواظبون على حضور الصلوات في المعابد . لكن كثيرين سيتعلمون شيئاً عن تاريخ الكتاب المقدس اليهودي ، وقد يدرسون نصوصاً مختارة منه عند إعدادهم لتلقى وصايا الله (بار متسفا أو بات متسفا) ، وتجرى الطقوس المتعلقة بهذا الصدد بالنسبة للصبيان والبنات عند بداية سن البلوغ ، ويحضر آخرون حلقات دراسية للكبار يدور موضوعها حول بعض النصوص المقدسة ، وإن كانت في العادة من أسفار موسى الخمسة أكثر من كونها من سفرى الملوك وأشعيا . واليهود الذين استمروا في تلقي تعليمهم الديني حتى الكبر ، يعتبرون - على أية حال - استثناء من ذلك .

وحتى اليهود الأكثر تمسكاً بالمفاهيم التقليدية ممن يعتبرون الأمر أو الوصية بدراسة التوراة كفرز ديني تشمل الشباب وكبار السن على سواء - لن يكرسوا إلا جزءاً يسيراً من أوقاتهم للنظر في الكتب المقدسة الأخرى غير أسفار موسى الخمسة (الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم) . والمنهج الدراسي في اليشيفا Yeshivah (*) ، التي

(*) اليشيفا Yeshivah : مؤسسة تعليمية للدراسات التلمودية . ورغم أن أعضاء هيئة التدريس يلقون محاضرات في مثل هذه المؤسسات ، فإن شكل الدراسة السائد يتخذ شكل مناقشات وتحليلات يقوم بها الطابة ما ، وموضوعها - أي المناقشات والتحليلات - هو النص التلمودي .

تعد هي المؤسسة التعليمية الرئيسية بالنسبة لليهود التقليديين يعكس هذا الوضع بشكل فعلى ، فالنسبة الغالبة فى دراسات اليشيفاه تتخلق حول التلمود البابلى وتفسيراته . لكن قد يخصص وقت معين للطالب لقراءة اسفار موسى الخمسة كل اسبوع ، وليست هناك محاضرات عامة تتناول الكتب المقدسة اليهودية ، وليست هناك حصص محددة فى الجدول الدراسى لتناول هذه الكتب . ومع أنه أمر حقيقى أن التلمود يشير الى كثير من آيات الكتاب المقدس اليهودى ، فانه أكثر اهتماما بالاسفار الخمسة الاولى من العهد القديم (اسفار موسى الخمسة) ، منه بالاسفار الأخرى سواء الاسفار التاريخية أو اسفار الانبياء . وثمة فكاكة (نكتة) يهودية مشهورة متعلقة بطالب اليشيفاه Yeshivah انه لا يعرف عن آيات الكتاب المقدس اليهودى الا من خلال ذكر التلمود لها ، بمعنى أن معرفته بالتلمود تفوق معرفته لاسفار موسى الخمسة .

هذه الملامح المتعلقة بحياة اليهود التقليدية ، تظهر لنا أن التفسير التقليدية تحتل مكانا مركزيا أو محوريا عند اقتراب اليهودى من الكتاب المقدس اليهودى . فللحكيم (التلمودى) أهمية . تفوق أهمية النبي (١١)؛ لأنه هو الذى يفسر رسالة الوحي وهو الذى يسمجها فى حياة البشر . وبدون التأثير الراسخ للفهم التقليدى للكتاب المقدس ، تصبح تعاليمه - أى تعاليم الكتاب المقدس - عرضة لتفسيرات قد تؤدى الى تحطيم وحدة الثقافة اليهودية ، فهى - أى الثقافة اليهودية - ذات طابع واحد رغم الاختلافات الداخلية بينها . وثمة أقسام بعينها فى الكتاب المقدس اليهودى أكثر أهمية من غيرها ، وذلك من المنظور التقليدى ، وهذه الأقسام يعرفها اليهود أكثر من غيرها ، لكن هذا لا يعنى - بطبيعة الحال - تبرير الابتعاد عن دراسة التوراة ، فالتربويون اليهود يعترضون على اهمال النص الدينى الأساسى ، وتقدم الميشناه برنامجا تعليميا متوازنا كالتالى :

« فى الخامسة لابد أن يتعلم الطفل التوراة ، وفى العاشرة الميشناه ، ... وفى الخامسة عشرة التلمود ، »

وقد حاولت الجماعات اليهودية غير التقليدية في القرن الماضي أو نحو ذلك تصحيح الوضع ، فعلى سبيل المثال فإن المؤسسات التعليمية الصهيونية في إسرائيل تدرس التوراة والتاريخ التوراتي وأشعار الكتب المقدسة كجزء أساسي من مناهجها ، واليهودية الإصلاحية Reform Judaism نقلت أيضا اهتمامها في مضمار التعليم الديني من الدراسات التلمودية الى دراسة الكتاب المقدس نفسه . ومع هذا ، فإن ذلك لم يؤثر تأثيرا جوهريا في الوضع سواء بين اليهود التقليديين ، أم بين غالب يهود الشتات الذين يترددون على المعابد اليهودية : وما دام الكتاب المقدس اليهودي في عيون اليهود التقليديين هو الأكثر أهمية لليهودية ، فإن الكلمة الموجزة ضرورية لهذه النظرة التقليدية . ومن المحتمل أن تكون عملية شرح النص المقدس قديمة قدم النص نفسه . فهذه العملية (أى شرح الكتاب المقدس اليهودي) مفهومه ضمنا من كون الكاتب عزرا Ezra the Scribe كان يقرأ توراة موسى أمام الجموع في القدس . لقد كان معه اللاويون Levites وعدد من البارزين كانوا يشرحون للناس ما يقرؤه ، حتى يتركوا أهميته (١٣) . وبمرور الوقت عندما أصبحت الآرامية لغة أكثر انتشارا بين اليهود من العبرية ، ظهرت شروح بالآرامية عمل القائمون عليها على ادماج تفسيرات رابية في شروحهم للكتاب المقدس اليهودي ، وعرفت هذه الاصدارات الآرامية باسم التارجوميم Targumim (المفرد : تارجوم targum) وأصبحت قراءة التوراة أمام الجموع مصحوبة بالتارجوم أى الترجمة ، وذلك أيام المشناه (زمن المشناه (١٤) Mishnaic times) ، وأخيرا كتبت تارجوميم (تراجم) معتمدة رغم أن أصولها وتواريخها غير معروفة ، على سبيل اليقين ، وظلت ظروف كتابتها غامضة .

وأشهر التارجوميم (التراجم) وأكثرها انتشارا هي ترجمة أسفار موسى الخمسة المعروفة باسم (تارجوم أنكيلوس Targum Onkelos) . وينسبها التراث اليهودي المروى الى شخص تحول الى اليهودية وأنجز ترجمته هذه تحت اشراف اثنين من الرابينين المهيمنين في القرن الثاني (١٥) .

وهذا ما عظمه الباحثين في نسبة هذه الترجمة إليه . بسبب التضارب بين تارجوم أنكيلوس والترجمة اليونانية للكتاب المقدس اليهودي التي أنجزها أكويلاس Aquilas .

وأيا ما كانت أصولها الحقيقية ، فإن تارجوم أنكيلوس Onkelos أصبحت مقبولة كوحى ، فقد كتب الحكيم اليهودي البابلي سار شالم جازون Gaon الذى عاش فى القرن التاسع : « وتوجد ترجمات للكتاب المقدس اليهودي للآرامية لا تحظى بالقداسة نفسها التي تحظى بها هذه الترجمة (التارجوم targum) . وقد سمعت من الحكماء الأقدمين أن الله سبحانه وتعالى : تبارك اسمه يفعل شيئا عظيما للـ Convert Onkelos الذى مرت هذه الترجمة الآرامية (التارجوم) من خلاله ، (١٦) .

فالأنكيلوس Onkelos تقدم ترجمة ملتزمة جدا بالنص ، ملتصقة تماما بالأصل العبرى ، ولا تدخل كثيرا من تفسيرات الهجادة . والملمح الأساسى للأنكيلوس Onkelos هو تجنب التعبيرات التي توحى بتشبيه الله بالشر ، فمثل هذه الاتجاهات التشبيهية (أى اضافة صفات بشرية على الله) قد جرى التعبير عنها بصياغات آرامية محايدة .

وفى معظم طبعات أسفار موسى الخمسة ، نجد أن الترجمة الآرامية Targum Onkelos تضم النص العبرى جنباً الى جنب مع النص الآرامى ، برغم أن أهميته قد تراجعت بالنسبة لليهودى المعاصر ، اذ حل محله شرح الرأبى سليمان يتزشاكي R. Solomon Yitzchaki (١٠٤٠ - ١١٠٥ م) المعروف بالراشى Rashi . وبينما يوصى التلمود بأن اليهودى لابد أن يقرأ جانبا من التوراة مرتين فى الأسبوع ، والترجمة الآرامية (التارجوم) مرة ، نجد أن (١٧) الرأبى يعقوب أشر R. Jacob b. Asher دارس الهالاخاه الذى عاش فى القرن الرابع عشر للميلاد ، يذكر فى قانون الايمان الذى صاغه his Code :

• إذا درس شخص ما جانباً من الكتاب المقدس بشرح راسي ، فهذا امر طيب كدراسة الترجمة الآرامية (ترجم) ، فالهدف الوحيد من الترجوم هو ان يكون النص مفهوماً ، (١٨) .

ولا يتفق مسئولون دينيون آخرون مع هذا الحكم ، لانهم شعروا ان الـ Onkelos في رتبة من نوعها ، بل انه ليقال ان الرؤية الآرامية للـ Onkelos قد أوحاها الله في سيناء . ومع ذلك ، فما دام اليهود لم يعودوا قادرين على فهم الآرامية ، فقد انتشرت عادة استخدام ترجمة بديلة و نصوص تفسيرية .

ومن بين الترجمات الأخرى (ترجميم) لأقسام مختلفة من الكتاب المقدس ، نجد أهمها : ترجم يروشالمي Targum Yerushalmi اي ترجمة القدس أو الترجمة الفلسطينية لأسفار موسى الخمسة (البنتاتوش) . وبرغم أن هذه الترجمة لم تحظ أبداً بوضع نصف قانوني أو نصف شرعي ، كما حظى الأنكيلوس Onkelos ، فانها ذات أهمية بالغة لفهم الشروح الراحبة الباكورة لأسفار موسى الخمسة . فترجمة القدس هذه مكتوبة بالآرامية الجليلية Galilian Aramaic ؛ وبالتالي فهي غير الآرامية البابلية التي كتب بها الـ Onkelos - تحوى قدراً كبيراً من المواد المدراسية ؛ وبالتالي فهي ذات طابع تفسيري أكثر من كونها مجرد ترجمة . وفي سنة ١٩٥٦ ، تم اكتشاف مخطوط كامل لترجمة القدس هذه في الفاتيكان ، ويرجع سبب اختفائه هذه المدة ان المهرس قد فهرسه خطأ باعتباره نسخة من الـ Onkelos . وهذا المخطوط المعروف باسم نوفيتي Neofiti ، قد أضاف كثيراً لفهمنا في مجال : تطور اللاهوت اليهودي ، وتفسير أسفار موسى الخمسة . وهناك اعتراف عام بأنه لا يفوق اكتشافها أهمية سوى اكتشاف مكتبة قمران Qumran ، وقد كتب باحث بارز في التفاسير اليهودية التقليدية :
• ليس من قبيل المبالغة ان نقول ، ان اكتشاف مخطوطة ترجمة (ترجم) القدس باعتبارها نصاً كاملاً لأسفار موسى الخمسة ، يعد أهم

اكتشاف - من حيث الكم والكيف - اذا قارناه بكل المخطوطات العبرية المتصلة بالموضوعات التوراتية ، التي جرى كشف النقاب عنها في العالم في الحقب الأخيرة ، (١٩) .

شرح التوراة في العصور الوسطى والعصور الحديثة

ظهرت بدايات التفاسير للتوراة في العصور الوسطى - بشكل جوهري ، وكان الدافع الى هذا هو الحاجة لشرح النص ، بالإضافة لنفي وجهات نظر شاعت في هذه الفترة (العصور الوسطى) عن فقرات بعضها لم تكن تحظى بموافقة التعاليم الراهبة الاورثوذكسية . فعلى سبيل المثال ، كانت تاويلات جاؤون Saadiah Gaon (القرنين التاسع والعاشر) تركز على الجدل العنيف ضد القرائين الانشقاقيين (المنشقين من طائفة القرائين) الذين اتخذوا موقفا دفاعيا عن التفاسير التقليدية . ويعتبر راشي Rashi ، الذي عاش في شمال فرنسا في القرن الحادي عشر ، هو أكثر مفكري العصور الوسطى أهمية . وقد احتفظ تفسير راشي Rashi بروح التفاسير الراهبة ، في الوقت الذي يحاول فيه الاقتراب الشديد من المعنى المباشر في التوراة (أسفار موسى الخمسة) ، على عكس المفسرين الذين تلقاهم في الكتابات المدراسية ، والذين لا يلتزمون التزاما شديدا بالنص وانما يبتعدون كثيرا عن معناه الحرفي .

ونجد منشورا في شرح راشي : توضيحات نحوية و!نتقادات للمفسرين الآخرين ، وترجمة المصطلحات الصعبة الى الفرنسية القديمة ، والمجادلات العنيفة ضد المسيحية ، والتعليقات المدراسية المختارة . وقد أصبحت النصوص المدراسية التي اقتبسها راشي تراثا شائعا لدى اليهودي العادي الذي عرفها عن طريق معرفته براشي ، أكثر مما عرفها عن طريق التعامل مباشرة مع الكتابات المدراسية . فالدراسة التقليدية للكتاب المقدس اليهودي كانت مرتبطة دوما بتعليقات راشي التي كان ينظر اليها بقدرسية ، وهناك مئات التعليقات على تعنيقات راشي ، وقد أثر راشي Rashi في دأرسي العهد القديم من المسيحيين في العصور الوسطى .

وينة شرحان آخران في المصور الوسطى حازا وضعا مهما
 (كلاسيكيا) في التراث اليهودي ، وبالتالى كانا موضوعا لكثير من الشروح
 (شروح على الشروح) ، برغم انهما لا يلحقان بتفسير راشي كتفسير مقنن .

ونعني بهذين التفسيرين : تفسير ابراهيم بن عزرا
 Abraham Ibn Ezra (١٠٨٩ - ١١٦٤) ، وهو باحث اسباني مشاهير
 (من جماعة المشائين الذين يفضلون التعلم وهم يشعرون) ، وتفسير
 موسى بن نحمان (١١٩٤ - ١٢٧٠) ، وهو صوفي وتلمودي اسباني
 مشهور باسم Ramban وكان ابن عزرا رجلا متعدد المواهب ،
 فهو شاعر ونحوي وفلكي ومنجم ورياضي وفيلسوف ، وتعكس
 شروحه للكتاب المقدس اليهودي اهتماماته المختلفة . ولم تكن كتاباته
 مألوفة للعامة ككتابات راشي ، فقد كانت قراءتها تتطلب قارئاً
 متقناً متدرباً على التعامل معها ، فلم تكن كتاباته اذ متاحة لجمهور
 اليهود ، وكان ابن عزرا - بالاضافة الى ذلك - صاحب ملكة نقدية
 حادة كما كان ذا تفكير مستقل ؛ مما ادى به الى رفض كثير
 من التفسيرات التقليدية حتى التى قال بها حكماء التلمود . لذا ، فقد
 انتقد الباحثون اللاحقون نقداً مريراً ، وكان اليهود المتدينون حذرين عند
 قراءة تعليقاته وشروحه ، ذلك برغم الحقيقة التى مؤداها ان الحكايات
 اليهودية صورته صديقاً يأتى بالعجائب ، استطاع فى لحظة من لحظات
 تصوفه ان يخلق (جولم Golem) او انساناً مصنوعاً artificial man .

اما موسى بن نحمان (او ربمان) ، فشروحه اقرب الى شروح
 الأورثوذكسية الرأية من شروح ابن عزرا ، وفى مناسبة أخذ ابن نحمان
 على ابن عزرا بعض آرائه الالحادية . وقد ذكر ابن نحمان فى مقدمة
 تفسيره انه عند تعرضه لابن عزرا أخذ ببدا « السرية فى الحب »
 والوضوح فى النقد ، كما انه تصدى لاتجاهات التفسير المجازى الذى
 يأخذ به الفلاسفة اليهود ، ذلك الاتجاه الذى ينكر الملائكة والمعجزات
 كما اشار الكتاب المقدس اليهودى اليها . واثار موسى بن نحمان - عنه

نعرضه لنقاط بعينها فى شروحه - للتفسير الصوفى او الباطنى للنص ،
ما يفتقد ان يعطى المعنى الصحيح للكتاب المقدس اليهودى ، لكنه لم
يجلوس افكارا قبلانية (باطنية سرية) باى قدر من التفصيل . وعلى اية
حال ، فقد تعرض بتفصيل لبعض الموضوعات اللاهوتية - على العكس من
راى الذى كانت تعليقاته موجزة دائما .

وخلال العصور الوسطى وحتى العصور الحديثة ، انتج الباحثون
اليهود عددا كبيرا من الشروح المختلفة للكتاب المقدس اليهودى ، تعكس
الاهتمامات اللاهوتية والفلسفية والوعظية والتفسيرية او التاويلية لكل
حبة من الحقب . وبعض هذه الشروح كان اصيلا ، وبعضها الآخر اتخذ
اصحابه من التفسير او الشرح غطاء يغلف به افكاره ، وانحرفوا بشكل
واضح بعيدا عن النص الذى يفسرونه . ولما كان اليهودى العادى واليهودى
غير الاكاديمى اكثر ميلا لتشرب معلوماتهما فى الفكر اليهودى من دراسة
اسفار موسى الخمسة بالاضافة لشروح او تعليقات - فقد كانت هذه هى
اكد الوسائل لنقل الافكار الجديدة لجماهير اليهود . ليس صدفة ،
اذن ، انه عندما بدأ اليهود يخرجون من عزلتهم الفيزيقية والثقافية فى
القرن الثامن عشر وبدايات التاسع عشر - كان لابد ان تجد الايديولوجية
التنويرية اليهودية تعبيرا عن نفسها فى شكل جديد من اشكال تفسير
الكتاب المقدس اليهودى . فكان العمل الاول لنقل هذه الايديولوجية
(التنويرية) هو شرح الكتاب المقدس العبرى كله ، ذلك العمل الذى
عرف باسم Buir والذى قام عليه موسى مندلسون (مندلسهين)
Mendelssohn (١٧٢٩ - ١٧٨٦) وزملاؤه . ويسمى هذا العمل
ال ايراد المعنى الدقيق لنص الكتاب المقدس اليهودى من خلال روح
التران الراى ، لكن بعد تحاشى الجدل المدرائى او الراى . وقد
صاحب تأليف هذا العمل Buir ترجمة الاسفار الخمسة الى الالمانية
بحروف عبرية ، وقد كان مندلسون يأمل ان تعلم هذه الطريقة اليهود
لغة الأغيار الذين يعيشون - أى اليهود - بينهم ، بعيدا عن اللهجة البيدية

Yeddlab (*) . وكان هناك أفكار أخرى لمدلسون ، منها أن يعيد تقديم أشتار الكتاب المقدس اليهودي ، وأصاليه الجميلة والقيم الأخلاقية المبتنة فيه - لجماهير اليهود الذين كان مندلسون يشعر أنهم لم يكونوا مستعدين روحيا بالنسبة للعالم الأوروبي خارج الجيتو (المنعزل اليهودي) . وحتى التقليديون الذين عارضوا ما اعتبروه أسفاقا أو مبالغة في حركة التنوير اليهودية - استخدموا تفسير الكتاب المقدس اليهودي كوسيط مبدئي لحركة الإصلاح المضاد Counter-reformation . وقد كتب الرابي سامسون رافائيل هيرش Hirsch (١٨٠٨ - ١٨٨٨) ، أبو السلفية الألمانية الجديدة ، (السلفية الأورثوذكسية الجديدة) شرحا مسهبا بالألمانية لأسفار موسى الخمسة ، دافع فيه عن التفسير التقليدي للماضي اليهودي في مواجهة الأفكار الحديثة ، لكنه في الوقت نفسه أعاد تفسير التراث بأسلوب وأفكار أكثر مواعة مع روح القرن التاسع عشر .

(*) ألمانية نكثر فيها الكلمات العبرية والسلافية ، وتكتب بالحروف العبرية وتستخدمها يهود شرق أوروبا بكثرة - (المترجم) .

الفصل الرابع

اصول الفكر اليهودى وتطوره

الحركات المبكرة فى اليهودية وظهور القرن (المذاهب) الاولى

كل اشكال اليهودية الحديثة من أورثوذكسية ومحافظة ، ومطالبة
بإعادة البناء Reconstitutionist واصلاحية ما هى الا تطور
ناشئ عن الدين اليهودى كما آمن به الفريسيون Pharisaic كما وصلنا
عن طريق التلمود . فقد ساد الفريسيون وتفسيرهم لدين بنى اسرائيل
الحياة الدينية ، فى الفترة التى تلت تحطيم الهيكل فى العام ٧٠ من
الحقبة المسيحية . فالحركات الدينية والفرق التى وجدت جنبا الى جنب
مع الفريسيين فى القرن الخامس (للميلاد) ، مثل الصدوقيين (*) وهم
الطائفة الكهنوتية الارستقراطية ، وجماعات الرهبنة والزهد فى
Essenes ، واليهود المسحيين الذين كانوا اول من آمن بالمسيح -
كل هذه الفرق انهارت بعد تحطم الهيكل ، وكانوا غير قادرين على
التكيف مع التحديات التى واجهت اليهودية والتى أصبحت محرومة من
مركز للعبادة .

ولم يقبل الصدوقيون طرائق الفريسيين فى تفسير الكتاب
المقدس اليهودى ، الذى مكن الفريسيين من تطوير معتقدتهم وطقوسهم

(*) ورد فى لجنة ترجمة الكتاب المقدس التى اشرنا اليها فى حاشية سابقة عن
الصدوقيين ما ننقله فى السطور التالية .

بطريقة مرنة . وقد اخذ الصدوقيون بالاتجاه الحرفى المحافظ فى تعاملهم مع نص الكتاب المقدس اليهودى ، وعلى هذا فقد فهموا الامر القائل : « العين بالعين والسن بالسن » بمعناه الحرفى الدقيق ، بينما لمره غالب الفريسيين بما يفيد دفع التعويض المالى . لقد ادت هذه الحرفية غير المرنة ، بالاضافة لاهية الهيكل كمكان لتقديم الاضحيات ، الى ضعف موقف الصدوقيين الذين كانوا - فى الاساس - كهنة - ولم يستعملوا مكانهم بعد نكسة سنة ٧٠ (للميلاد) .

د الصدوقيون ، كانوا هم الطائفة الكهنوتية الأرستقراطية التى كانت متحالفة دائما مع السلطة الحاكمة حتى حين كانت هذه السلطة معادية لليهود . وقد اشتق اسمهم من اسم صلدوق سليل نوحى الذى مارس الكهنوت حين انتهى نسل اولاد هارون . وقد اكسب الصدوقيون بالطاعة الاعتيادية للشرعية المكتوبة فقط ، فى حين كان الفريسيون يعتقدون ان تعاليد الاباء وتعليقاتهم على الشريعة هى فوق الشريعة . وقد كان للصدوقيين نفوذ قوى لانهم كانوا يشرفون على الهيكل . وقد اثروا ثراء فاحشا عن طريق العشور والهبات والتبرعات التى كانوا يجنونها من الشعب . والواقع أنهم - على الرغم من وظائفهم الكهنوتية - لم يكونوا يهتمون بالدين ، وانما كان كل هدفهم أن تظل الارضاع مستقرة ليحفظوا بسلطانهم وثروتهم . ومن ثم كانوا يتفاوضون عن وجود المستنصر ، بل كانوا يشجعون ذلك ويسعون الى بقاءه . ولذلك لم يكن الشعب يحبهم . وقد نال الصدوقيون قوما هائلين بشيئين لا يؤمنون بالآخرة ولا بالارواح ولا بالملائكة ، ويعيشون فى الدنيا عينى التمتع والرفاهية ، ساعين الى جمع المال بكل حيلة ووسيلة من الشعب ، فكانوا يثرون على حساب . وقد ولت مشاحنات كثيرة بينهم وبين الفريسيين فى هذا الشأن . ومن ذلك ما حدث بشأن توريد الضحايا اللازمة للذبيحة اليومية فى الهيكل ، اذ كان الفريسيون يرون أنه يجب شراء هذه الضحايا من مال الهيكل ، على حين كان الصدوقيون يعدون مال الهيكل من خهم ، ومن ثم كانوا يرون أنه يجب شراء الضحايا باكتتابات مستقلة . كذلك كان الفريسيون يوجبون حرق الذبيحة على المذبح ، أما الصدوقيون فكانوا يأخذون هذه الذبيحة لانفسهم . وقد ورد فى التلمود أن الصدوقيين اذ كانوا يبيعون الحمام فى حوائط يملكونها تسمى « الشاوجوت » عمدوا الى مضاعفة المناسبات التى ينهى فيها تقديم الحمام ذبيحة ، حتى وصل سعر الحمام الواحدة الى بضعة دنانير . ومن ثم افنى أحد شيوخ الفريسيين ، وهو سحان بن غملائيل ، باتقاص المناسبات التى يقدم فيها الحمام ذبيحة ، وبذلك وصل سعر الحمام الى ربع دينار ، فكانت تلك ضربة عنيفة لاصحاب حوائط الحمام ، التى كان يملكها الكهنة ، ولا سيما اولاد رئيس الكهنة حنان ، (المترجم) .

لقد كان الاسينيون Essens فرقة انفصلت على نفسها ، ولم تشترك فى التيارات العنيفة التى سادت الحياة اليهودية فى فلسطين قبل ظهور المسيحية ولا بعد ظهورها مباشرة . وهذا قد يفسر تفسيراً جيداً لم لم يرد ذكرها فى العهد الجديد ولا فى الكتابات الراهية . اننا نعلم عن وجود هذه الفرقة وبعضاً من عقائدها وطرائق معيشة افرادها من كتابات يوسيفوس ، المؤرخ اليهودى فى القرن الاول (للميلاد) ، ومن كتابات مؤلفين آخرين غير يهود ، مثل : بلىنى الاكبر Pliny وفيلو Philo السكندرى ، ومن الكتابات التى تم اكتشافها للمرة الاولى سنة ١٩٤٧ فى وادى قمران بالقرب من البحر الميت - وهى المصدر الاكبر اهمية . وهناك تعارض فى الروايات المختلفة المتعلقة بهذه الفرقة (الطائفة) الواردة فى المصادر المختلفة ، وعلى هذا ، فمن المنطقى ان نفرض انه كان هناك أكثر من اتجاه أو مذهب داخل هذه الجماعة (الاسينيين Essence) خلال القرنين السابقين على تحطيم الهيكل . وقد عاش بعض الاسينيين فى مجتمعات ديرية صارمة كذلك التى كانت فى قمران ، بينما كون آخرون جماعات فرعية فى المدن والقرى . بينما كان التبتل شائعاً بين افراد هذه الفرقة ، فان منهم من تزوج ، وقد جرى الكشف عن قبور قديمة لأربع نساء وطفل .

ويشترك الاسينيون - الذين ربما كان اصمهم يعنى « المبرئين healers » (٢) - فى كثير من الأمور مع اليهودية الفريسية على ارضية الهالاخاه (الشريعة) (٣) ، لكنهم أكثر صرامة فى تفسيرهم الأوامر الهالاخية (أوامر الشريعة) فيما يتعلق بالطهارة الطقسية والنجاسة . وهم يختلفون مع الفريسيين فى عدد من الأمور العقائدية ، فعلى سبيل المثال ، نجد أن من كان منهم فى قمران اعتبروا أنفسهم « أبناء النور Sons of Lights » وأنه من الواجب عليهم أن يجاهدوا ضد الغالبية الذين هم « أبناء الظلام Sons of darkness » ، فى معركة يقودها المسيح المنتظر (*) ، وهى معركة يعتقدون أنها وشيكة .

(*) Messianic Struggle ، وهو غير المسيح عليه السلام . (المترجم) .

وبلت المجموعات اليهودية - المسيحية المختلفة فى فلسطين فى فترة القرنين الأول والثانى تشارك الفريسيين فى نظرتهم العامة . وقد اختلفوا عن الفريسيين فى زعمهم أن عيسى هو المسيح المنتظر ، وهو زعم تجادل بشأنه الفريسيون جدالا عنيفا : ف عقيدة التجسد - اعنى اعتبار عيسى ابن الله المتجسد - لم تلق تأييدا من المسيحيين اليهود **Jewish-Christians** فى فلسطين (المترجم : يريد القول ، ان المسيحيين الأوائل - وكانوا بطبيعة الحال من اليهود - لم يؤمنوا ان المسيح هو ابن الله) ، وبالتالي فلم تكن هذه الفكرة تشكل حاجزا عقائديا بين اليهود والمسيحيين ، على النحو الذى أصبحت فيه تشكل حاجزا فيما بعد . فقد كانت طقوس المسيحيين اليهود (أى اليهود الذين تحولوا للمسيحية) تشبه بشكل أساسى الطقوس التى يتبناها الفريسيون ، وكانت هناك صلات شخصية حميمة بين المسيحيين اليهود من ناحية والفريسيين من ناحية أخرى ، فى بداية فترة كنيسة اليهود المسيحية **Jewish-Christian Church** . وفهمهم من الكتابات الراهية ، كيف أن اليعازر بن هيركانوس **Eliezer ben Hyrcanus** الراهب المسلم فى القرنين الأول والثانى (للميلاد) تعلم الهالاخاه للمسيحية - اليهودية **Jewish-Christian Halakhah** من تلميذ المسيح وسر به (٤) . وعلى أية حال ، فأخيرا عانى الراهبون من صلاتهم بهذه الفرقة فاعلنوا حرطقتها وأحرقوا كتاباتها . وكانت الدعوات توجه ضدهم فى التراتيل الدينية (٥) . ومع انتشار المسيحية بين الأغيار (غير اليهود) ، وكانت مسيحية مختلفة عن المسيحية اليهودية (التى اعتنقها اليهود) ، سواء من حيث الاتجاهات ومن حيث الطقوس الهالاخية ، ومن حيث الطقوس الهالاخية ، ومن حيث التعليل اللاهوتى لشخص المسيح ومهمته ، وكذلك مع تحول الانتباه عن القدس كمركز للكنيسة الوليدة بعد تحطم الهيكل - اختفى المسيحيون اليهود بالتدريج .

ومما ينسجم مع كراهية الراهبين للجدال مع الفرق المختلفة ، أنهم تجنبوا - أى : الراهبون - المواجهة اللاهوتية المباشرة مع المسيحيين ،

بعد ان اعلنوا - اى : الراييون - اعتبار المسيحيين اليهود جماعة خارجة عن اليهودية (٦) . الا انهم ، على اية حال ، شجبوا بشدة عقيدة المسيحيين الاغيار (المسيحيين من غير بنى اسرائيل) ، الذين قالوا ان المسيح هو ابن الله (٧) ، والذين قالوا ان المسيحية هي اسرائيل الجديد (٨) .

الفريسيون

كان الفريسيون بالنسبة ليهودية القرن الاول (للميلاد) من اكبر الفرق اليهودية فى فلسطين . وبرغم ان المؤرخ يوسفوس يقدر عددهم خلال فترة حكم هيرود الكبير بحوالى ٦٠٠٠ (٩) ، فانه ربما لم يحص الا من كانوا مندرجين كأعضاء فى الشافوراه Chavurah (أعضاء الجماعة الفريسية الداخلية) ، ولكى ينضم العضو (الشافر Chaver) الى هذه الجماعة الداخلية ، فان عايه ان يلتزم باتباع قواعد خاصة للطهارة الطقسية وأن يكون مدققا جدا (الى درجة الوسوسة) فيما يتعلق باجراءات العشر Tithing procedures .

وبدا الفريسيون (يسمون بيروشم Perushim بالعبرية) كمجموعة محددة مميزة - أحيانا - فى بداية الحقبة المكابية Hasmonean period بعد حوالى سنة ١٦٠ قبل الحقبة المسيحية (قبل الميلاد) . وقد يعنى اسم الفريسيين « الفاصلين Seperators » وربما أطلق عليهم فى فترة يوحنا هيركانوس John Hyrcanus (القرن الثانى قبل الحقبة المسيحية - قبل الميلاد) عندما استولى الصدوقيون على المجلس الدينى الأعلى (السلطة الكهنوتية العليا) - السنهدرين Sanhedrin ، فأولئك الذين انشقوا على السنهدرين (المجلس الكهنوتى الأعلى) الذى سيطر عليه الصدوقيون ، ورفضوا المشاركة فى مشاوراته ، كان يطلق عليهم اسم الفريسيين . وان كانت

هناك احتمالات لتفسير الاسم . على سبيل المثال : أولئك الذين فصلوا
انفسهم عن الأشياء غير الطاهرة طقسيا ، أو - باستخدام جنر لغوى آخر
للكلمة - أولئك الذين هم مفسرون التوراة .

وقد ورد الفريسيون والصديقون معا فى العهد الجديد
(الاناجيل) كمعادين للمسيح ، وتظهرهم الاتهامات المسيحية العنيفة
فى صورة سيئة جدا . والكتابات التلمودية نفسها تعترف بأنهم
الفريسيين (١٠) التى كان من بينها التفاخر أو التباهى ، والتواضع
الزائف والمبالغة فى العفة . « والمرأة » الفريسية ، كما تظهر فى العهد
الجديد ، قد تكون بالفعل نمطا فريسيا حقيقيا ، لكنها لا تنطبق
الا بالكاد على نموذج التقوى الفريسية بشكل عام .

وكان الفريسيون يعتبرون انفسهم الورثة الحقيقيين لليهودية ،
كما تجلت فى الكتاب المقدس اليهودى . وحفظت التراث اليهودى
القديم الذى تناقلته الأجيال شفاقة ، وفى الوقت نفسه فهم الذين
يطورون اليهودية من خلال طرائقهم (مناهجهم) الفريسية فى تفسير
الكتاب المقدس اليهودى . فالفريسية وحدها - من بين كل الفرق فى
القرن الاول (للميلاد) - هى التى كانت قادرة على إعادة بناء الحياة
اليهودية بعد هدم الهيكل . فمعظم الأفكار الأساسية لليهودية وكذلك
مصطلحاتها الدينية ، خلال آخر الألف عام ونصف الألف الأخير - هى
بالفعل بأشكالها المختلفة من تعاليم الفريسيين ، كما حفظها وطورها
النص التلمودى فى القرون الخمسة من الحقبة العامة . وهذه التعاليم
ظهرت محددة - لأول مرة - فى مجامع الحكماء فى Yavneh بعد سنة
٧٠ من الحقبة العامة (للميلاد) ، وفى أوشا Usha فى القرن الثانى
(للميلاد) .

وبينما من المستحيل أن نوجز الديانة الفريسية ، وفى الوقت
نفسه لابد من الإشارة المستمرة للأفكار التلمودية لفهم أى تطور فى

اليهودية فى العصر الوسيط أو الحديث - فسيكون من المفيد جدا ، ان نستعرض بإيجاز الملامح الرئيسية للعقائد الفريسية .

تركز اليهودية الفريسية - كما عبر التلمود - على أن الله واحد ، وعلى علاقته ببنى اسرائيل الذين اختارهم ليعطيهم التوراة المكتوبة ، والتوراة الشفهية (الموروث الدينى اليهودى) . والتفاصيل المتعلقة بهذا المبدأ (أو هذا التعليم) مؤثرة فى المعتقد والتوجهات والطقوس والأخلاق والحياة الاجتماعية ، بل - فى الحقيقة - فى كل جانب من جوانب حياة اليهود . وهذه التفاصيل المتعلقة بهذا المبدأ الآنف ذكره هى الموضوع الرئيسى المنعكس فى كتابات المفكرين التلموديين ، وهو دليل عمل الباحثين والعوام على سواء . والاعتقاد فى الخلاص - وهو أمل كما هو عقيدة - الذى يبدأ بقدوم المسيح المخلص (المترجم : ليس المتصور هنا المسيح عيسى ابن مريم) ، مصحوبا ببعث الموتى - كلاهما (القدوم والبعث) يحفان بالصورة ، ويجعلانها .

واللامح الآنف ذكرها لليهودية التلمودية لم يتم شرحها بطريقة نظامية (منهجية) ، فربما أثرت فيها ثقافة اليونان الكلاسية التى تشربها الفكر الرابى . وبدلا من ظهورها - أى هذه الملامح - فى شكل من التعابير مسهبة وقطعية ومتناسكة من خلال وعى ذاتى ، فهى لم تظهر الا فى العصور الوسطى عندما تلاقحت الفلسفة اليونانية والهجادة aggadah الرابية ، فنشأت محاولات لجعل اللاهوت اليهودى ذا بناء نظامى متماسك . فالفكر الرابى فى مرحلة تكوينه الأولى كان ينتمى لنوع الفكر الظاهر فى المدراس ، وهو فكر لم ينشأ خارج نطاق اليهودية ، وانما كان شائعا فى العقيدة الفريسية ، وفى فرقة (أو مذهب sect) البحر الميت ، وفى كتابات العهد الجديد .

القوالب الفكرية المدراسية

كلمة مدراس تعنى - حرفيا - البحث فى الكتب المقدسة اليهودية . فالنص - أى نص - لا بد أن يشرح اذا كان يتم اتخاذه

كأساس لصياغة أو تكوين حياة دينية . فالكتب المقدسة اليهودية تنير قضية التوفيق بين النصوص المختلفة ، وشرح كل نص فى ضوء النصوص الأخرى . وقد أنتجت هذه العملية فى اليهودية - المدرسة المدراسية (أو المشروع المدراسى Midrashic enterprise) .

وتعود الأعمال المدراسية الأولى الى القرن الثانى (للميلاد) ونحلت فى الأساس حول الجوانب الهالاخية لأسفار موسى الخمسة ، وهى تشرح كيفية استخلاص التراث الرابى من النصوص المقدسة ، أو كيف أنه قائم على هذه النصوص أو معتمد عليها ، وكيف أن القواعد التفسيرية (الأسس التى تقوم عليها التفاسير) قد تم استخدامها لتطوير التراث ليتلاءم مع الأوضاع الجديدة . فنحن لا نجد - إلا بين الحين والحين - فى الأعمال المدراسية التى تعود لزمن أقدم ، - تعليقات لاهوتية كان من المفترض أنها تستخدم كمادة للعظات الموجهة لجمهور كبير من المستمعين اليهود . أما المجموعات المدراسية التى تعود لزمن لاحق ، فطافحة بالتماليم الأخلاقية واللاهوتية ، بعضها مرتبط ارتباطا وثيقا بتفسير النصوص ، لكن كثيرا منها بعيد بعيدا عن موضوع النص . لقد فر حكام مختلفون ومفسرون ينتمون لمدارس فكرية مختلفة - النصوص وطوروا تداعياتها أو ما ينتج عنها (هالاخيا وهجاديا) بطرائق مختلفة .

وبعض التفسيرات المدراسية أخذ بها محررو التلمود البابلى ، وبسبب الدور المحورى الذى لعبه هذا العمل فى يهودية العصور الوسطى ، فإنهم افترضوا وضعا نصف عقائدى من أجل المعتقد اليهودى اللاحق (الذى أتى بعد ذلك) . ومع هذا ، فحتى لو كان التلمود عادة يورد وجهات نظر مختلفة فى الموضوع ، وإذا كان بعض النتائج العملية على كف عفريت (فى يد القدر) فإنها لا تأتى لصالح أى منها . وقد عنى هذا أن المحتوى العقائدى للهجادة بقى فى حالة مائعة جدا ، بحيث يسمح باعتناق أفكار مختلفة واتخاذ مواطن متباينة - ومع كل هذا

الاختلاف والتباين فكلها اورثوذكسية (سلفية او اصولية) . وقد كتب الباحث الاسبانى Samuel Ha-Nagid فى القرن العاشر (للميلاد) فى مقدمته للتلמוד :

« الهجادة هى كل شرح او تفسير ورد فى التلمود متعلق بى موضوع غير الوصايا العشر ... فالت لا ينبغى أن تتعلم منها سوى ما يبدو معقولا ... فما شرحه الحكماء فى آيات الكتاب المقدس كان كما نراى لكل منهم ، وكما هداه اليه تفكيره . وعلى هذا ، فيمكن للانسان ان يدرس من تفاسيرهم ما يراه معقولا ، اما ما تبقى (المقصود ما يراه الانسان غير معقول) فيمكنه الا يعول عليه . »

وقد راي الباحثون الاكثر ميلا نحو المحافظة فى آراء صمويل Samuel التى تميل - على نحو ما - الى عدم الاكترات بالهجادة . اتجاها مغربا يوشك ان يفتح الأبواب لكل الاتجاهات العقائدية ، بل وللآراء التى تتسم بالهرطقة . وقد أسسوا آراءهم على طبيعة الهجادة كوحى مقدس . « لابد أن نؤمن بكل ما قاله الحكماء فى الهجادة » (١٢) . هكذا كتب د. شيم مدينى R. Chaim Medini الباحث الفلسطينى فى القرن التاسع عشر . وبطبيعة الحال ، فانه من المستحيل أن نقبل كل الهجادة كوحدة عقائدية ، لأنها تحوى وجهات نظر مختلفة بل ومتعارضة . وقد حاول أصحاب الاتجاه المحافظ أن يقللوا من التناقض الكائن بين نصوصها ، بمحاولة التوفيق بينها حيثما كان ذلك ممكنا . وثمة وجهة نظر أكثر ليبرالية غير بعيدة عن الفكرة التى عبر عنها صمويل ها - ناجد Ha-Nagid ، وهى فكرة أقل اضطرابا من بين الآراء الأخرى عن الهجادة . انها ترى الهجادة نصوصا تعكس نظرة العصر الذى عاش فيه الحكماء الذين كتبوها ، ولا ترى بأسا فى إعادة تفسير اللاهوت الهجادى (١٣) .

هذا الاختلاف فى الآراء حول الهجادة ظهر فى العصور الوسطى واستمر حتى يومنا هذا بين اليهود السلفيين (الأورثوذكس) . ويصر

اليهود المعاصرون الذين يميلون للتقوى على عصمة الفكر الراى ، بل ان بعضهم يصر على الصحة الكاملة لكثير من التعاليم المراسية . ويتخذ آخرون مواقف أكثر تحررا فيفسرون الهجادة باعتبارها ذات تماير لها دلالات رمزية ، تشير الى معارف أو حقائق صادقة تحوى طبيعة سيكولوجية وأخلاقية ولاهوتية . ويرى آخرون - مرة أخرى - فى الفكر الراى باعتباره فكرا اخترقته الآراء العلمية ، والمتعلقة بالكونيات أو الكوزمولوجيا ، التى سادت فى القرون الخمسة الأولى ، وليست مرتبطة باللاهوت اليهودى المعاصر - على الأقل بقدر ما تشير إليه التفاصيل فى المجالات التى تتمحور حولها . وهنا نجد أن اليهودية السلفية (الأورثوذكسية) قريبة فى فكرها من اليهودية التقدمية ، التى تنظر لمقائده الماضى - بشكل عام - باعتبارها مقدسة قداسة مفرطة .

الواجهة مع الفلسفة

لم تكن التعاليم التوراتية والراية لتثير مشكلة ، طالما كانت اليهودية قائمة بالحركة من خلال الهيكل العام للهجادة . وكان يهود الاسكندرية الناطقون باليونانية ، هم أول من وجدوا أنفسهم مضطرين - بوعى ذاتى منهم - لتقويم دينهم فى ضوء الأفكار الفلسفية . فكتابات فيلو السكندرى (حوالى ٢٠ - ٥٠ م) - وكان معروفا أيضا باسم فيلو اليهودى Judaeus - تعد دليلا على الاضطرابات والصراعات الكامنة فى هذا التقويم ، كما تعد دليلا على المحاولات التى بذلت لحل المشكلات الناجمة عن ذلك . وكان على فيلو ، الذى يكتب لليهود الناطقين باليونانية كما يكتب فى الوقت نفسه للأغيار أو غير اليهود - أن يتشبت باتجاه المشبهة كما هو وارد فى التوراة (اتجاه التشبيه ، لى وصف الله - تعالى علوا كبيرا - بصفات بشرية) ، مع المعانى الروحية الظاهرة للحكايات التوراتية والطقوس اليهودية ، مع طبيعة المعتقدات اليهودية ومحتواها . وتنجلى فى شروحه للتوراة معرفته الظاهرة بالتراث المدراسى ، ويفترض بشكل عام أنه يعرف العبرية

برغم وجود فروق مهمة بين اليهودية الهيلينية في مصر ، واليهودية
الرابية في فلسطين في القرن الأول للميلاد . ومن مجمل كتابات فياو
Philo ظهر البعد الفلسفى لليهودية ، فكان تركيبا (دياكتيك) من
الفلسفة الرواقية وفلسفة أفلاطون ودين بنى اسرائيل . ومنذ كتب
فيلو باليونانية ، لم يكن لهذا الفكر المركب اليونانى العبرى تأثير
مهم على تطور اليهودية ، برغم أنه كان له تأثير مهم على التفكير فى
الكنيسة المسيحية المبكرة لقد بدأ الخط الرئيسى فى الفكر الفلسفى
اليهودى فى العالم الاسلامى بين يهود تعرفوا على الأعمال الفلسفية
اليونانية ، من خلال ترجماتها الى العربية . وكما أن علم الكلام الاسلامى
(اللاهوت الاسلامى) تشرب التأثيرات اليونانية ، فإن المفكرين اليهود
الذين كانوا حتى ذلك الوقت لا يتحركون خارج نطاق الهجادة -
بدوا فى توسيع آفاقهم اللاهوتية . وكان أول فيلسوف لاهوتى كبير
هو صادياه جاؤون Saadiah Geon (٨٥٢ - ٩٤٢) ، الذى كان
- على عكس فيلو - على دراية عميقة بأشكال التفكير فى اليهودية
التلمودية . وبصرف النظر عن كتاباته اللاهوتية ، فقد كتب صادياه
جاؤون بتوسع فى موضوعات رابية rabbinic topics ، واحتل مكانا
حظيا فى العالم اليهودى كصيه لأكاديمية سورا Sura فى بابل .

وقد انطلق صادياه فى مضامره اللاهوتية تلك من افتراض
مؤداه ، أن الدين اليهودى من ناحية والبحث الفلسفى من ناحية أخرى،
كلاهما يودى الى الغرض نفسه ، أو بتعبير آخر كلاهما طريق يفضى الى
الغرض نفسه . ومع أن المرء يمكنه أن يصل الى الحقيقة عن طريق التفكير
الفلسفى ، فإن التراث الدينى يعد مطلوبا لأصحاب العقول غير
الفلسفية ، أو بتعبير آخر لغير القادرين على التفكير الفلسفى . وأهم
كتبه الفلسفية هو (كتاب العقائد والآراء The Book of Beliefs and
Opinions) الذى يقسم فيه تمهيدات عقلية أو منطقية للتعاليم
اليهودية ، خالفا عنها غطامها الهجادى مقدما اياها فى صياغات متسقة
ومتراطة . ويظهر لنا من النظرة الجدلية لكثير من مناقشات صادياه ،

إن هدفه الأساسي - كلاهوتي - كان هو الدفاع عن اليهودية ضد كل من المسيحية والإسلام ، والدفاع - على نحو خاص - عن تراث اليهودية الرابية ضد الفرق المختلفة التي ظهرت في اليهودية مهددة المعتقدات الرئيسية لها .

وكان أول انشقاق كبير يهدد اليهودية على أيام صادياه ، هو ظهور فرقة اليهود القرائين التي ظهرت سنة ٧٦٧ للميلاد ، فبعد النزاع بين يهود بابل على من يقود يهود الشتات ، انشق عنان بن داود nan ben David وكان أحد المرشحين للقيادة لكنه خسر المنصب الذي كان يصبو إليه ، فانشق عن اليهودية الرابية ، وأسس فرقة عرفت فيما بعد باسم « فرقة اليهود القرائين أو اليهودية القرائية » ، ويعنى اسم الفرقة بالعبرية « رجال التوراة Men of Scripture » . وجذب عنان إليه عددا من الجماعات (الفرق) الصغيرة المنشقة ، شكلوا معه جبهة معارضة للتفسير التلمودي للتوراة . فحركة العنايين ، والقرائين الذين تطوروا عنهم ، يفهمون النص التوراتي بطريقة أكثر حرفية مما يفعل اليهود الرابيون ، وهم أكثر صرامة في ممارسة كثير من الطقوس الدينية .

ولقد واجهت صادياه أكثر من مشكلة . من ذلك أن يظهر أن التعاليم اليهودية عن طبيعة الله والإنسان ، أرقى من عقيدة المسيحيين والمسلمين بهذا الخصوص ، وكان عليه أيضا أن يبرر الطرائق الرابية في تفسير التوراة . ولم يكن صادياه قانعا بمجرد الدفاع عن اليهودية الرابية ضد انتقادات القرائين ، بل لقد هاجم عقائدهم في المواضع التي تختلف مع التراث التلمودي . وعلى هذا ، فقد ناقش عقيدة انتقال الأرواح transmigration of souls التي ربما يكون عنان - أو بعض القرائين - قد أبلعها ، وبين أن هذه العقيدة لا يؤيدها عقل ولا يؤيدها نص من التوراة . وبرغم اعتراض صادياه على هذه العقيدة ، فإنها أصبحت حجر الزاوية للصوفية اليهودية في العصور الوسطى .

وليس في كتابات صادياه كثير مما يمكن اعتباره فلسفة خالصة . وعلى أية حال ، فإن كتاب صادياه الموسوم باسم (Magnus opus) ككتاب في اللاهوت اليهودي يمثل تقدما مهما . لقد انطلق من التفكير العقلي في بحثه عن الحقيقة الدينية بدلا من الاعتماد على نقولات من التوراة والتراث ، ورغم اقتناعه أنه لا تعارض بينهما فإنه في الحقيقة أعاد تفسير التراث الديني اليهودي ليجعله متفقا مع التحليل العقلي . وكان لابد أن تشغل هذه البذور التي بذرها صادياه عن الصراع بين المعرفة الفلسفية والتعاليم الدينية - اللاهوتيين اليهود الكبار في القرون التالية . وأخيرا تفوق على صادياه مفكرون لاهوتيون آخرون وحلوا محله ، ومع ذلك ظل كتابه منتشرا بين اليهود الأنقياء الذين اعتبروا الفلسفة - بشكل عام - لعنة . وقد ارتبطت شهرته بأسطورة براعته في السحر القبلاي ، إذ استطاع به أن يخلق جولم Golem كما يقال ، والجولم هو إنسان مصنوع . وقد نشأت الأسطورة - كما هو مفترض - بأن نسبت إليه شرح عمل صوفي هو « سفر يتزيراه Sefer Yetzirah » . والشرح الأصلي الذي قلعه صادياه لهذا العمل الصوفي ذو طبيعة مختلفة جدا . وفي القرن الثالث عشر عندما وصل الجدل حول السماح لليهود بدراسة فلسفة الأغيار (غير اليهود) واستخدامها في صياغة اللاهوت اليهودي - إلى ذروته ، انتقد عدد من المفكرين اليهود أعمال صادياه الرائدة بقسوة ، بل إن أحد التلموديين المعروفين عادة باتساع الأفق زعم أن اليهود الأنقياء لا يجب أن يأخذوا ببعض ما ورد في « كتاب العقائد والآراء The books of beliefs & Opinions » ، ما دام يتعارض مع اليهود (١٤) .

يهودا هاليفي Judah Halevi

وئمة تطور جديد حدث في بواكير القرن الثاني عشر ، بظهور مؤلف « كوزاري Kuzari » الذي وضعه يهودا هاليفي (قبل ١٠٧٥ - ١١٤١) وهو شاعر معروف يكتب بالعبرية ، وقد دخل كثير من فصائده الدينية في الدعوات والأناشيد الدينية ، ويتذكرها اليهود

لما تبثه في نفوسهم من شوق لعودة اليهود الى صهيون ، وهي معان عبر عنها في بعض تراثيه التي حازت شهرة كبيرة . وتروى لنا اسطورة يهودية كيف ان هاليفى نفسه غادر بلده اصبانيا وبعد ان طاف ببلاذ عدة اتخذ طريقه الى الارض المقدسة (فلسطين) ، ولما وصل القلنس سجد ليقبل الارض التي طالما عبرت اشماره عن الحنين اليها ، الا ان فارسا عربيا وطاه بحوافر حصانه فمات . والحقيقة - على أية حال - هي ان هاليفى لم يتمكن من الوصول للارض الموعودة ، فقد مات في مصر وهو في طريقه الى معشوقه : جبل صهيون . وقد كتب هاليفى عمله اللاهوتى (The kuzari) في الأساس باللغة العربية (كتاب الأدلة والبراهين فى الدفاع عن العقيدة المحتقرة أو المهينة The book of Argument and proof in defence of Despised Faith) وقد جعله على هيئة حوار بين ممثلين لمختلف العقائد فى حضور ملك الخزر Khazars وهم شعب تركى فى منطقة نهر الفولجا وجبال القوقاز . تحولت أسراتهم المهمة الى اليهودية فى القرن الثامن للميلاد . لقد رغب الملك أن يكتشف ما هو الدين الصحيح ، ويضم كتاب هاليفى فى غالبه وجهات نظر الحكيم اليهودى واجاباته على أسئلة الملك .

وعلى النقيض من الأعمال السابقة فى اللاهوت اليهودى ، لم يكن كتاب (الكوزارى kuzari) محاولة لخلق تركيبة (أو توليفة) بين اليهودية والفلسفة ، وانما هو أقرب ما يكون الى كونه كتابا يدافع عن الاتجاهات التقليدية فى اليهودية ويهاجم الفلسفة . وفى الحوار الذى قسمه هاليفى ، يتحقق ملك الخزر أن المسيحية والاسلام كليهما قائمان على اليهودية ، ومن ثم قرر أن يكتشف الدين الأم . ويشرح الحكيم اليهودى الذى يتحدث هاليفى باسمه ، شارحا على لسانه اللاهوت اليهودى الذى يعتنقه - للملك أن البصيرة الدينية ليست فقط مختلفة عن الحقيقة كما تتجلى فى التأمل الفلسفى ، وانما هي - أى البصيرة الدينية - أرقى منها . فلا يمكن معرفة الله الا عن طريق النبوة وهي منحة قصرها الله على بنى اسرائيل ، ولا يمكن الوصول اليها

(معرفة الله) بمسمى بشرى مجرد . فالتجربة الدينية تقود الانسان عبر ملكوت لا تطوله الفلسفة . فالفلسفة وان كانت صحيحة ، الا ان مجالها محدود . وثمة ضمان ان دين بنى اسرائيل دين صحيح بوحي النبوة ؛ ذلك لان الله تجلى فى سيناء وراته جماهير بنى اسرائيل المتجمعة حول الجبل . ولا يمكن ان تدعى المسيحية او الاسلام شيئا كهذا ، وعلى هذا ، فان تعاليم اليهودية وطقوسها الدينية اكثر من مجرد رسالة اتى بها نبي ، انها على هذا الأساس أكثر توثيقا من الأديان الأخرى .

والطبيعة الجدلية لكتاب كوزارى Kuzari واضحة ، لا تسعى فقط لاثبات ان اليهودية دين أرقى من المسيحية والاسلام ، وانما تسعى أيضا الى الرد على اتجاهات القرائين وعلى اللاهوت القائم على أسس فلسفية . وكان هاليفى واعيا بالخطر الذى يحيق بالتراث الدينى اليهودى ، طالما تلخلت الفلسفة وأصبحت فى موقف الحكم على تعاليمها ، لأن معنى هذا أن العقل سيحل محل الوحي ، او بتعبير آخر سيادة العقل على النقل ، كما أن هذا يعنى أن تفقد أوامر التوراة ونواهيها طبيعتها المتناسكة . فهو - على هذا الأساس - قد استخدم البراهين الفلسفية ليبين عدم ترابط الفكر الفلسفى نفسه ، وعدم جدواه ، وليقوض أساسه باعتباره تهديدا لليهودية التقليدية .

فوقفة هاليفى على حدود الفلسفة وتفرد دين بنى اسرائيل (وحدة Uniqueness دين بنى اسرائيل) ، يجعله ممثلا لكثير من جوانب اللاهوت اليهودى كما يؤمن به المحافظون من العصور الوسطى حتى اليوم . لقد ذكر اليباء Elijah ، جاؤون فلنا Vilna - الرائد التلمودى فى القرن الثامن عشر ، والمعارض كلية للفلسفة رغم دفاعه عن الدراسات غير الدينية كوسيلة لفهم التلمود - عن هاليفى :

« الكوزارى كتاب مقدس holy ونقى ، والمبادئ الأساسية لعقيدة بنى اسرائيل والتوراة تقوم عليه » (١٥) .

موسى بن ميمون

برغم محاولة هاليلى نفى قيمة الفلسفة بالنسبة للفكر الدينى اليهودى ، فقد شهد القرن الثانى عشر ذروة فلسفة اليهودية فى العصور الوسطى ، فقد أصبحت الارسطوطاليسية ذات تأثير سائد فى اللاهوت اليهودى ، وخارج نطاق تيارات الهجادة الرابية المتداخلة ، والمدرسة المشائية الارسطوطاليسية ، أنتج موسى بن ميمون كتابه (دليل الحيران Guide for the perplexed) ، وهو أعظم أثر عبقرى لانشاء تركيب (ديكالكتيك) عبرى يونانى . فلم يكن موسى بن ميمون (١١٣٦ - ١٢٠٤ م) المعروف أيضا باسم رامبام Rambam مفكرا يهوديا بارزا فى العصر الوسيط ، وانما كان أيضا تلموديا حققت تقنيناته للهالاه ، مشناه التوراة (أو يادها - شازاكاه Yad Ha-Chazakah) اسهاما عظيما فى مجال الشريعة اليهودية ، وان كان البعض يرى أنها الاسهام الأعظم على الإطلاق . وقد اعتبر موسى بن ميمون البحث الفلسفى جزءا مكمل للديانة اليهودية ، وقد خصص الفصول الأولى من كتابه بل معظم كتابه الأول - لأمور العقيدة والتعاليم الدينية . ورغم أنه يحاول أن يعبر عن نفسه فى كتابه ياد Yad (كما يشار غالبا - على سبيل الاختصار لكتابه الذى قنن فيه الشريعة اليهودية) بطريقة مناسبة للقراء العوام وغير الأكاديميين ، فان الأجزاء اللاهوتية فى ياد Yad تتطلب فى قارئها مستوى ثقافيا معيناً وقدرا من الفكر . وكان لادراجه لاهوتا فلسفيا شرقيا فى تقنيناته للشريعة اليهودية تأثير كبير على الفكر اليهودى بعد ذلك ، ربما أكثر من تأثير كتابه (دليل الحيران) نفسه . لقد استخلصت أجيال التلموديين بشكل موسع كتابات ابن ميمون ، من كانوا لا يفهمون الا بدرجة قليلة الفلسفة اليونانية ، ومن كانوا غير متعاطفين معها . وحتى هؤلاء التلموديون الخالص الذين تحاشوا التعاليم الفلسفية الظاهرة فى ياد Yad لم يستطيعوا تجنب الجوانب الفلسفية التى أدخلها ابن ميمون فى مناقشاته عن أمور طقسية

خالصة ، ولا الفروض التي تشكل أساس الشريعة اليهودية وحضورها
بمزجها بالفكر الأرسطي .

لقد اعتقد موسى بن ميمون أن اليهودية التي لم ينورها الفكر
الفلسفي ، تكاد تحوى أفكارا ضالة (هرطقة) . وهذا واضح من
موقفه من الصفات البشرية التي يعزوها التلمود والتوراه لله ، إلا أنه
- أي ابن ميمون - قد أزال الشكوك التي اعتبرت هذه الصفات إمكانية
تشبيه الله سبحانه بمخلوقاته Anthropomorphisms . لقد نص
ابن ميمون على أنه يعتبر زنديقا ذلك الذي يقول ، انه لا اله الا اله
واحد لكنه يجسده أو يشبّهه بالوجود البشري أو يمكن رسمه أو
تصويره ، (١٦) . وعلى هذا ، فمن الضروري أن يكون لدينا حد أدنى
من الفكر الفلسفي لتجنب الوقوع في الزندقة (الهرطقة) ، ما دامت
هذه العقائد موجودة في تفاسير التراث الديني اليهودي نفسه . وقد
علق واحد من أكثر نقاد ابن ميمون اصرارا ، وهو الصوفي والتلمودي
الرابي أبراهام R. Abraham من بوسكوير Posquieres (حوالى
١١٢٥ - ١١٩٨) على المبدأ الذي ذكره ابن ميمون كالتالى :

« لماذا يسمى مثل هذا الشخص زنديقا ؟ فهناك من هم أعظم منه
وأفضل يتبعون النهج نفسه في التفكير ، وفقا للطريقة التي فهموا بها
التوراة ، بل وأكثر من هذا من خلال فهمهم لكلمات الهجادة التي تترك
العقل » (١٧) . فأبراهام هذا غير متفق مع دعوى ابن ميمون أن الله
غير متجسد ، فهو يدافع عن التقوى التقليدية (أو إيمان الأتقياء
التقليديين) حيث الفكرة عن الله بسيطة دون قيود يفرضها لاهوتى
ذو عقل فلسفى .

لقد كتب ابن ميمون كتابه دليل الحيران ، وهو عمله الفلسفى
الرائع باللغة العربية فى أواخر حياته ، حوالى سنة ١١٩٠-١١٩١ . بينما كان
يعيش فى مصر بعد أن هرب من حركة اضطهاد اليهود التي قادها
مسلمون متعصبون فى اسبانيا . وكما يشير عنوانه ، فإن الكتاب
محاولة لمساعدة اليهود - بمن فيهم تلاميذه - الذين سببت لهم الفلسفة

البرانية حيرة ولم يعرفوا كيف يفلحون بينها وبين اليهودية . وعلى أية حال ، لا يمكن أن نتخيل أن ابن ميمون نفسه رأى ضرورة التفسير الفلسفي لليهودية مجرد التدريب على الدفاع عنها ليكسب المفكرين الجاهل ويحصلهم يهودون إلى حظيرة الإيمان اليهودي . ربما كتب كتابه فلاله الحيران لأشباع هذه الحاجة ، لكنه في ثانيا هذا الكتاب صرح من آرائه الناضجة في اللاهوت اليهودي ، ومن المؤكد أنه كان مقتنعا أنه بدون الفلسفة لا تستطيع التعاليم اليهودية أن تصبح ملكا دائما بذاته للأمن .

فالإيمان باليهودية دون بحث أو تمحيص ، يصد في رأي ابن ميمون أيضا ظاهريا شكلها - لحسب . وفي الصفحات الأخيرة من كتابه (دليل الحيران) ، استخدم ابن ميمون التشبيه لتوضيح هذه الفكرة . هناك أمير يعيش في قلعة وله رعايا من أنواع مختلفة . وكان هناك حتى أولئك الذين لا يعيشون في نطاق سيطرة هذا الأمير . أولئك هم البشر الذين لا دين لهم ويعيشون كما تعيش الأنعام ، والمجموعة الثانية تعيش في المملكة لكنهم يديرون ظهورهم للقلعة . انهم الناس يؤمنون بمقاله دينية زائلة . والمجموعة الثالثة يبحثون عن القلعة لكنهم لم يروا حتى أسوارها . انهم جماهير اليهود الجاهلة الذين يراهم - رقم هذا - الوصايا العشر ، والمجموعة الرابعة وصلوا للقلعة لكنهم راحوا يتجولون حول الأسوار باحثين عن المدخل . انهم اليهود الذين تعلموا المصارف الدينية اليهودية التقليدية وقلبوا العقائد الصحيحة والطبوس الصحيحة لكنهم لم يكتفوا بمقالدهم هذه للبحث الفلسفي . اما المجموعة الخامسة ، فهي وحدها التي دخلت ساحة القلعة . انهم اليهود الذين بحثوا عن الأسس الفلسفية لعقائدهم الدينية (١٨) .

هذه الصورة أو القصة الرمزية صممت التلموديين المحافظين ، لأنها قسّمهم باعتبارهم واثنين بعيدا عن ملكوت الله غير قادرين على الوصول إلى المدخل إليه . إذ بدأ ابن ميمون إمامهم وكأنه يرفع تعاليم أرسطو مقلما أعلى من مقام التراث الروحي لحكماء اليهود . وقد أنكر

بعضهم إن يكون ابن ميمون العظيم قد كتب هذه الفقرة موضح الخلاف ،
 وقال آخرون أنه إن كان هو كاتبها لوجب وضعه تحت المراقبة (١٩) .
 ولما لعرات كثيرة في كتابه دليل الحيران كانت مودوما لذلك
 من اليهود المحافظين المعادين للفلسفة ، لعل سبيل المثال فإن
 ابن ميمون عبر بوضوح عن رغبته في إعادة تفسير التعاليم الربانية ،
 بل وحتى التوراتية ، لجعلها متفقة مع العقل . وفيما يتعلق بعقيدة
 الخلق يذكر ابن ميمون :

« إنما لا نتحاشى نظرية قدم الكون وسرمديته - أي كونه بلا بداية -
 مجرد أن الصورة ذكرت أنه مخلوق . ذلك لأن الآيات التي تشير إلى
 خلق الكون ليست أكثر عددا من الآيات التي تتحدث عن كون الله
 مجسدا أو مقبها . فأبواب التفسير ليست موصدة أمامنا ، وليس
 هناك ما يمنعنا من استخدام هذه الطريقة (المنهج) في حالة خلق
 الكون ، إذ يمكننا صرف معاني هذه الآيات كما صرفنا الآيات التي
 تتحدث عن طبيعة الله ونفينا عنه التشبيه » (٢٠) (٩) .

وانهى ابن ميمون مناقشته للنظرية الفلسفية للخلق بقوله :
 « لما دامت هذه النظرية لا تناقض أساس العقيدة اليهودية ... فمن
 الممكن أن نعيد تفسير التوراة وفقا لهذه النظرية ... لكنها - أي هذه
 النظرية - لم تثبت أو لم يقم عليها البرهان » (٢١) .

يتضح مما سبق أنه في نطاق حدود معينة - أعني الحدود التي
 تقرها أصول المعتقد اليهودي - كان ابن ميمون رافعا في أن يسمح
 لتفسيره للنصوص الدينية اليهودية - أن يتأثر بنتائج البحث الفلسفي .
 وقد اعتبر النقاد اليهود المناهضون للاتجاه الفلسفي ، ذلك أمرا مدحسا
 للعقيدة اليهودية .

(*) ترجمنا النص من الإنجليزية ولم نرجع للنص العربي الذي كتبه ابن ميمون .
 ويذكر الإدركل في الأعلام أن جزءا من هذا الكتاب نشر بعنوان (المقدمات الخمس والعشرون)
 (المترجم)

والملمح الآخر لكتاب (دليل الحيران) الذى ثبت انه غير مقبول حتى بالنسبة لبعض خصوم ابن ميمون الأكثر تعاطفا - هو محاولة اصفاء أسس عقلية ، وتاصيلات تاريخية على المتسفوت Mitzvot ووصايا التوراة العشر . فابن ميمون يرى أن للتسفوت اهدافا ثلاثة رئيسية : (أ) الصل على الاستقرار الاجتماعى ، (ب) دعم التطور الاخلاقى للفرد ، (ج) غرس الافكار الدينية الصحيحة التى تؤدى بالانسان الى معرفة الله . وبالنسبة للهدفين الأولين ، نجد انه تتحلق حولهما كثير من الوصايا الاخلاقية الواضحة ، أما الوصايا ذات الطبيعة الطقسية السامية فهدفها هو معرفة الانسان لله (٢٢) . وعلى هذا ، فقد شرح ابن ميمون الشريعة المقدسة ذات الطهارة الطقسية على اعتبار ان لها وظيفة هى تحديد صلة اليهودى بالهيكل ، ما دام غير الطاهر طقسيا ممنوعا من دخوله او ممنوعا من المشاركة فى طقوس تقديم الاضاحى . وهذا التحديد أو القصر ينشر الخشعية من خدمة الرب واجلالها وتوقيرها ، ويؤدى بالانسان الى نوع من التواضع . وأضاف ابن ميمون الى ذلك ان شرائع النجاسة الطقسية (عدم الطهارة الطقسية) كانت شائعة بين الوثنيين فى العصور القديمة ، وكانت القيود والمحظورات أكثر بكثير .

وعلى هذا ، فالتوراة ، كانت تستخدم ممارسة موجودة بالفعل فى عصور سابقة ، لكنها اعطتها توجيهات اخلاقية ودينية جديدة (٢٣) . فطقوس الاضاحى فى حد ذاتها يراها ابن ميمون باعتبارها شكلا من اشكال العبادة عرفه الاسرائيليون من العبادات الوثنية التى اتصلوا باصحابها . ولكى يفطم بنو اسرائيل عن الوثنية أمروا بأن يقدموا الاضاحى لكن لله وحده ، - فقط - بطريقة تستأصل المفاهيم الوثنية من هذه الطقوس (٢٤) . وبرغم ان هذه الفكرة قد وردت بالفعل فى المدارس الرابية (٢٥) ، فانها تعرضت لانتقاد مرير ، لأنها بدت تحط من شأن نظام تقديم الاضحيات ، وهو نظام ذو قداسة فى اليهودية القديمة ، لتجعله على مستوى الامور الدنيوية بوصفه بأنه وسيلة تعليمية أو

سياسية تربوية . وبسبب طبيعة هذه الفكرة ، وجدنا واحدا من ناقدى ابن ميمون المتأخرين زمنا وهو د . يعقوب امدين R. Jacob Emden - الباحث فى القرن الثامن عشر ذو الميول القبلانية - يذهب الى حد انكار ان ابن ميمون هو المؤلف الحقيقى لكتاب دليل الحيران (٢٦) .

لقد كانت جرأة لاهوت ابن ميمون هى التى جعلته محورا لتفكير أولئك الذين آمنوا بعملية التطور الديالكتيكى بين الفكر اليونانى واليهودية ، وايضا محورا لتفكير أولئك الذين عارضوا هذا المشروع برمته . ولم يكن ابن ميمون يصل منطلقا من فراغ ، فقد كتب فى وسط فكرى كان فيه اليهود قد تشربوا ثقافة الأغيار (غير اليهود) وكانوا غير متيقنين من كيفية ربط نتائج هذه الثقافة بمعتقداتهم التقليدية . وكانت محاولته لوضع ثلاثة عشر مبدءا للعقيدة اليهودية استجابة للتحدى الذى ينطوى عليه كل من الاسلام والمسيحية وافكار اليهود القرائين المنشقين . ومن أجل النقد القاسى الذى وجهه اليه ناقضوه ، فان تفسيره الفلسفى لليهودية قد مكنها من أن تتجاوز الاضطرابات الفكرية فى هذه المرحلة . وعندما وصل الى مصر لأول مرة ، وجد المعارف التقليدية بين يهود مصر فى حالة انحطاط شديد . وكان القراءون يشكلون حركة قوية هناك ، وكان امتداد تأثيرهم فى حاجة الى من يوازنه باظهار قيمة التراث الرابى وصحته . وهذا ما فعله ، وفى اواخر سنى حياته كان هدفا للمداهنة والتزلف بين اليهود وصل بعيدا حتى اليمن . وقد حاول أن يكسب الى جانبه حتى القرائين ويردهم الى اليهودية التلمودية ، بتبنيه اتجاهها متسامحا معهم . فلم يقدمهم باعتبارهم فى حرب على اليهودية . لقد كتب عنهم ذات مرة :

« بالنسبة لهؤلاء القرائين ٠٠٠ من الملائم أن نقسم لهم قسمة شريفة ، وأن نقرب منهم بفعل مستقيم ، وأن نتصرف معهم بتواضع على طريق الحقيقة والسلام » .

التطورات بعد ابن ميمون

بعد فترة ابن ميمون ، شهد العالم اليهودى خلافا بشأن ما سببته دراسة الفلسفة لليهودية من اضرار او شرور وقمت فعلا ، وما هو متوقع ان تلحقه بها من مزيد من الأضرار أو الشرور . وبصرف النظر عن الموضوعات التى ذكرناها آنفا ، فان ابن ميمون كان عرضة للهجوم بسبب آرائه فى المعجزات ، والنبوة ، والملائكة وطبيعة الروح ومصيرها ، وانكاره للتنجيم والخرافات . لقد قاترت آراؤه فى هذه الموضوعات جسيما باتجاهه الفلسفى ، وفى بعض الحالات ، كان فى حالة صراع مع المفاهيم المقبولة للتعاليم اليهودية التقليدية . لقد تعرضت لكل افكار اخترقتها الفلسفة وتنكر القيمة الدينية التى يؤمن بها اليهودى التقى الذى يخاف الله .

واخيرا انتصر مناوئو ابن ميمون ، وفى سنة ١٣٠٤ صدر قرار يمنع دراسة الفلسفة ، بل وكل الحكمة اليونانية فيما عدا الطب - لمن هم اقل من ٢٥ سنة . لقد أصبح أوج اللاهوت اليهودى الوسيط (اليهودية فى العصور الوسطى) ماضيا ، ومع أن القرون التالية ، قد شهدت كتابة أعمال فلسفية كما شهدت مناقشات كثيرة عن المبادئ العقائدية اليهودية قائمة على صياغات ابن ميمون الرائدة ، فانه كانت هناك عودة من الحركات الفكرية الأخرى الى ما تأخذ به اليهودية . فقد انتشرت وجهات النظر القبلانية من الدوائر الضيقة أو السرية المقصورة على فئات قليلة من الصوفية اليهودية ، وبدأت فى التغلغل فى كل مجالات الحياة اليهودية . ويرجع انتعاش القبلانية فى جانب كبير منه الى كونها رد فعل ضد الحركة العقلية التى ان لم يكن ابن ميمون هو جالبها ، فبعض أتباعه أو المعجبون به الذين بالغوا فى هذا الاتجاه العقل كثيرا .

فالقرون بين الفترة الخلاقة العظمى للفلسفة اليهودية فى العصور الوسطى التى راح ضوؤها يخبو شيئا فشيئا فى أواخر القرن

الرابع عشر وبواكير القرن الخامس عشر ، والهبة الفلسفية الجديدة التى بدأت مع التنوير فى القرن الثامن عشر - هذه الفترة لم يظهر فيها الا محاولتان كبيرتان برزتا على سطح البناء الفكرى النظامى . اول هاتين المحاولتين قام عليها Judah Loeb من براغ (حوالى ١٥٢٥ - ١٦٠٩) المعروف باسم ماهارال البراغى the Maharal of Prague .
والثانى هو سبينوزا Baruch (Benedikt) Spinoza (١٦٣٢ - ١٦٧٧) الذى صدر قرار ضده بالحرمان من رابانية أمستردام ، لنشره انكارا تتسم بالزندقة (تتعارض مع العقيدة اليهودية) . لقد كان جوده لويب Judah Loeb مفكرا على درجة عالية من الاصاله ، طور مصطلحاته الفلسفية الخاصة فى اعادة تفسيره للأفكار القبلانية ، وافكار الهجادة . وقلما ذكر لويب القبلانية بالاسم ، وانما كان يشير فى معظم اشاراته للأسرار العميقة الكامنة وراء لاهوته ، وهو فى ذلك على العكس من المتصوفة الآخرين ذوى العقول الفلسفية الذين حاولوا المزاجية بين الاتجاهين . وقد أخطأ بعض الدارسين فى الوصول الى حقيقته بسبب تحفظه فى انكار أنه كان منخرطا جادا فى القبلانية ، بينما كان التخييل المصمم - على العكس - يراه واحدا من المنخرطين الكبار فى أعمال السحر القبلانى وينسب اليه خلق جولم - انسان صناعى .

وقد اعتقد جوده لويب Loeb ، مثله فى ذلك مثل يهوذا هاليفى Halevi من قبله - فى أن لبنى اسرائيل دورا واحدا وقدرنا واحدا ، وحاول أن يعبر عن هذه الفكرة بمصطلحات لاهوتية - فاليهود « نوع » من الجنس البشرى ، بينما الأغيار أو غير اليهود مجرد « أشياء Matters » . فاختيار بنى اسرائيل ، وقدرتهم على السمو فوق حتمية النظام الطبيعى من خلال التوراة - هذا يجعلهم أساس الحقيقة البشرية ، و- حقا - كل حقيقة . أما الأغيار - غير اليهود - فتتقصصهم القدرة على أن يتجاوزوا الكون (أو يسموا فوقه) ، فتلك مقدرة لا تعطى الا لمن يدرسون التوراة وتأثير الميتسفوت mizvot ، فهما تابعان

للنظام الطبيعى . وعلى اية حال ، فالتاريخ اليهودى لا تنطبق عليه قواعد التاريخ البشرى وقوانينه ، وانما هو فريد لا نظير له ، انه فوق الطبيعة ، لانه تاريخ تعدد مساره العلاقة بين اسرائيل والله .

ومن بين فكرة يهوذا المهمة عن الانسان والكون فكرته عن التناسق المنظم للكون ، فالوجود تحدده العلاقة بين كل مخلوق وهدفه فى اطار هذا التناسق ، واى خروج عن هذا النسق يستلزم نقصا فى الوجود او نقصا فى الحقيقة . والتوراة هى النسق العام للوجود المتناسق ، انها برنامج عمل لسلسلة الوجود يربط كل مستويات الخلق معا . ويمكن للانسان ان يحقق ذروة وجوده بطاعة التوراة ، وعلى هذا فالفرق بين اسرائيل ، وغير اليهود هو ان « وجود » اسرائيل مختلف من وجود « الاغيار » . فالوجود او « الحقيقة reality » ، انما يبينها الله فى كل شىء ، ذلك ان اى شىء فى حد ذاته يعد « لا شىء » بجانب وجود الله . والتحقق من طبقة القداسة او درجتها ، وطريقة الوجود يعتمد على الارتباط بالتوراة . وبرغم ان لاهوت جوده لويب صعب الفهم وغالبا ما يكون مطنبا دون مبرر ، ويعتريه كثير من التكرار - فان كثيرين من اللاهوتيين الذين اتوا بعده اخذوا بآرائه وأدرجوها فى كتاباتهم . وقد اعتبر البعض - بالفعل - عمله نسقا لاهوتيا يهوديا محمدا ، برغم انه لم يتقبه احد يطور اتجاهه اللاهوتى العام . واكدت شهرته ، باتياناه العجائب كقبلاى ، ان افكاره الفلسفية محاطة بهالة من الاحترام ، اذا لم تكن حالة من القداسة ، حتى بين اتقياء اليهود المناهضين للفلسفة .

سينوزا

ينتمى سينوزا للتراث الفلسفى الاوروبى اكثر من انتمائه لتاريخ الافكار اليهودية . وعلى اية حال ، فان اهميته لليهودية ترجع الى حقيقة ان تقدم اليهودية التى بظلاله على فكر اللاهوتيين اليهود فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، الذين وجعوا انفسهم مضطرين لتحديد مواقفهم

من انتقاداته القاسية . لقد دخل سبينوزا عالم الفاسفة من خلال اعمال المفكرين اليهود فى المصور الوسطى ، حقيقة انه تلقى تعليما دينيا تقليديا ، وكان الظن به انه مرشح واعد ليكون واحدا من الاربين . وعلى اية حال ، فى سن الرابعة والعشرين ، طرد من رحمة الاربين فى امستردام واصبح شيريم Cherem (اى منبوذا فى مجتمع اليهود) ، بسبب آرائه المتسمة بالزندقة ، وافصاله « الشريرة » . ولم يتم اتخاذ هذه الخطوة الا بعد ان حاول عدد من الاربين ، بمن فيهم معلمه مورتيرا R. Saul Morteira ، التحدث اليه ليقنعوه بخطا آرائه ومطالبته بالتبرؤ من هذه الآراء علنا على الأقل . وقد تم اتباع هذه السياسة مع ثلاثة آخرين من مفكرى اليهود فى امستردام ، لكن حب سبينوزا للحقيقة لم يتج له ان يقدم مصلحته على الحقيقة . لقد كانت آراء سبينوزا تكاد تكون بمكانة معول لهدم الايمان المسيحى والايمان اليهودى على سواء ، بل وهددت ان تقوض مجتمع اليهود الثرى فى امستردام الذى كان موقفه مزعزا شيئا ما . وعلى هذا ، اضطرت السلطات الدينية اليهودية ان تتخذ خطوة اساسية لتخليص المجتمع اليهودى من افكاره وتحييد تأثيره . وبنشر كتاب سبينوزا الموسوم باسم « رسالة فى اللاهوت والسياسة - Tractatus Theologico Politicus » ، فى سنة ١٦٧٠ ، انتقلت آراؤه الانتقادية بثبات من المستوى الخاص لتشغل الراى العام . والموقف الذى حصل عليه سبينوزا - اخيرا - فى الحياة الفكرية الاوروبية ، ربما كان اكثر ما ادى به اليه كتابه « الاخلاق Ethics » ، والحقيقة ، انه كتب باعتباره يهوديا عارفا ومتعلما ، وان لم يكن اورثوذكسيا (سلفيا) ، وهذه الحقيقة كانت تعنى ان هناك مفكرين يهود لاحقين كان عليهم ان يتخذوا موقفا من انتقاداته العميقة لليهودية التقليدية ، تلك الانتقادات التى اوردوها فى كتابه الآنف ذكره « رسالة فى اللاهوت ... Tractatus ... » . وسواء افهم ناقده افكاره ام لا ، فقد حملوا على مضامين حوارات (زنديق امستردام) ، حتى ولو تجنبوا الاشارة اليه مباشرة ، ولم ينته اثر قراؤ الحرمان (شيريم) اليهودى الصادر ضد

سبينوزا : فلازال كثيرون من اليهود التقليديين - حتى اليوم - لا يشاركون فى اى احتفالات مرتبطة بمولده أو وفاته أو اية مناسبة لاحياء ذكره .

ويمكننا ان نلخص انتقادات سبينوزا الاساسية لليهودية - كما استخرجناها من كتاب رسالة فى اللاهوت الآنف ذكره ، كالنالى :

(ا) الوحي : يتلقى الانبياء الوحي من خلال قوة الخيال لديهم ، اكثر مما يتلقونه عن طريق فكرهم أو قدرتهم على التعليل المجرد (اخضاع الامور للمنطق) ، فنبوءات الكتاب المقدس اليهودى تختلف - بناء على ذلك - وفقا لآراء الانبياء انفسهم واحكامهم المسبقة ، وقد اخطأ هؤلاء الانبياء فى كثير من الامور (٢٨) .

(ب) اسرائيل : كان اليهود - على الاطلاق - مختلفين عن الشعوب الأخرى وأرقى منهم . فقد تلقى موسى الشريعة لهم لتتلاءم مع تنظيمهم الاجتماعى الخاص . ان هذه الشريعة صالحة لهم وحدهم بسبب تكوين مجتمعهم ويتم تطبيقها على حياتهم المستقلة فى بلادهم (فى الأرض الخاصة بهم in their own Land) ، والأفكار الاسرائيلية عن الله أفكار عادية تماما ، وفضائلهم مساوية لفضائل الاعيار الذين ظهر فيهم أنبياء .

(ج) الشريعة : القانون الطبيعى الالهى يسرى على كل البشر ، وهو نابع من فكرة أن أوامر الله هى الحق الخالد ، وأنه لا تتطلب أفعالا طقسية وأن فكرة موسى عن الشريعة كانت محدودة وأنه لم يفهمها فى مصطلحاتها التى تشير الى ضرورتها المطلقة ، وأنه استسلم لما كان - نسبيا - افضل سياسة لبنى اسرائيل . وهو فى هذا يختلف عن عيسى ابن مريم الذى يمكن وصفه بأن تحدث باسم الله أو نيابة عنه . والشريعة الطقسية مسألة بشرية وليست مقدسة ، وأن مارود منها فى التوراة ، مرتبط بنشر الاستقرار والهدوء فى المملكة اليهودية فى

فلسطين . وعلى النحو نفسه ، فالاعتقاد فى صحة الحكايات التوراتية - برغم أهميتها لجماهير اليهود - لا علاقة لها بالشرعية . فالإنسان الذى يرفض هذه الحكايات ، ولكنه يدرك وجود الله من خلال التفكير الطبيعى ، ولديه خطة صادقة لحياته - مثل هذا الإنسان مبارك أكثر من قطع من المؤمنين (٣٠) .

(د) المعجزات : يتصور الجمهور أن الله ليس بفاعل ، مادامت الطبيعة تسير سيرها المعتاد ، ولا يروونه فاعلا إلا من خلال الأحداث غير المألوفة التى يسمونها معجزات والحقيقة ، أن المعجزة هى خروج عن القواعد طالما أن قوانين الكون هى أوامر الهية وضرورة أبدية وصحيحة . أما الأحداث التى يبدو سببها غير معروف فيشار لها كمعجزة ، وكل المعجزات التى وردت فى التوراة يمكن تفسيرها من خلال علم التاريخ الطبيعى (٣١) .

(هـ) تفسير الكتاب المقدس اليهودى : التفسير اللاهوتى للكتاب المقدس اليهودى ، باظهار التعاليم الواردة به والتى لا تمدو كونها التعاليم الكامنة فى عقول المفسرين أنفسهم . فالتفسير الحقيقى لابد أن يقوم على أساس تاريخى ، وطبيعة اللغة وموقف المؤلف (المفسر) من النص . ولابد أن يضع المرء فى اعتباره أيضا تحريف النصوص أو اللبس فيها . أما الزعم بمساعدة الروح القدس عند التفسير فقول ليس هناك ما يؤيده ، مادامت نتائج مثل هذه التفاسير بشرية بكل ما فى هذه الكلمة من معنى .

(و) فى صحة الكتب المقدسة اليهودية : التراث الذى نتناقله عن تاريخ التوراة وصحتها غير صحيح ، وحتى فكرة الفريسيين أن موسى كتب كل الأسفار الخمسة الأولى تشكك فيها الباحث السلفى (الأورثوذكسى) أبراهام بن عزرا ، مع أنه عبر عن رأيه بشكل غامض

حقبة الحق : ومن صفات التوراة نفسها يمكن ان نكتشف ان موسى
ليس هو كاتب الإنجيل الخاصة للتسوية اليه ، ولأن الأسفار الأخرى
ليس لها مؤلفون مذكورون في التراث اليهودي . قتال الكتب الخمسة
اليهودية ربما يكاد يكون عزرا قد شكك في قيمتها . بالإضافة الى
بعض الكتب التي ظهرت بعد عزرا . والنص كما نعرفه الآن ، به اخطاء
رابعة لتتبع به تصويك (٣٣) .

وعند مكتبة منه للسائل دم سينوزا آراء بكثير من النصوص
الغريبة من التوراة ، بالإضافة الى استغلاله للحجج العقلية . وكان
تتوله للبيعة - بشكل علم - أكثر تعلقا من تناوله لليهودية .
وكتب سينوزا Tractatus ليس مجرد كتاب لاهوتي ، وانا هو
ايضا كتاب سياسي ناقش فيه الفولة الليبرالية التي يسود فيها
السلع . والتي تصبح فيها حرية الفكر متاحة . وليس غريبا ان
لولا طبعة من كتابه هنا نشرت دون ذكر اسم المؤلف عليها ، وكانت
صفحة الترويض زائفة (لا تمل على القسوس) . وقد اثار غضب اليهود
الخطين كما اثار غضب لليهود ايضا ، واصبح تأثير هذا الكتاب
على الفكر اليهودي أكثر وضوحا عندما بملت جدران الجيتو تنهار
في منتصف القرن الثامن عشر . لكن كان ينظر لأفكار سينوزا
بجبراما نوبيا لنظر ثقافة الأغيار ، وانها تمثل روح الزنقة
البيجة . ولم تكن الزنقة جيدة وانا ظهرت قبل سينوزا بفترة
طويلة .

وحمل الخوف من تلوث الاسينوزية للعقيدة اليهودية من
الرواية التالية . في سنة ١٧٠٤ ، خطب ديفدنيو David Nieto
رأى اليهود الامبان في لندن ، فانكر في خطبته ملاحظات ربوبية عن
سواء الله وعن ان انماجه في الكون ليس كاملا . وقد مساوى الرأي
بين الله والطبيعة ، أي جعلها شيئا واحدا ، لو ان بعض المستمعين اليه
فهم ذلك فقلبي ذلك الى عاصفة من الاعتراض ضد نيتو واتهموه بأنه

سينوزي ، بأن سينوزا قد جعل الله والطبيعة شيئا واحدا في كتابه الأخلاق **Ethica** ، الذي يفهم منه أن سينوزا قال بوحدة الوجود ، ركب السلطات الدينية بهذا الأمر إلى د. تسيفى اشكنازي R. Trvi في الكونا **Altona** الذي أيد في خطابه المحفوظ في مجموعته (٣٤) أنه نيتو ، فأكرا أنه لا يقصد أن يبشر بوحدة الوجود ، وأنا يريد أن يقول إن النظام الطبيعي ينضج لارادة الله ، وأنه جزء من الذات المقدسة .

الفصل الخامس

تطور الفكر اليهودي الحديث

موسى مندلسوهن Moses Mendelssohn

سادت الفكر اليهودي ، منذ أواخر القرن الثامن عشر حتى بواكير القرن العشرين ، مجموعة قضايا مرتبطة بتحرير اليهودي الأوروبي على الأصعدة : الثقافية والسياسية والاجتماعية ، وعملية التحرير هذه سارت بالتدريج حتى حصل اليهودي على حقوق المواطنة كاملة . ولم تصل عملية التحرير هذه الى ذروتها في منتصف القرن التاسع عشر الا نتيجة أفكار المساواة التي نادى بها الثورة الفرنسية . وعلى أية حال ، فقبل الاعتراف السياسي باليهود ، بفترة طويلة ، كانوا قد بدءوا في التأثير بلغات أوروبا وأسلوبها في الحياة ، فانتقلوا من جيتو العصور الوسطى لينخرطوا في الحياة الفكرية في القرن الثامن عشر وبواكير القرن التاسع عشر . وكان الرجل الذي وقف عند بدايات هذا التأثير الثقافي بالمجتمع الأوروبي هو موسى مندلسوهن (١٧٢٩ - ١٧٨٦) ، اذ صبغ هذا التأثير حياته ، وأعماله ، وحدد توجهاتها .

ولد موسى مندلسوهن في ديساو Dessau في شمال ألمانيا ، حيث كان أبوه ميناحم مندل Menachem Mendel يعمل مسئولا عن معبد يهودي صغير ، وقد تلقى مندلسون - المعروف في التراث اليهودي باسم موسى الديساري بن ميناحم أو رامبامان Rambaman - تعليمه

يهوديا تقليديا حتى سن الرابعة عشرة ، برغم أنه أظهر بالفعل اهتماما بالفلسفة ، اذ كان يدرس كتابات ابن ميمون فى وقت فراغه . وفى أواخر حياته ، عزا فيما يشبه المزاح ما اعترى ظهره من حذب الى الايام التى قضاها متاملا فى « دليل » ابن ميمون ، وأضاف قائلا ان كتابات ابن ميمون تستحق ذلك ، وفى سنة ١٧٤٣ غادر معلمه ديساو Dessau ، وعين اخيرا رئيسا للرابين فى برلين . وسرعان ما لحق الشاب موسى مندلسوهن بعلمه فى برلين ، وبرغم أن برلين كانت مركزا لليهودية التقليدية ، فانه اكتشف عالما جديدا من الفكر والثقافة لم يكن متاحا له فى موطنه ديساو ، وفى برلين تعلم - بمساعدة المفكرين اليهود الذين ملكوا ناصية جوانب الثقافة الأوروبية - الألمانية واللاتينية والفرنسية والانجليزية ، فاصبح بذلك مستعدا لقراءة عالم جديد من الفكر والأدب والفلسفة واستيعابه ، وكان هذا العالم موصدا أمام الدارس اليهودى الذى لا يعرف سوى العبرية والآرامية والييدية Yiddish ، وهكذا مد مندلسوهن مجال اهتمامه الى عالمين ، عالم اليهودية التقليدية ، وعالم الأدب المحض أو الخالص الذى ساد فى القرن الثامن عشر .

وفى سنة ١٧٥٥ ، قابل مندلسوهن - للمرة الأولى - جوتهولد ليسنج Gotthold Lessing وانهقدت بينهما صداقة استمرت على مدى العمر ، وكان لها تأثيرها على كلا المفكرين . وكانت نظرية ليسنج المتسامحة لليهودية ملمحا مهما فى علاقتهما ، اذا وضعنا فى اعتبارنا ان الناس فى برلين كانوا لا يزالون يؤمنون بشكل من أشكال المسيحية يعتبر اليهود - فى أحسن الاحتمالات - رصيذا سيضاف الى الدين الوحيد الحق ، بتحولهم للمسيحية ، وراح الصديقان يدرسان معا كتابات سبينوزا Spinoza ، وكان ليسنج هو الذى شجع مندلسوهن على أن يعتبر نفسه كاتباً ألمانيا ، وكان هو الذى قدمه للشخصيات التنويرية . وكانت أعمال مندلسوهن الأولى تحوى طبيعة فلسفية وأدبية لم تظهر فيها يهوديته التى كان يعتبرها مسألة خاصة به . وبهذه الطريقة كان قادرا على المشاركة الكاملة فى القضايا والأمور المطروحة فى نطاق الدائرة

التي جعلوا أفكارها ، دون أن يكون هناك عائق يفصله عن زفان
الهرب ، ولغنى بذلك الباقى كونه يهوديا .

لما في حياة النخلة ، فقد ظل يهوديا ارتودوكسيا Orthodox Jew
حافظ حتى على التفاصيل الدقيقة للطقس في مجتمع اليهود . بل انه كان
يتبع عن حذو شعراء وقرن لحيته خلال فترات الحداد العام التي
تتضمن القوس انه العام Jewish ritual year ، وكانت زوجته
تطعم شعرا كما في عادة اليهوديات الأصوليات بعد الزواج . ومفرد
منه السلام التي اتسمت بها حياة الشخصية أصبح واضحا عند
مطرتها بالوسط الاجتماعي التي كان يختلط به . فبرغم أن مندلسون
لم يكن ينام يهودية ، فانه لم يكن مستعدا لتقديم تنازلات - سوى
بقدر محدود - للبيئة غير اليهودية التي يعيش فيها .

لكن العلاقة للثقة بين مندلسون اليهودي ، ومندلسون المفكر
اللائي قد انتهت إلى طريق مسدود في سنة ١٧٦٩ . فحتى هذه السنة ،
لم يكن قد أعلن عن نفسه علنا كفيلسوف يهودي يشرح العقيدة اليهودية
وخاصتها . وقد كان ملكه قبل هذه السنة يلغ بعض معارفه
المعتن في حاسم للمسيحية للاعتقاد بأنه حقيقة مسيحية ، غير موفق
فيها ، وإن يهوديته لا تعلى جلده . وفي سنة ١٧٦٩ ،
وجدنا نفس السويسري ج . م . لافاتير J. C. Lavater الذي كان
قد قابل مندلسون في عدة مناسبات وأقضى إليه مندلسون في هذه
اللقاءات تحديرا محونا ليسوع ، وطلب إليه أن يبقى هذا القول منه
سرا بينها - يصدر تحديا إلى لافاتير اليهودي برلين ، . لقد نشر
لافاتير هذا التحدي في مقالة ترجمته لكتاب فرنسي يبرهن على صلف
المسيحية . وفي هذه المقالة طلب لافاتير من مندلسون أن يقرأ الكتاب ،
وعليه بدعا أن يرضى الحجج الواردة به لو أن يعتنق المسيحية علنا .
ولم يكن تجاهل هذا التحدي العلني بالأمر المستطاع . لقد اعتري القلق
مندلسون بشكل واضح بسبب تحدي لافاتير هذا ، وزاد من قلقه إعلان

لافاتر وجهات نظره (أى وجهات نظر مندلسوهن) الخاصة فى المسيح والتي عبر عنها له بشكل شخصى ، فاعتزم فى أول الأمر مواجهة البراهين التي قلمها لأثبت صحة المسيحية فى هذا الكتاب الآنف ذكره ، لكنه عندما أعاد النظر قرر اتخاذ موقف أقل اندفاعا بكثير ، بعد أن تحقق من الضرر الذي سينتج عن جعل دينى يبدو فيه واحد من اليهود مهاجما للمسيحية .

وقد حظى هذا التحدى باهتمام كبير ، وراح الناس يترقبون رد مندلسوهن على لافاتر ، الذي ورد فيه شرح لأسباب رفضه لشروط هذا التحدى وأسباب عدم رغبته فى الدخول فى نزاع دينى . فهو - باعتباره يهوديا - سيق له أن تفحص دينه بعناية واقتنع بصدقه . وإذا كان قد وجد الصديق فى أى دين آخر لما تردد فى اعتناقه ، فالمؤكد أنه لم يظل متحكما بيهوديته خوفا من رفاقه اليهود أو ركونا الى الكسل العقلى . ولم يكن يشعر بالحاجة لتبرير اعتناقه لليهودية علنا طالما أنه كيهودى يؤمن بالتسامح الدينى ، وطالما أن اليهودية تستطيع أن تحترم قيمة الأديان الأخرى ، ولا تسمى الى تحويل معتنقيها الى الإيمان بترائنها اليهودى . وخلص مندلسوهن الى أنه - كفرد فى شعب مضطهد - مدين للبلد الذى يقيم فيه ديننا كبيرا ، ليس من المناسب بالنسبة له أن يوجه نقلا للمقيدة المسيحية .

ولم ينته أمر لافاتر Lavater بهذا الرد من مندلسوهن ، فقد استمر هذا الأمر لفترة . سواء من خلال المطبوعات أو الرسائل المتبادلة بين مندلسوهن وعدد من المفكرين الألمان . وأدت هذه المواجهة الى أن أصبح مندلسوهن واعيا بمدى هشاشة وضعه كيهودى فى بيئة تسودها المسيحية ، ومدى كمون معاداة السامية - تلك المعاداة القديمة المتأصلة - تحت قشرة التنوير الخادعة . وسرعان ما حدث تطور آخر بعد أن ظهر هذا الخرق فى نسيج عالم مندلسوهن (عالم يهوديته ، وعالم انتمائه للفكر الألماني) ، وكان هذا التطور ذا دلالة عرضية فى نطاق علاقته

بالاصولية اليهودية ، ففي سنة ١٧٧٢ صدر قرار بمنع يهود شفيرن Schwerin من دفن اى ميت قبل انقضاء ثلاثة ايام من اعلان وفاته حتى يتم التأكد من موته ، فلا يدفن أحد حيا عن طريق الخطأ . ولما كان هذا ضد ما هو مقبول لدى اليهود من ضرورة الدفن الفوري ، لذا فقد لجأ اليهود لاستطلاع رأى كل من د . يعقوب امدن R. Jacob Emden التلمودى الالماني الشهير ، وموسى مندلسوهن دون أن يخبرا ايا منهما بلجوتهم للطرف الآخر . وقدم مندلسوهن نصا المانيا لتقدمه للدوق فريدريك Friedrich الذى كان قد أصدر القرار الآنف ذكره بتأخير الدفن ، يشرح فيه الصعوبة الكامنة فى الدفن بعد ثلاثة ايام ويقترح بديلا ، وفى الوقت نفسه ضمن خطابه لرياسة الجماعة اليهودية فى شفيرن Schwerin - وجهة نظره فى الموضوع ، مستشهدا بسوابق وردت فى التلمود تجيز تأخير الدفن ، واقترح ان يقبل اليهود قرار عدم الدفن الا بعد ثلاثة ايام بسبب ما اثبتته الطب المعاصر من حدوث دفن للأحياء على سبيل الخطأ . وبرغم أنه كتب خطابه مستخدما عبارات تقليدية ، فانه اثار غضب كل من د . يعقوب امدن ، ورأى شفيرن باعتباره يستخف بعادة يهودية مقدسة متواترة ، لقد كان مندلسوهن بفضل وجهات نظر الأطباء الاغيار (غير اليهود) على التراث الرأى ، فيما يتعلق بتقرير حدوث الوفاة . لقد رأى نقاده التقليديون أن مثل هذا الموقف يقوض مصداقية الهالاخاه (الشريعة اليهودية) halakhic Authority ، بينما كان لمندلسوهن وجهة نظر أخرى ، من خلال احتكاكه بالفلسفة الأوروبية والعلم الأوروبي .

وفى القرن التاسع عشر ، وجدنا هذا الخلاف حول الهالاخاه الذى تمثل فى الخلاف بين مندلسوهن ونقاده الرأبيين ، يصبح واحدا من القضايا الأساسية التى انشقت بسببها الشعب اليهودى الأوروبى European Jewary الى معسكرين . فكل الحركات الاصلاحية ،

سواء اكانت معتدلة أم راديكالية ، اتخذ أفرادها موقف مندلسوهن الذى انتهى الى نتيجة منطقية مؤداها تأكيد التراث اليهودى فى ضوء المعرفة الحالية . أما بعض الجماعات اليهودية الأصولية ، فبرغم أنها لم تكن راغبة فى اتباع الإصلاحيين الى الحد الذى يدخلون فيه بدءا فى الطقوس والعقيدة ، فإنها مع ذلك قبلت - من حيث المبدأ - موقف مندلسوهن ، واتخذت غالبية القيادات الأصولية موقفا متحفظا يقول بقداسة التراث ويرفض البدع والتغيير ، اللهم الا اذا كان ذلك بفعل التفاعل الداخلى للهالاخاء (الشريعة) نفسها (أو بتعبير آخر بفعل الديناميكية الداخلية للهالاخاء نفسها) . وكانت ترجمة مندلسوهن للكتاب المقدس اليهودى الى الألمانية ، هى المشروع الذى كان له أثر كبير فى تحرير الشعب اليهودى فى ألمانيا ، برغم أن زعماء الرابينين اعترضوا على ذلك العمل واستهجنوه .

لقد بدأ فى سنة ١٧٧٠ فى ترجمة سفر المزامير ، وبعد ذلك بأعوام قلائل بدأ ترجمة لأسفار موسى الخمسة (الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم) . وكان دافعه الى هذا العمل هو حاجة الدارسين الشباب - بن زبيم إبنائوه - لترجمة ألمانية دقيقة ، ومحكمة الصياغة للكتاب المقدس اليهودى . وكان مندلسوهن يهدف أيضا أن يكون لليهود الألمان فهمهم الخالص للكتاب المقدس اليهودى من خلال لغتهم الأم (الوطنية native) بدلا من لهجتهم البيديية التى هى بمثابة لغة يهودية مشتركة ومخلطة *Lingua Franca* ، وأن يضمن استيعاب هؤلاء اليهود الألمان بشكل كامل لقيم الكتاب المقدس اليهودى . وكانت هذه الترجمة - المكتوبة بحروف عبرية - مصحوبة بشروح كتبها مندلسوهن بالاشتراك مع عدد من الباحثين اليهود . وبرغم أن بعض الرابينين أيدوا مندلسوهن ، فقد عارض آخرون مشروعه كله على أساس اعتقادهم بأن هذا المشروع سيصرف الطلاب عن دراستهم الدينية ليهتموا بتحسين لغتهم الألمانية . وكانت وجهات نظر مندلسوهن فيما يتعلق بالسلطة الأكليريكية ، سواء داخل اليهودية أم داخل المجتمع بشكل عام ، متفقة مع الفكر التنويرى فيما يتعلق بالتسامح والتعددية (الايمان بوجود أكثر

من حقيقة مطلقة) . فقد عانى هو شخصيا من السلطات اليهودية ، وكان يرى أن التحرر اليهودي (الانتماء اليهودي) لا يقوم الا على تحقيق مبدأ الحرية الدينية الكاملة . وقد جمع افكاره الناضجة المدروسة حول هذه الموضوعات في كتابه (القدس) ، الذي جعل له عنوانا بديلا هو (عن السلطة الدينية واليهودية) ونشره في سنة ١٧٨٣ . وفي هذا الكتاب ، دافع عن العلاقة الودية الاختيارية غير القسرية بين الفرد والجماعة الدينية . فليس للجماعة الدينية سلطان لاجبار الفرد على أن تكون افكاره متطابقة تماما معها ، ومتماشية تماما مع معاييرها ، وعلى النحو نفسه فالمجتمع غير خاضع لهذه السلطة نفسها . وعلى أية حال ، فالمجتمع يمكنه أن يطلب فقط اتساقا في الأفعال ، وليس في مقهوره أن يطلب شيئا كهذا في مضمار العقائد ، فالصيغة المثالية للرابطة الدينية تتمثل في الدعوة التي قولها العقل ، والتي يارسها الدعاة لآي دين على معتنقيه ، أكثر من تسليها في الاجبار القسري . وهذا الأمر لابد أن ينطبق على اليهودية بشكل لا يقل عن انطباقه على المسيحية .

وفي الجزء الثاني من كتاب مندلسوهن الموسوم باسم (القدس) والآنف ذكره ، دافع المؤلف عن فكرة كون اليهودية تشريعا مقدسا (الهيا) ، أكثر من كونها نظاما عقديا . فعقائد اليهودية هي نفسها عقائد دين العقل العالمي ، تلك العقائد المتاحة لكل الناس من خلال التفكير ، ولا تقوم على الوحي . وإذا افترضنا فكرة أخرى غير هذه ، فهذا يعني انكار ما خلص اليه جانب كبير من الجنس البشري من حقائق أبدية ، طالما أنهم لم يعرفوا الوحي . وهذه الفكرة عن اليهودية نجدها بالفصل في مباحث سبينوزا Spinoza ، برغم أن مندلسوهن لم يقبل دعوى سبينوزا التي مؤداها أن الجانب التشريعي في اليهودية قد نسخ (بطل) منذ فترة طويلة . والشرعية المعزوة لليهودية تقوم على حقائق الدين العقل (الدين القائم على العقل) وتستشهد بها ، ومن ثم فهي صحيحة دائما (لكل زمان ومكان Continuing Validity) وأنهى مندلسوهن كتابه (القدس) بالدعوة الى تحرر اليهود وانتمائهم بشكل كامل ، على ألا يكون

هذا على حساب تمسكهم بيهوديتهم . فاليهود سيفضلون رفض ما يمرض عليهم من حقوق مدنية ان كان هذا يعنى ان يفقدوا هويتهم كيهود . ومن ناحية اخرى ، فان العهد الدينى لليهود يتطلب ألا توجد عوائق تعوقهم عن الانتماء ، والانتماء الكامل فى مجتمع يحترم التعددية ، ذلك المجتمع الذى دافع عنه ، وقلم البراهين على ضرورته ، فى الجزء الأول من كتابه .

وقد وجهت حياة مندلسوهن وكتاباتة الشعب اليهودى فى ألمانيا فى القرن الذى أعقب وفاته ، فقد حملت اليهودية خارج الجيتو فى القرن التاسع عشر بصمات مندلسوهن ، برغم أنه ما كان بالتأكيد ليوافق على كثير من التطورات التى حدثت بعد وفاته . لقد كانت افكاره عن التعليم بشكل خاص والتى تبناها حواريوه وأتباعه ، هى التى احدثت التغير الراديكالى فى بنية الحياة اليهودية المقبولة ، لقد عارض قصر الدراسة على التلمود واعتباره يشكل معظم مجالات التعليم اليهودى ، وعارض - على نحو خاص - أسلوب التلمود فى التحايل على الشريعة ونواميس الأخلاق ، هذا التحايل المعروف اصطلاحا باسم (يلبول Pilpul) واقترح أن تحل دراسة اللغة العبرية والكتاب المقدس اليهودى والقيم الثقافية اليهودية ، بالإضافة الى الامام بخلفية عن الموضوعات غير الدينية واكتساب المهارات المهنية - محل الدراسات التلمودية الآن ذكراها .

فطرقا الديالكتيك بين اليهودية وثقافة التنوير اللذان تمثلا بشكل بارز فى حياة مندلسوهن ، ثبت أن الجمع بينهما مسألة غير سهلة . لقد قصد مندلسوهن الى فتح بوابات الانتماء لليهود الذين سيكونون قادرين على الاحتفاظ بيهوديتهم سليمة . وفى الحقيقة ، فانه نجح فى فتح الطريق لانتماء اليهود بشكل كامل فى الدين المسيحى السائد ، طالما أن هذا الانتماء هو أبسط سبيل لتحقيق الانتماء وأبسط سبيل للفوز بالقبول فى مجتمع الأغيار (غير اليهود) . لقد تحول للمسيحية عدد من مثقفى برلين اليهود البارزين ، بمن فيهم أبناء مندلسوهن وأحفاده . لقد كان

دفاعه عن التسامح الدينى واعتقاده فى عقيدة دينية عالمية واصلاحاته التعليمية وقبوله الحار للأفكار والقيم الأوروبية - كل ذلك كان جزئيا على الأقل ونتيجة فهم الأمور على نحو خاطئ ، سببا فى ظهور اتجاهات جعلت تحول اليهود الى المسيحية أمرا ممكنا .

الحركات الفكرية فى القرن التاسع عشر

شهدت اليهودية فى أواخر القرن الثامن عشر وخلال القرن التاسع عشر قلقا فكريا لا يمكن اغفاله . فقد شهدت هذه الفترة بدايات الحركات الإصلاحية والمحافظة ، وظهور الصهيونية ، وانتشرت التعاليم التقوية (*) فى صفوف الأرثوذكس ، والحركة الأخلاقية (**) والأرثوذكسية الألمانية الجديدة . لقد كانت هذه الحركات تمثل - بطرائق مختلفة - استجابة اليهود الأوروبين لمخاطر التحرر (الانعتاق) وتوتراته . وكانت بعض هذه الحركات نتيجة مباشرة لتحطيم حياة الجيتو ، بينما كانت حركات أخرى قد بدأت ، بشكل مستقل ، لكنها سرعان ما حوصرت بتحديات الاتجاهات التقليدية التى يمكن فى حميمها مواجهة الثقافة العلمانية ، ويكمن فى صميمها ربط الهوية الذاتية بالدين . وكان المفكرون اليهود التنويريون من أتباع مندلسوهن ، مهتمين - فى الأساس - بإعادة تأكيد نمط الحياة اليهودى والمسلك اليهودى المألوف . وكان موقفهم كأناس مدوا جذورهم الى عالمين (عالم التراث اليهودى وعالم الفكر الأوروبى) ، يفرض عليهم التواءم مع الإصلاح التعليمى وأحداث تغييرات فى نظم العبادة المتبعة فى المعابد ، وإعادة تكييف الطقوس اليهودية . لقد بدا ذلك وكأنه محاولة لتخفيف حدة التنافر والتعارض التى تواجه اليهودى الذى كان - فى ذلك الوقت - يحاول أن يكون مقبولا من بيئة الأغيار (غير اليهود) التى كان يرغب - بشوق - فى الانتماء إليها . وجرى

(*) Chasidic teaching والحاسيدية أو الحسيدية ، هما المسمى المألوف لها

فى الكتابات العربية (المترجم) .

(**) musar movement (المترجم)

البحث عن كثير من الأمور في خلال اليهودية لتبرير ذلك ، لكن غالبية اليهود التقليديين كانوا غير متعاطفين ، بل وغالبا ما كانوا يعارضون بشكل علني حتى الإصلاحات المعتدلة . وفي المراحل الأولى ، كان اتجاه المبتدعين (غير التقليديين) عمليا براجماتيا في الأساس ولم يكن حتى هذه اللحظة أيديولوجيا ، وكان هذا التغيير بالنسبة للبعض ممن كانوا قد خطوا خطوات خارج الجيتو وتواءموا ماديا وثقافيا مع الأفكار والقيم الجديدة - أمرا ضروريا ، أما بالنسبة لأولئك الذين ظلوا داخل أسوار الجيتو - ثقافيا على الأقل - فقد بدا لهم أن هذا التواءم يتناقض مع القيم اليهودية .

وكان أول لاهوتي يهودي كبير في حقبة ما بعد مندلسوهن هو ناحمان كروشمال Nachman Krochmal (١٧٨٥ - ١٨٤٠) ، الذي ولد في برودي Brody في غاليسيا الشمالية Galicia وتلقى فيها تعليمه المبكر . وتلقى - مثل مندلسوهن - تعليمًا في موضوعات غير دينية - وحصل جانبا من المعارف حول هذه الموضوعات بجهده الذاتي ، أما تعليمه الرسمي فكان تقليديا ، اذ درس الموضوعات التلمودية والمتعلقة بالكتاب المقدس اليهودي . وكان خلال معظم حياته مكرسا وقته للدراسة ومعتمدا على أساليبه المستقلة لكتابة كتابه « دليل للزمن المحير » (*) ، الذي نشر بعد موته .

وكان اهتمام كروشمال الأساسي يتعلق حول فلسفة التاريخ ، وراح يبحث عن طريق للوصول لفهم لاهوتي لليهودية في ضوء اهتمامه بفلسفة التاريخ : ولأن البحوث التاريخية كانت بالفعل غير معروفة بين الدارسين اليهود ، أصبح كروشمال رائدا في هذا المجال فبدأ في طرق مجالات جديدة في البحوث التاريخية . وبعد أن أسس تصورا تاريخيا للموضوع ، أصبح قادرا على اظهار البنية العامة لتطور اليهودية ،

(*) Guide for the perplexed of the time اراء دليل الحيران ، وهو العنوان الأكثر شهرة . (الترجمة)

والاشكال المختلفة التى أصبحت عليها فى الفترات الزمنية المختلفة .
 وباعتباره مفسرا لاهوتيا لهذا التطور ، فقد رأى فى وحى دين اسرائيل
 الروح الحارسة الموجهة للتاريخ اليهودى ، فالتلقى الروحى مع الله
 كان موجودا فى مستهل هذا التاريخ واستمر فاعلا فى كل التطورات
 التى حدثت خلال اليهودية بعد ذلك ، وعلى اية حال ، فان كروشمال
 لم يكن مؤسس نظام ولم تكن فلسفته اليهودية مدرسة ، وانما ترجع
 اصيلته الى كون افكاره مشرة ، وللابعاد التاريخية التى ادخلها والتى
 سادت جانبا كبيرا من الحياة الفكرية لليهود فى القرن التاسع عشر .
 فهذا التركيز على المباحث التاريخية ، أصبح هو الانجاز الرئيسى لعلوم
 الحركة اليهودية التى استهلكت بسلسلة من الباحثين الألمعيين الذين تأثروا
 بكروشمال ، بشكل مباشر او غير مباشر . وكان بعض أولئك الذين تبعوه
 من التقليديين الذين زاوجوا ما بين الدراسات غير الدينية والمنظور
 التاريخى من ناحية ، والمادة التلمودية والتراث الدينى اليهودى فى
 المصور الوسطى من ناحية أخرى . وآخرون - مثل ليوبولد تسونتنس
 Leopold Zunz و زكريا فرانكل Zacharias Frankel دافعوا عن
 الإصلاح المعتدل ، فى سياق التوافق مع بحوثهم فى مجال التاريخ
 وتطور الأفكار والممارسات اليهوديتين . وكان ما يسمى بالمدرسة
 التاريخية التى أوجدوها هى اصل الحركة المحافظة الحديثة . وآخرون -
 مثل ابراهيم جيجر Abraham Geiger وصامويل (صموئيل)
 هولدهيم Samuel Holdheim ، وقفوا يدافعون عن اصلاحات
 أكثر راديكالية ، معتمدين أيضا على ايدولوجية التطور التاريخى ، تلك
 الايدولوجية التى ترى التراث اليهودى - بل والكتاب المقدس اليهودى
 نفسه - كجزء من عملية متطورة عضويا . وفى العصر الحديث كان لابد
 من تحديث التراث ، تماما كما كان فى حالة مراجعة مستمرة فى الماضى .
 وأصبحت اعمالهم والمنظمات التى أنشأوها هى الأساس الذى قامت عليه
 الحركة الإصلاحية (اليهودية) .

ونظر الأصوليون اليهود بذعر للتطور الحادث فى الحياة اليهودية وكتابات المثقفين اليهود بعد سقوط حواجز الجيتو ، فبرغم أنهم اعترفوا بأن بعض باحثى التنوير من اليهود كانوا هم أنفسهم من المتمسكين بشدة بالطقوس اليهودية التقليدية ، فانهم نظروا الى الاتجاه اليهودى الجديد والتعليم غير الدينى باعتبارهما مسئولين عن الجشعان العنيف الذى يشبه الطوفان ، والذى أضعف المجتمع اليهودى كله . وقد اعتبروا كلام من مندلسسوهن Mendelssohn وكروشمال Krochmal مسئولين فى الأساس عن الأفكار الأكثر راديكالية ، التى عبر عنها المفكرون اليهود الذين أتوا بعد ذلك . ومنعوا كتبهما من التداول (حرما قراءة كتبهما) ، واعتبروهما - كزعماء اليهودية الإصلاحية Reform Judaism أسوأ من الوثنيين ، كأنبياء زائفين يضلون جماهير اليهود ، ولا بد من شن الحرب عليهما فى كل حين . لقد اتسع الخرق بين الرابينين الأرثوذكس الذين تشبعوا بالدراسات التلمودية من ناحية ، واليهود الذين كانوا قد تشربوا شيئا من الثقافة الأوروبية ، من ناحية أخرى ، بدرجة كبيرة تهدد بعلم امكان رتقه . فلم يترك استقطاب العالم اليهودى بين التقليديين والمعتدلين سوى مسافة قليلة لأولئك اليهود الذين تعرفوا على الثقافة غير الدينية ، ويرغبون فى الوقت نفسه فى البقاء مخلصين ليهوديتهم القديمة السابقة على حركة التنوير ، معتقدا وممارسة . انهم لم يستطيعوا التواصل مع الأسلوب الرابى القديم ، ولم يشاركوا فى الحماس الإصلاحى الرابيني المعتدلين الذين سادوا التعليم الجامعى .

وكرر فعل لهذا الاستقطاب ، حاول د . سامسون رافائيل ميرش R. Samson Raphael Hirsch (١٨٠٨ - ١٨٨٨) ، مؤسس الأرثوذكسية اليهودية الألمانية الجديدة German Neo-Orthodoxy - أن يوجد توليفة جديدة بين الدين اليهودى والثقافة العلمانية (غير الدينية) . فى البداية ، وجد ميرش Hirsch نفسه فى عالم دينى غير مأهول ، أرثوذكسى جدا بحيث

لا يطبقه الإصلاحيون ، ومعاصر جدا بحيث لا يطبقه التقليديون ، فكون في خاتمة المطاف جاعة من اليهود في فرانكفورت - أون - مين Frankfurt-le-main شحروا أنهم جاري بين اتجاهات هذا الاستطاب الآنف ذكره ، فقدم لهم أيديولوجية الأرثوذكسية اليهودية الحديثة modernist Orthodoxy . لقد رفض الفهم التاريخي لليهودية الذي يعود إلى كروشمال والفى حوره الإصلاحيون المعتدلون والإصلاحيون الراديكاليون ، وبدلا من هذا الفهم التاريخي لليهودية فقد وصف اليهودية كنظام رمزي Symbolic System تظل بنيته مستمرة نابعة من أصوله التوراتية رغم اختلاف أشكاله . وعلى هذا ، فالوحي القديم لم يقد شيئا من مصداقيته في الوسط الثقافي الألماني في القرن التاسع عشر ، لأن البنية الرمزية كانت تنطبق عليه ، كما كانت تنطبق في الصور القديمة . حقيقة ، إن هيرش رأى أن مهمة اليهودى - على نحو دقيق - هي تفسير للحقائق الأبدية لليهودية بلغة الثقافة العلمانية لعصره . وعلى أية حال ، فتحقيق ذلك لا يتطلب تغيير اليهودية أو إصلاحها وإنما تأكيد مضاها التقليدى ، فطقوس الهالاخاه التى تكبل عالم الرموز اليهودية كانت مقسة غاية التقديس ، واعتبر هيرش تغييرها لاختصاصها للسلوك الحديث تهديدا في الصميم لنسيج اليهودية . لذا ، فقد رفض كل تعاون مع الحركة الإصلاحية ، وأصر على ضرورة أن تشق الأرثوذكسية اليهودية طريقها بشكل منفصل .

وشهد النصف الثانى من القرن التاسع عشر بداية محاولات جديدة للتعامل مع قضية التحرر (الانعتاق) اليهودى . فبينما ركز مندلسوهن الحركة الإصلاحية والأرثوذكسية الجديدة لهيرشيان Hirschian Neo-Orthodoxy على استمرار مصداقية الدين اليهودى ، سواء في شكله التقليدى أو الحديث ، وجدنا المفكرين الصهيونيين في الأوساط الثقافية غير اليهودية يركزون - في الأساس - على الوجود اليهودى في مظهره الوطنى (القومى in its national guise) . وكان النظر لليهود كلمة (لو كسب) له جرى تقليصه - إن لم يكن هذا المبدأ قد

تم رفضه بشكل ايجابي - من قبل أولئك المهتمين باقناع السلطات بأن اليهود يستحقون أن يحرروا ، ويمكن اعتبارهم مواطنين موالين للدول التي يقيمون فيها . لقد حددت الصهيونية بعملها على احياء الوطنية اليهودية مثل هذه المزايم ، وذلك برفضها - أي الصهيونية - لمبدأ إمكانية أن يكون اليهودي - ببساطة - ألمانيا أو فرنسا ، فالرأي الشائع بين المفكرين الصهاينة الأول كان يميل الى عدم التفاؤل كثيرا ، ازاء الفرضية القائلة برغبة مجتمع الأغيار (غير اليهود) - أو قدرته - على استيعاب اليهود في داخله كمواطنين لهم حق المواطنه الكاملة . فمعاداة السامية ليس من اليسير استبعادها ببساطة ، وانما يمكن أن يستمر تأثيرها في الحضارة الأوروبية حيث كانت فكرة متوطنة ، فالحل الوحيد للمشكلة اليهودية في مثل هذه الظروف هو انشاء وطن لليهود ، حيث يمكن لنحريهم (انعتاقهم) أن يكون له وجود بعيدا عن ظلال قرون من سوء انظر المسيحي باليهود . وكان معظم الزعماء والأيديولوجيين الصهاينة من العلمانيين لا يهتمون بقضايا الدين والحداثة ، فنظرتهم للحكم الذاتي الوطني (القومي) لليهود تنطبق حيث لا يوجد لليهودية مكان ، سواء يهودية الجيتو أو حيث الاختلاف اليهودي بعد الجيتو ، فقد كانت اليهودية قوة رابطة للحياة اليهودية في الشتات in exile كمجتمعات متناثرة تحاول الاحتفاظ بهويتها العرقية في مواجهة مجتمع غير يهودي . والاستثناءات من هذا الاتجاه الذي ساد بين صهاينة القرن التاسع عشر كانت تمثل في الصهاينة المسيحيين (*) messianic Zionists ، مثل د . جوده الكالي R. Judah Alkalai أو د . تسيفي ميرش كاليش R. Tzvi Kalisher ، الذين كانت أفكارهم - نسبيا - غير مهمة في بداية الحركة الصهيونية ، أو أفكار الزعماء بعيدى النظر مثل تيودور هرتزل Herzl (١٨٦٠ - ١٩٠٤) ، أبو الصهيونية السياسية ، ، الذي رأى الحاجة الى دعم الرايين

(*) والأصل المشيانيين الذين ينتظرون عودة المسيح أو المسيح المخلص وهو لبر
"سبح عليه السلام للعروف (المترجم) .

(الحاخامات) ليكون للحركة قاعدة بين جماهير اليهود المنحازين للفكر اليهودي التقليدي . وحتى آشر جنتسبرج Asher Ginzburgh (١٨٥٦ - ١٩٢٧) زعيم الصهاينة الثقافيين (*) الذي كان يكتب باسم مستعار هو اششادها - أم Achad Ha-am ، والذي كان يرغب في أن يرى الشعب اليهودي في حالة احياء تراثي (ثقافي) أكثر من رغبته في أن يراه يولد من جديد على المستوى الوطني (القومي) - آشر هذا لم يتصور هذا احياء الثقافى (التراثى) في مجال المصطلحات الدينية . وحتى جنتسبرج عرف بعد ذلك بأنه رابى من اللا أدريين Agnostic Rabbi ، وكان الصهاينة الاشتراكيون هم أكثر المعادين للدين اليهودي : فقد كانوا يرون الوطن اليهودي باعتباره مكانا يمكن أن يحققوا فيه افكارهم عن العدالة الاجتماعية ، وشاركوا في الشك الاشتراكي العام الذى مؤداه أن الدين مخدر . ويرجع الى هذه المجموعة الأخيرة - والتي كانت مفيدة في عملية اعادة توطين اليهود في فلسطين ، وفي تقرير طبيعة الحياة اليهودية فيها - أن بعض الصراعات الراسخة بين الدين والدولة في اسرائيل الحديثة أثبتت أنها صراعات عنيدة تصعب معالجتها ، وهذا بطبيعة الحال ، يرجع أيضا الى معارضة اليهود التقليديين للصهيونية .

القرن العشرون

لقد استمر التياران الفكران اللذان كانا منفصلين في القرن التاسع عشر كاستجابة لفكرة التحرر أو الانبثاق اليهودي ، وأعنى بهما التيار الدينى والتيار الوطنى (القومى) الاحيائى ، - استمرا يسيران جنبا الى جنب في كتابات ل : ابراهيم . ي . كوك R. Abraham I Kook (١٨٦٥ - ١٩٣٥) ومارتن بوبر Martin Buber (١٨٧٨ - ١٩٦٥) ، وهما الشخصيتان الرئيسيتان في اليهودية في بواكير القرن العشرين .

(*) أو الترائين Cultural Zionists . (المترجم)

ونلقى د. كوك R. Kook تعليمه في المعهد الديني التلمودي الكبير great Yeshivot في ليتوانيا وفيه تلقى رسامة الرابية (أي أصبح رابيا) ، وانتقل الى فلسطين في سنة ١٩٠٤ ، ليصبح رابي حيفا ، وكان انتقاله لحيفا ميلا منه للصهيونية الدينية القائمة على الوجد الصوفي . لقد أدى تفاعله مع حياة اليشوف Yeshuv ، وهي جماعة يهودية ذات جذور في فلسطين ، وجهوده باسم المستوطنين الصهيونيين غير المتدينين ، الى دخوله في صراع مع الرابينين الأكثر ميلا للاتجاه المحافظ . وبعد عودته الى فلسطين قادما من لندن التي اتجه اليها مضطرا خلال الحرب العالمية الأولى ، ثم تعيينه رئيسا للرابينين في القدس ، وفي سنة ١٩٢٢ أصبح اول اشكنازي يعين رئيسا للرابينين في فلسطين (الارض المقدسة) . وظل حتى موته في سنة ١٩٣٥ الشخصية الرئيسية في الحياة الدينية والسياسية في فلسطين ، مستخدما سلطته الهالاخوية (علمه بالشرية) للمساعدة في حل كثير من المشاكل المتعلقة بتطبيق المبادئ اليهودية

التقليدية على الحياة الحديثة .

والى جانب نتاج د. كوك المهم من الهالاخاه (الشريعة) ، فقد كتب ايضا الشعر والمقال والتعليقات والشروح والخطابات في القضايا الاخلاقية والاجتماعية ، كما كتب كتباً في مجال اللاهوت الصوفي (الروحي) . ولم تقدم كتاباته التي لا تزال تطبع حتى الآن ، بشكل منهجي منذ كتبها وفقا لاعتبارات خاصة به تحت ضغط حوافز كامنة في اعماقه . فكلما تنبجس من ينبوع وتدفق لا يوقف فيضانها شيء فيفرغها على الورق ، وكان قلما يصحح النص الذي كتبه . وفي أحد خطابه نجده يقول ، انه لا يكتب لأن لديه القدرة على الكتابة ، وانما لأنه لا يستطيع أن يظل صامتا (١) . وكان د. كوك متشعبا بتراث الهالاخاه ، وهذا بالاضافة الى قراءاته لكتابات هنري بيرجسون Henri Bergson - جعله يميل الى رؤية مركبات تطورية كامنة في حركة التاريخ والمسيرة البشرية . فكل جانب من جوانب هذا التطور يمكن أن ننظر اليه كمركب أو عنصر من عناصر التطور يفضى في النهاية

الى الهدف المسمى (*) **Messianic Goal** . وعودة الشعب اليهودى الى وطنه القديم - بالنسبة لكوك **R. Kook** هو الملمح المحورى لدورهم لاستكمال مجيء المسيح **Messianic Process** . وحتى رفض الصهاينة العلمانيين للدين باسم المثل الاشتراكية ، رأى فيه خطوة نتجت عن رفض الدين اليهودى فى الماضى ، ذلك الرفض الذى دفعت اليه الرغبة فى الانغماس الذاتى فى عبادة الخصوبة **fertility cults** ، فتطور المعارف العلمانية (غير الدينية) والعلمية قد هيا للإنسان ادراكا أوضح للنور الإلهى (القدس) فى كل الخلق ، وبالتالي جعلته أكثر كمالا . وعلى أية حال ، فإنه شعب اسرائيل المتروك به تاريخيا كشف الأساس القدسى الكامن خلال هذا الغلاف النجس للوجود الدنيوى . وعلى هذا ، فهو لم ير هدف الصهيونية مجرد عملية احياء وطنى للشعب اليهودى ، وإنما هى أيضا تعبير عن التعاليم الالهية المتوارثة فى التوراة التى ستساعد - فى المقابل - أمم الأمم (غير اليهود) على تحسين امكاناتهم الروحية على نحو اسرع . فبالنسبة لليهودى ، فإن حبه لشعبه لابد أن يفيض حبا لكل المخلوقات اذا لم يلوث حبه هذا دوافع مفرضة غير طاهرة ، وطالب د. كوك المستوطنين الصهاينة أن يظهروا معنى المسئولية للعرب الفلسطينيين المقيمين فى الأرض المقدسة (فلسطين) .

لما مارتن بوبر **Martin Buber** - على عكس د. كوك **R. Kook** فقد نظر لليهودية باعتباره مثقفا تلقى تعليمه فى الغرب ، ودرس الفلسفة فى جامعات النمسا والمانيا . لقد تلقى معلوماته الأولى عن عالم اليهودية التقليدية خلال الفترة التى قضاها مع جده سليمان بوبر **Soloman Buber** الذى كان باحثا فى التراث المداشى **Midrashic** يعيش فى غاليسيا **Galicia** ، واهتم بالصهيونية كشاب ، وحضر المؤتمر الصهيونى الثالث فى سنة ١٨٩٩ ، لكن تركيزه على الصهيونية كحركة احياء ثقافى تعنى أنه ينتمى الى جماعة فرعية تمثل أقلية بين الجماعات (الزمر) الصهيونية .

(*) مجيء المسيح للخلص وهو لا يقصد المسيح عليه السلام . (المترجم)

نمل عكس زعيم الصهاينة الثقافيين (الترائيين) المدعو اشادها ام -
 Achad Ha-am الذي كان لا أدريا Agnostic ، ركز بوبر Buber
 كل فكره حول اليهودية بالرجوع الى أصولها فى الكتاب المقدس اليهودى ،
 وحتى الحركة الحاسيدية (*) Chasidic movement فى القرنين الثامن
 عشر والتاسع عشر - على حقيقة وجود الاله الحى والتلاقى معه . هذه
 المواجهة او هذا التلاقى بين الله والانسان كان فى بؤرة تحليل بوبر Buber
 لمصطفى الكينونة للانسان : انا - أنت ، وانا - هو فى الصيغة الاولى
 (انا - أنت) يوحى الله (أنت الخالد) . فبينما يمكن أن يكون الله - فقط -
 موضوعا لعلاقة التلاقى انا - أنت ، فان أية محاولة للحديث عن الله أبعد
 من الاتصال به انما هى محاولة تجعله زائفا ، ويمكن للانسان أن يكون
 طرفا فى العلاقتين (انا - أنت) و (انا - هو) It ، والحياة الحقيقية
 بين انسان وانسان تنطوى على العلاقة (انا - أنت) ، والانا (انا) فى
 العلاقة (انا - أنت) مختلفة عن العلاقة (انا - هو) I-It . وفى هذه
 العلاقة الاخيرة يعبر عن الهو It بشئ يتم التعامل معه ، واستخدامه
 لا الدخول معه فى حوار ، فلأغراض التطور التكنولوجى لابد للانسان أن
 يتصل ببيئته وظيفيا من خلال علاقة (انا - هو it) . وعلى أية حال ،
 نالقيم تقوم على العلاقة (انا - أنت) - كعلاقة مزدوجة : علاقة (انا بانت)
 وعلاقة (أنت بانا) ، فالدين (اليهودى) المصاغ بشكل رسمى هو مجرد
 محاولة لترسيخ القيم الناتجة عن العلاقة (انا - أنت) بين الانسان
 (انا) والله (أنت) ، لكن هذه التجربة العلائقية (أى التجربة
 المتمثلة من خلال هذه العلاقة) قد تكررت فى كل عصر ، ولم تكن هناك
 حاجة لكل فرد ليرتبط بدين . حقيقة ، أن بوبر Buber ذهب الى أبعد
 من ذلك ، بزعمه أن الدين قد يكون عائقا بالنسبة للعلاقة (انا - أنت) ؛
 من حيث حيويتها ونوعيتها ودلالاتها الروحية ، وعلى هذا فانه يصبح ذا
 تأثير مقلص أو مخفض على مقدرة الانسان على سماع صوت الله .

(*) او التقوية - راجع معجم المصطلحات بأخر الكتاب (للترجم)

وكل كتابات بوبر Buber تتمحور حول هذا الموضوع ولا سواء ؛
أعني علاقة الحوار و التلاقى بين الله والانسان . وقد عبر عن افكاره
الاساسية حول هذا الموضوع بشكل أكثر ما يكون وضوحا في كتابه
(انا وانت I and Thou) ؛ لكن تفسيره لرسالة الكتاب المقدس اليهودي
ولفهمه للحركة الحاسيدية (*) Chasidic movement وآرائه حول التعليم
وتناقضه بين عقيدة اسرائيل والعقيدة المسيحية ، واتجاهه للصهيونية
المتضمن العمل من أجل دولة عربية يهودية (مزدوجة الوطنية) في
فلسطين ، وترجمته الجديدة لكتاب المقدس العبري الى الالمانية التي
حاول فيها تقديم معنى جديد للأوروبي الحديث فيما يتعلق بأشكال الفكر
العبري القديم - كل هذا صاغه متحلقا حول تبصره المتعلق حول العلاقتين
المذكورتين آنفا (انا - أنت) و (انا - هو it) . وقد تعرض بوبر
لنقد متتابع ، ووجهت له اتهامات مختلفة . ففهمه للحركة الحاسيدية
Chasidic (التقوية) الذي ركز على ما قالت به من علاقة حية مع
الله ومعنى الشراكة أو الرفقة fellowship - هذا الفهم قد اعتبره
الباحثون في مجال الصوفية اليهودية (٢) تجاهلا للجوانب العقائدية
للجماعات الحاسيدية (التقوية) المختلفة . وتعرضت وجهات نظره
المعارضة للشوئية (التعصب الشديد للوطن) اليهودية للنقد ؛
باعتبارها وجهات نظر ساذجة أو غير عملية ، ولا تخدم أهداف الصهيونية
السياسية ، كما أن رفضه المنظور على التناقض للهالاخاء (الشريعة
اليهودية) وللطقوس أدى الى اتهامه بالفوضوية الدينية (انكار كل سلطة
دينية) . لقد كان ذا تأثير كبير بين المفكرين المسيحيين ، وبين اليهود
الذين تحولوا عن التراث اليهودي ، والذين قسمت لهم تفسيرات بوبر
Buber للماضي اليهودي منظورا غير متاح في الكتابات التي كتبها
مفكرون أكثر انتحاء للفكر اليهودي التقليدي .

وثمة مفكر آخر ترك تأثيرا كبيرا في اللاهوت اليهودي في بواكير
القرن العشرين ، ولا زال معترفا بأهميته حتى الآن . انه فرانز-

(*) التقوية . (المترجم)

(فرانتس) روز نتسفيج (١٨٨٦ - ١٩٢٩) وكان معاصرا لبوبر Buber لكنه كان أصغر منه سنا ، وشاركه في ترجمته للكتاب المقدس اليهودي . وقد نشأ روز ينتسفيج Rosenzweig في أسرة مهضومة لكنها معتزة بنفسها في برلين . وبينما كان يتابع بتفوق دراسته الجامعية فكر في التحول للمسيحية ؛ اذ وجد اليهودية ديناً ضحلاً . وعلى أية حال ، فقد قرر أن يدخل المسيحية كيهودي ، وعلى هذا ، فقد رغب في حضور طقوس العيد الديني الأكبر High Holiday Services الذي ظن أنه يقدره لآخر مرة في عام ١٩١٣ . وقضى يوم الكفارة Day of Atonement في معبد أرثوذكسي صغير في برلين وتحركت مشاعره بسبب كثرة المصلين وتأثير الجموع ؛ مما كان متناقضاً بشكل حاد مع ما كان يعرفه حتى الآن من طقوس دينية يهودية خالية من الروح ، ومن ثم فقد قرر أن يظل يهودياً ، لكنه ظل محتفظاً بفهم متعاطف مع المسيحية بقية حياته ، فاعتقد بوجود طريقين صحيحين إلى الله : اليهودية بالنسبة لليهود ، والمسيحية بالنسبة للأغيار (غير اليهود) .

وخلال الحرب العالمية الأولى ، خدم كجندى في شرق أوروبا وتأثر بتقوى اليهود في هذه الأنحاء وحيويتهم الدينية ، كما تأثر بوبر Buber بالظاهرة نفسها قبله ، فبدأ في كتابة رائعته « نجم الخلاص The Star of Redemption » في شكل خطابات إلى أمه بينما كان على جبهة القتال . وبعد تسريحه ، سجل هذه الخطابات في كتاب نشره في سنة ١٩٢١ . ويقوم لاهوت روز نتسفيج على مقدمة منطقية ، مؤداها أن الإنسان لا يستطيع الاتصال بالله إلا استجابة لإيحاء الله ذاته للإنسان (تعريف الله نفسه للإنسان ، أي أن المبادرة هي من الله) (God's self revelation to man) ، وعلاقة الإنسان برفيقه - ومن ثم بالعالم كله - ليست مشروطة بإيحاء الله نفسه لخلقه ، وإنما هي نتيجة لهذا الإيحاء . فان تكون يهودياً - فيما يرى روز نتسفيج - تعني أن تكون منفتحاً على الرسالة المحورية لحب الله إيحاء نفسه (ذاته) كما يظهر في التراث اليهودي . ومن الممكن للأغيار (غير اليهود) أن

يكونوا منفتحين على هذه الرسالة ذاتها من خلال التعاليم المسيحية ،
وناقش روز نتسفيج أديان الهند والصين ليظهر أنه ليس لديها الإدراك
الكافي لهذه الرسالة . فاليهودية والمسيحية وحدهما هما اللتان فهما
البنية الأساسية للعلاقة الانسانية الالهية وهما - اليهودية والمسيحية -
تمثلان تهمدين يمكن أن يحل أحدهما محل الآخر - بين الانسان والله .

وبرغم أن أفكار روز نتسفيج تظهر اعتماده على لاهوت بوبر Buber
الوجودي existential ؛ فانه أقرب الى الموقف اليهودي التقليدي من
معلمه ففي مقالاته ورسائله ، تبني موقفا وسطا بين رفض بوبر Buber
لكل الالتزام الديني المتشدد من ناحية ، والمطالب التقليدية بأن مقولات
الهالاخاء ملزمة لليهودي من ناحية أخرى . انه يقبل العنصر الشخصي
الذاتي في اقتراب الفرد اليهودي من الهالاخاء ، قبل امكانية تبني هذه
الهالاخاء في أسلوب الحياة اليهودي . وبينما اعتبر بوبر Buber
الطقوس الدينية حاجزا غير شفاف وعائقا يعوق اتصال الانسان بالله ،
فان روز نتسفيج رآها شيئا يمكن أن يصبح أداة لهذا الاتصال (التلاقى
مع الله) ؛ مقدما الدليل على انها تكمل الموقف الوجودي للفرد .

واستمرت أفكار روزنتسفيج تؤثر تأثيرا متزايدا على اللاهوت
اليهودي المعاصر ، خاصة مع ترجمة كتابه « نجم الخلاص » الآنف ذكره
الى الانجليزية في سنة ١٩٧٠ . ولم تكن كتابات روزنتسفيج وحدها هي
ذات الأهمية ، وانما كذلك كانت تفاصيل حياته أيضا . لقد قضى أعوامه
الأخيرة يكافح ضد الشلل الذي زحف الى أعضائه ، وأدى في النهاية لموته ،
وخلال هذه المرحلة من حياته ، أظهر شجاعة فائقة واستمر يكتب حتى
بعد أن عاجزت أطرافه عن الحركة . ولأن روزنتسفيج نفسه كان دوما
يربط بين الحياة والفكر ، فمن المعقول أن يكون روزنتسفيج الرجل
وروزنتسفيج المفكر موضوعا للفكر اللاهوتي المعاصر .

الفكر اليهودى الحديث

ترك حدثان حديثان فى الحياة اليهودية أثرا لا يمحي ، سواء على مستوى اللاهوت اليهودى الحديث أم على مستوى الارادة اليهودية ، ولا شك ان أثر هذين الحدثين سيستمر فى توجيه الحياة اليهودية لفترة قادمة . هذان الحدثان هما : تدمير المجتمعات اليهودية فى أوروبا خلال الفترة النازية ، وقيام دولة يهودية مستقلة فى الأرض المقدسة فى سنة ١٩٤٨ . فنتائج كلا الحدثين بالنسبة للوعى اليهودى والهوية اليهودية ، هائلة ، وقد فاقت هذه النتائج كثيرا كل ما كان سائدا فى الفكر اليهودى حتى الحرب العالمية الثانية - أى كل ما كان سائدا قبل هذين الحدثين الآن ذكروهما . فما أثارته محارق النازية لليهود (*) (الهولوكوست) وما جرى أثناء هذه الفترة من اضطهاد شديد ومذابح ومعسكرات موت ، فاقت فى عدم انسانياتها كل تصور - كل هذا جعل النزعة للتفاؤل التى سادت اللاهوت اليهودى قبل الهولوكوست (المحارق النازية لليهود) تبدو سطحية . لقد أحيا الهولوكوست النازى معنى حقيقة وجود الشر وعزلة الشعب اليهودى ، والارتياح فى الليبرالية العقيمة ، والارتياح فى حقيقة نوايا الأغيار بالنسبة لليهود . أما تأسيس دولة اسرائيل ، فكان يعنى أن العرق اليهودى والهوية اليهودية قد أصبحت فى طبيعة الوجود اليهودى ، سواء أكان هذا بالنسبة لليهود الصهاينة أى الذين كانوا يعملون بشكل فعال لتحقيق أغراض صهيونية ، أم اليهود غير الصهاينة .

وحتى الأربعينيات من القرن العشرين ، كان المفكرون اليهود الذين كان غالبهم فى الولايات المتحدة الأمريكية وغرب أوروبا ، لا يزالون متشبثين بتناول القضايا التى ظهرت مع التحرر (الانعتاق) اليهودى . وهذا يبدو واضحا من خلال أعمال موردخاي كابلان ، Mordecai Kaplan (١٨٨١ -) ، وهو واحد من أكثر اللاهوتيين اليهوديين أرثوذكسية

(*) ظهرت كتابات بلغات مختلفة تؤكد المبالغة فى رواية أحداث المحرقة . (المترجم)

في أمريكا الشمالية في هذه الفترة . لقد انششق كابلان عن الحركة اليهودية الليبرالية ليؤمن بحركة احسانة البناء او البنيوية الجديدة *Neo-Orthodoxy* ، التي تنطلق ايدولوجيتها من اهم كتاباته اليهودية كـ *Judaism as Civilization* ، والذي نشرته للمرة الاولى في سنة ١٩٣١ . لقد شرح كابلان في كتابه هذا التجربة اليهودية كشيء قائم على من الشعب اليهودي تطور عبر الزمن ، وبلغت مثلها المثلثات في « الله » ، وتعتبر هذه الملامح الدينية والعلمانية لهذه الثقافة اليهودية متعة الحضارة اليهودية التي تظهر في كليتها البنى الدينية اليهودية في بحث عن معنى وهدف . لقد دافع كابلان عن فكرة هوانس القروس اليهودية للظروف المعاصرة ، وقلل من أهمية الجوانب الميتافيزيقية *Supernatural* والميتافيزيقية لليهودية ، مفضلا ان يرى اليهودية كحركة ثقافية في بيئاتها الجغرافية في ثقافة اثنية (عرقية) . وبذلك فقد حاول نقل التراث اليهودي الى عصر العلم بقصد ان يتجاوز التناقض بين العلم والتقاليد من الصراع بين التراث والحداثة ، وبين العلم والديانة .

في سنة ١٩٤٣ انتقل كابلان الى الولايات المتحدة كان له تأثير كبير مع اليهود في أمريكا الشمالية . لم يؤسس حركة معينة تتعلق حول افكاره ، وانما كان يهدف الى توعية اليهود الأمريكيين اكثر حكماء اليهود استنارة في عصرهم . كان ابراهيم جيسل *Abraham J. Heschel* (١٩٠٧ - ١٩٦٣) من الذين تأثروا بكابلان . كتابات جيسل بالانجليزية لا تعود لأبعد من وصوله الى أمريكا في سنة ١٩٤١ . تأثر جيسل من أوروبا النازية ، فانه سرعان ما جعل من اليهودية في أمريكا كحركة دينية وديانة للحضارة اليهودية في شرق أوروبا *Jewish European Identity* . وكان جيسل قد نشأ في مناخ يهودي متدين في مدينة بابلونج (Chasidism) الحاسيدية (Chasidism) في بابلونج . لقد درس جيسل في جامعة برلين حيث ألف كتابا عن طبيعة اليهودية التوراتية . وبذلك يكون جيسل قد جمع في نفسه بين عالمي اليهودية التوراتية المكشوفة بجزورها العميقة في الصوفية

الإكاديمية الحديثة في الموضوعات اليهودية .
على معنى الخوف من الله EWO ومعنى المعجزة
أو التعمشة الصيقة في مواجهة الكون الغامض
بشكل عمل ، وفي كل يوم . فاليهودية قائمة
بمهم يطلب الإنسان ويخاطبه . وشيء من هذا
ن خشية ، أمر ضروري للإنسان العصري ليخبر
ليهودية . وفي الواقع ، فإن هيشل يقدم لنا
سلوب الحياة لما قبل اليهودية الحديثة ، لليهودي
في الثقافة العلمانية للعالم الغربي .

كذلك هيشل قد كتب في الفترة التي أعقبت
تأريخ اليهود ، ورغم أن كليهما كتب كتابا عن
لأنهما مفكران شكلت وجهات نظرهما الناضجة
في أحداث الهولوكوست ، وقيام دولة إسرائيل
لرموز المزلزلة الدالة على الممار والميلاد الجديد ،
تجرت على العقل اليهودي الحديث . وحتى بعد
الهولوكوست ، فقد ظل اللاهوت قاصرا (في
بعض اليهود الأرثوذكس بشكل عام قد اتخذوا
التركيز الشديد على رعب المرحلة النازية ، إنما
معنى الحياة اليهودية وانشائها خلقا جديدا ،
في إيجاد معنى لأحداث الهولوكوست التي تبدو
وإنما إعادة انعاش الحياة اليهودية التقليدية
بشكل وظل مفكرون آخرون صامتين ؛ لأن فداحة
الظوق أية قدرة على التعبير اللاهوتي ، كما أن
السلام على أسس عقلية بسبب شدة الانفعالات
في الأحزان وربما لهذا السبب كانت
الهولوكوست أدبية أكثر منها لاهوتية ، فقد ظهر
الآلات والأشعار والمذكرات التي تستلعي ذكريات

ما حدث ، كتبها فى غالبها أناس عاشوا فى معسكرات الاعتقال . وربما كان أكثر الكتاب من هذه الفئة تأثيرا هو الروائى ايلى فيسل Elie Wiesel الذى لم يكتب كثيرا جدا عن البشاعات والأعمال الرديئة ، وإنما استجابة للضحايا . وعلى كثرة ما يجد المرء فى رسائل (أفكار) فى كتابات فيسل ، فإن أهمها هى فكرة التحدى ، أى تحدى الله الذى مات فى الهولوكوست (*) Auschwitz Z ذلك لأنه إذا كان الله لم يختار التدخل لمنع وحشية الإنسان التى مارسها ضد أخيه الإنسان ، فمعنى هذا أنه غير قادر على الاهتمام بالإنسان أو ما هو أسوأ - هكذا يجادل فيسل - وهو أن الله لا يرغب فى ذلك (٢) . ورغم أن آخرين حاولوا وصف هذا الموقف غير الفعال من الله ، بأنه - أى الله - يخبىء وجهه ، وهو المعنى نفسه الذى عبر عنه بوبر Buber عندما تحدث عن « كسوف » الله . لقد عبر فيسل Wiesel عن ذلك من خلال عبارات متناقضة ظاهريا : فما دام الله قد مات ، فلا بد للبشر أن يأخذوا على عاتقهم موقفا يتحدون فيه الله الذى خذلهم .

والفكرة التى تمخضت عن الهولوكوست ، والتى مؤداها أن الله قد مات أضحت أكثر وضوحا - وإن كانت أقل جودة من حيث الصياغة الفنية - فى كتابات اللاهوتى الأمريكى ريتشارد روبينشتين Richard Rubinstein الرابى الاصلاحى الذى كان أحد المفكرين الذين جددوا الاهتمام بحقيقة وجود الشر ، نتيجة لما حدث فى الهولوكوست . وفى كتابه اللصيق بالموضوع « بعد المذبحة After Auschwitz » ، خلص الى أن النتيجة الوحيدة التى يمكن الخلوص بها دون أن نتجاوز مفهومنا للعدل هى أن الالحاد هو لاهوت يهودية ما بعد الهولوكوست . وأقام روبينشتين أفكاره بناء على تصورات من القبالة وصف فيها الله بأنه لا شيء ، فى حالة لا متناهية أو غير محددة the infinite nothing ، واتخذت هذه اللاشيئية nothingness

(*) راجع تعليقات المترجم (المراجع) .

التي عزاهما الى الله مضامين مهمة للانسان فى عالم غير مكترث ، ذلك ان هذه الفكرة تعنى ان على الانسان ان يشكل قدره بنفسه وان يستثمر العالم وان يتحمل مسئولية اعماله . فاليهودية ، فيما يرى روبنشتين ، هي بنى طقسية ذات معنى لها قيمة سيكولوجية واجتماعية . واليهودية اللاحادية - وفقا لما يرى روبنشتين - من الشذوذ بـمكان بحيث يجعلها لا تكتسب اتباعا كثيرين ، ما دامت النتيجة المنطقية لمثل هذا التفكير هي انها قرب ما تكون الى الانسانية الوجودية **existential humanism** منها الى دين العهد (عهد الله لبنى اسرائيل **Covenant**).

وثمة لاهوتى اصلاحى آخر كتب بتوسع عن الهولوكوست ، وهو اميل فاكنهايم **Emil Fackenheim** الرابى المطرود من رحمة الرابية والذي كان يدرس الفلسفة بشكل مستمر . لقد رأى فاكنهايم الرسالة (الفكرة) المستخلصة من الهولوكوست وهي ما أسماه (الصوت الأمر بالمذبحة) ؛ حتى يمنع اليهودى من غزو انتصارات لهتلر تحققت بعد موته . ففي كتابه (حضور الله فى التاريخ **God's presence in History**) وعدد من مقالاته المثيرة الاخرى ، قدم الأدلة على أن الواجب اليهودى الأول بعد حقبة الهولوكوست هو الاحياء اليهودى . هذا الواجب - كما يعتقد - هو المحرك الأساسى للتصميم الدوب الذى يحفز اليهود الاسرائيليين للنضال لتأكيد احياء دولتهم الوليدة . لقد كان فاكنهايم يرى رباطا متكاملا بين الدمار الذى عانى منه الشعب اليهودى ، وانبعائه من جديد فى التاريخ كأمة تولد مرة أخرى . وواجب الاحياء هذا يستلزم إعادة رواية قصة الفظائع النازية أمام العالم الذى يفضل أن ينساها ، وبالنسبة لليهودى المتدين فان هذا ينطوى على وقفة للاعتراض ضد الله (الاحتجاج عليه) باسم قيم الله نفسها فكيف يسمح لما حدث بأن يحدث ، تماما كما تناقش الجد ابراهيم (الخليل) مع الله حول مدى العدل فى تدمير سدوم وعاموراء ، وعلى النحو نفسه فان اليهودى الذى بقى بعد الهولوكوست يجب ان يرسخ فى غقيقته وأفعاله الشواهد التقليدية للقيم التاريخية ، حتى لو كان الله نفسه يبدو نابذا اياها متخليا عنها .

ان الطبيعة المنطوية على التناقض فى استجابة كل من فيسل وروبينشتين وفاكنهايم للهولوكوست ظاهرة . فالافكار القائلة بتحدى الله الذى وصف بأنه مات ، والابقاء على الالحادية الدينية والعمل على استمرارها وانتقاد الله من عجزه - كل هذا يمثل مواقف لاهوتية جديدة وثورية الى ابعد مدى فى اليهودية . وظهرت اتجاهات أخرى أكثر عمومية . وعلى هذا ، فالصهاينة الدينيون والصهاينة العلمانيون يفسرون الهولوكوست على انه نتيجة لعدم رغبة يهود أوروبا فى ترك الشتات والاستقرار فى فلسطين عندما اتحت لهم الفرصة فى بواكير القرن العشرين ، لقد كان الهولوكوست عقابا الهيا لهم ، لموقفهم هذا . وبعض اليهود الأرثوذكس المبالين Ultra-Orthodox رأوا أن الهولوكوست نتيجة ذوبان اليهود وتقليدهم لأساليب الأغيار (غير اليهود) ورفضهم للتراث اليهودى . وحركة اليهود الأرثوذكس الغلاة المناهضين للصهيونية (حركة نيتوريا كارتا Neturei Karta) التى تشكل أقلية من الأصوليين الغلاة المتعصبين Zealotes ، تنظر للفظائع النازية كعقاب الهى للمحاولات الصهيونية لجمع يهود الشتات فى فلسطين قبل أن يرسل الله المسيح (المسيح Messiah) . وقد كتب الزعيم الروحى للنيتوريا كارتا ، ر . جول تيتلباوم R. Joel Toitelbaum the Satmar Rebba كتابات كثيرة حول هذا الموضوع ، مقما الأدلة من التلمود على الفواجع التى ستتشأ ان حاول اليهود العودة الى الأرض المقدسة (فلسطين) بشكل جماعى .

وثمة اتجاه أكثر عقلانية فى تناول لاهوت الهولوكوست نجده عند المفكر الأرثوذكسى اليعازر بيركوفيت Elizer Berkovit فى كتابه (العقيدة بعد الهولوكوست Faith after the HoloCoust) . لقد حاول بيركوفيت أن ينظر الى الهولوكوست من خلال منظور أوسع ، من خلال التاريخ اليهودى وما مر به اليهود من تجارب فى الاستشهاد فى سبيل الدين والتعرض للاضطهاد . حقيقة أن الهولوكوست تختلف من حيث الدرجة عن الاجراءات المعادية لليهود فى الماضى ، لكنها لا تختلف عنها من حيث النوع . وبينما جعلت فظائع النازى من غير الممكن النظر اليها كنوع من

العقاب الإلهي على آثام بشرية ، فقد كان من الممكن تفسير الهولوكوست على أساس القول بأن الله يخفى وجهه عن الإنسان . وعندما يخفى الله وجهه أو يخفيه ، فإنه بذلك يعطى الإنسان فرصة أن يعمل - بشكل ناضج - كمستول باعتبار موجد أو كائن يراعى الأخلاق ، ولكن الله أيضا يسمح للإنسان بالتصرف بشكل لا أخلاقي ويسمح له بالتوصل من مسئولياته . وفى تحليل بيركوفيت للعوامل التى جعلت الغاء الجماعات اليهودية كلها أمرا ممكنا ، وجدناه يفصل أو يعزل العداء المسيحى لليهود واليهودية كعنصر مهم . وهو كالمفكرين اليهود الآخرين ، يرى فى إعادة ميلاد دولة اسرائيل مظهرا من مظاهر التدخل الإلهي فى التاريخ ، أى أن الله يوحى وجهه مرة أخرى . فالأحياء المطلق لليهود مسألة خارجة عن القياس ، وعودتهم الى أرض أجدادهم بعد طول غياب عنها مسألة غير مفهومة . لكن هذه الظواهر لا يمكن الحكم عليها من خلال المستويات العادية للتاريخ البشرى ؛ لأننا هنا نتعامل مع تاريخ اسرائيل ودوره الخاص فى ايجاد (خلق) مملكة الله على الأرض . ولأن تاريخ اسرائيل يمكن أن يكون شاذا وغير سوى ومنافيا للعقل لأنه - أى هذا التاريخ - بعد جزاء متما لمجيء المسيح *messianic process* ؛ فالشعب اليهودي يمكن أن يولد من جديد فى صهيون *Zion* ، وعلى أية حال ، فللسبب نفسه يمكن أن تتعرض اسرائيل لمحرقة أخرى (*Auschwitz, Triblinka*) (a. Belmon) تكون هى الأخرى عنيفة غير مفهومة .

والمناقشة حول معنى الهولوكوست ، حول ما اذا كانت اليهودية تحتاج لتغيير راديكالى استجابة لها (للهولوكوستا) ومناقشات حول معنى دولة اسرائيل وما اذا كانت هى بداية المرحلة الممهدة لمجيء المسيح أم لا ، أو أنها - ببساطة - ظاهرة شاذة قطعت اضطراد الشتات الذى واكب اليهودية حتى اليوم . وبينما كان الهولوكوست قضية من قضايا الماضى ، فإن الماضى القريب يلقي بظلاله ويلون كثيرا من قضايا الحاضر ، ويلقى عليها معانى عاطفية اضافية ، فطبيعة اسرائيل ومعناها ، موضوع له نتائجه بالنسبة لمستقبل الحياة اليهودية فى كل جوانبها . وفى اسرائيل نفسها

مجموعة صغيرة من الصهاينة الدينيين الذين تشربوا معنى دور اسرائيل في التمهيد لمجيء المسيح ، وصمموا على تحويل وجهات نظرهم الدينية الى حقائق سياسية .^{*} فيها هي جماعة جوش ايمونيم Gush Emunim التي يتزعمها تسيفى يهودا كوك Tzvi Yehudah Kook ابن د. ابراهيم كوك ، الذي يعارض اعادة أى جزء من حدود الاراضى المقدسة القديمة للسيادة العربية ؛ اعتمادا على اسس هالاخاوية (شرعية) واخرى متعلقة بمجيء المسيح ، فالاعتبارات الدنيوية للمساومة من أجل السلام تعد مساومة في مقابل لا شئ في جو مليء بتوقعات فجر جديد والفيه جديدة تقترب (*) . وبعض زعماء يهود الشتات يؤيدون مثل هذه المقولات .

وذهب ميناشيم (ميناحم) شنيرسون Menachem Schneerson the Lubavitcher Rebbe الى التصدى - بقوة - لفكرة التنازل عن أية بوصة من الارض المقدسة مهما كان الثمن المقابل . ومعظم السلطات الراحية بين يهود الشتات ، سواء منهم الارثوذكس أو المحافظون أو الاصلاحيون، اتخذوا مواقف أكثر عملية (براجماتية) وأقل مسيحية - بالنسبة لهذا الامر . ودافع الزعيم الروحي للارثوذكسية الجديدة فى الولايات المتحدة الأمريكية د. جوزيف د. سولوفيتشيك R. Joseph D. Soloveitchik عن الاتجاه المرن فى كل جوانب هذه القضية ، برغم أنه ركز فى غالب الاحوال على محورية اسرائيل واهميتها لليهودى المتدين فى هذه الايام . وعلى النحو نفسه نجد الدكتور جاكوبوفتس I. Jakobovits ، كبير الرايين البريطانيين ، قد اغضب جناح اليمين الصهيونى بوقوفه - علنا - ضد السماح للاعتبارات المتعلقة بمجيء المسيح بالتدخل فى مجال استتباب الامور السياسية بين اسرائيل وجيرانها العرب (*) .

(*) طبعا كتب المؤلف كتابه قبل دخول الالفية الثالثة وها نحن فيها ولم يجهز المسيح اليهودى . (المترجم)

تعليقات المترجم

عل بعض ما ورد فى الفصل الخامس

يلاحظ القارىء أن اليهود يتحدثون عن الله سبحانه وتعالى وكأنهم يتحدثون عن شخص منهم ، فهم يقولون انهم يحاولون « انقاذ الله من عجزه » ، (تعالى الله علوا كبيرا) ، وأنهم (يعترضون) على الله (ويحتجون) عليه بل انهم يقولون (استغفر الله) انه قد مات والا لما تركهم يحرقون فى (الهولوكوست/المحرقة) ٠٠٠ الخ وقد أشار القرآن الكريم الى مثل هذه الأقوال (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ٠٠) المائدة/٧٨ ، وتحدث بنو اسرائيل أيضا عن أنبيائهم بما لا يليق ، وقولهم عن عيسى ابن مريم عليه السلام وأمه معروف ، وكل هذا نابع من غرور شديد .
(عن نظرة بنى اسرائيل لأنبيائهم راجع كتاب : « اليهودية » للدكتور احمد شلبى ، ص ١٥٩ وما بعدها) .

الفصل السادس

التراث الصوفي اليهودي

مقدمة

ليست اليهودية - في جوهرها - دينا صوفيا (باطنيا) فهي لا تعتمد على خبرة باطنية منيرة لموجد ، يفسر بمقتضاها فيوضاته (أو فتوحاته أو رؤاه) لمجموعة من المريدين . ويمكن النظر للنبوءات التوراتية (أو النبوءات في الكتاب المقدس اليهودي كله) باعتبارها منفصلة عن التجربة الصوفية (الباطنية) ، برغم أنها تشبهها مشابها تكفي لخلطها بالتجربة الصوفية خاصة من قبل الصوفيين (اليهود) أنفسهم . ويمكن التعبير عن الفرق بين نبوءات الكتاب المقدس اليهودي ، والتجربة الصوفية كالتالي : في الصوفية يجرب الانسان نفسه لاختراق الحجب الى مستوى الحقيقة الكامنة فيما وراء عالم الاشكال والاشياء المادية ، بينما في النبوة يجرب النبي حقيقة اكبر باختراق الحجب ليعايشها - أي هذه الحقيقة - معايشة يومية . لقد منعت مقولات اليهودية الراهبة الصوفية اليهودية من الانسحاب بعيدا في عالمها الداخلي الخاص ، لكن هذه المقولات قد شكلتها - تباعا - اتجاهات القبالة kabbalah وعقائدها كما غرقت في الصوفية اليهودية في المصور الوسطى ، وكذلك التعامل السرية التي غالبا ما كانت تمر من خلال وعي اليهودي العادي وسلوكياته .

أصل الصوفية اليهودية وتطورها

المصادر الأولى عن الصوفية اليهودية فى التراث الرابى ، تظهر فى مجموعة القوانين والأعراف التى جمعت فى الميشناه ، والتى جرى اختصارها فى أواخر القرن الثانى للميلاد . ونجد فى الميشناه التحذير التالى :

« المرء لا يشرح أسرار الخلق Maaseh Berechit لطالبن فى الوقت نفسه . ولا يشرح أسرار المركبة (الميركابه Merkabah) أى أسرار رؤيا حزقيال Ezekiel Vision للمركبة الإلهية ، لطالب واحد إلا إذا كان حكيما ، ويفهم مما لديه من معلومات . هذا الذى يتفكر فى أربعة أشياء ، والذى يرى أنه كان من الأفضل له ألا يكون فى هذه الدنيا ، هذه الأشياء الأربعة هى : ما هو الأعلى ، وما هو الأدنى ، وما هو قبل ، وما هو بعد » (١) .

وبرغم أن تقرير الميشناه موجز وملغز ، فإنه يستلزم وجود تعليمات راسخة فيما يتعلق بالعقيدتين السريتين : العقيدة المتعلقة بأسرار الخلق ، والعقيدة المتعلقة بالمركبة الإلهية (الميركابه) ، فالعقيدة الأولى المتعلقة بأسرار الخلق يمكن تعليمها لكن هذا التعليم لا يكون إلا من خلال اتصال بين المعلم والتلميذ أى من خلال علاقة بين اثنين ، أما العقيدة الثانية وهى المتعلقة بالمركبة الإلهية ، فقد لا يمكن تعليمها عامة إلا إذا كان التلميذ يمثل مادة ملائمة لتلقى أمور ذات صلة فى المقام الأول بالتجربة الباطنية (الصوفية) . واستمرار الميشناه فى الإشارة « لما هو الأعلى ، وما هو الأدنى » الخ ، قد يعنى الإشارة إلى هاتين العقيدتين الغامضتين (العقيدة فى أسرار الخلق ، والعقيدة فى المركبة الإلهية - الميركابه) . ومن المناقشة التلمودية لهذا النص ، يظهر أن التراث المتعلق بالمركبة الإلهية (الميركابه) يضم سلسلة من التقنيات والممارسات التى يستطيع بها الصوفى أن يكتشف الفاصل بين العالم المادى أو البشرى وعالم المركبة الإلهية (الميركابه) ؛ بهدف رؤية الله جالسا على عرشه السماوى . وليس من الواضح ما إذا كانت هناك معارضة للاهوت الميركابه (المركبة الإلهية) ، أو ما إذا كان هناك اعتقاد مؤداه - ببساطة - أن

التعاليم السرية الغامضة لهذه الطبيعة يجب أن تبقى محفوظة بين الصوفية أنفسهم . ومن المؤكد أن عددا من التحذيرات قد صدرت ضد إثارة البلبلة بطرح مثل هذه الأمور ، إلا إذا كان المتلقى مستعدا لتلقيها . وثمة قصة شهيرة جدا عن أربعة حكماء قاموا برحلة صوفية (باطنية) إل الفردوس :

« أربعة دخلوا الجنة وهم : بن عزاي Ben Azai وابن زوما Ben Zoma وأشر Acher (عيشة بن أفوياء Elisha ben Avuyah) والرابي أكيفا Akiva الذي قال لهم : عندما تصلون إل أحجار الرخام النقى كونوا حذرين ولا تقولوا « ماء ، ماء ، ماء » ما دام الكتاب المقدس ينص على أن « الكذاب لا يرى وجهي » (المزمير - ١٠١) . ابن عزاي حلق ومات . . . وابن زوما حلق وحن . . وأشر قطع النباتات ، وخرج الرابي أكيفا Akiva سالما ، (٢) .

هذه الحكاية تشير إل الطبيعة الخطرة لهذا المشروع (رؤية الله عز وجل) . أنه خطر إل أقصى درجات الخطورة ، إذ نكاد نتعرف من خلال هذه الرموز الدينية وتفسيراتها على ثلاث نتائج للقصور الذي ألم بهذه الرحلة الباطنية ، وهي : الموت والجنون والهرطقة أو الكفر وهو ما يرمز إليه قطع نباتات الجنة .

وكل التراث المتعلق بالميركابه (العربة الالهية) في المجال الصوفي باق ، وهو يعود - فيما يحتمل - إل أواخر الفترة التلمودية . ومن هذه البقايا الأدبية ومن الاشارات في المصادر التلمودية ، يمكننا أن نرسم معا صورة للأساليب (التقنيات) التي يستخدمها الصوفي في الاعداد لرحلته لرؤية المركبة الالهية (الميركابه) فهذه الأساليب هي : الصيام ، والاستحمام الطقسي (الطهارة الطقسية) لأغراض تطهيرية ، والجلوس في وضع مخصوص والرأس بين الركبتين وترتيل الترانيم الدينية والأسماء الباطنية (الصوفية) للملائكة أو الأسماء الباطنية (السرية أو الصوفية) لله ، والصلوات والدعاء واستخدام أساليب التأمل بالتحديق والتفريس ، التي تعد طبيعتها الحقيقية من الأمور المبهمة . وعلى الرحالة الصوفي

(المقصود فى رحلته الصوفية أو الباطنية هذه) أن يمر عبر سلسلة من سبع ردهات **halla** (أو بالتعبير الاصطلاحي هيخالوت **helkhalot**) كل منها يحرسها ملك ، ولا يمكن الولوج من بابها الا لمن لديهم الكلمة الباطنية (الصوفية و السرية) الصحيحة **password** و الصيغة (التعويذة) المؤهلة للعبور . و اى خطأ فى هذه الكلمة أو تلك الصيغة يمكن أن يكون مهلكا تماما كالنقص فى الاستعدادات الضرورية اللازمة للقيام بالرحلة (المقصود الرحلة الصوفية أو الباطنية) . ونصوص الهيخالوت **helkhalot** - كنصوص الميركاباه المعروفة - حافلة بالأسماء الملائكية والصيغ (التعاويذ) التى يجب أن يستخدمها الخبير أو الماهر بهذه الأمور كما وردت فى الوصف المأخوذ من بطل هذه الأعمال الخالدين الزائفين : الرابى اسماعيل **R. Ishmael** والرابى اكيفا **A. Akiva** واللذين تصف كتاباتهما رحلاتهما الباطنية (الصوفية) ولقاءاتهما ، والشخصية البارزة فى هذه النصوص هو الملك ميتاترون **Metatron** ممثل جمع الملائكة المضيقين ، والذي يقوم بدور الوسيط بين الله والانسان . فميتاترون يصور باعتباره هو الشخصية الواردة فى الكتاب المقدس باسم **Enoch** الذى رفع الى السماء من وسط جيل الخطيئة وتحول الى ملك . ان هرطقة آشع **Acher** (عليشة بن افوياد **Elisho ben Avuyah**) - أحد الحكماء الاربعة الذين دخلوا الجنة (فى رحلة باطنية سبق ذكرها) - يجرى تقديمها وتفسيرها باعتباره ميتاترون المخطئ الذى اخطأ فاعتقد فى معبود ثان ؛ وبذلك وقع فى اثم الثنوية (الايمان بالهين وهذا ضد التوحيد) .

لقد كان الظن أن الفواجع والكوارث التى واجهت اليهودية خلال الحقبة الرابية الباكورة - اعنى تحطيم الهيكل فى سنة ٧٠ للميلاد وسحق ثورة بار كوخابا **Bar kokhba** ضد روما فى سنة ١٣٥ للميلاد - قد أوجدت بيئة دينية شعر فيها اليهود أن الله قد انسحب من تدخله فى أمور العالم الدنيوى (الأرضى) الى مملكته السماوية **Celestial** . فتعالى الله (تساميه) وابتعاده عن الانسان هو بالتأكيد موضوع اساسى فى

تعاليم الميركابه ، وربما أيضا ازدهر هذا الشكل من أشكال الصوفية بين بعض الرايين المتزعمين في هذه الفترة بين يهود فلسطين .

والتراث الصوفي (الباطني) الآخر ، وأعنى به المتعلق بأسرار الخلق (ماسه بيريشت Maaseh Berechit) ، يمكن النظر إليه باعتباره يتركز حول الطاقة الخلاقة لمزاوجات الحروف العبرية ، ومن المحتمل أن يكون ذلك وفقا للنسق الموجود في سفر يتزيراه Sefer Yetzirah (أو سفر التشكيل Book of formation) (*) ، فهذا العمل ينسب إلى ابراهيم (المقصود ابراهيم عليه السلام) ، وربما يشير إلى أنه يمثل تراثا نشأ خارج الوحي النازل في سيناء Sinaitic revelation فسفر التشكيل الآنف ذكره ينتهى حقا برواية عن كيف أن ابراهيم سيطر على الأساليب (التقنيات) الصوفية أو الباطنية التي أدت إلى عقد عهد بينه وبين الله . ويبدأ سفر التشكيل هذا Sefer Yetzirah بذكر ٣٢ طريقا من طرق الحكمة ، خلق الله - عن طريقها - الكون . وقد صيغت هذه الطرق في عشرة سيفيروت Sefirot - من المحتمل أرقام أو أبعاد - وصفت بأنها بيليماء blimah - بدون جوهر أو مادة - بالإضافة إلى الاثنين والعشرين حرفا التي تمثل الألفباء العبرية . وكثير مما ورد بالكتاب منهمك في مناقشة تقسيم الحروف في مجموعات مختلفة واعطاء معنى لكل تشكيل (لكل مجموعة من الحروف عند اجتماعها) ، وقد أقيم التوازي بين عناصر أقسام ثلاثة : الكون (المساحة) والعام (الزمن) والروح (الانسان) . والقوة الخلاقة لتجميعات الحروف قد استخرجت من قصص تلمودية مرتبطة بما ورد من تراث عن أسرار الخلق (الماسه بيريشت Maaseh Berechit) .

• رافا Rava خلق انسانا وأرسله ليمثل أمام الراي زي را Zeira الذي تحدث إليه ، لكن هذا الانسان الذي خلقه رافا لم يجب ، فقال

(*) هير سفر التكوين المعروف من أسفار موسى الخمسة (التوراة) . (المترجم)

عندئذ : انك من عند الحكماء (أو بمعنى آخر من عند السحرة) عد الى
ترابك .

وكان الرابي شانينا R. Chanina والرابي أوشايا R. Oshaya
يجلسان كل يوم جمعة ليدرسا سفر التشكيل Sefr Yetzirah
(أو قواعد تشكيل الحروف العبرية في مجموعات) وخلقاً عجلاً ابن ثلاث
سنوات واكل لحمه ، (*) .

وسيكون واضحاً أن الصوفية (أو الباطنية) المرتبطة بأسرار الخلق
(ماسه بيريشت Maasch Bereshit) مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالسحر ،
لكن هذا لا يجب أن يثير الدهشة ؛ نظراً للصلة الوثيقة بين الصوفية
أو الباطنية والسحر في التراث الصوفي لدى الآخرين (غير اليهود) .
وحتى الصوفية التأملية الواضحة في نصوص الهيخالوت heikhalut
(الرحلة الصوفية الباطنية عبر الردهات السبع الأنف ذكرها) تضمن
للمتمرس بصيرة في البصيرة في جواني الكون ، ومعرفته بالمستقبل ،
والسلطان العظيم .

وفي بعض الأحيان نجد أن الصوفي المرتبط بتراث الميركابه
(المركبة الالهية) يقف أمام اله اسرائيل ، يرى كل ما يحدث أمام عرش
جلالته ، ويعرف كل ما سيحدث في العالم : من سيخسف به الله ،
ومن سيرفعه الله ، ومن سيغدو قويا ومن سيغدو ضعيفا ومن سيعود فقيرا ،
ومن سيحقق الثراء . . انه يرى كل الأعمال التي يباشرها البشر حتى
داخل بيوتهم ويتعرف عليها ، يراها جميعا ؛ الصالح منها والطارح . . .
وكل من يرفع يده ضده (معترضاً عليه) أو يضربه سرعان ما تغطيه
دمامل الطاعون (٥) .

وبعض الملامح الرئيسية لنصوفية اليهودية المتأخرة زمناً ، خاصة
القبالة Kabbalah في العصور الوسطى نجدها حاضرة موجودة في الصيغ

(*) ارجع الى تعليقات المترجم (المراجع) .

(التعويذات) المختصرة الواردة في سفر تشكيل الحروف في مجموعات *Sefer Yetzirah* ، والتي يمكن أرجاعها الى القرن الثالث للميلاد ، برغم أن شكل الصيغ (التعويذات) الحالية تضم عددا من الاضافات المتأخرة زمنيا . واحد هذه الملامح هي الفكرة التي تعتبر الانسان عالما (بفتح اللام) صغيرا موجودا في الكون كامنا في التوازي بين الروح والكون (العالم) والزمن المقاس بالسنة *Yearly time* . هذه العقيدة تعد مركزية في الكشوف (الفترج) الصوفية للطبيعة الداخلية للانسان كوسائل لحل (تفكيك) اعمال الكون (أو نظامه) . وثمة ملمح آخر هو النظرية الجنينية للانبثاق (الفيوض *emanation*) موجودة في تعاليم سفر تشكيل الحروف الى مجموعات *Sefer Yetzirah* عن السيفيروت *Sefirot* . وبرغم أن شيئا محددا لم يذكر عن انبثاق السيفيروت من الله أو فيضانه منه ؛ فإن السيفيروت التسعة الأدنى درجة تبدو وكأنها منبثقة من السيفيروت الأولى ، أي روح الله القدس *Holy Spirit of God* وما دام السيفيروت يكون حقيقة خلاقة وأنه ، مع حروف الهجاء ، هما الوسائل التي خلق الله بها الكون ، فمن الطبيعي للقبالة المآخرة *Kabbalah* أن تفهمهما باعتبارهما مرحلتين من مراحل الانبثاق أو الفيوض من المستويات الأدنى للوجود من الجوهر الالهي . وهذا يختلف عن التعاليم اليهودية التقليدية عن الخلق خارج العدم *Creatio ex nihilo* .

لقد انتقل مركز الصوفية اليهودية لبعض الوقت من فلسطين الى بابل خلال الحقبة التلمودية ، فقد أصبحت بابل في هذه الفترة المركز الرئيسي للحياة اليهودية ثقافيا واقتصاديا . وخلال الفترة التي امتدت من القرن السابع الى الحادي عشر ، احتفظ يهود بابل بالتراث الصوفي (الباطني) الذي ورثوه عن الماضي ؛ لكن هذا التراث نفسه تطور ليتكيف مع أوضاعهم الجديدة على الأقل - جزئيا - نتيجة اتصالهم بالحركات الوطنية السرية . وثمة حكاية موثوق بها تذكر كيف أن صوفيا بابليا أتى بالمعجزات هو أبو هارون البغدادي *Abou Haron* (*) نقل التعاليم

(*) راجع تعليقات المترجم (المراجع) .

الصوفية من الشرق الى ايطاليا في القرن التاسع للميلاد ، وكان الصوفيون الايطاليون (*) على علم بالتراث الصوفي المتعلق بالميركابه (المركبة الالهية) ، ومن المحتمل أن يكون ابو هارون Abou Aaron قد اضاف اليهم التطورات التي حدثت في هذا الموضوع في بابل . ومن ايطاليا انتقلت هذه الملامح الصوفية الجديدة شمالا الى المانيا ؛ اذ حملها أحد تلاميذ ابي هارون فساعد ذلك على ظهور حقبة من الصوفية اليهودية الالمانية ارتبطت باليهود الالمان (الاشكناز) التطهرين (الحاسيديم Chasidei Ashkenaz German Pletists) ، وثمة عمل مهم عن الصوفية اليهودية الأوروبية هو سفر (ها - باحير) Sefer Ha-Bahir كتب في بروفنس في القرن الثاني عشر نقلا عن تعاليم صوفية انبثقت في الشرق . وهذا العمل هو اقدم نص صوفي يقدم فكرة تناسخ الأرواح - وهي عقيدة كانت موجودة بالفعل بين اليهود القرائين في بابل في القرن الثامن للميلاد . ونجد أن سفر ها - باحير Sefer Ha-Bahir ينحو نحو عقيدة هؤلاء اليهود المنشقين (القرائين) فيقدم عقيدة تناسخ الأرواح ، كحل لمشكلة معاناة الصالحين الذين يعاقبون بسبب ذنوب ارتكبوها في حياة سابقة على حياتهم الحالية . وتعاليم السيفيراه Sefirah كما وردت في سفر التشكيل (**) Sefer Yetzirah وجدت بشكل أكثر تطورا في سفر ها - باحير Bahir ؛ حيث وصفت بلغة رمزية رائعة جدا باعتبارها قوى معزوة لله أو صفات له attributes أو صورت على شكل شجرة تربط السماء بالأرض . والسيفيراه الدنيا هي الشيخيناه Shekhinah - القدس الكامن في الله في العالم (الكون) ، والذي يشير اليه سفر ها - باحير Bahir غالبا بابنة الملك daughter of the king . واحد أبرز ملامح نظرية السيفيروت التي نجدها هنا هي تماثل أو تطابق أو اندماج الشر مع سيفيراه الدين Sefirah of Din (الدين هو القضاء) وهذا يعني أنه - الشر - جزء من تكوين الله نفسه وليس شيئا خارجا عنه أو غير مرتبط به ، وإنما مندمج فيه .

(*) المقصود غالبا الصوفيون اليهود في ايطاليا .

(**) وليس التكوين .

الصوفية اليهودية في العصور الوسطى في ألمانيا

لقد أدى التراث الصوفي المتعلق بالميركاباه (المركبة الالهية) الذي حدثت به تحورات وتطورات في بابل ونقله بشكله الجديد الى أوروبا كل من « أبو هارون Aaron » ومصادر باحير Bahir في وقت لاحق - أدى الى تيارين رئيسيين في الفكر الصوفي في العصور الوسطى . التيار الأول في ألمانيا وتمثل في حركة الاشكناز التطهريين (التطهريين)^(*) الألمان (Chasidei Ashkeaz) ، والتيار الثاني حدث في مكان أكثر انتحاء الى الغرب ، في شبه جزيرة أيبيريا وجنوب فرنسا وشهد بداية حركة القبالة Kabbalistic movement . فالتقويون (الحاسيديم) اليهود الألمان في القرنين الحادى عشر والثانى عشر تميزوا بالزهد والتقشف asceticism وتركيزهم الشديد على المسلك الأخلاقى والطقسى ، وممارساتهم ومعتقداتهم السحرية ، وانعزالهم عن المسيحيين برغم وجودهم بينهم ، والذين تأثروا بهم - برغم انعزالهم هذا - فى المجالين الفكرى واللاهوت الصوفى . وكان فى بؤرة هذه الصوفية فكرة الكافود kavod البهاء الالهى و المجد السماوى Divine Glory المنبثق عن الذات الالهية Goodhead ، والذي يمكن للصوفى أن يتأمل فيه فى آخر رحلته عبر الهيخالوت heikhalot . وهذا الكافود Kavod (البهاء الالهى) الذى يشار اليه أيضا باعتباره الشيخيناه Shekhinah (الجانب الانثوى فى الذات الالهية) ، يظهر فى الرؤى الصوفية المرتبطة بالعرش الالهى . والتأملات فى الأبعاد الهائلة لجسد الله body of God - والمعروف باسم شيور كوماه Shiur komah ، والذي كان يمثل عائقا ، أو ارباكا للاهوتيين اليهود ذوى العقول الفلسفية - أصبح يفهمه الاشكناز التطهريون (الألمان الحاسيديم) بالرجوع الى الكافود Kavod . فالذات الالهية غير المدركة (بفتح الراء) والتي هى ليست مجالا للرؤى الصوفية ، لا يعتقد أنها انسحبت من تسيير أمور العالم . بل على العكس فقد جرى الاعتقاد

(*) الحاسيديم الألمان . (المترجم)

انها ملازمة لكل جانب من جوانب عملية الخلق ، ملازمة ناتجة عن وحدة الوجود (*) Pantheism .

وفى ترنيمة دينية مشهورة كتبت فى دوائر اليهود التقويين (الحاسيديم) ، ولا زالت تتردد حتى اليوم فى بعض المعابد اليهودية ، نفرا المقطع الشعري التالى :

- كنت موجودا قبل كل المخلوقات
- وحدك ، لا تحتاج الى شيء (غنى عن كل شيء)
- فبيديك تكون البداية والنهاية (لم تكن البداية الا بامرك ، ولا تكون النهاية الا بامرك)
- فانت كامن فيهما (فى البداية والنهاية) ، وكلاهما مرتبط بك (لا يفكان عنك)

والترنيمة الدينية المعروفة باسم اغنية التوحيد Shir Ha-Yichud (شير ها - يشود) مليئة بالاشارات الروحية النبيلة ، التى تعكس اللاهوت الصوفى للتطهرين الاشكناز (الحاسيديم) Chasidei Ashkenaz . ومع هذا ، فان النزعة الى وحدة الوجود كان يعتبرها بعض الرايين اليهود نزعة تتسم بالهرطقة الشديدة حاولوا منع تضمينها فى الطقوس الدينية . وتركز تقديمهم حول عبارات على شاكلة : « كل شيء فيك (الله) وانت فى كل شيء » ، « تحيط بكل الاشياء » « قبل كل شيء » ، « كنت انت الكل ، وعندما وجد الكل ، ملأت الكل » . وعلى اية حال ، فيما يعتبر غير مقبول فى اللاهوت العقلى ، يمكن أن يراه الصوفى أمرا حميدا .

وظلت صوفية التطهرين (الحاسيديم) الاشكليناز Chasidei Ashkenaz من الأمور التى تحتفظ بها دوائر النخبة ، رغم أن هذه الحركة كان لها أيضا تأثير كبير بين قطاعات واسعة من اليهود الألمان الذين تشربوا كثيرا من ملامحها الثانوية . فالحركة المناهضة للمذهب

(*) الاعتقاد بأن الله والطبيعة شيء واحد ، وأن الإنسان والكون ليسا الا مظهرين للذات الالهية . (المترجم)



العقل (*) ، والتركيز على الشخصية الاخلاقية (او القيم الخلقية)
والتركيز على الصلوات واعتبارها محورا من محاور الحياة ، والمعتقدات
والممارسات السحرية ، والانغراق فى الزهد (التنسك) والأعمال
التكفيرية والتوبة ، والاعتقاد بأن الخطيئة لا بد أن يكفر عنها مقترنها
بتعريض نفسه للمعاناة - كل هذا ترك أثرا يتعذر محوه على يهود أوروبا
الوسطى والشرقية بعد تفسخ هذه الحركة نفسها بفترة طويلة . فهذه
الأفكار قد تفلغلت فى واحد من الأعمال الأدبية الكبرى خارج نطاق
الهالاخاه كتبه أحد اليهود التطهرين (الحاسيديم) الأشكناز ، انه سفر
التطهر Sefr Chasidim (سيفير حاسيديم) الذى حرر من تعاليم
الرابى جوده التقوى او الحاسيدى (١١٥٠ - ١٢١٧) وعدد من أتباعه .
وكان الرابى يهوذا Judah أحد أفراد أسرة كالو نيموسيه Kalonymus
family ، التى كانت قد هاجرت من ايطاليا الى ألمانيا فى القرن
التاسع ؛ جالبة معها تراثها الصوفى .

لقد استسلم التقويون (الحاسيديم) الألمان لمقولات الهالاخاه
(الشريعة) وبرغم أنهم بدؤوا فى ممارسة عدد من العادات الجديدة ،
فإن نظراتهم الصوفية كانت - بشكل عام - لا تسمح بتخطى تراث
الهالاخاه (الشريعة) وأكثر الحركات قربا التى ظهرت لتحديث صراعا
بين الصوفية اليهودية واتجاهات الهالاخاه (الشريعة اليهودية) ، هى
تلك الحركة التى دعت لاستخدام الصوفية لحل المشكلات التى ظهرت
فى الهالاخاه (الشريعة اليهودية) ، وذلك بتلقى وحى الهى من خلال
الرؤى المنامية . ومثل هذه المحاولة ظهرت بشكل واضح فى كتاب
(أسئلة واجابات من الله) She'lotu Teshuvot Min Ha-Shamayim
(شيؤلوت او - تيشوفوت من ها - شاماييم) ، الذى كتبه يعقوب ها -
ليفى المارجيفى Jacob Ha-Levi of Margeve . لقد صاغ يعقوب الأسئلة
بعد أن ذهب الى مكان منزول ، وراح يصل ويردد أسماء الله العظمى ،

(★) Anti-Intellectualism : أى الحركة المناهضة للقول بأن المعرفة مستمدة كلها

من العقل المحض . (المترجم)

واعطاء الله الاجابة فى رؤاه المنامية وكانت غالبا مشفوعة بآيات من الكتاب المقدس اليهودى يمكن ربط تفسيرها بالاجابات المتعلقة بالمشكلة المثارة ، ومثل هذا الاجراء يناقض التراث الراسخ القاضى بأن الهالاخاه (الشريعة اليهودية) لم تقرر عن طريق النبوة ، بل برأى اغلبية حكماء اليهود بعد مناقشة القضايا المطروحة وتحليلها . ومع هذا ؛ فان ما انتهى اليه يعقوب أصبح مقبولا ، وذكر بعد ذلك فى تراث الهالاخاه (الشريعة اليهودية) halakhic Literature

القبالة فى بروفنس واسبانيا

كانت التطورات التى حدثت بين الصوفيين اليهود فى جنوب غرب اوروبا فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، مختلفة اختلافا كبيرا عن تلك التى مازت حركة اليهود الألمان التقويين (الحاسيديم) ، فقد كانت بروفنس هى المنطقة التى تعود اليها أصول القبالة فى العصور الوسطى ، وكانت هى مركز النشاط الفكرى اليهودى كما كانت هى التى جرت فيها ترجمة كثير من النصوص الفلسفية العربية الى العبرية . وكان اللاهوت الصوفى الذى ظهر فى مثل هذه البيئة أكثر عمقا واغراقا فى التأمل من نظيره الألمانى . لقد كان أكثر اهتماما باكتشاف طبيعة الله وديناميته ؛ ومن ثم فقد كان يعتبر تراثا فلسفيا . وكان شيخ صوفية بروفنس فى القرن الثانى عشر هو الرابى ابراهيم بن داود David المعروف باسم راباد Rabad ، الذى تناول كتاباته - وهى ليست صوفية - الهالاخاه (الشريعة اليهودية) وتتعامل معها بشكل نقى ، وانتقلت تعاليمه السرية شفاهة ، وواصل القول بها ابنه اسحق الأعمى Isaac the Blind (حوالى ١١٦٠ - ١٢٣٥) ، الذى أطلق عليه (ابو القبالة) (٧) ، وقد أقام اسحق تعاليمه على الباحير Bahir ؛ لكنه طور فى عقيدة السيفيروت Sefirot نظرا اليها باعتبارها مراحل للفيوضات الالهية يعبرها الصوفى عن طريق الصلوات . ونحن مدينون لاسحق بوصف الذات الالهية غير المعروفة ، والتى لا يمكن معرفتها باعتبارها (اين سوف Ein Sof)، أى غير محدودة (لا يحدها حد) أو اللامتناهية ، أى لا أول لها ولا آخر) . هذا

الفصل بين الذات الالهية غير المعروفة من ناحية ، وجانب الله المعروف في السيفيروت ومن خلاله من ناحية أخرى - يعد أمرا محوريا في مدرسة اسحق الصوفية ، بل وأصبح هذا الفصل أكثر وضوحا في كتابات حواريه الأسبان . وقد عزز انتشار أفكار القبالة في المناطق القريبة من اسبانيا وقبولها في دوائر يهودية واسعة - الحقيقة التي مؤداها ان السلطات الرابية المتزعمة يهود اسبانيا في هذه الفترة ممثلة في الراي موسى بن ناحمان **Moses ben Nachman** الذي تشير اليه المراجع باسم **(Nachmanids ١١٩٤ - ١٢٧٠)** وكان هو نفسه قباليا . وبرغم انه لم يشرح أفكاره القبالية بتفصيل شديد في كتاباته الشعبية ، فانه أشار اليها كثيرا في تفسيره الصوفي (الباطني) للكتاب المقدس اليهودي عند حديثه عن أسفار موسى الخمسة (التوراة) ؛ اذ أضفى على القبالة الوليدة هالة من الاحترام ، وتحدث كثيرون من القباليين اللاحقين عنه باحترام شديد ، وأصبح لاهوته القائم على الصوفية أكثر قبولا لدى اليهود المحافظين الذين كانوا ينظرون للفلاسفة اليهود في العصور الوسطى ولاهوتهم الفلسفي بشك عميق . هذه الأفكار القبالية عن الله والكون قد تكون جديدة ، وقد تكون في وقت من الأوقات أفكارا راديكالية بالنسبة للفكر التوحيدي ، لكن على عكس الفلاسفة وجدنا القباليين قد استمروا في الاحتفاظ بارتباطهم بتفاصيل الهالاخاه (الشريعة) .

والى حد بعيد نجد ان أكثر الكتابات أهمية في القبالة الاسبانية هي كتاب السناء الالهى (سيفير ها - زهر **Sefer Ha-Zohar**) ، ويشار اليه ببساطة (بالزهر **the Zohar**) وظهر في ظروف غامضة في حوالى (١٢٨٠ - ١٢٨٦) ، وقد تداوله الناس عن طريق موسى الليونى **Moses de Leon** باعتباره نسخة مخطوطة للصوفية القديمة تضم تعاليم الراي سيمون بار يوشى **bar Yachai** وحواريه في فلسطين في القرن الثانى للميلاد . ومن الشائق ان فحصا ظاهريا لهذا الكتاب الذى كان متداولاً في اسبانيا في هذا الوقت ، يبين أنه قد وصل لاسبانيا عن طريق موسى بن ناحمان **Nachmanides** الذى كان قد هاجر الى فلسطين .

ومحاولة توثيق هذا الكتاب بعزوه الى موسى بن ناحمان ،
تظهر مدى التقدير الذي حازه بين القباليين . وقد ترك لنا الراي
اسحق Isaac of Acre المعاصر لموسى الليونى Moses de Leon
نصا طويلا عن جهوده للتحقق من قدم نص الزهر
Zohar . واحدى وجهات النظر التى وصل اليها الراي اسحق ،
هى ان موسى الليونى لم ينسب هذا الكتاب للحكيم اليهودى الكبير سيمون
بار يوشى Yochai الا ليحصل على مبالغ اكثر لنسخه من هذا المخطوط .
وعلى اية حال ، ففي الحقيقة انه كتبه - اى المخطوط - بنفسه بسبب
امتلاكه « الاسم السحري للكتابة magical writing name » ، أعنى
اسلوبا (تقنية) للكتابة الاوتوماتية ؛ بمعنى ان المؤلف كتبه تحت تأثير
قوى ملائكية او الهية . وقد اقسم موسى الليونى للراي اسحق Isaac
ان لديه المخطوط القديم الاصل فى بيته ، ودعا لزيارته لرؤيته . ولسوء
الحظ ، فقد مات موسى قبل تحقيق هذا العرض .

والدارسون الحديثون للقبالة عموما يقبلون وجهة النظر التى
قررها اسحق Isaac of Acre باسم أرملة موسى الليونى ، وهى
ان الزهر Zohar انما ألفه موسى الليونى نفسه ، وان مؤلفين
مختلفين آخرين أضافوا تباعا اسهاماتهم ، اذ شكلت هذه الكتابات
والاضافات جميعا ما يعرف اليوم بالزهر Zoharic Corpus . ويرفض
القباليون والدارسون الاكثر ميلا للتقليدية ان الزهر عمل (كتاب)
زائف ، ماداموا لا يستطيعون الموافقة على ان موسى الليونى كان مزيفا ،
كما ان ثراء تعاليم الزهر Zohar وعمقها لا يمكن ان تكون الا من
حكيم مثل الراي سيمون بار يوشى Simeon bar Yochai .
وحتى القبالي ذو العقلية الناقدة الراي يعقوب امدين Jacob Emden
الذى أشار الى ان بعض فقرات الزهر تعكس بشكل واضح ظروف
اسبانيا فى القرن الثالث عشر ، وبالتالى فلا يمكن ان تكون قد كتبت فى
فلسطين فى القرن الثانى ، ظل يؤمن - برغم هذا - ان الجزء الاساسى
فى الزهر ذو أصل قديم ، وكانت دوافعه لاطهار الاضافات التى أضيفت

في وقت متأخر للزمر - كما نمتك - مرتبطة بطريقة استعملت مرة
 (Shabbataim) لتكلم الزمر . ومع هذا فقد
 انصب هذا التباين للعاطلين .

تكلم الزمر

ليس الزمر معالجة نظامية للصوفية اليهودية . وانما كبر في
 حياة مدواي *Shabbatai* او تليفت على اسماء موسى الخمسة
 وغيرها من اسفار الكتاب للتكلم اليهودي تأخذ شكل العنق . هو
 كسلة للفتنة - واحيانا داخل القسم الواحد - قد تم معالجة الموضوع
 الواحد بطرائق مختلفة ، باستعمل سلسلة من الأوصاف الرمزية .
 وقد اخذ الزمر كثيرا من السمات الفكرية في العقيدة وفورما وصفها
 قصيدة جديدة . وفي الوقت نفسه ، فقد قلل الزمر من شأن عقيدة
 قبالية على الأقل ان لم يكن قد جعلها تافها ، وتضمن بها العقيدة الشفوية
 بالتكلم حول التسبوتوت *Semiotot* او دوائر الكون *World Cycles*
 والتي استمرت قاعة ، في فترات مختلفة يسيطر (نو بيسن) واحد
 من السيفيرون *Sefirot* الأدنى على الكون ، وان جانبيا بعينه من
 التوراة - بلائحة في مبادئه - تظل قاعة مؤثرة (في الكون) .

وفكرة تير ليلاني *Ter Lili* ، وكذلك فكرة التوراة الجديدة
 اللتان تليقان على كل عصر جديد ، تطلوكان على دلائل وتضمينات مختلفة
 بشكل واضح ، وقد يضر هذا تحت الزمر لإسما .

وتركز العقيدة الصوفية للزمر بشكل أساسي على الطبقات الالهية
 الثرمية *Divine Substances* من حيث طبيعتها وعملها . تلك
 الطبقات الالهية الكلمة وراء الحقيقة كما نمرتها . وفي مركز هذا التكوين
 الالهى وحدة السيفيرون العشرة في شكلها للشايك المقدس ، والقيوضان
 من القل الالهية والتي تكون بها الحقيقة وتضبط من خلالها .
 والرموز للشفقة للسيفيرون لها مكان لثنائية ميتولوجية . انها فروع

مجرد جندورها في السماء تربط السماء بالأرض . انها أعضاء جسده
 آدم كادمون *Adam Kadmon* - الإنسان الأول ، والنموذج الأصل
 لكل فرد من البشر . انها وجوه الملك الالهي ، ومجالات الله أو كمنزله ،
 والسماء الالهية ، والملاحق الأساسية لكل اللغات . الخ . وهي بمعنى
 من لغات جسده الفات الالهية التي هي - أي الذات - روح السيقيروت .
 وهي منقسمة الى ذكر وانثى ، المبعثن الأساسيان اللذان يكونان كل
 الحقيقة ، والسيقيروت كأفراد معروفون باسم الأب والأم والابن والابنة
 والزوج والزوجة ، والقسم القرعي من السيقيروت يكون عالم الشر ، وهو
 الموضوع الذي خصصت له الزهر مساحة كبيرة . وعالم الشر هذا معروف
 باسم الجانب الآخر *Other Side* ، سيترأ آشر أو أخرى
Sitra Achra) ، وسيقيروت الشر السفى انبثق من الذات
 الإلهية معروف باسم قوى النجاسة *Forces of Impurity* وقوى
 النجاسة هذه التي يقودها صلمائيل ؟ *Samael* وانتهاء ليلت
Lilit منظمة لتعمل ضد السيقيروت الأخرى التي تمثل قوى
 النجاسة . والمصدر الميثولوجي في أوصاف الزهر للشر ومركبه ضد
 النجاسة واضحة معلنة ، فالشر ليس موجودا في البشر وأنا أيضا في
 الله رغم أنه - أي الشر - ليس له حياة خاصة به وأنا لابد من ارتباطه
 بشكل طفيف بالقداسة ليكتسب حيوته منها . وهذا الجلب الآخر الشرور
 (السيترأ آشر) له طبيعة الأمر الخراب (المادة الخراب) ، انه القوقعة
 (الكليباء *kelipah*) حول النواة الحية للأشياء أو حول النور الالهي
 خلال كل الحقيقة . انه فعل الإنسان التي لعب دورا حاسما في عملية
 السيترأ آشر *Sitra Achra* (الشر أو الجانب الآخر) ، لأنه
 من خلال الخطيئة يطمق قوى النجاسة *Forces of Impurity* بالمتاصر
 التي تصعد بالحياة التي لا يمكنها أن تم بفنائها . وبمراعاة شرائع
 التوراة ولشاداتها ، يمكن لليهودي أن يساعد في قمع الشر
Sitra Achra ويجعل الكون في حالة اتساق . والتوفيق
 أو الاتساق يحتم أيضا القيام بأعمال لصالح قوى النجاسة ، كنوع من

انواع الرشوة لها (لتكف فعلها) . وبشكل عام ، فان خطايا اسرائيل لا تقسم الحيوية الشر (للسيئرا اشيرا) فحسب ، وانما لسمائيل Samael - وهو الجانب الذكري للشيطان - للسيطرة على الشخيانه Shekhinah ، الجانب الانثوى لس-يفيروت القداسة Sefirot of holiness ، وعندما يحدث هذا ، تنفصل الشخيانه عن زوجها الحقيقي ، تيفيريت Tiferet الجانب الذكوري للسيفيروت ولا يمكنها ان تعمل كرحم Womb تنساب من خلاله القوى الالهية (القداسة) للأرض . المعاناة والكوارث تتوالى تباعا على الانسان والكون . ومراعاة اليهودى للميتسفوت mitsvot (الوصايا الدينية) وتجنبه للخطايا ، له نتائج طيبة للعالم البشرى والعالم القدسى (الالهى) فيما ترى تعاليم الزهر .

هذه البانوراما ككل بمعانيها ومضامينها القوية ميثولوجيا والباطنية الفنتوسطية (كون الخلاص يأتى من طريق المعرفة الروحية) ، بل وحتى بشنويتها ترسم صورة لاهوتية ذات قوة ومزية هائلة . انها فى الوقت نفسه مختلفة عن كثير من جوانب التعاليم اليهودية غير القبالية . ورغم غرابة اللغة الآرامية التى كتبت بها الزهر فى غالبيتها - واحيانا استخدامها لكلمات غير معتادة - مما جعلها غير مفهومة لغير الباحثين ، فان افكارها سرعان ما بقيت من خلال كل مستويات الدين اليهودى المعروف . فتعاليم الزهر عن طبيعة السيفيروت ، والقوى الشيطانية ، وطبيعة الروح ودور للميتسفوت (الوصايا الدينية) خلال الدراما الكونية للصراع بين الخير والشر ونظرية تناسخ الارواح التى تناولتها بتفصيل كبير ، وكثير من التضمينات والمعانى الاضافية للممارسات (العبادات) اليهودية ، كل ذلك اصبح من المسائل المتداولة والشائعة بين يهود العصور الوسطى . لقد كان الصدام بين يهودية الزهر ويهودية التراث الرايى البسيط ، امرا حتميا ، فيهودية الزهر قامت على امس سلطان الروحى الصوفى (او الالهام الصوفى او الفيوضات الالهية على الصوفى) ،

واليهودية التقليدية الراهية قامت على أسس مناقشات نصوص التلمود ومبررات الهالاخاه (الشريعة) . واذا كان ما ظهر من صدام بين الاتجاهين كان معتدلا ، فهذا يرجع الى أن القباليين قد أعطوا الأولوية فى الظاهر للهالاخاه التلمودية (*) ، برغم أنهم كانوا يتبعون تعاليم الزهر فى حالة وجود تناقض أو تعارض بينها وبين الهالاخاه التلمودية . وعلى هذا ، فالراهى جوزيف كارو Joseph Caro مؤلف الشولحان عاروخ the Shulchan Aruck وهو الكود النمطى المعتمد فى القرن السادس عشر - والذي كان هو نفسه صوفيا ، يقرر بوضوح أن تعاليم الهالاخاه لابد أن تتبع التراث التلمودى أكثر من اتباعها الزهر Zohar . ان حدث تعارض بينهما (٨) ، وكثير من الممارسات القبالية التى دافع عنها الزهر والتى لم تكن تتعارض مع التلمود تبناها انصار الهالاخاه (علماء الشريعة halakhists) ، وادمجوها أخيرا كجزء من مدونات الشريعة اليهودية العادية . وعلى هذا ، فالحياة اليهودية كان يحدث بها إعادة تشكيل طوال تشربها لأفكار القبالة واتجاهاتها .

اليهود الصوفيون فى صفد Safed

والقبالة اللورىانية

لم يظهر أى عمل يتحدى تحديا جادا المكانة الأساسية للزهر Zohar الذى يمد الكتاب المقدس اليهودى Bible للقبالة - منذ القرن الرابع عشر حتى منتصف القرن السادس عشر . لقد كان طرد اليهود من اسبانيا فى سنة ١٤٩٢ - ذلك العمل المربك الذى سبب لليهود جروحا بالغة - بسبب تحريض محاكم التفتيش لمنع اليهود من التأثير على رفاقهم اليهود الذين أجبروا على التحول للمسيحية - هو الحافز الذى أدى الى تطوير أشكال جديدة من القبالة . اذ تشكلت رابطة من الصوفيين ذوى الأصول الاسبانية فى صفد Safed - وهى مدينة

(*) الشريعة كما تم استقاها من التلمود . (المترجم)

في الجليل الأعلى في شمال فلسطين - بعد أن ألهمتها فكرة قرب مجيء المسيح التي جرى إحيائها من جديد renewed messianism ، العودة إلى الديار المقدسة (فلسطين) في انتظار الخلاص (أو تحقيق الوعد Redemption) ، وكان الرأي بين هؤلاء القباليين أن قبالة الزهر قد بلغت الذروة في الكتابات الموسوعية لموسى القرطبي Moses Cordovero (١٥٢٢ - ١٥٧٠) . وكتاب القرطبي في الأساس محاولة لمنهج القبالة ، فقد وصف اتجاهاتها المختلفة من خلال المسارات الصوفية المختلفة ووفق بينها . وفي كتابه الكبير « باردز ريمونيم Pardes Rimonim » ، لا يكاد يكون قد تراء موضوعا مهما تناوله من سبقوه إلا وحله . والموضوع الوحيد الذي لم يتناوله هو عقيدة الشيموتوت Shemittot أو دوائر الكون World Cycles التي ألهمتها الزهر نفسها . وعند نهاية الفصل الأول من كتابه هذا Pardes Rimonim ، ناقش القرطبي Cordovero اتجاهات القباليين نحو اليهود الذين لم يتفاعلوا مع التراث الصوفي . لقد ميز بين اليهود الجاهلين بعقيدة السيقيروت ، والذين يرفضونها وهم واعين برفضهم هذا . أما النوع الأول ، فلا يمكن اتهامهم بالهرطقة « ومع هذا » . فان هذا اليهودي لا يستحق أن يرى النور في حياته ولا يستحق أن يتنوق حلاوة التوراة . . انه يموت بلا حكمة ولا يرى صلاحا حقيقيا » ، أما النوع الثاني فيرفض العقيدة الصوفية « لانهم أصبحوا معتادين على الحكمة الظاهرية [أى الفلسفية] . . ولا بد من وصف هؤلاء بانهم هراطقة ما داموا يتكرون التراث الشفهي لتفسير التوراة » .

وخلال العام الأخير من حياة القرطبي Cordovero عمل معلما لاسحق لوريا اشكينازي Isaac Luria Ashkenazi الذي وصل - مؤخرا - إلى صفه قادما من مصر ، وكان عمر لوريا لا يتعدى ٣٥ سنة ، وكان قد قضى بعض الوقت متنسكا في إحدى جزر النيل . وبعد موت

القرطبي Cordovero ، بل وربما أثناء حياته ، جذب لوريا اليه عددا من الاتباع وراح يعلمهم ما عرف بعد ذلك بالقبالة اللورانية Lurianic kabbalah . وكانت تعاليمه تتناقل شفاهة ، ثم جرى تسجيلها فى مذكرات من كتابات كتبها تلاميذه ، لأن هذه التعاليم كانت تفيض من لوريا ليضا بضغط من الالهام الذى يمتلكه بحيث كان من المحال أن يدونها بنفسه . وقد ضم كتاب اتس شايم Etz Chaim الذى كتبه شايم فيتال كالابريس Chaim Vital Calabres (١٥٤٢ - ١٦٢٠) اكثر العناصر أهمية فى قبالة لوريا ، وكان مؤلف هذا الكتاب أقرب تلاميذه اليه ، منذ وصوله الى صفد وحتى موته فى سنة ١٥٧٢ . وشرح فيتال Vital فى مقدمة كتابه Etz Chaim كيف انجذب الى دراسة القبالة للمرة الأولى ، وفى الثلاثين من عمره اعتراه اضطراب بالحقيقة التى مؤداها ان عصر مجيء المسيح messianic age لا يبدو انه يقترب ، وأن الشعب اليهودى قد نفى لفترة طويلة امتدت بالفعل لاكثر من الف وخمسمائة عام (*) ، ومن ثم فقد وجد طريقة للكتابات فى الزهر التى قررت أن العامل الأساسى فى تأخر ظهور المسيح (**) the Messiah هو اهمال دراسة القبالة ، ومن وقتها أصبح قباليا . ولم يكن الاهتمام بموضوع ظهور المسيح وبدايته عهدا جديدا قصرا على فيتال Vital ، فكل دوائر الصوفية اليهودية فى صفد كانت مشبعة بالحنين الى العودة الى أرض الميعاد والخلاص . Redemption وكان اسحق لوريا Isaac Luria نفسه يبدو وكأنه يعتقد أن له دورا محوريا فى العمل على اقتراب مجيء المسيح messianic process .

فالقبالة اللورانية - برغم انها تعتبر نفسها امتدادا لتعاليم الزهر - تقدم سلسلة من الرموز الجديدة لشرح علاقة الله بالكون التى تعطى

(*) وذلك عقب التدمير الاول لاورشليم سنة ٥٨٦ ق.م على يد نبوخذ نصر ولم تقم هولتهم بعد ذلك الا بعد الانتصاب البلاد من سكانها الفلسطينيين سنة ١٩٤٨ م أى بعد

٢٥٢٤ سنة (المراجع) .

(**) من المفهوم انه ليس المسيح عليه السلام الذى ظهر وانتهى امره .

اتجاهها غير مألوف للاهوت الصوفي اليهودي . فمبادرة الله بالأفعال في العمليات الكونية - وفقا لرؤية لوريا - تنطوي على تناقض أو انسحاب الى الذات Tzimtzum (انسحاب داخل self-Withdrawal) .
 وهذا الانسحاب أمر ضروري لكي يتكون الفراغ اللازم لوجود العالم ، وبدون هذا الفراغ تكون الذات الالهية (Ein Sof) في كل مكان ، وبالتالي لا يكون للكون وجود أي لا فراغ لوجوده ، أي لا مكان لوجوده .

• فلنعلم أنه قبل فيض الفيوضات أو انبثاقها ، وقبل خلق الوجود الموجود ، كان النور العلوي المتسق يملأ كل الوجود ولم يكن هناك فراغ أو لم تكن هناك مساحة شاغرة . وعندما كانت ارادة الله التي لا راد لها بخلق العوالم .. تركزت الذات الالهية Ein Sof في نقطة مركزية ، في الوسط منها نوره His very Light وكشف الله نوره وانسحب الى الجوانب حول النقطة المركزية ، فترك بذلك مساحة خالية وفضاء وفراغا ، (١٠) .

هذه العقيدة المتعلقة بانسحاب يهوه داخل نفسه tzimtzum (*) ، أصبحت رمزا دافعا قويا ومقترحا للقباليين الذين أتوا بعد ذلك . ووفقا للنسق الصوفي اللورياني ، فانه - أي انسحاب الله داخل ذاته - فعل يتكرر في كل مرحلة من مراحل عملية الخلق ، لكن أتباع لوريا حذروا من أخذ فكرة انسحاب الله داخل ذاته بمعناها الحرفي . فهذا الانسحاب الذاتي لله Tzimtzum يشير الى حقيقة رمزية ، ومع هذا فهو يفسر - بشكل ضمنى - الفاصل الحقيقي بين الله اللامتناهى واللامحدود والكون (العالم) المتناهي والمحدود . وفي قبالة الزهر • Zohar ظلال من عقيدة وحدة الوجود مادامت تقول بأن الكون قد انبثق من الجوهر الالهي نفسه أو الذات الالهية نفسها ، بينما التفسير الحرفي للانسحاب الالهي داخل ذاته tzimtzum هو إعادة التأكيد على فكرة التوحيد أو فكرة

(*) راجع تعليقات المترجم (المراجع) .

وجود إله واحد ، وبالتالي أنكار فكرة أن الله الكامل Perfect
يمكن أن يكون جزءا من العالم (الكون) غير الكامل . وأكد الراهب
يعقوب امدن Jacob Emden في كتاباته بعد لوريا Luria بقرنين أن
عقيدة انسحاب الله داخل ذاته Tzimtzum ضرورة عقلية ، فبدونها
لا يستطيع أى مفكر أن يفكر فى الخلق اذا لم يفترض أن الله محدود
(أو غير متناه) (١١) .

وكان هناك قباليون آخرون لم يروا فى فكرة انسحاب الله داخل
ذاته Tzimtzum معنى حرفيا ، مادام هذا الانسحاب فعلا لازما
لخلق الفضاء ، وبالتالي فلا بد أن تكون فكرة التوقع أو الانسحاب
هنا فكرة مجازية ، تعبر عن حقيقة رمزية . وقد رغب اسرائيل باك
شم توف Israel Baal Shem Tov (١٧٠٠ - ١٧٦٠)
مؤسس الصوفية التطهيرية فى التأكيد على حلول الله فى كل الخلق ،
وأن هذا الحلول قد تم اعماله عند التفسير الحرفى لفكرة انسحاب
الله لتهيئة الفراغ اللازم لخلق الكون Tzimtzum . لقد فسر هو
واتباعه من الصوفيين التطهيريين انسحاب الله داخل ذاته ، بمعنى أن
الله قد خبا نفسه خلال العالم المخلوق hidden himself within
the Created World . ووثقا لمدرسة شابات Chabad
التطهيرية ، فانه يمكن فهم هذا أحيانا باعتباره معنى ببساطة أن الله قد
سمح للانسان أن يدرك الكون ويفهمه ، ذلك الكون الذى لم يوجد بالفعل
على الإطلاق من وجهة نظر الله ، بينما نجد الصوفية التطهيرية فى
براسلاف Braslav ترى أن عقيدة انسحاب الله الى ذاته
Tzimtzum ، تدل على أنه يوجد فى صلب الحقيقة تناقض لا يمكن
اجتيازه بالعقل وانما - فقط - بالايان . هذا التناقض ينطوى على وجود
فضاء فارغ أو فراغ فى فضاء نشأ عن عملية انسحاب إله داخل ذاته
tzimtzum . فمن ناحية ، لابد أن يكون الله غائبا فى المساحة
التي تشكل فراغا أو فضاء تم تكوين الكون فيه ، ومن ناحية أخرى ، فانه

لأن الله غائبا حقا في هذا الفراغ ، فمن المحال وجود الكون . مادام
الله لا يمكن وجود شيء دون عون مستمر من الله . فلا بد من التأكيد على
حلول الله ووجوده المتكالي ، برغم انسحابه الى ذاته .

وسد ان سحب الله ذاته (قلص ذاته) ، بدأت عملية الخلق
بجفف النور الالهي في الفضاء الخالي empty Space وكان في هذا
النور تكوين الانسان الأول آدم كادمون Adam kadmon .
ووفقا لما ذكره لوريا Luria ، فقد احتاج هذا النور المتسق الى سفن
(كيليم Kelim) لتصله وتشكيله في اشكال مختلفة وتحديد
خصائص (المخلوقات) وكانت سفن (kelim) vessels
نور السيفيروت الدنيا غير قادرة على احتواء النور الالهي الذي فاض
حيها ، فكررت هذه السيفيروت الدنيا هذا النور وشكلت ومضات النور
في قطع فاصلة كل قطعة عن الأخرى . ونور التصحيح أو إعادة التقييم
هنا ، كان يتحتم ان يظهر ميثاقا خاصا لاستمرار عملية الخلق متضمنا -
في نور التصحيح هنا - ميثاقا لو شكل Configuration (٢)
السيفيروت . هنا التصحيح rectification (واسمه الاصطلاحي
تكون tikun) لم يكن كاملا ، وكان مطلوبا من الانسان أن يكمل
تكون tikun بتحقيق الهدف الصوفي الصحيح . فاذا أنجز كل
فرد ، ما لوكل اليه من التكون فسيصبح الكون محتفظا
بأساقته وتوازته ، وسيشرق عصر يحكم فيه المسيح الآتي
messianic age . وعلى النحو نفسه ، فاذا فشل الانسان في أداء
دوره في عملية التصحيح هذه فسيعاد تجسيده بعد موته he will be
reincarnated after death ليواصل عمل التكون .

وقد أعطت موضوعات القبالة اللورمانية تعبيرا عن المشاعر التي
حاصبت الأزمات والملهي التي اعتبعت طرد اليهود من اسبانيا والبرتغال ،

(*) من الكلمة أيضا الموضع لم تظهر الحيرة للأجرم الساية . (لترجم)

ما أنها أيضا قدمت لاهوتا يزيد من قناعات اليهودى اليانى الذى بدأ -
من مختلف الجوانب - غير متحكم فى مصيره (قمره) .

المسيحانية (٣) بعد الصوفية اللورانية

انتشرت القبالة اللورانية - التى كانت فى جوهرها تعاليم
للنخبة اليهودية ومقتصرة عليها - انتشارا كبيرا فى العالم اليهودى
وساعدت على توقع الوصول الى العصر المسيحانى بشكل محسوم .
وما ساعد المسيحانية messianism ، ما كان يمر به يهود أوروبا
من ظروف سيئة فى أعقاب ثورة الكوزاك Commack revolt ضد الحكم
البولندى التى أدت الى مذابح شيلنيكى Chelniciki فى سنة ١٦٤٨ ،
وعندما وصلت الأخبار الى المجتمعات اليهودية التى كانت مستتارة للغاية
بان شخصية مسيحانية قد ظهرت بين يهود الشرق levant ، ونمى
به شبائى تسيفى Shabbatou Tzvi (١٦٢٦ - ١٦٧٦) ، جرى
احتفاء منير بهذه المناسبة . وكان المنادون بالوضع المسيحانى لشبائى
متشبعين بالافكار اللورانية عن الافكار الأخروية الصوفية . وحتى بعد
أن أجبر شبائى على التحول الى الاسلام فى سنة ١٦٦٦ ، استمر
المخلصون من أتباعه فى الاعتقاد بأنه المسيح (٣) (المسيا Messiah)
وفسروا رده الى الاسلام ورجوعه عن اليهودية كمرحلة من مراحل
التيكوم Tikkun . وكان يتحتم أن ينزل المسيح (المسيا) الى
أعماق قوى الشر كي يحرر أو يطلق آخر ما بقى من طاقات النور . وقد
أثبتت القبالة اللورانية أنها عن طريق المفسرين الشبائيين (أتباع
شبائى) قد أصبحت مصدرا هائلا للاهوت الهرطقة (المقصود اللاهوت
المعارض لليهودية التقليدية) ، ومع تضاؤل الحركة الشبائية بعد تحول

(٣) او للمسيحانية (افكار متعلقة حول مجيء المسيح . وهو غير مسيح عليه السلام
المعروف فيما يرى اليهود) . (للترجم) .

(٣٣) مفهوم انه ليس للمسيح عليه السلام المعروف . يكتب أيضا للمسيح
(للترجم)

شباتاي الى الاسلام حدث رد فعل بين القطاعات اليهودية فى العالم الاكثر ميلا الى اليهودية الاصولية (الارثوذكسية) ، فقد رأت هذه القطاعات حركة شباتاي المسيحانية ، كتحد لكل قيم وطقوس الهالاخاه . لقد اصبحت التوترات الكامنة بين اليهودية الصوفية (او القائمة على معتقدات باطنية سرية) واليهودية الاصولية (او الظاهرية القائمة على الشرائع اليهودية الظاهرة) ، واضحة جادة وبذلت ضغوط شديدة لتصر القبالة على دوائر صغيرة للتأمل الصوفى لمنعها من تشكيل خطر على صميم نسيج اليهودية التقليدية .

هذه الهواجس العميقة فيما يتعلق بالمضمون الهرطقى الكامن فى الافكار اللوربانية ، تدعمت وتأكدت بسبب حركة بداها يعقوب فرانك Jacob Frank (١٧٢٦ - ١٧٩١) فى أعقاب انهيار الحركة الشباتية . لقد تبنت الحركة الفرانكية فى بولندا وشرق أوروبا كثيرا من الممارسات (العبادات) الاكثر تطرفا من عقائد الطائفة الشباتية . لقد استخدموا السلوك الطقسى المتناقض (المنطوى على تناقض فى المبادئ) - خاصة المتعلقة بخرق القيود الجنسية التى وردت فى الهالاخاه - كجزء من عباداتهم ، وقالوا بعقيدة مؤداها أن المسيح (المسياه) كرجل مقدس كان لعنة على العقيدة اليهودية كما زعم فرانك نفسه . وبعد أن تعرض فرانك واتباعه لاضطهاد قيادات اليهود الارثوذكس الذين كانوا لايزالون فى حالة اضطراب بسبب الهرطقة الشباتية ، بحث اتباع فرانك عن الحماية فى ظل الكنيسة الكاثوليكية فتحولوا الى المسيحية . وظهروا بوضوح انه برغم كونهم ضد تعاليم التلمود ، وأنهم راغبون فى تأييد المسيحية ، فانهم راغبون أيضا فى الاحتفاظ بالزهر Zohar كنص دينى حتى بعد تحولهم للمسيحية ، وبناء عليه استمروا فى ممارسة طقوس اليهودية الصوفية .

الحركة التطهيرية (الحاسيدية)

ما يناقض هذه الخلفية التى ذكرناها آنفا ، أن نجد من الضروري أن ننظر لنشاطات وتعاليم اسرائيل بن اليعازر Israel ben Eliezer

(١٧٠٠ - ١٧٦٠) المعروف باسم بال شيم توف Baal Shem Tov
 • Besht • وكان بشت داعية جوالا بين المجتمعات
 او بشت اليهودية الفقيرة في أوكرانيا وجنوب بولندا ، وقد فوجيء من اتصلوا به
 ببصيرته الدينية العميقة المتغلغلة وجمع حوله أخيرا جمعا غفيرا من الأتباع
 الأميين والمتعلمين على سواء • وكان بشت Besht قد تلقى قدرا
 قليلا من التعليم الرسمي وبدأ في الأساس قد علم نفسه بنفسه ، وعلى
 أية حال ، فقد كان منجذبا انجذابا صوفيا ، واستخدمت تجربته الصوفية
 الخاصة كسلطة بديلة قبلتها الزعامات الأوروبية الشرقية الراقية التي
 ركزت على الدراسات التلمودية •

ويظهر خطاب كتبه بشت لزوج أخته الراهب جيرشون الكوتوفي
 R. Gershon of kutov طبيعة شخصيته الصوفية ، وكان جيرشون
 يقيم وقتها في الأراضي المقدسة (فلسطين) • وكان تلميذ بشت ، وهو
 الراهب يعقوب يوسف البولونوي Jacob Joseph of Polonnoye
 هو المكلف بنقل الخطاب ، لكنه لم يستطع اكمال الرحلة الى فلسطين ،
 ونشر الخطاب أخيرا في آخر كتبه (بن بورات يوسف Ben Porat)
 Yosef (فاعتبر - أي الخطاب - وثيقة مهمة للتطهيرية (الحاسيدية)
 في مرحلتها الباكورة • ونصا موثقيا معتمدا لأفكار بشت الخاصة
 اخذت منه مباشرة دون تدخل أتباعه بشرحها •

• وفي مهرجان الاحتفال بالعام الجديد ، عام ٥٥٠٧ (الموافق
 ١٧٤٦ للميلاد) أنجزت طقوس الصعود بروحي وترتيل التعاويذ المساعدة
 على ذلك - بالطريقة التي تعرفها - ورأيت رؤى مذهشة لم أر مثلها منذ
 نضج فكري •• وعلى أية حال ، فعندما عدت الى جنة عدن الدنيا •
 the Lower Garden of Eden رأيت هناك عددا من أرواح الأحياء
 والأموات المعروفين لي ، وما لا يحصى من أرواح لا أعرفها ، كانت تتحرك
 - أي الأرواح - جيئة وذهابا بفرح غامر لصعودها من عالم الى عالم عن
 طريق الأساس (العمود) الذي يعرفه الصوفية •



وبسبب المساعدة الفاعلة التي أحسست بها بينهم وافقت على الصعود معهم ، ورأيت في رؤاى أن صمائيل (١٢) Samael قد صعد لتوجيه الاتهام ضد هذه البهجة الفاعلة التي لم يسبق لها مثيل . وانجز صمائيل مهمته ، وأمر بتحطيم عدد من الأرواح آمرا أن تموت ميتة غير طبيعية . وحاصرني الاضطراب ، وخاطرت بحياتى وسألت مجلس وسيدى (١٣) أن يذهب معى ففى ذهابى وصعودى للعوالم العليا خطر كبير .

ورحت أصعد مستوى بعد مستوى حتى دخلت الصلاة التى بها المسيا (*) Messiah (المسيح) فوجدته يدرس التوراة مع كل التانيم tannaim والتزاديكييم (**) tzaddikim ، وأيضا مع الرعاة السبعة .

وسألت المسيا (المسيح) مباشرة : متى يأتى السيد ؟ ، فاجابنى : ستعرف ذلك بما سأقول . عندما تصبح تعاليمكم منتشرة بشكل جيد وموحى بها فى العالم . وسوف تنتشر أكثر فأكثر ينادي ما علمتك إياه ، وأجتزتها أنت من ناحيتك ، وعندما يصبحون هم أيضا قادرين على تحقيق التوحد والصعود كما استطعت ، عندها ستنتهى كل الأصداف (القواقع) وسيكون الوقت المناسب قد حان للخلاص والرضى الالهى .

واعترتنى الدهشة لذلك وأصابنى كرب عظيم ، فان هذا لايمكن أن يحدث الا بعد فترة طويلة جدا .

وكان عدد من أتباع بشت دارسين متعمقين لليهودية الصوفية (الباطنية) ، واليهودية الظاهرية (أتباع المذهب الظاهرى فى اليهودية)

(*) غير للسبح عليه السلام المعروف ، وأنا آخر يتوقع اليهود حتى الآن مجيئه .
(المترجم)

(**) التزاديك (الصديق) Tzaddik : رجل صالح عال الروح تؤدى تطهيرته
ال أن يصبح قلبا فى الجماعات التطهيرية .
(انظر : ملحق المصطلحات) . (المترجم)

أكثر منه . وكان بعضهم - مثل الرابي فينياس شابيرو الكوريتزي Phineas Shapiro of koreta (١٧٢٦ - ١٧٩١) - لم يصبحوا من الناحية الفعلية أبدا تلاميذ أو حواريين له برغم تأثرهم الواضح بتعاليمه . وهناك آخرون - مثل الرابي يعقوب يوسف البولونوي Jacob Joseph of Polonnoye (المتوفى سنة ١٧٨٢) والرابي دوف بير Dov Baer ، ومجيد الميزيريتشي the Maggid of Mezeritch (توفي ١٧٧٢) - قد وصلوا بالفعل الى مراكز علمية وراوية قبل أن يصبحوا أتباعا وتلاميذ لبشت Besht . ولم يكن ما جذبهم الى تعاليمه قدرته على نقل ما ورد في الكتب الدينية ، وإنما فهمه للدين ، ووفقا لكلمات وردت في التراث التطهري (الحاسيدي) اللاحق ، فإن معلومات بشت عن اليهودية كانت معلومات ذات « روح » ، بينما معلوماتهم كانت تنقصها « الروح » . وعلى هذا ، فبمجرد روايته لبعض الحكايات والأمثال مكنهم من الوصول الى فهم جديد خاصة للقبالة ، لظهار ارتباطها بموقفهم أو وضعهم الذي كانوا عليه .

لقد غيرت مناواة البشيتية حياة أتباعه الدارسين واتجاهاتهم ، لقد أبدوا الاتجاهات البدعية في اليهودية من البشيتية ، وراحوا يطورونها كل واحد بطريقته . فالرابي يعقوب يوسف R. Jacob Joseph وهو مؤلف أول كتاب بشتي والمرسوم باسم (تولدوت ياكوف يوسف Toldot Yaakov Yosef) ، هو مصدرنا الرئيسي عن التعاليم الأصلية للبشت مادام البشت ، لم يكتب شيئا بنفسه . وبرغم أن الرابي يعقوب يوسف Jacob Joseph لابد من اعتباره أكثر مفسري أفكار سيده مدعاة للثقة ، فإن الرابي دوف بير Dov Baer هو الذي كان معروفا بقيادته للحركة بعد موت البشت .

فقد جمع الرابي دوف بير حوله مجموعة من الشباب وتلاميذ حواريين متحمسين وموهوبين بدرجة كبيرة ، شكلوا نخبة يوثق بها للدعوة للعقيدة الجديدة . وكان دوف بير Dov Baer هو الأعمق جنورا في تراث

القبالة التقليدية من البشيت ، وقد أعطى شكلا وتكويناً لايدولوجية لحركة
الأغرار (جمع غر أى صغير السن) *fie-gling movement* ، وكان
عليه أيضا أن يتحمل وطأة الهجوم القاسى الذى شنّه على التطهرين
المناضين لها (المتناجديم *Mitnagdim* ، ومعناها حرفيا المعارضون) ،
والذين راوا فى التطهريّة - ببساطة - مجرد أحياء أو بحث للأفكار
الشبّاتية (نسبة الى المسيحانى شبّاتاي الذى تحول للإسلام والآنف
ذكره) ، وكونت الحركة التطهريّة (الحاسيدية *Chasidism*)
سلسلة من التحديات أزاء محاولات الرابين المتناجديم (المعارضين)
للإبقاء على الحماس الدينى فى حله الأدنى بعد المسيحانية الصوفية
mystical messianism

وخلال حياة دوف بير تطورت القبالة البشيتية فى اتجاهين منفصلين .
ندوف بير *Dov Baer* الذى كان - على عكس أستاذه - ناسكا الى
حد ما درس نظرتة الخاصة للتطهريّة لمريدى حلقة خاصة من المريدين
فى ميزيرتش *Mezeritch* ، ولم تكن له الا صلات قليلة باليهود
المعادين غير المتعلمين فى الخارج . وفى الوقت نفسه ، فان أفرادا من
الصوفيين الدارسين أعلنوا رؤيتهم فى التعاليم البشيتية التى لم تكن
متفقة دائما مع اتجاهه فى الحركة ، برغم أن كثيرا من هذه التعاليم كانت
متفقة مع تعاليم دوف بير .

وكانت التطهريّة (الحاسيدية) فى القرن التاسع عشر - فى
جوهرها - استمرارا للتيار الذى كان فى ميزيرتش *Mezeritch* ،
أكثر من كونها استمرارا لتيار منافسى دوف بير . وبعد موت
المجيد *Maggid* أسس تلاميذه مدارس وسلاسل (أسرا تدين بمذهب
بعينه) خاصة بهم ، وأصبحت الحركة سلسلة من الحركات الفرعية
ساعد على تعددها ، وجود اليهود فى دول مختلفة ، والاختلاف فى
الممارسات العبادات والزعامات واللاهوت . وبعد التيار التطهري
(الحاسيدى) الوحيد الذى نما خارج تراث المجيد فى ميزيرتش ومازال

موجودا حتى الآن ، وهو ذلك التيار الذي أسسه الرابي ناخمان
البراسلافي R. Nachman of Braslav (١٧٧٢ - ١٨١١)
ابن حفيد بشت .

وبدت التعاليم الأصلية للبشت ، وكأنها تحولت لتتحلق حول عدد
من المحاور . لقد ركز على الجانب الذاتي للدين في مقابل التعاليم
الموضوعية للرايين في شرق أوروبا ، اذ يمكن للمرء أن يتعبد لله
(يخدمه) لا بمجرد تطبيق الوصايا الدينية (الميتسفوت Mitzvot)
فحسب ، بل بكل أفعاله لأن الله موجود في كل مكان . فالأمر المهم هو
الحالة الداخلية للإنسان ، ومقاصده ، وتعبد لله بسعادة (خدمته لله
بسعادة his Joyful Service of God) . والمصطلح الأساسي الذي
استخدمه البشت هو ديفيكوت devekut ويعني الاخلاص
(أو التكريس بحب شديد) ، وجرى التركيز عليه أكثر من التركيز على
تحصيل معلومات التوراة أو تنفيذ الطقوس بتدقيق شديد (بوسوسة
meticulous) . هذه الفكرة البديلة عن التقدير الفائق للالتزام
التعبدى الشديد وفقا لتعاليم الهالاخاه ، والذي كان منتشرا في الدوائر
الرابية الأرثوذكسية ، كانت أيضا متضمنة في تعاليم الشباتيين (أتباع
شباتاي الآنف ذكره) والفرانكيين (أتباع فرانك الآنف ذكره) ، تلك
التعاليم الصوفية التي تعارض الالتزام الحرفي بتعاليم الهالاخاه (الشريعة
اليهودية) والتعبد الحرفي بمقتضاها . والتعاليم البشيتية لاترفض
طقوس الهالاخاه لكنها - على أية حال - تضع - ببساطة - قيما مختلفة
للمركز على محاور دينية بعينها . وعلى كل انسان أن يجد بنفسه
المستوى الدينى الخاص به ، وينطلق للعمل من هذا المستوى .

وكانت النتائج الاجتماعية لتعاليمه ذات أهمية هائلة . فاليهودى
البسيط الذى يكاد يكون أميا ، أصبح وفقا للنظرة البشيتية للأمور كائنا
مساويا للآخرين من الناحية الدينية ، وربما كان يفوقهم ، بعد أن كانت
النخبة المتعلمة تنظر اليه على أنه أدنى درجة . فتقديره لليهودى غير



مرتبط بمعلوماته التي حصلها عن الشرائع التلمودية المعقدة ، وانما مرتبط بجوانب هذا اليهودى أو سريره الداخلية . وما دام جانب من النور الالهى مازال كامنا مكبلا فى العالم المادى ، فلا يمكن تحرير هذا النور الا عن طريق الانسان ، اذ على كاهل اليهودى يقع عبء تحرير هذا النور يربط كل شيء وكل فكر وكل فعل ، وتوحيده مع جذوره فى عالم اللاهوت .

وعلى أية حال ، فان البعد المنطوى على المساواة فى تعاليم البشث لا يمثل سوى جانب واحد من جوانب القصة . فثمة عقيدة واضحة لها اهميتها متعلقة بدور الانسان على الروح « الصديق » tzadik ، فى التطهيرية (الحاسيدية) Chasidism ، وقد وجدت هذه الفكرة بالفعل فى قبالة العصور الوسطى لكنها تطورت الى مدى ابعد فى نطاق التعاليم اللوربانية ، كما كانت هذه الفكرة كامنة خلف بعض الدعاوى التى تحلقت حول أقطاب الشبائين والفرانكيين والتى روجها حولهم الاتباع . وقد اتخذت رؤية التطهرين (الحاسيديين) للعقيدة فى « الصديق » tzadik ، أى الانسان على الروح ، أشكالا عدة ، وثمة فارق طفيف أو خط فاصل رفيع فى النظرة التطهيرية المتطرفة بين تعلق الصديق وقواه من ناحية ، والاعتقاد فى أنه موجود أو كائن يكاد يكون الها (نصف مقدس) من ناحية أخرى . وكان البشث نفسه ينظر (للصديق) أو (القطب) tzaddik كنقطة تصل ما بين السماء والأرض ، أو بتعبير آخر تصل العالم القدسى بالعالم الأرضى ، انه القناة التى يمكن من خلالها انسياب الطاقة المقدسة من السماء الى الأرض ، وهذا القطب هو الوسيلة لرفع دعوات الناس للسماء ، حيث يمكن أن تؤدي دورها فى عملية التيكون tikkun (أو التصحيح) .

وفى الفترة التى أعقبت موت المجدد the Maggid - عندما بدأت التطهيرية تتجمد حول قطبية القطب ، أو بتعبير آخر قيادة أو زعامة « الصديق » الفرد ، حدث تغير فى هذه العقيدة (عقيدة الصديق لـ القطب) . ففى كتابات الراى R. Elimelech of Lyzansk (١٧١٧ -

(١٧٨٧) وهو احد اتباع دوف بير Dov Baer - نجد أن الفكرة ترمز فى المقام الأول الى أن القطب أو الصديق tzaddik يملك القدرة على السيطرة على كل الأشياء الروحية منها والمادى :

• فالصديق (أو القطب) من خلال أفعاله المقدسة يمكنه أن يبطل كل الأفعال الشريرة ضد اسرائيل • فالله ينطق كلماته • • لأن الله قد جعله شريكاً فى عملية الخلق ، (١٦) •

وبرغم أن كان يوجد بعض المعارضين حتى من بين الأقطاب (الصديقين tzaddikim) الأوائل أنفسهم ، لفكرة أن القطب أو الصديق يمكنه (ويجب عليه) أن يحكم نجاحات أتباعه ، ويسيطر عليها وبالتالي يضمن معيشتهم ويعالج عقم نسائهم ويشفيهم من أمراضهم ، فإن هذه الفكرة سرعان ما أصبحت مقبولة كجزء من دور القطب أو الصديق • وعاش بعض الأقطاب (الصديقين) كسادة أقطاعيين Lords تأتيهم الهبات من أتباعهم التقويين (الحاسيديم Chasidim) ، ويفيضون من سلطانهم الروحي والدينى على أتباعهم العديدين ، والذين يكونون تجمعات يهودية ممتدة امتداداً كبيراً •

وكان المعارضون لهم (المتناجديم Mitnagdim) غير سعداء بكثير من جوانب هذه الحركة التقوية (الحاسيدية Chasidic) ، لقد عارضوا التركيز على الفناء والرقص واستخدام الكحول والتوباكو ، وأهمل التقويون (الحاسيديم Chasidic) دراسة التوراة ومراعاة الصلوات فى أوقاتها ، وما أحدثه (الأقطاب) التقويون من تغييرات طقسية صغيرة ، وما أزعجهم أكثر وضع (القطب) أو (الصديق) باعتباره واسطة بين الإنسان والله ، وبرغم أن الراى شيم الفولوزينى Chaim of Volozhin (١٧٤٩ - ١٨٢١) - الذى كان متسامحاً فى المادة إزاء التقوية - كان هو التابع الرئيسى للزعيم الروحي للمعارضين (الميتناجديم Mitnagdim)

الرجاء الفيلني Elijah of Vilna يكتب :

« حتى أن يجعل المرء نفسه تابعا مدعنا وأن يرتبط ارتباطا شديدا
ينسحق معين من العبادة لهذا الجانب المتمثل في الروح القدس في انسان ،
صواء كان نبيا أو موحى له من الروح القدس ، ان هذا يعنى أيضا الوثنية
بمعناها ، أو بتعبير آخر الوثنية الحققة (١٧) true idolatry ، ، »

فالتقوية (الحاسيدية) كحركة صوفية أحييت روح الضعف والتضائل
لدى جماهير اليهود في أوروبا الشرقية . لقد عملت التقوية أيضا كرحم
أو منبت للجوانب الخلاقة اليهودية ، بتطوير استخدام القصة القصيرة
والأمثال كوسيلة لتعليم الأفكار الدينية . ومن بين أكثر نتائج الحركة
أهمية إعادة تفسير القبالة اللوربانية بشكل نظامى صاغه شينور زلمان
الليادى Schneur Zalman of Ladi ، والانجذاب الصوفى المعارض
للعقل كما فى حالة ابراهيم الكاليسكى Abraham of kalisk ،
والصوفيون الذائبون فى الله أو الثملون به مثل ناشمان البراسلافى
Nachman of Braslav الذى أنشأ نوعا خاصا من القصص الخيالى
الصوفى (حكايات مرتبطة بالجن fairy tale) ، أو مثل مناحم مندل
الكوتسكى Menachem Mendel of Kotsk الذى أدى به بحثه عن
الحقيقة داخل نفسه وداخل الآخرين الى قضائه التسع عشرة سنة الأخيرة
من حياته فى عزلة كاملة ، ان اختلاف لاهوت اليهودية ، وانتشار هذا
الاختلاف اللاهوتى فى مدى قصير بسبب هذه الحركة مسألة جديدة
بالملاحظة على النحو نفسه . وربما كان أكثر أنواع هذا اللاهوت تطرفا
هو لاهوت مورديكاي يوسف لينر الأزييكى Mordecai Joseph Leiner
of Izbica ، الذى كان فى وقت من الأوقات تلميذا لكوتسك
Kotsk لكنه سرعان ما أصبح منافسا ومناوئا له ، وقد أنكر
الأزييكى فكرة أن الانسان حر الإرادة (صانع قدره) ، وأنكر وجود شيء
اسمه الخطيئة على الحقيقة ، والله - بالنسبة للينر - هو مصدر كل أفعال



الإنسان ، وليس هناك شيء اسمه خير وآخر اسمه شر الا من وجهة نظر
الإنسان النسبية .

وبمرور الوقت ، أصبحت الحركة التقوية ذات مؤسسات نظامية
ولم تعد حركة معارضة متمردة . لقد أصبحت التقوية اليوم مقبولة من
قبل معظم اليهود كجزء مكمل للمؤسسة الأرثوذكسية ، وبصرف النظر
عن البدع التي أدخلتها في بداياتها (مستهلاها) ، فقد أصبحت هذه
البدع أمرا غامضا يصعب تمييزه في قيمها ومبادئها عن الجماعات الفرعية
الأرثوذكسية المخالفة - خلال اليهودية ، فدراسة القبالة لم تعد مقتصرة
على التقويين المعاصرين فحسب ، وإنما شاركهم في ذلك اليهود غير
التقويين ، والجماعات التقوية الوحيدة التي لازالت تركز على اليهودية
الصوفية (الباطنية) هي جماعة تقوية شابات (حاسيديم شابات
Chabad Chasidim) التي اتبعت أيديولوجية مؤسسها :
الراي شنيير زلمان الليادي R. Schneur Zalman of Liadi وتقوية
(حاسيدية) براسلاف Bratslav Chasidim التي عرف أتباعها
باسم « التقوي الميت Dead Chasidim » ، لأنهم لم يعيشوا
« خليفة Successor » لشيوخهم الأول الراي ناحمان البراسلافي
R. Nachman of Bratslav ، واستمروا في دراسة كتاباته
كدليل يشكل حياتهم .

حركة الموسار Musar

أدى نجاح الحركة التقوية (الحاسيدية) اليهودية ، الى ظهور شيء
من الإصلاح المضاد بين المعارضين للتقوية المعروفين باسم الميتناجديم
Mitnagdim . واتخذ هذا الإصلاح المضاد اسم حركة الموسار
Musar Movement ، التي ركزت على الجوانب الجوانية
(الداخلية) للحياة الدينية والجوانب الأخلاقية للأعمال (لكن عن غير
الطرائق الصوفية أو الباطنية) . علم الحركة الجديدة بداها يوسف

زندل السالانتى Joseph Zundel of Salant (١٧٨٦ - ١٨٦٦) ،
 الذى كان تلميذا للرأبى شيم الفولوزينى R. Chaim of Volozhin ،
 اهم لاهوتى يهودى ارثوذكسى مناهض للحركة التقوية (الحاسيدية) .
 لقد تجنب يوسف زندل الشهرة ورفض دائما قبول منصب رأبى مفضلا
 أن يكون مجهولا معتزلا ، وقد أثر بتقواه على تلميذه اسراييل ليبكن
 سالانتر Israel Lipkin Salanter (١٨١٠ - ١٨٨٢) الذى
 تعلم اساليب الاستبطان (فحص المرء مشاعره واحاسيسه الداخلية) من
 معلمه ، كما تعلم منه طرائق جديدة لمحاولة الوصول بالذات الى الكمال
 كاسلوب من اساليب عبادة الله . وكانت افكار الرأبى شيم Chaim
 كامنة وراء افكار كل من يوسف زندل واسراييل ليبكن ، والتى مؤداهما
 أن على اليهودى أن يشارك بذروة وجوده فى المعاناة التى يمانىها رفاقه
 وأن يساعدهم .

لقد كان سالانتر Salanter هو المؤسس الفعلى لحركة الموسار
 Musar ، وقد قضى كثيرا من سنوات نضجه يطوف بين المجتمعات
 اليهودية لينشر بينهم مثل الموسار . لقد بشر باحياء الجوانب الأخلاقية
 لليهودية ، واحترام واجبات المرء والتزاماته نحو رفيقه ، تلك الواجبات
 التى كانت تطفى عليها العبادات او الاجراءات الطقسية الخالصة ،
 وضرورة سعى المرء نحو الكمال (أن يجعل ذاته كاملة) . ولقد وصل
 فى جولاته ورحلاته التبشيرية هذه الى أماكن بعيدة فذهب الى المانيا
 وفرنسا ، لكن الأماكن التى كان لتعاليمه فيها تأثير أكثر من غيرها تمثلت
 فى ليتوانيا ، خاصة فى مؤسساتها التعليمية (اليهودية) . وكان
 سالانتر Salanter مهتما اهتماما كبيرا بالازدهار الروحى لرفاقه
 اليهود ، ونقل هذا الاهتمام لعدد من أتباعه الموهوبين الذين أوجدوا
 بدورهم الوسائل التعليمية لتدريب جيل جديد على قيم الموسار .

لقد واجهت وجهات نظر سالانتر Salanter معارضة شديدة من
 المحافظين من بين زملائه الرأبيين . فبينما نجدهم اعترفوا بأن سالانتر

Salanter كان يساعد فى إيقاف تأثير حركة التنوير فى شرق أوروبا والتي كانت تعمل على اضعاف العلمانية على الهاسكالا (علمنة الهاسكالا Haskalah) بالسماح للطلبة والبالغين بدراسة التلمود ومناقشته مثنى مثنى Yeshivah ، فانهم اعتقدوا أن الدراسات التلمودية التقليدية كانت كافية لغرس كل مبادئ الموسار الضرورية لليهودى . لقد بدا سالانتر مؤسسا لمعيار للطهارة الخلقية ليكون محورا لليهودية يحل محل معايير الهالاخاه (الشريعة) الأقدم تماما . كما أن التقويين أقاموا الدين القائم على الاخلاص (التكريس) .

وبينما كانت حركة الموسار تشجع دراسة التلمود والتفسيرات الكلاسية له ، فقد كانت تعتقد أنه من خلال الدراسة المكثفة للتراث (الأدب) التقوى وحدها يمكن للمرء أن يعبد الله عبادة حقيقية . وهذا الأدب (التراث) التقوى لابد من قراءته من قبل معتنق أفكار الموسار بنغمة حزينة وعاطفة جياشة ، حتى لا ينعكس ما بالقارىء من قصور على هذا النص التعبدى .

وبعد موت سالانتر طور تلاميذه الحركة ، فظهرت عدة اتجاهات مختلفة . وكتب اسحق بلازر Isaac Blaser (١٨٣٧ - ١٩٠٧) أول كتاب عن الحركة الجديدة أو Yesrael ، شمل هذا الكتاب عددا من الخطابات القصار التى كتبها سالانتر . وأقام أيضا كليات للنخبة لتدريس طريق الموسار ، الذى كان يشمل كويل Cocolel للطلبة المتزوجين فى كوفنو Kovno ويشيفاه Yeshivah بالقرب من سلوبودكا Slobodka . وشجع بلازر Blaser تلاميذه ليتوسطوا بشأن خطيئة الانسان ، وبين الطبقات الدنيا حتى يصلوا الى درجة التواضع الحقيقية ، وليكونوا على وعى كامل بوجود الله . فهذه الدنيا دار اختبار يكون فيها الانسان حرا فى اختياره ، ومن خلال ممارسته للاختيار الصحيح يكون قد احتفظ بالثواب المخصص له فى العالم الآخر (الباقي) . ومارس بلازر نفسه نوعا من التقشف

التكفيرى (ليكفر من خطايا Penitential) وكان ينذر الصوم عن الكلام طوال شهر أيلول Elul العبرى الذى يسبق مهرجان العام اليهودى الجديد ، ويوم الكفارة Day of Atonement .

وقد أوجد يوسف ييزل هورفتس Joseph Yaizel Hurwitz (حوالى ١٨٥٠ - ١٩١٩) فرعاً أكثر تطرفاً ضمن تعاليم الموسار : لقد رفض أية محاولات للتوفيق بين الموسار والحياة المعتادة فى العالم . وقبل أن يقوم هورفيتس بدور فعال فى نشر أفكاره الخاصة بالموسار ، قضى هو نفسه بضعة سنين فى عزلة كاملة ليظهر روحه . فإذا كان الموسارى حقاً يعتقد فى الله ، فلا بد له أن يعيش معتمداً تماماً على هذا الاعتقاد متكللاً تملأ على الله وحده . ورحل هورفتس وتلاميذه - الذين كانوا قادرين على العيش وفقاً لتعاليمه الصلبة المشددة - خلال روسيا وأقاموا شبكة من اليشيفوت Yeshivot عرفت فيما بعد بموسار نافاردوك Navardok Musar ، وازدهرت جماعة نافاردوك وسط الصعوبات والمعوقات التى واجهتها من كل جانب . وبهذه الطريقة ، استطاعوا أن يضعوا ثقتهم فى الله فى موضع التجربة وأكملوا قوتهم النفسية الداخلية . ودافع هورفتس عن البحث الدؤوب الذى لا يلبس عن الحقيقة من خلال عبادة الله the Service of God ونسب إليه قول مؤداه : « اذا عرفت بوجود شخص فى بلاد بعيدة يمكنه أن يوضح الحقيقة لى سأترك كل ما أملك لأتعلم منه » (١٨) .

وثمة شكل آخر من الموسار أكثر اعتدالاً دافع عنه سيمشا زسل برويدا الكلمى Simcha Zissel Broida of Kelme (١٨٢٤ - ١٨٩٨) ، الذى آمن بالتشكيل العبدى (المرتبط بالمعبد اليهودى) بالنسبة للتعليم المتفرج (السلم التعليمى) ليتم من خلاله تلقين مبادئ الموسار ، وربط التأمل الداخلى ، والتفكير المستمر لترتبط بكل أعماله his Tions (الضمير هنا فيما يبدو عائد للكلمى) وكانت هذه عملية تستغرق الحياة

كلها ، وتحتاج لضبط النفس والتحكم فيها ، وقبل كل شيء السمو العقلي الذي يؤدي الى كبح أى عمل متسرع وغير منضبط .

وانتشرت حركة الموسار برغم المعارضة الراهبة - انتشارا سريعا بين المعارضين (الميتناجديم Mitnagdim) .

وقد انتهت حركة الموسار الى فراغ أيديولوجي ، فتحدى الحركة التقوية (الكازيديم) للأصولية الراهبة ، من ناحية ومحاولات علمنة الهاسكالا Haskalah من ناحية أخرى ، حتم ضرورة دينامية جديدة . وكان الراهب شيم الفولوزيني R. Chaim of Volozhin قد حاول ملء هذا الفراغ بتقديم منهج عقلي قبالي (صوفي) Kabbalistic rationale ليكون ذا قيمة محورية للمعارضين (الميتناجديم Mitnagdim) ، ونعني بهذا المنهج حياة دراسة التوراة . لكن كتابه (نفس ها - شيم Nefsh Ha-Cham) كان يفترض المعرفة العميقة المسبقة بالقبالة اللورانية ، وكان يتجاوز آفاق المتعلمين التلموديين . وعلى العكس من ذلك ، كان الموسار يتحدثون بلغة يمكن لاي يهودي أن يفهمها ، سواء اتفق مع منطلقاتها الأساسية أم لا . وكلما تطورت الحركة ، نقت نفسها من كثير من اليشيفوت Yeshivot المرتبط بيهود شرق أوروبا ، والذي كان يفرض دراسة مدتها نصف ساعة يوميا لنصوص الموسار كجزء من المنهج اليومي مع تعيين مرشد أخلاقي (ماشجياش mashgiash) ، مهمته العناية بالازدهار الروحي للطلاب .

وكانت النتيجة الثانوية للموسار هي تجديد الاهتمام باللاهوت اليهودي ، برغم أنه لم يكن اللاهوت الفلسفي للعصور الوسطى ، وإنما كان لاهوتا يبحث في كشف الأبعاد النفسية لعلاقات الإنسان بالله ونضاله - أي الإنسان - ليعيش حياة مقدسة ، وعلى نحو من الأنحاء ، فإن هذا الاتجاه كان موازيا لاعادة تفسير تقوية الثيوصوفية اللورانية

بمصطلحات نفسية (سيكولوجية) . وادت الاعتقادات اللاهوتية للموساريين بهم أخيرا الى استعارة أفكار من القبالة الكلاسيكية، ومن النغمة Chelidism ، واستخدامها لشرح رؤى الموسار الاسامية .

وعندما أصبحت الحركة مؤسسية (ذات مؤسسات) ، فقدت جاذبيتها الأصلية وسحرها الأول ، ولم يعد ثمة اتماع كثيرون لها في أشكالها المتطرفة . وادى تفجير اليهود الأوروبيين خلال الحقبة النازية الى محو المراكز الموسارية الكبرى ، والآن بقيت (الموسار) في شكل هزيا مثل في اليشيفوت Yeshivot كظل بقي من بقاياها الأولى .

تعليقات المترجم

على بعض ما ورد في الفصل السادس

لم يفض المسلمون في الحديث عن ذات الله ، واكتفوا بالقول بأنه سبحانه ، كما وصف نفسه ، وقلنا في تعليقات سابقة ان هذا الموقف يمثل الاتجاه الملمى الصحيح والوحيد ، لأن الخوض في غير ذلك إنما هو اجتراء على الحقيقة ، وعلى ذلك فلم تخل كتب علم الكلام (مقالات الإسلاميين للأشعري مثلاً) من ذكر آراء مختلفة لانجد فائدة في تكرارها هنا . ونحيل القارئ الكريم لما ورد في الترجمة العربية لهذا الكتاب فيما يتعلق بادعاء اليهود أن راببيهم وأحبارهم يستطيعون خلق بشر وكائنات لها أرواح . أما الحديث عن تناسخ الأرواح باعتباره الحل الوحيد لتفسير ما يعانيه بعض البشر دون سبب مفهوم لنا كان يولد الشخص لأمي أو مريضاً بداء عضال ، فإن المسلمين يرجعون ذلك لحكمة الله التي لا اعتراض عليها ، ولكونه سبحانه يعلم ما لا نعلمه ، فإله سبحانه هو الخير الخالص لكننا لا ندرى الحكمة الكامنة ، ونفضل هنا نقل بعض الفقرات من كتاب « شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر » لابن قيم الجوزية (طبعة دار إحياء الكتب العربية ص ٣٢٧ وما بعدها) :

« في تنزيه القضاء الإلهي عن الشر »

قال الله تعالى : (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) .

فصدر الآية سبحانه بتفرد بالملك كله . وأنه هو سبحانه هو الذى يؤتية من يشاء لا غيره . فالأول تفرد بالملك ، والثانى تفرد بالتصرف فيه . وأنه سبحانه هو الذى يعز من يشاء بما يشاء من أنواع العز ، ويذل من يشاء بسلب ذلك العز عنه . وأن الخير بيديه ليس لأحد معه من شئ . ثم ختمها بقوله : (أنك على كل شئ قدير) .

فتناولت الآية ملكه وحده وتصرفه وعموم قدرته . وتضمنت أن هذه التصرفات كلها بيده ، وأنها كلها خير ، فسلبه الملك عمن يشاء وإذلاله من يشاء خير ، وإن كان شرا بالنسبة الى المسلوب الذليل ، فإن هذا التصرف دائر بين العدل والفضل والحكمة والمصلحة لا يخرج عن ذلك ، وهذا كله خير يحمد عليه الرب ويثنى عليه به كما يحمد ويثنى عليه بتنزيهه عن الشر ، وأنه ليس اليه كما ثبت فى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ كان يثنى على ربه بذلك فى دعاء الاستفتاح فى قوله : « لبيك وسمديك ، والخير فى يديك والشر ليس اليك . أنا بك واليك . تباركت وتعاليت » . فتبارك وتعالى عن نسبة الشر اليه ، بل كل ما نسب اليه فهو خير ، والشر إنما صار شرا لانقطاع نسبته وإضافته اليه . فلو أضيف اليه لم يكن شرا كما سيأتى بيانه . وهو سبحانه خالق الخير والشر . فالشر فى بعض مخلوقاته لا فى خلقه وفعله . وخلق وفعله وقضاؤه وقدره خير كله . ولهذا تنزه سبحانه عن الظلم الذى حقيقته وضع الشئ فى غير موضعه كما تقدم . فلا يضع الأشياء إلا فى مواضعها اللاتقة بها . . . وذلك خير كله . والشر وضع الشئ فى غير محله . فإذا وضع فى محله لم يكن شرا . فعلم أن الشر ليس اليه . وأسماؤه الحسنى تشهد بذلك ، فإن منها القدوس السلام العزيز الجبار المتكبر ، فالقدوس المنزه من كل شر ونقص وعيب ، كما قال أهل التفسير هو الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به . وهذا قول أهل اللغة . وأصل الكلمة من الطهارة والنزاهة . ومنه بيت المقدس لأنه مكان يتطهر فيه من الذنوب . ومن له لا يريه إلا الصلاة فيه وجع من حقيقته كيوم ولعته أمه . ومنه سميت الجنة حظيرة القدس لطهارتها من آفات الدنيا ، ومنه سمي



جبريل روح القدس لانه طاهر من كل عيب . ومنه قول الملائكة :
(ونحن نسبح بحمده ونقدس لك) .

ف قيل : المعنى ونقدس انفسنا لك ، فعلى باللام . وهذا ليس
بشيء . والصواب ان المعنى نقدسك وننزهك عما لا يليق بك . هذا قول
جمهور اهل التفسير . وقال ابن جرير : ونقدس لك ننسبك الى ما هو
من صفاتك من الطهارة من الأدناس ، وما اضاف اليك اهل الكفر بك .
قال : وقال بعضهم : نعظمك ونمجده . قاله ابو صالح . وقال مجاهد :
نعظمك ونكبرك . انتهى . وقال بعضهم : ننزهك عن السوء فلا ننسبه
اليك . واللام فيه على حدها في قوله ردف لكم ، لان المعنى تنزيه الله
لا تنزيه نفوسهم لأجله . قلت : ولهذا قرن هذا اللفظ بقولهم :
« نسبح بحمده » ، فان التسبيح تنزيه عن كل سوء . قال
ميمون بن مهران : سبحان الله كلمة يعظم بها الرب ويحاشى بها من
السوء . وقال ابن عباس : هي تنزيه الله من كل سوء ، واصل اللفظة
من المبالغة . من قولهم : سبحت في الأرض ، اذا تباعلت فيها . ومنه :
(وكل في فلك يسبحون) .

فمن اتنى على الله ونزهه عن السوء فقد سبحه . ويقال : سبى الله
وسبى له ، وقدمه قس له . وكذلك اسمه السلام ، فانه الذى سلم من
العيوب والنقائص . ووصفه بالسلام أبلغ فى ذلك من وصفه بالسالم .
ومن موجبات وصفه بذلك سلامة خلقه من ظلمه لهم . فسلم سبحانه من
ارادة الظلم والشر ، ومن التسمية به ، ومن فعله ، ومن نسبته اليه .
فهو السلام من صفات النقص وأفعال النقص وأسماء النقص ، المسلم
لخلقه من الظلم . ولهذا وصف سبحانه ليلة القدر بأنها سلام ، والجنة
بأنها دار السلام ، وتحية أهلها السلام . وأثنى على أوليائه بالقول
السلام ، كل ذلك السالم من العيوب . وكذلك الكبير من أسمائه ،
والتكبر . قال قتادة وغيره : هو الذى تكبر عن السوء . وقال ايضا :
الذى تكبر عن السيئات . وقال مقاتل : المتعظم عن كل سوء . وقال



أبو اسحاق : الذي يكبر عن ظلم عباده . وكذلك اسمه العزيز الذي له العزة التامة ، ومن تمام عزته براءته عن كل سوء وشر وعيب ، .

أما قول المؤلف (الآن أنترمان) ان الشعب اليهودي نفى لفترة تزيد على ١٥٠٠ سنة ، فيقصد به منذ سنة ٧٢١ ق.م حيث استطاع سرجون الثاني الملك الأسوذي محق مملكة اسرائيل أو سنة ٥٨٦ ق.م حيث سقطت مملكة يهوذا في أيدي البابليين (انظر : اليهودية المذكور أحمد شلبي ، ط ٥ ، ص ٨٩) .

الجزء الثانى

الشريعة اليهودية

“الطقوس والممارسات اليهودية”

الهالاخاه (الشريعة)

الطريق اليهودى

دين الكتاب المقدس العبرى (العبرانى) مرتبط ارتباطا وثيقا بحياة شعب زراعى ، بما فيها من طقوس ورموز . فخلال النفى البابلى فى القرن السادس قبل الميلاد ، اضطربت البنى الدينية التى كانت فى ارض اسرائيل ، وحلت محلها أشكال جديدة من العبادات بما فى ذلك ظهور المعبد اليهودى كمؤسسة دينية بمثابة مقر محلى للدراسة والصلاة . وعلى أية حال ، فإن الديانة اليهودية - كما هى موجودة الآن - لم تعرف الا بعد تحطيم الهيكل الثانى سنة ٧٠ ق م . ومن يومها ، بدأت اليهودية فى تطوير أفكار ومؤسسات تعينها على الاستمرار دون طقس تقديم الاضحيات ودون ارض (وطن) .

لقد تمخض عن مشاورات الاحبار والرابين وتأملاتهم فى يافنه Yovneh عقب تدمير القدس وحتى انفجار ثورة الباركوخبا (*) Bar Kokhba ضد روما فى سنة ١٣٢ ق م - هيكل عام

(*) ترسمها بعض الكتب باركو حابا ، ومن المعلومات المقيمة عنه أنه قائد الثورة اليهودية التى اشتعلت عام ١٣٢ ميلادية كنوع من التمرد على الحضارة لرومانية التى كانت تعطى بكثير من القبول لدى اثرياء اليهود آنئذ نظرا لتفرقها وقد كان الحاخام عقيبا ابن يوسف من كبار الداعين للانفصال عن الاعيار ، وللثورة المسلحة ولذلك فحيثما أعلن =

لحياة دينية يهودية جديدة • فبينما كان اليهود يرون أنفسهم كمؤمنين
حقا قبل تدمير الهيكل ، فإن الأحبار والرايين فى يافنه Yavneh
أوحوا لليهود ووجوههم ببناء بنى دينية جديدة ، وتكوين مؤسسات
دينية أكثر قدرة على التكيف • فلم يعد هناك تركيز على طقوس الهيكل ،
وبدلا من ذلك أصبح التركيز على الطقوس التى محورها الجماعة والبيت •
لقد أصبحت التوراة والميتسفا (الوصايا الدينية mitzvah)
هما الفكرتان المحوريتان فى يهودية ما بعد يافنه
Post-Yavneh Judaism • ولم تكن التوراة مجرد كلمة الله
عبر عنها فى كتاب مقدس ، وإنما هى المحور الكلى الحى والعضوى
للتعاليم اليهودية ، فدراسة التوراة والتأمل فيها والبحث عن رؤى جديدة
بها من بين أعلى القيم اليهودية •

• فمن يشغل نفسه بالتوراة ، وبأعمال تنطوى على حب الرحمة ،
مقفورة له كل خطايا • (١) •

= شاب يهودى يدعى سيمون للثورة نادى عقيبا بأنه للمسيح وسماه باركوخابا (عبارة آرامية
تعنى : ابن الكواكب) حيث انه جاء فى العهد القديم أن (نجما سيبزج من صلب يعقوب)
العار للامسيح للمخلص وقد التف بطى جماعات اليهود حول باركوخابا ودخلوا فى حرب
مع الرومان والحقا بهم الهزائم فى بادئ الامر ، ولكن حينما أرسلت روما الامدادات
المسكينة لقواتها انهزمت قوات المتمردين وسقطت بيتار آخر معقل لهم ولقى باركوخابا
و زملائه حتهم فى المعركة فانقض اليهود من حوله وأطلقوا على ابن الكواكب اسم
« بركوزيا » أى « ابن الكذاب » وعلى أثر فشل الثورة ، أصبحت اورشليم مدينة محرمة
على اليهود •

وباركوخابا يجسد كثيرا من المثل العليا للصهيونية ، فهو يهودى يرفض الاندماج كما
انه يدعى النبوة ، ويريد فرض رؤية على الواقع التاريخى وهو فوق هذا كله يعيش بالسيف
وليس بالكتاب بل انه كان كثير السفرية من القيم الدينية التقليدية فقد صلى مرة قائلا :
« يا الهى انا لا أريد مساعدتك ولكن لا تهمد علينا الامر » أى أن إيمانه باليهودية
يعصب على الجانب القومى بالدرجة الأولى دون الجانب الدينى - الأخلاقى ولكن رغم هذا
فمن الغريب أن باركوخابا هذا البطل الذى يسجد الصهاينة لم يكن يعرف العبرية على
الإطلاق إذ انه كان يتحدث بالآرامية لغة اليهود فى فلسطين آنذا • المترجم •

هذا التركيز على دراسة التوراة ضمن وجود عملية نمو أو تطور داخل اليهودية ، وبرغم أن الدراسة الرسمية تؤدي حتما الى السكولاستية « التمهيد » وما يؤدي اليه من تمسك شديد بأصول مذهب ومنهجه ، فان الحاجة لايجاد تأملات أو نظرات متعمقة في التوراة كانت تعني أنه لا مهرب من الديالكتيك الداخلي أثناء التغيير . لقد مد الدارسون اليهود ببراعتهم الهائلة وطاقاتهم العقلية مجال الأفكار التوراتية، ووسعوها فلم تعد تنطبق على الماضي وحده ، وانما استقوا منها رؤى جديدة في بحثهم عن قيم وتبصرات جديدة new insights .

وعلى النحو نفسه ، فان أفكار الميتسفا (الوصايا الدينية) قد امتدت وتوسعت فلم تعد مجرد « وصايا » بالمعنى الاصلى للكلمة Commandment . فقد كانت الميتسفا تنطبق على أى مبدأ أو وصية في نطاق اليهودية - سواء اليهودية القديمة أو اليهودية الحديثة - تشير الى فعل من أفعال الاحسان والخير كما تشير الى سلوك منضبط . دفعا للطقوس اليهودية . فالميتسفا (الوصايا الدينية) كان يندرج تحتها نسق حياة اليهودى كله ، لأنه فى اليهودية لا يوجد طقس دينى منفصل عن الحياة (*) ، فكل سلوك اليهودى ما هو الا تعبير عن الحياة وفقا لأوامر الله : فالحياة اليومية نفسها أصبحت سرا مقدسا ، باعتبارها مشاركة لليهودى (مع الله) فى عملية الخلق المستمرة (**).

تنظيم الهالاخاه (الشريعة) وتصنيفها وتبويبها

أدى التركيز على محتوى الميتسفا (الوصايا) الى ظهور كم ضخ من الكتابات التشريعية عن موضوع الهالاخاه (الشريعة) ، التى تعنى (الطريق Way ، أو المجاز Path ، وتعد الميشناه Mishnah - التى أخذت شكلها النهائى على يد الرابى يهوذا الأمير

(*) اليهودية دين ودنيا (المترجم) .

(**) لا خالق الا الله ، ولا يخلقون ذبابا ولو اجتمعوا له وقد رد القرآن الكريم على

مثل هذه الأكاذيب . (المترجم)

R. Judah the Prince وتلاميذه في حوالي نهاية القرن الثاني للميلاد - هي أقدم مثال من هذا التراث خارج نطاق الاشارات التوراتية للقضايا التشريعية . والميشناه ليست مدونة قانونية ، وانما هي سجل لآراء مهنة تطور حول مجموعة مختارة من قضايا الهالاخاه . وهي - اي الميشناه - اما قد دونت لو نظمت لو بوبت وكتبت عليها التعليقات كمصدر تشريعي (هالاخاوى) مقنن ، لابد أن تتخذ كل المناقشات التشريعية اللاحقة منه نقطة انطلاق (٢) . وقد ساعد على اعتبار الميشناه المصدر الموثوق به للهالاخاه للطراية rabbinic halakhah

ما حظى به الرابي يهوذا الامير من تقدير كبير ، والظروف المضطربة في فلسطين تحت الحكم الرومانى المعادى لليهود . ويوجد عملان آخران انبثقا من عصور الميشناه تم تحريرهما في زمن متأخر جدا ، وهما التوسيفتا Tosefta التي تسير على نسق الميشناه لكنها تضم مواد غير موجودة فيها (أى غير موجودة في الميشناه) ، والميدراشيم midrashim الهالاخاوية (التشريعية) (*) التي هي تعليقات شرعية على أسفار موسى الخمسة (باستثناء سفر التكوين الذي لا يحوى تشريعات هالاخاه مباشرة) . ولم يكن الشكل الميدراشى مستخدما على نطاق واسع في الكتابات التشريعية في الحقب المتأخرة ، لأنه برغم ما لهذا الشكل الميدراشى من ميزة ربط الهالاخاه بآيات الكتاب المقدس اليهودى التي تستمد منها احكامها ، فانها أيضا غير مرتبطة بتحقيق أهداف التشريعات العملية .

ومن القرن الثالث الى السادس للميلاد ، جرت دراسة المواد التي تضمها الميدراش ، وجرى تحليلها ، وتمت مقارنتها بالمجموعات التي تضم كتابات الهالاخاه الأخرى ، والتي كانت تروى شفاهة . وقد تم تنقيح هذا الكم الكبير من هذه المادة الجديدة أخيرا في فلسطين ، في الجزء الأخير من القرن الرابع عندما بدأت الحياة اليهودية تفسد بسبب الاضطهاد المسيحى ، وأصبحت هذه المادة معروفة بتلمود القدس برغم

Or tannaitic midrashim

(*)

انها - من الناحية الفعلية - لم تكن قد حررت في القدس . وبعد قرن
 لا أكثر . جرى تنقيح منفصل آخر لهذه المادة في بابل ، ومن المفترض
 ان هذا التلمود البابلي كان أيضا رد فعل للتشريعات المعادية لليهود
 والاضطهاد الذي تعرضوا له ، مما فرض ضرورة وجود نص مرتب موثق
 معتمد . واختلف هذان التنقيحان في أسلوب توجيه الأسئلة في المسائل
 الشرعية ، وفي اللاهوت وحتى في الفتاوى (القرارات) حول الأحكام
 الهالاخاوية النهائية في القضايا المطروحة . واتبع اليهود الفلسطينيون
 لفترة تلمود القدس ، بينما اتبع يهود بابل تعاليم التلمود البابلي
 وما انتهى اليه من قرارات (فتاوى) . وتم توقي انقسام هائل في اليهودية
 بسبب أن الحياة اليهودية في فلسطين انهارت انهيارا سريعا ، بينما كانت
 الحياة اليهودية في بابل تزدهر في القرون التي أعقبت تنقيح التلمودين
 (تلمود القدس وتلمود بابل) . اذ جرى العمل مرة أخرى في تلمود
 بابل وأعيد تحريره وأضاف اليه حكماء ما بعد الفترة التلمودية ،
 والمعروفون باسم سانفوريم Savoraim . وعلى العكس من ذلك ،
 فان تلمود القدس لم تحلق به أية تنقيحات تحريرية وانتهى به الأمر الى
 ان أصبح أقل موثوقية من تلمود بابل . لقد شكل التلمود البابلي أكثر
 من أى نص يهودى آخر - ربما باستثناء الكتاب المقدس اليهودى -
 أسلوب التفكير اليهودى والنظرة اليهودية للأمور ولاهوت اليهودية
 وتشريعاتها طوال الأكثر من الألف والخمسمائة عام الأخيرة . فبالنسبة
 لليهود الأرثوذكس ، يعد التلمود البابلي هو النص الموثق والمعتمد
 لليهودية ، ويتعرض منكروه والمشكك في مصداقيته لتهمة الهرطقة .

ومنذ اتمام التلمود البابلي حتى القرن الحادى عشر ، كان مركز
 التطور الهالاخاوى (الشرعى) يتحلق حول حكماء يهود بابل ، والمعروفين
 باسم جونيم geonim (المفرد جون goan) . هذا اللقب
 الآنف ذكره والذي يعنى « الشخص رفيع المقام » أطلق على رؤساء
 الاكاديميين اليهود الأساسيين في بابل ، الذين اعتبروا أنفسهم حراسا
 على تراث التلمود البابلي . ووجه اليهود من مختلف أنحاء العالم

الاستفسارات لهم ، وكان الكثير من هذه الاسئلة والاستفسارات نطلب توضيحاً لبعض الفقرات التلمودية الغامضة . وبين هؤلاء الجونيم (حكماء يهود بابل geonim) ، ظهرت المحاولات الأولى لوضع الهالاخاه التلمودية فى شكل بنود أو عناصر مبوبة (المقصود استخلاص التشريعات من نصوص التلمود البابلى) . وكان هدف تكويد التلمود (وضعه فى شكل بنود تشريعية) هو تقنين الممارسات والعبادات اليهودية ، ولتيسير الشريعة اليهودية (الهالاخاه) لليهود غير القادرين على متابعة المناقشات التلمودية المعقدة . وقد أدى هذا من ناحية أخرى الى مزيد من محاولات التكوين والتقنين (صياغة الشريعة فى مواد) بين اليهود خارج بابل ، وكانت أكثر هذه المحاولات أهمية تلك التى جرت على يد اسحق الفاسى Isaac Alfasi فى شمال أفريقيا ، الذى استخلص المواد التشريعية (الهالاخاوية) من التلمود البابلى فى القرن الحادى عشر (كما استخلص بعض المواد المتعلقة بالهجادة - أى مواد نتناول العقيدة والأخلاق) .

ومع تدهور بابل كمركز رئيسى للحياة اليهودية فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر ، ظهرت أشكال جديدة للإبداع التشريعى اليهودى (الهالاخاوى) بين يهود أوروبا وشمال أفريقيا ، الذين لم يستطيعوا البحث عن مرشد لهم من بين رفاقهم فى الدين فى الشرق ، وأشهر عمل متعلق بالشريعة اليهودية (الهالاخاه) فى هذه الفترة هو مدونة موسى بن ميمون التشريعية ، وهو حكيم يهودى وفيلسوف اسباني عاش سنوات فضجه فى مصر كطبيب لأسرة سلطانها . فكتاب ابن ميمون المعروف باسم ميشنة التوراة Mishneh Torah أو ياد - ها - شازاكاه Yad Ha-Chazakah يقدم محاولة لتصنيف كل الشريعة (الهالاخاه) الموجودة فى الكتابات الراحية ، سواء أكان يمكن تطبيقها فى القرن الثانى عشر (زمن ابن ميمون) أم لا ، وتبويبها وفقاً لموضوعات . ولم يقدم لنا ابن ميمون مصادر ما انتهى اليه والذى صاغه بشكل واضح ، وبلغة عبرية سهلة وشرح المبادى .

او الأسس الكامنة وراء التشريع « الهالاخاء » ، وضم اليها مواد ذوات طبيعة لاهوتية وعقيدية ، وفي مقدمة مدونته التشريعية هذه نقرا :

« وجدت من الملأ ان أجمع المواد .. المتعلقة بالحرام والحلال ، وما هو طاهر وما هو نجس Clean & unclean ، مما بالإضافة الى شرائع التوراة الأخرى . وضمت كل ذلك فى لفة واضحة وبطريقة مختصرة ، حتى تتاح التعاليم المروية (المنقولة شفاهة) لكل الناس دون حاجة لتوجيه أسئلة ودون صعوبة .. حتى تكون كل الشرائع متاحة بشكل واضح للشباب والشيوخ .. وحتى لا يحتاج أى أحد لى كتاب آخر فى العالم متعلق بسرائع اسرائيل ، فهذا الكتاب يضم جميعا لكل التعاليم المروية شفاهة .. لهذا ، فقد اطلقت على هذه المدونة اسم ميشنة التوراة Mishneh Torah (أى العمل الثانى فى الأهمية بعد التوراة) ، لأنه على اليهودى أن يقرأ التوراة أولا ثم يقرأ بعد ذلك على هذا .. فان فعل فهو ليس بحاجة لقراءة أى كتاب آخر بينهما » .

ومدونة موسى بن ميمون التشريعية هذه - مثل كتابه اللاهوتى دليل الحيران magnum Opus - كانت موضع خلاف كبير . لقد تعرض للنقد لعدم ذكره مصادره ولعدم اشارته للأراء المخالفة فى الكتابات الأقدم ، ولاشتمال كتابه على مواد فلسفية ، ولاهماله الدراسة التلمودية التى كانت تستلزمها مدونته . وتمخض الخلاف عن سلسلة متكاملة من التعليقات والشروح على هذه المدونة ، بعضها يدافع عن المؤلف وبعضها يهاجمه . فما كان يقصد اليه ابن ميمون من ايجاد مجموعة بسيطة من أحكام الشريعة اليهودية (الهالاخاء) التى لا يعترها اضطراب ولا خلاف عليها ، أصبح بمرور الوقت محورا لكتابات عن التحايل الشرعى على هذه الشريعة ذاتها .

ولواجهة القصور الذى وجده ناقدوه فى مدونته ، قام دارسون كثيرون فى فترة ما بعد ابن ميمون بالرجوع الى الملخصات الشرعية

(الهالاخاوية) الاقدم ، والتي كانت تتبع نسق البحوث التلمودية وترتيبها . وفي بواكير القرن الرابع عشر ، اكتملت مثل هذه المصنوعة (التي تسير على النسق التلمودي وترتيبه ومحتواه) على يد الرابي اشير ابن يشيل R. Acher ben Yechiel المصروف باسم روش Rosh ، وهو باحث يهودي الماني هاجر الى اسبانيا . وقد ضم الرابي اشير Asher مواد من الاكاديميات اليهودية الفرنسية الالمانية ، والتي لم يكن لها وجود في المصنوعات التي أتت من الشرق او شمال أفريقيا او اسبانيا . وقصد بعمله أن يكون ملحقا للتلمود ، ليستخدمه أولئك الذين يقرءون المناقشات التلمودية ويبحثون عن شروح وتوضيحات للأحكام الشرعية (الهالاخاوية) . وقد عارض حقا في إحدى اجاباته استخدام مدونات شرعية - كمدونة ابن ميمون - من قبل أولئك الذين لم يعتادوا التعامل مع النص التلمودي .

وبرغم ان مدونة الرابي اشير قد لاقت احتراما واسعا ، فقد وقع على كاهل ابنه - الرابي يعقوب بن اشير R. Jacob ben Asher - أن يجعل صياغة التشريعات اليهودية في شكل مدونة ، مثالا يحتذى كل من تناولوا الشريعة اليهودية بعد ذلك (الهالاخاويون) . لقد قسم الرابي يعقوب موضوعات الشريعة اليهودية (الهالاخاه) الى فئات أو موضوعات أطلق عليها توريم Turim (صفوف rows) ، وأطلق على مدونته اسم « أربعة توريم Arba'ah Turim » الفئة الأولى (المجال الأول) أطلق عليه تور أوراش شيم Tur Orach Chaim ويتناول الحياة اليومية لليهودي والطقوس المرتبطة بأيام السبت (جمع سبت) والأعياد . والثانية تور يوره ديه Tur Yoreh Deah ، وتتناول الشرائع المتعلقة بالطعام dietary Laws واللوائح وتحريم الربا والحيف والقسم والتعليم والختان والمهتدين الى اليهودية (المتحولين الى اليهودية) الخ . والثالثة تور ايفين ها - ايزر Tur Even Ha-Ezer ، وتتناول العلاقة بين الذكر والانثى والزواج والفلاق . والرابعة تور شوشن ميشبات Tur Choshen Mishpat ، وتتناول المحاكم الشرعية

اليهودية وتفاصيل عن القانون المدني والجناحي . وتبع الرابي يعقوب ابن ميمون في فصل تقنين الشريعة مناقشات التلمود ، كما حذا حذوه في ادراج مواد لاهوتية في مدونته ، رغم أن التور Tur تعكس وجهات نظر المدرسة التقوية الألمانية German Pietist School أكثر مما تعكس فلسفة . وهو يختلف عن ابن ميمون في أنه يقتبس آراء مختلفة في الموضوع الذي يتناوله قبل أن يصدر حكمه الذي غالبا ما يتبع فيه حكم والده الرابي أشر Asher .

وفي القرن السادس عشر ، كتب الرابي يوسف كارو Joseph Caro شروحا موسعة على التور Tur ، أخضع فيها استنتاجات الرابي يعقوب الشرعية لتحليلات نقدية واسعة ، وبني كارو ما توصل اليه من أحكام شرعية على أحكام أسلافه الثلاثة المشهورين : الفاسي ، وابن ميمون والرابي أشر Asher ، وعندما كان يجد خلافا بينهم يجنح الى الرأي الغالب عند هؤلاء الثلاثة . ومن هذه الشروح التي أطلق عليها بت يوسف Bet Yosef ، استخلص كارو أحكامه التي انتهى إليها وكتبها في كتاب منفصل ، أسماء شولحان عاروخ Schulchan Aruch ومعناه « المائدة الجاهزة المعدة » وقلد التور باستخدام التقسيمات نفسها ، والفروع الواردة تحت التقسيمات (العناوين والعناوين الفرعية) . وكارو هذا من أصول إسبانية ، وبرغم معرفته الواسعة التي تعنى أنه اعتاد قراءة الكتابات الأساسية للباحثين الأشكينا في وسط أوروبا وشرقها فإنه ركز على اتجاه الصفاردي (*) Sefardi في الشريعة اليهودية (الهالاخاء) . وعبد الرابي البولندي موسى اسرلز Moses Isserles المعروف بريما Rema الى تصحيح هذا الميل في كتاب كارو (مدونته) ، بإضافة حواشيه الخاصة التي أسماها الماباه Mappah (مفرش المائدة) لمؤنة كارو الشولحان عاروخ ، معتمدا على شروحه للتور Tur . والحقيقة التي مؤداها أن الشولحان عاروخ -

(*) أى اتجاه يهود شبه جزيرة ايبيريا ، وتكتب أيضا صفاردي ، وفضلنا بالصياغة كما في رسم الترجمة العربية للمهد القديم . (للترجم) .

بشكلها الموسع اشتملت على ما انتهى اليه الباحثان اليهوديان الكبيران الصفاردي والاشكنازي ، جعلت هذه المدونة أكثر قبولا لدى اليهود من المدونات السابقة . وبذا ، أصبحت - كعمل واحد - أكثر نصوص الشريعة اليهودية اعتمادا ، وباستثناء يهود اليمن الذين استمروا في اتباع أحكام ابن ميمون الشرعية ، فإن هذه المدونة (الشولحان عاروخ) شكلت بطابعها الحياة اليهودية والعبادات والممارسات في كل المجتمعات اليهودية . وساعد ظهور الطباعة في القرن الخامس عشر كعامل مهم على انتشار (الشولحان عاروخ) بسرعة وعلى نطاق واسع ، فلعبت الطباعة دورا غير قليل في قبولها كمرجع معتمد للشريعة اليهودية . ورغم إن العادات المحلية « minhag » ظلت تسود في المجتمعات اليهودية المختلفة مما أدى الى وجود اختلافات في تفاصيل الشريعة (الهالاخاه) ، فإنه في معظم القضايا كانت أحكام الشولحان عاروخ سببا في توحيد أشكال العبادات والممارسات .

وكما حدث بالنسبة للمدونات الشرعية السابقة، وجدنا الشولحان عاروخ تتعرض لهجوم قاس ، اذ عارضها عدد من الرابينين الكبار الذين لم يحبوا أن يروا الشريعة (الهالاخاه) مجمدة في ملخصات تشريعية (قانونية) . وكان الراي يهوذا لويب (من براغ Judae Loeb 18. من بين أشد المعارضين ، فقد كتب :

« انه لمن الأفضل والأكثر ملاءمة أن يصل اليهودي للحكم الشرعي (حكم الهالاخاه) من خلال دراسته للتلمود . ومع ذلك ، فتحة سبب للافتراض أنه قد لا يشق طريقه بشكل صحيح ، ولن يصل للحكم الشرعي الصحيح . . . ومع هذا ، فإن فهمه وحكمته قد تضلانه الطريق ، وهذا لا يمنع أن يكون محبوبا من الله عندما يحكم وفقا لأمله عليه عقله . . . هذا أفضل من شخص يستخرج الحكم من كتاب دون أن يعرف الحكمة الشرعية الكامنة وراءه . ان هذا الأخير يشبه رجلا أعمى في الطريق ، (٣) .

وفي القرون التي تلت نشر الشولحان عاروخ ، ظهرت شروح كثيرة لها تؤيد أحكامها أو تكييفها في ضوء الظروف الجديدة . واستمرت

هذه العملية فى العصور الحديثة لكن تضخم المادة التى تجمعت حول هذه المدونة الشرعية جعلها صعبة التناول بالنسبة لليهود العاديين ، وادى هذا بدوره الى بذل محاولات مختلفة لتبسيطها . وأشهر محاولات التبسيط وأكثرها انتشارا تمثلت فى عمل يحمل عنوان « مختصر الشولحان عاروخ » (Kitzur Schulchan Aruch) الذى كتبه الراهب سليمان جافز فريد R. Solomon Granzfried (١٨٠٨ - ١٨٨٦) . وحذفت هذه المحاولة المادة الشرعية (الهالاخاوية) غير المرتبطة باليهودى العادى ، بل حذفت أيضا المواد التى اعتبرها المؤلف مألوفة فى الحياة اليهودية بدرجة تجعلها فى غير حاجة لتوضيح ، مثل كثير من الأمور الشرعية المتعلقة بنوم السبت .

ومع تجدد الحياة اليهودية فى فلسطين وقيام دولة اسرائيل اليهودية ، ظهر فيض هائل من الابداع فى مجال الشريعة (الابداع الهالاخاوى) استجابة لقضايا أثارها التكنولوجيا الحديثة ، برغم أن هذه المدونات الشرعية المحدثه لم تحظ واحدة منها بقبول عام من اليهود الأورثوذكس . وعلى أية حال ، فى الولايات المتحدة الأمريكية أسس اليهود المحافظون لجنة للشريعة اليهودية وتقنيناتها (معاييرها) قدمت كثيرا من الأمور المستحدثة (البدع) لاختصاص الشريعة اليهودية (الهالاخاه) للاتجاهات السائدة بين اليهود المحافظين فى مجال الزواج والطلاق والتحول لليهودية ومراعاة السبت . . الخ . لكن الراهبين الأورثوذكس هاجموا بعنف هذه الاجراءات المحافظة ، فقد كان هؤلاء الراهبون الأورثوذكس قلقين جدا من تحديث الشريعة اليهودية ككل .

الفتاوى الشرعية (الهالاخاوية)

بينما أدى تكوين الشريعة اليهودية (الهالاخاه) - بمعنى تقنينها ، أى تحويلها الى مواد كمواضع القانون - الى معاييرها أى توحيدها معياريا ، فإن المصدر الأساسى لتطور هذه الشريعة (الهالاخاه) فى فترة ما بعد التلمود كان هو الفتاوى ، أى اجابات رجال الدين اليهود

من الأسئلة الموجهة اليهم . وهذه الفتاوى والاجابات معروفة في التراث العبري باسم « الأسئلة والاجوبة » - She'elot u-teahuvot ، وقد تكونت هذه الطائفة من الكتابات من اجابات الرايين المعتمدين على الأسئلة الموجهة لهم ، والتي كانت ترد اليهم أحيانا من مناطق على بعد آلاف الأميال . وفي بعض الأحيان تكون صياغة المادة الشرعية على شكل سؤال وجواب (فتاوى) مجرد حيلة أدبية ، اذ يلقى المجيب سؤالا (لم يوجهه اليه أحد) يكون لديه (أى لدى المجيب) اجابة شائقة له ، لكن غالب الأسئلة والفتاوى تتناول في الأساس قضايا حياتية حقيقية لتوجيه السائل الى ارشاد من خلال الشريعة اليهودية . وتتراوح الفتوى بين جملة أو جملتين عن سؤال بسيط الى مقالات طويلة عامرة بالبراهين والأدلة ، تتناول كل جوانب الموضوع وتقدم مقتبسات من المصادر التي تناولت الموضوع . وفي بعض الأحيان يكون من الصعب في هذا النوع الأخير من الفتاوى ، أن نجد اجابة المجيب كافية لشرح الأساس الشرعى .

والصفات الضرورية للمجيب (المفتى) المتميز تختلف عن الصفات الضرورية المطلوبة في الفروع التعليمية الأخرى في الديانة اليهودية . فالمفتى لابد أن يلم بالقضايا المختلفة في المسألة المطروحة ، وأن يكون قادرا على تقديم الحجج والحجج المضادة ، وأن يكون قادرا على تقديم الحلول الخلاقة للمشاكل الصعبة . فجامع الشريعة (الشرائع) الممتاز أو مفسر التلمود قد يكون مفتيا بائسا (ضحلا) ، وبرغم أن تراث الفتوى (الاجابة عن أسئلة جمهور اليهود) غالبا ما يرتبط بقضايا فنية في الشريعة (الهالاخام) ، فانه أيضا يتطرق في بعض الأحيان لموضوعات لاهوتية (متعلقة بالمقيدة) ولمسائل منهجية لحركات فكرية دينية داخل اليهودية ، ولمسائل متعلقة بتاريخ علم التاريخ عند اليهود (الهستوريوجرافيا) ولأمور طبية وأخرى علمية ولجنوى . *realia* الحياة اليهودية . اما والأمر كذلك ، فكتب الفتاوى (الأسئلة والاجوبة) تعد مصدرا ثريا بالمعلومات للباحثين في

المجالات التاريخية والاجتماعية ، مادامت الأسئلة - والاجابات أيضا في
النائب - تعكس الاحوال الاجتماعية السائدة . ففترات الفوضى
والاضطراب في التاريخ اليهودي تتسم بكثرة الفتاوى responsa
المخصصة لأوضاع الزوجات اللاتي اختفى أزواجهن اثر مذابح جرت
لل يهود ، او اثناء طرد اليهود من مناطق كاملة . هؤلاء النسوة اللاتي
التقنن أزواجهن في الظروف المشار إليها آنفا abandoned Woman
واللاتي يطلق عليهن اسم أجونوت Agunot ، لا يستطعن الزواج مرة
اخرى اذا لم يكن هناك أساس شرعى (هالاخاوى) لافتراض موت
أزواجهن . وقد بذل المفتون كل ما لديهم من براعة ، لمحاولة ايجاد
اساس شرعى (هالاخاوى) يتيح لهن الزواج .

وشكلت الفتاوى سوابق في الشريعة اليهودية كان من الممكن ان
يثير الدارسون اليهود النقاش حولها ، ناقدين لها او مؤيدين لها ،
ومصدرين بشأنها فتاوى اخرى ، وربما في خاتمة المطاف تم تضمينها
في مدونات شرعية (هالاخاوية) كممارسات شرعية معتادة . وفي
بعض الاحيان كان النزاع يطول حول بعض الفتاوى ، سواء فيما يتعلق
بابتداع المفتى او في تفسير بعض المصادر التي استقى منها . وكان
هذا ما حدث لفتوى الراى تسيفى أشكينازى R. Tzvi Ashkenazi
(١٦٦٠ - ١٧١٨) رقم ٧٤ في مجموعة فتاويه المعنونة : (حاخام
تسفى Chakham Tzvi) ، والتي اجاب فيها عن الحكم في دجاجة لم
يوجد بها قلب . ففي ظل الظروف العادية ، يمد عدم وجود عضو كبير
كهذا (القلب) مما يجعل الحيوان او الطائر محرما اكله (لا يصلح
ان يكون طعاما حلالا Kosher food) . وعلى أية حال ، فان أشكينازى
أفتى بجواز اكل هذه الدجاجة على أساس ان الفتاة التي فتحت الدجاجة
لتنظيفها والقاء ما بداخلها لمكان القطط لابد أنها ألقت قلت الدجاجة
ضمن الأحشاء الأخرى دون أن تتنبه . فاللدجاجة لا يمكنها أن تعيش ،
بأية حال ، دون قلب وما دامت كانت حية وبحال طيبة قبل ذبحها ،
غلا مجال للقول انها كانت بلا قلب ، وانكار الفتاة القاءها القلب انما هو

انكار لا يعتد به وفقا لفتوى اشكينازى على أساس أن الفتاة فى الغالب
الاعم لم تلتفت لذلك وقت حدوثه . وتعرض اشكينازى لهجوم شرس
بسبب هذه الفتوى من عدد من الرابينين المهيمنين ، حتى انه اجبر على
ترك منصبه الدينى الرابى فى المانيا ، وانتقل الى امستردام حيث اليهود
النسبى . لقد سبب هذا النزاع بلاشك موقف اشكينازى الصريح
والعنيد فى القضايا العامة . مما جعله شخصا صعبا فى نظر زملائه
الرابينين .

وعند كتابة الفتوى التى تضمنت هذا الحكم موضوع الخلاف
فقد المفتى مكانته بسبب موقف الرابينين الآخرين منه ، ذلك الموقف
المنطوى على حكم ناقد قاس . ومن ثم ، اتخذ كثيرون من المفتين مواقف
مسألة وراحوا يتحاشون اصدار الفتاوى المتساهلة التى قد تجلب
عليهم لوم المعاصرين المتشددين (الاكثر قداسة) . ان من سمات
المفتى العظيم أن يبدى أصالة فى التعامل مع قضايا الشريعة
(الهالاخاه) ، وأن يكون لديه الشجاعة لنشر أية حلول راديكالية
يراهما مناسبة . وهناك رابى حديث لا جدال حول أورتودوكسيته وتمكنه
العلمى ، وجد نفسه عرضة لهجوم اليهود المتشددين ، الذين لم يوافقوا
على فتواه باباحة تلقيح الحيوانات صناعيا فى ظل ظروف معينة
واعترضوا علنا على هذه المسألة . وهذا الرابى نفسه الذى أفتى
فتاوى متسامحة بشأن عدة مسائل حول الطعام الذى تحله الشريعة
اليهودية Jewish Dietary law ، أصبح موضع سخريه من ناقديه
الذين قللوا من شأنه وقالوا ساخرين : « اذا الرابى فلان أو علان قال
عن طعام ما انه غير محلل (غير كوشير mamzer) ، عندها يستطيع
حتى غير اليهودى أن يمتنع عن أكله » .

لقد أثار التقدم التكنولوجى قضايا فى وجه الممارسات اليهودية
لم تكن تخلم بوجودها المدونات الشرعية ونصوص الشريعة (الهالاخاه)
الكلاسيكية ، ووجد الرابينون فى اصدار الفتاوى بشأنها أسرع طريقة
وانجحها للتعامل معها ، فعلى سبيل المثال فان المدونات الشرعية
الكلاسيكية كلها تسرد المحرمات المختلفة المرتبطة بأشغال النيران أيام

السبوت والأعياد . ومع دخول الكهرباء ، كان لابد من إعادة طرح الموضوع كله للمناقشة ، واضطر الرابيون الى خوض معارك للمقارنة بين اضاءة المصابيح الكهربائية واشعال الشموع او مصابيح الزيت . وهل هي عمليات متشابهة فيحرم بذلك اضاءة المصابيح الكهربائية أم عمليات مختلفة فتحل اذن اضاءة مصابيح الكهرباء . ومن الطبيعي بدرجة كافية أن يكون فهمهم للجوانب الفنية (المرتبطة بالكهرباء) في بعض الأحيان فهمًا غير مكتمل ، ويتم تجاوز سوء الفهم هذا ليتحول عالم الشريعة اليهودية (الهالاخاوى) لاغراقنا في تفاصيل شرعية متكلفة ومعقدة تيقنها أكثر من غيرها .

وفي كثير من القضايا الحساسة ، يضطر الرابيون الى تداول الفتاوى بينهم دون أن يسمحوا بنشر وجهات نظرهم . ويحدث هذا على نحو خاص عندما يرغبون في التساهل في مسألة بعينها ، رغبة منهم في توقي مواجهة سخط زملائهم الرابينين الأشد محافظة واليهود العاديين ، او خشية منهم أن يؤدي تساهلهم في مسألة ما الى اجبارهم على التساهل بشكل عام حتى في المسائل غير الماثلة للمسألة التي تساهلوا فيها . ومن أمثلة هذه القضايا الحساسة قضية المامزر Mamzer ، وهو الطفل المولود نتيجة علاقة زنا (علاقة جنسية خارج مؤسسة الزواج) او نتيجة غشيان المحارم incestuous ، فبرغم أن هذا المامزر mamzer له كل الحقوق وعليه كل المسئوليات التي لرفاقه اليهود ، فليس مسموحاً له كل (أو لها) أن يتزوج الا من مامزر mamzer مثله أو من متحولة (أو متحول) لليهودية . وهذا الحكم الشرعى يمثل عبثاً شديداً للمامزر الذى قلما يقر الآخرون بمسئوليته عما اقترف أبواه ، ومن ثم جعله فى هذا الوضع الخاص . وحاول الرابيون بكل جهدهم لايجاد وسائل لالغاء وضع المامزر (ابن الزنا او الناتج عن العلاقات الجنسية بين المحارم) . فعلى سبيل المثال ، فى حالة الطفل المولود من علاقة زنا ، ان أمكن ايجاد عيب (شرعى) فى زواج الأم بحيلة شرعية ، فان علاقتها الجنسية بوالد الطفل تصبح علاقة شرعية (ليست علاقة زنا) (*) .

(*) هذا المثال يفترض أن الزانية متزوجة .

وقلما تنشر هذه التحايلات الشرعية ، حتى لا يساء تفسيرها فيكون منها هو التشجيع على الزنا ، اذ يمكن أن يفهم الزناة منها أنه يمكن محو عارهم ببساطة باللجوء الى رابى يتحايل بشأنهم على الشريعة .

وفى سنة ١٩٧٢ ، عندما نشر الرابى شلومو جورن Shlomo Goren - وكان هو ورابى آخر من رؤساء الرابينين فى اسرائيل - فتوى طويلة مؤداها السماح للأخ والأخت - ان كانا اولاد زنا أو اولاد نكاح محارم - بأن يتزوجا بحرية وأزال عنهما وصمة العار، فإنه لاقى معارضة شديدة من كثير من السلطات الرابية . وعرفت هذه الفتوى باسم « امور لا نجر Langer affair » ، واصبحت قضية شهيرة فى اسرائيل ، لقيام الحكومة بممارسة ضغوط على المؤسسة الدينية لازالة وصمة العار عن الأخ والأخت (اولاد الزنا أو اولاد نكاح المحارم) وابعاد صفة المامزر عنهما . واعتبر الرابى جورن شخصا خضع لضغط الحكومة ، ونظر الرابينون الآخرون لحججه الشرعية (الهالاخوية) كحجج باطلة غير صحيحة . والحق ، ان اليهود الأرثوذكس المتشددون Ultra Orthodox فى القدس عقدوا اجتماعا عاما استأجروا فيه عباةاتهم واعلنوا الصيام العام، احتجاجا على ما اعتبروه انتهاكا للمقدسات وتدنيها شجع عليه رابى زعيم . هذه الحادثة كلها تظهر لنا القضايا التى يواجهها المفتى ، الذى يرغب فى تقديم وجهات نظر شرعية (هالاخوية) ذات طبيعة خلافية . وكما رأينا لتونا بشأن فتوى الدجاجة ، فان مثل هذه القضايا ليست جديدة تمام الجودة . فاعتماد السوابق الشرعية (الهالاخوية) باستخدام الفتاوى برغم أنه كان موجودا على نطاق واسع بين الرابينين الأرثوذكس ، فان الرابين المحافظين والاصلاحيين قد استخدموه أيضا ، وان كان ارتباط السلطة فى الحالة الأخيرة بفتوى معنية ذا طبيعة اقل ترابطا (اتساقا)، فالفتوى الاصلاحية لا تصل الى مستوى القرار (المقصود الحكم الشرعى) الصادر من خبير بالشريعة (الهالاخاء) ، انها لا تبين الكيفية التى يتحتم على اليهودى التصرف بها فى ظروف بعينها ، وانما هى اقرب ما تكون فى طبيعتها الى نصيحة موجهة حول هذا السلوك .

الفصل الثامن

شعائر مراحل العمر :

الطفولة والشباب

مقدمة

أثر تعقيد الشعائر (الطقوس) اليهودية تعقيدا شديدا - ذلك التعقيد الذى نما وازداد مع تطور الشريعة أو مع اختلافات الشريعة (المنهاج) المحلية - فى كثير من مناحى حياة اليهودى ، وعلى مختلف المستويات . فهذه البنى الطقسية (الشعائر) حددت مسلك اليهودى التقليدى واتجاهاته وتكوين أسرته ، بل وحتى مؤسساته الاجتماعية . وأدت هذه الشعائر (الطقوس) الى خلق عالم رمزى (عالم من الرموز) حول هذا اليهودى التقليدى يربطه بأبناء عقيدته ، ويميزه عن غير اليهود (المقصود يضع علامات فارقة تفرق بينه وبين غيره من اليهود) ، وغالبا ما يكون من المفيد تحليل الشعائر اليهودية (الطقوس) من خلال أبعاد ثلاثة . ففي البداية هناك البعد الخطى الزمنى (المقصود تتبع الشعائر فى خط زمنى وفقا لعمر الانسان اليهودى ، أى الطفولة فالشباب فالكهنولة) ، الذى يتتبع الشعائر المرتبطة باليهودى ارتباطا شديدا فى مختلف مراحل عمره من الميلاد ، مروراً بمختلف التحولات المختلفة التى تؤثر فى دوره وتغير وصفه حتى موته ، وما يحيط به من شعائر (طقوس) . وخلال هذا المسار الخطى الزمنى الآنف ذكره ، يكمن

البعد التحليلي الثاني الذي يشكل حلقات تقسم يومه وأسبوعه وعامه من خلال فواصل زمنية طقسية (شعائرية) . أما البعد الثالث فلا يمر خطي ولا هو مقسم الى حلقات ، وانما يتناول المتطلبات غير الدينورية التي وضعت على كاهل اليهودي خلال حياته .

وهذا التقسيم الثلاثي بالاضافة لكونه ملائما ، فهو الطريق الوحيد بالتركيد لتقسيم كل شعائر الدين اليهودي ككل . لقد طور علماء الشريعة (الهالاخاه) خططهم لتنمى مع الأغراض الشرعية ، بينما قسم الفلاسفة الميتسفوت (الوصايا الدينية) في فئات (اقسام) لاهوتية ، فعلى سبيل المثال قسموها الى وصايا أملاها العقل ، وأخرى أملاها الوحي . فالتلمود نفسه قسم الوصايا الدينية التي بلغ عددها ٦١٣ وصية الى : ٢٤٨ وصية ايجابية و ٣٦٥ وصية سلبية ، كما وضع فاصلا عاما بين الطلبات التي فرضها الله (التي يجرى تنفيذها وفقا لأوامر الله) والطلبات التي يطلبها الانسان (اليهودي) من أخيه (اليهودي) ، فأي شكل من أشكال التقسيم أو التصنيف يفرض قدرا من الصنعة ، وميزة التقسيم الثلاثي الآنف ذكره والذي نستخلصه في هذا الفصل أنه يظهر دور « الزمن » باعتباره يلعب دورا محوريا في اليهودية ، على العكس من « المكان » فمع تدمير الهيكل سنة ٧٠ للميلاد أصبحت اليهودية غير مرتبطة بأماكن مقدسة ، برغم ارتباطها العميق بهذه الأماكن المقسة تراثيا . لذا ، علقت شعائرها على نظائر مؤقتة temporal Coordinate تجعل اليهود قادرين - بشكل أكثر ملامة - على ممارسة شعائر دينهم في المنفى .

المحددات الزمنية الخطية : ولادة الطفل

يحظى ميلاد الطفل في اليهودية التقليدية بممارسات شعائرية (طقسية) وأخرى شعبية . وأدت الأخطار الملحة بالأم أثناء الولادة والحرص الشديد على بقاء الطفل حيا لارتفاع نسبة الوفيات بين المواليد - الى احاطة عملية الولادة بطقوس مسحورية يقصد حماية الأم

والجنين من الشياطين . وبرغم أن هذه الممارسات الخرافية تعود في أصلها إلى فجر اليهودية ، فإن اتجاه المؤسسة الرابية نحوها اختلف من فترة إلى فترة . فالتوسيفتا Tosefta ، وهي عمل يعود إلى ما قبل القرن الثالث للميلاد تقول :

« يحظر أن يسد الشخص النافذة بالأشواك أو يربط حديدا بقوائم سرير امرأة أتاها المخاض ، كما يحظر وضع المنضدة أمامها . لكل هذه طرائق أمورية متنوعة » (٢) .

وبينما يكتب ابن ميمون (القرن الثاني عشر) - الذي أدت معارضته القائمة على أسس عقلية للممارسات السحرية إلى انتقاد السلطات الدينية اليهودية له في وقت لاحق ، باعتباره قد ألحقت به التعاليم الفلسفية - اللعنة ما نصه :

« من عضته عقرب أو أفعى جاز له أن يرتل الرقي على مكان العضة حتى لو كان هذا في يوم السبت ، كي يريح نفسه ويقوى قلبه . وبرغم أن مثل هذا العمل لا أثر له ما دام المريض (من أصابته العضة) في خطر ، فإن على الرابي أن يسمح به حتى لا يصاب المريض بالهياج والاضطراب » (٣) . وبشكل عام ، فهناك سوابق كثيرة في التلمود لاستخدام وسائل دفاعية وممارسات سحرية ضد الشياطين ، اعتماداً على مبدأ « كل ما يفعله الإنسان من أجل الشفاء لا يعد طرائق أمورية (*) محرمة » ، وقد قبل علماء الشريعة اليهود (الهالاخاويون) هذا المبدأ كمعيار للسلوك المسموح به » (٤) .

ومن ثم ، فالمرأة في حال المخاض تحاط بالتمائم والطلاسم (التي تحوى أعداداً وحروفاً ذوات دلالة سحرية) وبالطقوس السحرية الملائمة

(*) عن معهد الحضارات السامية تأليف هنري س . عيودي : الأموريون شعب سامي هاجر من شبه الجزيرة العربية في القرن الثالث ق . م . وأقام في شمال سوريا جاعلاً من مدينة مارى عاصمة له . والكنعانيون هم القسم الغربي من هذا الشعب الأموري . أما من اتجه منهم شرقاً فعرفوا بسلالة بابل الأمورية ومنهم حورابي المشهور . . . الخ / مادة أموريون . (المترجم) .

(التي تتمشى مع الغرض المطلوب) كفتح كل شيء في المنزل لمساعدة زوجها على الانفتاح بدوره ، وكثير من هذه الطقوس استعاره اليهود من جيرانهم غير اليهود . واليوم ، فإن معظم اليهود المعاصرين يناون بأنفسهم عن كثير من هذه الممارسات الخرافية من هذا النوع ، رغم أنها لا زالت موجودة في بعض القطاعات اليهودية التقليدية ، خاصة عند اليهود الشرقيين Oriental . لقد أضافت أفكار القبالة اليهودية (التصوف اليهودي) في وعي اليهودي المعاصر في العصور الوسطى ، كثيرا من الإدراك لدور القوى الشيطانية في العالم . فقد جرى وصف المخاض بأنه من عمل قوى خارجية معادية لتكاثر البشر (و بعبارة أخرى جرى وصف آلام المرأة عند الولادة بأن قوى شريرة معادية للإنسان هي المسببة لها) . وهذا يناقض أفكار الكتاب المقدس اليهودي ، الذي يعزو صعوبات المخاض الى لعنة حواء (المرأة) وأفكار الميشناه التي تذكر أن المرأة تموت عند المخاض لأنها أهملت الوصايا الدينية الثلاث (الميتسفات) ، التي تحض المرأة بشكل خاص على اجتناب الاتصال الجنسي في فترة الحيض ، وتحضها على تقديم هدية من كعك أو عجينة للكاهن ، وعلى عدم اضرار النار للاضاءة يوم السبت .

وبعد الولادة تعتبر المرأة حائضا (نفساء) طوال الأيام السبعة التالية ان كان المولود ذكرا ، فان كانت أنثى اعتبرت المرأة حائضا (نفساء) طوال أربعة عشر يوما ، وبالتالي فهي تكون طوال هذه الفترة غير طاهرة من الناحية الطقسية (الشعائرية) . وفي الأزمنة القديمة كان يتحتم عليها أن تتجنب طوال ثلاثة وثلاثين يوما (بالإضافة للفترة السابقة) قبل أن يسمح لها بحرق القرابين في الهيكل ، وأن تمتنع طوال ستة وستين يوما (بالإضافة لفترة السبعة أيام أو الأربعة عشر يوما السابقة) قبل أن يسمح لها بتقديم قربان الخطية في الهيكل ، وعند السماح لها بتقديم هذين القربانين يكون معنى هذا أنها أصبحت طاهرة مرة أخرى . وفي المناقشات التلمودية ورد بصدد تحليل فرض قربان الخطية ، أن المرأة أثناء معاناتها آلام المخاض تقسم أنها لن تسمح

لزوجها بالثانية مرة أخرى (٦) (*) . ويمكن للأُم مواصلة اتصالاتها الجنسية بزوجها بعد انقضاء سبعة أيام من توقف دم النفاس قبل قيامها بشعيرة الاستحمام (التطهر الطقسي أو الشعائري) ، ذلك أنها تكون قد تجاوزت مرحلة المنع عن ممارسة الطقوس (الشعائر) المقدسة ، وما أعقبها من غياب الطهارة الشعائرية . وعلى أية حال ، هناك جماعات يهودية يظل فيها الزوجان متجنبين للاتصال الجنسي طوال أربعين يوماً إذا كان المولود ذكراً وثمانين يوماً إن كانت المولودة أنثى ، ومع هذا نابن ميمون يقول بهذا الصدد :

« إن هذا ليس عادة (أو شعيرة خاصة) وإنما هو خطأ ... ومرطقة ... لأنهم قد تعلموا هذا من الصدوقين (مثل القرائين) . إنه لمن المبتسفاه (الوصايا الدينية) أن نجبرهم على إبعاد هذه الممارسات من قلوبهم » (٧) .

الطفل

يجد المرء في الكتاب المقدس اليهودي وفي التراث الرأبي رغبة شديدة في الإبناء ، وإن كانت الفرحة المصاحبة لانجاب الولد تختطف عن تلك المصاحبة لانجاب البنت . فالذكر سيأتي للدنيا للقيام بدور اجتماعي واقتصادي وديني في المجتمع اليهودي على نحو غير متاح للأنثى . فنحن نجد المعنى التالي كثيراً ما يتكرر في التلمود :

« من المحال أن يكون هناك عالم دون ذكور وإناث . ومع هذا ، فيالسعادة الرجل الذي ينجب الذكور وبالعكاسة الرجل الذي ينجب الإناث ! » (٨) (**) .

وبرغم وجود وجهات نظر أخرى — على الأقل من جانب واحد — فلا أحد ينكر الأفضلية النسبية لذكر على الأنثى ، ويظهر هذا التفضيل

(*) من المفهوم أنها لا تبر بهذا القسم ، ومن هنا كان لابد من تقديم قربان لأنها حثت في قسمها .

(**) كلام متضارب في الذكور والإناث فهما معا اساس لاستمرار الكون (المراجع) .

في الطقوس والشعائر المحيطة بميلاد الذكر فهي مختلفة عن تلك المحيطة بميلاد الأنثى : اذ يعدون بمناسبة ميلاد الذكر وليمة في مساء أول جمعة بعد مولده ، ووليمة في اليوم الثامن (بعد شمعة الختان) ، وتعلم وليمة بعد شهر من الميلاد ان كان المولود بكر والديه (اى أول مولود لوالديه) ، وليست هناك ولائم على هذا النحو في حال ميلاد الأنثى . فكل ما يقوم به الوالد بالنسبة للمولودة الأنثى هو اعلان اسمها ايام الجموع في المعبد في أول يوم سبت بعد ميلادها ، ودعوة الموجودين لتناول كداش Kiddush (نبيذ تقلى عليه تبريكات) ولتناول وجبة خفيفة بعد صلاة السبت .

وقد ادى عدم المساواة في الشعائر والطقوس المصاحبة لميلاد كل من الذكر والأنثى ، الى قيام الشبان اليهود في أمريكا الشمالية بالبحث عن طقوس (او شعائر) مطورة يربطونها بميلاد الأنثى . وكان هذا استجابة لادبيولوجيات تحرر المرأة بين اليهود التقليديين في الولايات المتحدة الأمريكية . وجرت بعض المحاولات لتجديد بعض الشعائر المبنة (المدرسة) كمادة زراعة شجرة صنوبر عند ميلاد أنثى ، ليستخدم خشبها بعد ذلك في تشييد ظلة لها في عرسها (٩) . وجرى ابتداء اكثر راديكالية بمحاولة ايجاد نوع من شمعة الختان للأنثى دون القيام بعملية جراحية فعلية ، حتى يطبقوا عليها فكرة الدخول في عهد ابراهيم Covenant of Abraham ، ومكرة الدخول في هذا العهد هي الباعث المحورى لختان الذكور . والآن . لا تؤيد المؤسسة الرابية كثيراً مثل هذه الشعائر (المبتدعة الخلصة بالانك) .

الختان

ازالة الطغة (او الغرلة) في الطفل الذكر في اليوم الثامن لميلاده مسألة شرعية (هالاخوية) مسئول عن تنفيذها والد الطفل . والاصل ان يقوم الوالد باجراء عملية الختان هذه لطفله ، لكن معظم اليهود الآن يوكلونها الى خاتن محترف يطلقون عليه اسم موهل mohel يفترض انه لا يتقاضى اجراً على عمله هذا ، مادام الختان من بين المیتسفاة (الوصايا

(الدينية) . وليس من الضروري أن يكون الموهيل طبيبا ، برغم أن بعض الأطباء اليهود يقومون بعملية الختان وفقا لمتطلبات الشريعة (الهالاخاه) . ويجد المرء هذا الدور في حالات كثيرة موكولا للذباحين الشرعيين (الذين يمارسون الذبح وفق أحكام الشريعة) ، لبراعتهم في استخدام السكين . ومن الناحية النظرية ، يمكن للمرأة أن تقوم بعملية الختان ، بل اننا وجدنا زوجة موسى (عليه السلام) تقوم بهذه العملية وفقا لما ورد في الكتاب المقدس اليهودي . لكن لأن بعض علماء الشريعة (الهالاخاويين) عارض قيام المرأة بهذه العملية ، فقد أصبح قيامها بها لا يلقي تشجيما (١٠) . ويصرح لاي يهودى ذكر لا تعرف عنه الهرطقة أن يكون موهيل (خاتنا) ويوكل اليه - بحكم العادة - أن يؤم المصلين (أو مرددى الدعاء) في يوم الختان . وثمة مشارك آخر مهم في اجراءات الختان وهو الأب الرمزى الذى يضع الطفل على ركبتيه أثناء الختان ، ويقال له ساندك Sandek . وهنا نجد أن المرأة يمكنها القيام بهذا الدور ، بل ان هذا هو ما يحدث في مجتمعات اليهود الشرقيين ، لكن رجال الشريعة الأشكينايز لا يشجعون ذلك ، طالما أنهم يعتبرون قيامها بهذا الدور قلة احتشام (١١) . ويقوم الساندك بدور الأب الرمزى للطفل ، ويعد شرفا كبيرا أن يطلب من رجل القيام بهذا الدور . وبرغم أن فكرة الساندك Sandek هذه أتت بعد التلمود فانها أصبحت ذات أهمية كبيرة في هذه الشعيرة ، وقارنها أحد الرابينين بالمذبح الذى تحرق فوقه البخور ، بل ان الساندك Sandek (حامل الطفل على ركبته أثناء اجراء عملية الختان) يتقدم على الموهيل (الخاتن) في بعض الأغراض الشعائرية (الطقسية) (١٢) .

وبصرف النظر عن الوالدين والطفل والخاتن (الموهيل) وحامل الطفل أثناء العملية (الساندك) ، وجدنا أن شخصيات المسرحية لا المقصود الشخصيات ذات الدور في حفل الختان (تزداد بمرور الوقت . فايلياه Elijah - النبى المتحنس في القرن التاسع قبل الميلاد الذى أنب اسرائيل لعدم مراعاته عهده مع الله - يقال وفقا

لرواية الميثناه انه كان يحضر كل عملية ختان ، وان مقمدا خاصا كان يوضع له جانبا ليجلس عليه .

وفي العصور الوسطى ، ابتدعت أدوار أخرى كجزء من شعيرة الختان ، فقد كان هناك الكفاتر الأشكينازي والكفاتيرين الأشكينازية Kvater & Kvaterin والأول أب رمزي ثان والثانية أم رمزية ، ومهمتهما احضار الطفل الى مكان الختان . وغالبا ما كان يتم اختيارهما من ليس لدهما لطفال ، باعتبار أن مشاركتهما تعد بمكانة سيجولاه Segulah لو فعل محرر ذى تأثير يساعد على الانجاب (أى انجاب الكفاتر والكفاتيرين اللذين لم ينجبا) .

ويتم الختان فى اليوم الثامن للولادة ان كان الطفل بصحة جيدة حتى ولو كان هذا اليوم الثامن هو يوم السبت أو يوم عيد دينى . فيقوم الختان (الموهيل) بفحص الطفل مقمدا ، ليتأكد من أن الطفل لا يعاني من اليرقان (الصفار Jaundice) أو أية أمراض أخرى قد تؤدى الى تأخير العملية - وفى ليلة الجمعة قبل الختان ، يتجمع الأقرباء والأصدقاء فى منزل الوالدين ليتناولوا بعض المنعشات الخفيفة، بما فى ذلك بعض الأطباق التقليدية فى هذه المناسبة كالحمص . وأسباب هذا التجمع التى تعرف عند بعض الجماعات اليهودية بشالوم زاخار Shalom Zakhar ، أى سلام الذكر Peace of the Male ، غامضة ، بل ان هناك من يرى فيها مناسبة حداد لأن التوراة التى تعلمها الطفل قبل أن يولد نسيها عند قدومه للعنيا ، والحقيقة أن طبق الحمص من الأطباق التى تؤكل فى ولائم الحداد فى اليهودية . وفى صباح يوم الختان بعد تلاوة الدعوات ، تحضر الأم الرمزية (الكفاتيرين) الطفل الى الغرفة التى سيختن فيها أو الى المعبد أو - كما يحدث فى اسرائيل - الى صالة خاصة بالختان فى المستشفى . ويرحب المجتمعون بالطفل الذى يأخذه الأب الرمزي (الكفاتر) ، بينما ينشد الأب والموهيل (الختان) والضيوف آيات مختلفة من الكتاب المقدس اليهودى . ويوضع

الطفل للحظة على مقعد اليساء Elziyah ، ومن ثم على فخذي الأب الرمزى (ساندك) ، ويدل الخاتن وضع الطفل ويقبض الأب الرمزى بإحكام على ساقيه ، ثم يقوم الخاتن بامساك القلفة (الفرلة) بإصابعه أو يستخلم في امساكها ترسا على شكل قيثارة لجذبها بعيدا ، ويتلو التبريكات ، وبعد قص القلفة (الفرلة) يتلو الأب تبريكات تنتهى بعبارة « هو الذى أمرنا بضمه الى عهد أبينا ابراهيم » ، ثم يقوم الخاتن (الموهيل) بانتزاع بقايا الفرلة (القلفة) من فوق قضيب (ذكر) الطفل بإظافره لتظهر حشفة القضيب (رأسه) واضحة تماما . وهذا الاجراء الأخير جزء مكمل لشعيرة الختان اليهودية وبدونها تعتبر شعيرة الختان ناقصة (١٤) . والجزء الأخير من الشعيرة هو أن يقوم الخاتن (الموهيل) بامتصاص دم الجرح بفه (ميتزيتزا met Zitzah) ، وهذا كاجراء علاجي لضمان انسياب الدم (١٥) ، لكنه أصبح بشكل متزايد اجراء محل خلاف بعد التحقيق من امكانية انتقال المرض بهذه الطريقة . وبينما معظم الجماعات الارثوذكسية المتشددة تصر على الطريقة التقليدية في امتصاص قضيب الطفل (الميتزيتزاه) ، نجد أن كثيرين من الرايين المحدثين يسمحون بشفط الدم بواسطة أنبوب زجاجي (وليس بواسطة الفم) ، وأصبح هذا اجراء شائعا . وعملية الامتصاص هذه (ميتزيتزاه) ليست بأية حال جزءا من شعيرة الختان . فبدونها تعتبر الشعيرة كاملة وعلى أية حال ، فإن الخاتن (الموهيل) الذى لا يقوم بعملية الامتصاص يحرم تماما من اجراء عمليات الختان . وبعد اجراء الختان ، يعلن الخاتن (الموهيل) للملا اسم الطفل للمرة الأولى « سيكون اسمه فى اسرائيل فلانا الفلانى ابن فلان » . وهذا الاعلان يسبقه عادة تبريك النبيذ (تلاوة عبارات دينية عليه) ، وتبريك ثاب للمهد مع الله الذى وضعه الله فى جسد الانسان . وأخيرا يشرب الحضور النبيذ الذى يقدم منه للطفل أيضا ، وبعد ذلك يتهاى الجميع لحضور الوليمة .

معنى الختان

نجد في التراث اليهودي كثيرا من التعليقات حول معنى الختان والهدف منه ، خاصة فيما يتعلق بصلته بعهد اليهودي مع الله . انه شعيرة تعلم الانسان انه يجب عليه ان يكون كاملا وان يعبد الله بكل عضو من اعضائه ، والا يرضى بحالته الطبيعية التي خلق عليها ، والا يسمح لنفسه ان يصبح مغمورا في فساد البيئة المحيطة به ، وانما عليه ان يكون مقدسا . انه - أى الختان - يعتبر كفارة عن خطيئة آدم ، وعلامة على سمو اسرائيل في الطبيعة ، وعلامة تميز اليهودي (عن غيره) ، بل لقد فسرت حكمة الختان من حيث انه يقلل من الرغبة الجنسية لدى الذكور . وفي العصر الحديث ، راح اليهود يبحثون عن اساس طبي لشرح الختان والدفاع عنه ، وقد عبر عن هذه الفكرة للمرة الأولى فيلو جيديوس Philo Judaeus في القرن الاول للميلاد . ومهما كانت مزايا الختان الطبية او عيوبه ، ومهما كانت قيمة هذا الشرح لتوضيح معناه كشعيرة يهودية ، فقد استمر كثيرون من اليهود المحدثين في ممارسته لأسباب صحية وأخرى دينية .

والدور الفعلي الذي تلعبه شعيرة الختان وفقا للشريعة اليهودية (الهالاخاه) دور معقد تماما . فبرغم انه يتحتم على كل يهودي ذكر ان يختتن ، فان اليهودي غير المختون مع هذا يظل يهوديا مقبولا من المجتمع اليهودي .

وبرغم ان الكتاب المقدس اليهودي يهدد بأن روح غير المختون تنفصل عن شعبه ، فان اليهودية فسرت ذلك بما يعنى انه سيماقب بموته مبكرا (في غير الأوان) وبحرمانه من الانجاب (١٦) . لم يفهم الختان على انه شعيرة لبدء دخول المختتن (بفتح التاء الأولى وكسر الثانية) في جماعة اسرائيل . فالطفل اليهودي الذي مات أخواه الأكبر منه منا بعد الختان ، ربما بسبب الهيموفيليا haemophilia لا يسمح بختنه حتى تصبح صحته بحالة تسمح بإجراء الختان تماما ،

ومع هذا يظل يهوديا لاشك في يهوديته (١٧) . وبرغم أهمية الشعيرة التي جرى التركيز عليها في التراث الرابي ، فإنه يمكن مقارنتها بالجوانب الأخرى المحورية في الحياة اليهودية التي ليس لها - على نحو خاص - طبيعة شعائرية ، كما يظهر في التهاني في حفل الختان ، تماما كأنه قد دخل العهد مع الله ، ومن ثم فإنه يمكن أن يدخل التوراة ، وظلة العرش ويقوم بأفعال الخير والمحبة ، (١٨) .

ويزداد أمر وضع الختان تعقيدا ، إذا علمنا أن غير اليهودي إذا تحول لليهودية تحتم عليه إجراء عملية الختان ، وإن كان مختونا بالفعل تحتم أن يجري عملية ختان رمزية بنزف قطرة دم من قضيبه كشرط لتحوله لليهودية ، وبدون هذا الطقس لا تعتبر الشريعة اليهودية (الهالاخاه) هذا المتحول يهوديا على الإطلاق (١٩) ، برغم وجود وجهات نظر في التلمود قالت بها أقلية ، لا تشترط هذا الإجراء لقبول المتحول لليهودية كيهودي ، ما دام التحول لليهودية ينطوي على فكرة أن المتحول باعترافه اليهودية قد ولد من جديد (٢٠) . فالختان في هذه الحالة يعنى من بين ما يعنى تنشينا ليهودي جديد ، أو شعيرة لدخوله في مجتمع إسرائيل . ويظهر تعقيد أكثر متمثلا في عدم اعلان اسم الطفل إلا بعد إجراء الختان له . هذا الاسم - الاسم العبري للطفل والذي قد يختلف عند يهود الشتات اختلافا تاما عن الاسم الذي يظهر في شهادة الميلاد - هو الاسم الذي يستخدم في كل الطقوس الدينية والوثائق . ولا يغير الاسم أو يضاف له إلا إذا عانى اليهودي من مرض خطير ، اعتقادا أن الاسم الجديد وبالتالي الشخص حامل الاسم سيتخلص من الشر الذي سبب الأذى للاسم القديم وصاحبه . وعند البعث سيذكر الشخص باسمه العبري وبه يبعث . ولهذا السبب ، فهناك آية توراتية تبدأ بالحرف الأول من اسمه وتنتهى بالحرف الأخير منه ، يرددتها اليهودي كل يوم في صلواته حتى لا ينسى اسمه عند البعث . وعلى النحو نفسه ، فإن الطفل الذي يموت قبل الختان يتم ختنه عند المقبرة ، ويطلق عليه اسم عبري ، حتى يمكن بعثه



يوم البعث (٢١) . ولا يصبح الطفل أهلا لأن يصبح فردا يحمل اسما
 كشخص يهودى حقا الا بعد الختان ، ويبدو هذا مناقضا لما ذكرناه
 بشكل عام عن وجهة نظر الهالاخاء فى هذا الموضوع ، اعنى ما ذهب
 اليه من ان الختان لا يحدث تغييرا فى وضع الطفل اليهودى . ان النظرة
 للختان باعتباره تمشينا ليهودى جديد تظهر بشكل قوى فى تراث
 القبالة (التصوف اليهودى) ، ومن هنا فان ابراهيم ازولاي
 Abraham Azulai - معتمدا على نص فى الزهر (٢٢) Zohar -
 كتب : « اعلم ان الانسان لا يسمى باسم انسان الا من خلال عملية
 الختان ، فبدون الختان يسمى روحا شريرا وليس انسانا فما قامت
 قوى الشر تمسك بالقلبه (الفرلة) وبنجاسة الانسان ، فمن المحال
 على روح عالية أن تكمن فيه (أى فى هذا الانسان غير المختون) ، ومن
 هنا فلا يمكن ان يسمى اسرائيليا . ولهذا السبب فقد جرت عادتنا
 الا نعلن عن اسمه الا بعد الختان فساعتها تكون القلفة (الفرلة)
 والنجاسة قد زالتا وعندئذ يصبح اسرائيليا وهذا يشرح
 لنا أنه قد دعى اسرائيليا من خلال ميتسفا mitzvah الختان (الوصية
 الدينية المتعلقة بالختان) .

وفى هذه الحال - كما فى أى جانب آخر من جوانب اليهودية
 - يرى المرء ان القبالة والعادات الشائعة ظلت موجودة او بشت الحياة
 فيها من جديد ، فظلت الممارسة اليهودية الأكثر قلما التى يظهر فيها
 الختان كشرط ضرورى من شروط قبول الشخص فى المجتمع اليهودى ،
 بينما قامت الشريعة الرسمية (الهالاخاء) بتفسير عملية الختان تفسيرا
 روحيا أو عقليا ولم تلق عليها ظلال القداسة .

وبطهور اليهودية فى الثقافة الأوروبية الحديثة ، وبزوغ اليهودية
 الإصلاحية Reform Judaism فى القرن التاسع عشر ، كان هناك
 اتجاه لاعتبار الختان - الى حد ما - ممارسة بربرية لا تليق باليهودى
 المتنور . فالجناح الراديكالى فى الحركة الإصلاحية اليهودية بزعامة
 صموئيل هولدهيم Samuel Holdheim (١٨٠٨ - ١٨٦٠) دافع عن

إن اليهودى غير المختون إنما هو يهودى من مختلف الوجوه (يهودى حق)
بأنه لا بد من إبطال عملية الختان ، وأعادوا تفسير عهد إبراهيم من خلال
مباركات روحية خالصة (أى لا علاقة لها بالختان) . وبرغم أن غالبية
اليهود الإصلاحيين اليوم يختنون أولادهم فإنهم يفعلون ذلك لأسباب
صحية أكثر مما يفعلون كشعيرة دينية . وفى الولايات المتحدة الأمريكية
حيث يوجد اتباع كثيرون لليهودية الإصلاحية ، نجد أن الختان عملية
روتينية فى الغالب ، يجريها الأطباء فى جناح أمراض النساء فى
المستشفيات لليهود وغير اليهود على سواء . ولم يعد الحاجز بين
اليهودى المختون والمسيحى غير المختون الذى سعى الإصلاحيون اليهود
فى القرن التاسع عشر لإزالته بإلغاء الختان ، موجودا . والمعارضة
الأيديولوجية الوحيدة للختان لم يعد لها وجود إلا بين اليهود القادمين
من الكتلة الاشتراكية ، الذين يكرسون أنفسهم لسمع الثقافة اليهودية
- خاصة الليدية Yiddish - ولكنهم يعترضون على أية ممارسات
ذات طابع طقسى خالص أو ذات طبيعة دينية .

تخليص المولود الذكر البكر من الخطيئة

وجدنا أن اليهود على مستوى العالم لا يزالون فى غالبيتهم يمارسون
شعيرة الختان ، وعلى العكس من ذلك فإن شعيرة تخليص المولود الذكر
الذكر من الخطيئة لم تعد موجودة إلا بين اليهود التقليديين . والفكرة
الكامنة وراء هذه الشعيرة هى أن قداسة خالصة ترتبط بالمولود الذكر
البكر ، الذى يفترض - نظريا - أن يقوم بدور كهنوتى ، وفيما عدا
هذا ، فإن هذا الدور قد انتقل للكاهن Kohen الذى يبارك الطفل
(يخلصه من الخطية) لهذا السبب بقبوله مبلغا بسيطا من والده (٢٤) .
ويتم هذا الطقس حالما يمر ثلاثون يوما على ميلاد الطفل ، اذ يصبح
الطفل وقتها طفلا قابلا للبقاء (قل احتمال موته Viable baby) .
ولا يتم هذا الطقس إلا بالنسبة للطفل الذى لا يكون أحد والديه لاويا
أو لا يكون أبوه كاهنا . ويتم هذا الطقس أثناء وليمة يمدحها والد الطفل
ويدعو إليها الكاهن . وبعد أن يكسر الضيوف الخبز معا ، يسأل

الكاهن الأب ان كان يفضل ابنه البكر وقطع العملة الفضية الخمس اللازمة لتخليصه من الخطية (تبريكه أو مباركته) ، فيجيب الأب بأنه انما يريد ابنه ويسلمه الكاهن قطع العملة الفضية الخمس ، فيقوم الكاهن بدوره بتلاوة التبريكات المناسبة ، وتتل أيضا آيات ودعوات اضافية مختلفة .

وبالإضافة الى ضرورة تبريك البكر الذكر ، فان الشريعة (الهالاخاه) تفرق بينه وبين الأبناء الآخرين من ناحيتين . فلابد ان يصوم في اليوم السابق على عيد الفصح ، اذ كان المواليد البكر الذكور المصريون يذبحون بينما نجا الاسرائيليون . كما ان المولود اليهودي البكر الذكر يرث نصيبا مضاعفا في عقار والده . ولا يكون للابنة وضع الابن البكر ولا ترث بالفعل شيئا من عقارات أبيها ، ان كان لها اخوة ذكور أو ورثة (ذكور) من صلب أبيها .

تربية الطفل

هناك دائما فرق في اليهودية بين طريقة تنشئة الطفل الذكر وطريقة تنشئة الطفلة الأنثى ، وينعكس هذا الفرق في الطقوس والشعائر المرتبطة بكل منهما في مرحلتى الطفولة ومطلع الشباب . وحتى سن الثالثة ، يسمح للأطفال ان يكونوا معا وان ينموا دون فارق بين ذكر وأنثى . وفي بعض المجتمعات اليهودية ، لا يقص شعر رأس الطفل الذكر طوال السنوات الثلاث الأولى من عمره فلا يكون هناك علامات فارقة بينه وبين أخواته . وحالا يقص شعره ، يبدأ تدريبه على القيام بدوره الديني كذكر ، وتم اختيار سن الثالثة لأن الطفل يبدأ في الكلام تقريبا في هذه السن ، ويوصى التلمود بتعليمه في هذه السن آيات من التوراة . وبقص شعر الطفل - مع ترك خصلات جانبية تتدلى على أذنيه - يصبح الطفل ممثلا للميتفاه (الوصايا الدينية) بعدم قص شعر الزوايا وفقا للوارد في الكتاب المقدس اليهودي (*) (٢٧) . ومن المعتاد أيضا في هذه السن

(*) « ولا تقصروا رؤوسكم مستعبرا ولا تصد عارضيك » . سفر اللاويين ١٩/٢٧ . (المترجم) .



ان يبدأ الطفل فى ارتداء عباءة تحتية ذات شراريب (الطاليت كاتان Tallit Katan وفقا لوصية توراتية أخرى ، وبالنسبة للولد يلبس طاقية تغطى جميعته (الطاقية اليهودية التقليدية) .

وبرغم ان الطفلة ذات الثلاثة اعوام لا تجرى لها أية طقوس لاعادها لدورها المستقبل كائن يهودية ، فانها تعتبر ابتداء من بلوغها الثالثة انثى مكتملة جنسيا . ومن ثم : فان الشرائع التى تمنع اجتماع الذكور والاناث معا فى خلوة (يشود Yichud تنطبق على البنات ذات السنوات الثلاث ، لكنها لا تطبق على الذكر الا اذا بلغ التاسعة ، والتعليل العقلى لذلك انه ابتداء من هذا العمر (الثالثة بالنسبة للبنات والتاسعة بالنسبة للولد) يكون الذكر والانثى قد بلغا النضج الجنى الكافى الذى يجعلهما هدفا للرغبات الجنسية ، او بلغة الشريعة (الهالاخاه) يصبحان صالحين للتعامل معهما جنسيا (٢٩) (او يصبحان صالحين للمواقعة الجنسية) .

وقيود الخلوة Yichud هذه تسبب صعوبات كبيرة لليهود الأرثوذكسي فى المجتمع الحضرى الحديث . أما اليهود التقدميون Progressive فقد نحوا تماما فكرة الخلوة (Yichud) ؛ باعتبارها غير قابلة للتطبيق من وجهات النظر الحديثة عن العلاقة بين الجنسين .

وفى الميشناه Mishnah نجد خلافا حول تعليم الفتاة اليهودية ، وقد قبل علماء الشريعة المتأخرون زمنا تعليمها ، ومع هذا لم يوصوا بتعليمها الا الممارسات والشعائر اليهودية التى تتعلق بالاناث (٣١) .

وبرغم هذا الحكم الواضح وبرغم تقرير الزهر Zohar أن التوراة قصد بها أن تكون موجهة للرجال فقط (٣٢) ، فان تلقى المرأة اليهودية تعليمها فى كثير من فروع العلم أصبح ملمحا راسخا من ملامح الحياة اليهودية الحديثة . وفى سنة ١٩١٧ ، افتتحت « حركة بيت يعقوب Beth Jacob movement » أول مدرسة للبنات تابعة لها فى شرق أوروبا تحت اشراف منظمة أجودات اسرائيل الأرثوذكسية المتشددة . Agudat Israel Organization وهى الآن تدير سلسلة كاملة من مدارس البنات وحلقات

علمية عن (قضايا) المرأة . بل ان كلية ستيرن Stern College (الكلية الصارمة) للنساء في نيويورك بها برامج للدراسات التلمودية للنساء . وتعد هذه الكلية مؤسسة متمشية مع الاتجاه الارثوذكسي الحديث في اليهودية . وثمة جماعات يهودية ارثوذكسية اخرى تقدم مناهج كثيرة للنساء في الدراسات اليهودية - فيما عدا التلمود - باعتبار ان الرجال موكلون به ولا غيرهم ، وتعليمه للنساء مسألة فاضحة تماما فيها نقض صريح للشريعة اليهودية (الهالاخاه) . والآن فان ، اليهودية الاصلاحية ، ويهودية اعادة البناء Reconstructionism هما وحدهما اللتان وصل بهما الامر اتاحة برامجهم الدراسية التي تؤدي الى الرسامة الرابعة للنساء (بمعنى ان تصبح المتخرجة رابية « حاخامة » Rabbinic Ordination) ، برغم ظهور حركات محافظة في الفترة الاخيرة تعارض هذا الاتجاه . ويبدو هذا تغييرا مفاجئا في اتجاهات الارثوذكس نحو تعليم المرأة . وهو تغيير يمكن تفسيره باساليب شتى . فهو في جانب منه نتيجة اعتناق اليهود (تحررهم) ، كما انه انعكاس لدور المرأة في الحياة اليهودية والذي ظهر بشكل اكثر وضوحا . وتم تبرير ذلك بالادعاء بان الفتاة اليهودية لا يمكنها - في ظل ظروف ضاغطة معادية لليهودية - ان تحتفظ بقيمتها التقليدية الا اذا تم اعدادها من خلال التعليم لمواجهة هذه التحديات (٣٣) .

واحد نتائج تطور التعليم الديني للمرأة اليهودية ، الامر الذي ادى الى تقويض البناء التقليدي للأسرة وتغيير نظام القوامة فيها ، هي ان بعض النساء اصبحن الآن اكثر فقها لليهودية من ازواجهن . فمناهج التعليم الديني للاناث قد صممت لتقدم للطالبة معلومات شاملة عن الفكر اليهودي والتاريخ والشعائر . اما المناهج المعدة للذكور في كثير من المؤسسات التعليمية ، فظلت تتحلق حول التركيز على الدراسات التلمودية على حساب المجالات والموضوعات الدراسية الاخرى . وقد عبر عدد من الرابينين البارزين ، سواء في المصور الوسطى او الحديثة عن عدم جدوى

التركيز على الدراسات التلمودية ، خاصة طريقة تدريسه في الشيفوت (*)
 أو الأكاديميات الدينية . وقد اعترضوا على نحو خاص على طريقة التحايل
 الشرعى (بيلبول Pilpul) ، التى تعنى تحليل النص التمودى وشروحه
 بهدف التوفيق بين ما به من تناقض ، وكذلك البحث عن الفروق الدقيقة
 فى المعانى (بهدف اضافة شرعية على امر ما) (**) . ويرى عن الراى
 يعقوب بولاك R. Jacob Pollack وهو احد كبار المؤيدين للتحايل الشرعى
 (البيلبول) ، أنه ذات مرة ألقى محاضرة من نص تلمودى حذف منها
 تلاميذه عدة صفحات ، ولم يلاحظ الراى يعقوب انقطاع السياق فاستمر
 فى القاء محاضراته ببساطة ، وربط المناقشة فى الصفحة التى كان قد
 درسها للتو بالصفحات الأخرى اللاحقة (٣٤) . وقد قال اللاهوتى اليهودى
 الراى يهوذا لوب البراغى Judah Loeb of Prague الذى عاش بعد
 بولاك بجيل ، ان أولئك الذين يدرسون البيلبول (التحايل الشرعى)
 يهدرون أوقاتهم فى أكاذيب ، ومن الأفضل لهم أن يتعلموا النجارة (٣٥) .

بدايات البلوغ

عندما يبلغ الفتى اليهودى (أو الفتاة) سن البلوغ يكون قد وصل
 (أو وصلت) الى حقبة جديدة ، ونعنى بالبلوغ وصوله (أو وصولها)
 الى اكتمال الخصائص الجنسية الثانوية ، خاصة نمو الشعر العام
 Public hair (لعله يقصد شعر العانة) فالبت بعد الثانية عشرة والولد
 بعد الثالثة عشرة ممن له (أو لها) شعر عام يعد بالغاً ، وبالتالي يصبح
 (أو تصبح) مسئولاً عن أفعاله فى المحيط الدينى (٣٦) . وفى أعوام
 ما قبل البلوغ ، يعد الطفل للدور الدينى والجنسى الذى سيلعبه عندما
 يبلغ (سواء أكان ذكراً أم أنثى) ومنذ الوقت الذى يستطيع فيه الطفل
 فهم تعاليم الله والفروض الدينية يشجعه المجتمع اليهودى على التزام

(*) انظر عن الشيفوت وطريقة التدريس والتعلم فى معجم المصطلحات بآخر الكتاب .

(المترجم) .

(**) ما بين القوسين توضيح من المترجم .

الشريعة . وبرغم أن الشعر العام ضرورى من الناحية النظرية كعلامة على البلوغ فإن بلوغ السن المحددة آنفا يكفى للدلالة عليه ، فقد قبل الرابيون إمكانية أن ينمو الشعر ثم يسقط ، ومن ثم فالصبي الذى يبلغ ١٣ سنة من عمره ، والبنت التى تبلغ ١٢ سنة من عمرها لابد أن يأخذا على عاتقهما « رباط الوصايا الدينية » ، ويظل ظهور الخصائص الجنسية الثانوية مسألة مهمة لتقرير حقيقة الجنس (اولد ام بنت) ، وفى هذه السن تسمح الشريعة بزواج الذكور من الاناث وفقا لمظاهر البلوغ الثانوية .

والفرق بين الولد والبنت ، والذى ظهر بالفعل فى الطقوس والشعائر المحيطة بميلادهما وفى مرحلة طفولتهما المبكرة ، يزداد وضوحا فى فترة انتقالهما من الطفولة الى البلوغ ، فحالما يتم الصبى الثالثة عشرة من عمره يتم الاحتفال « ببلوغه » باقامة حفل طقسى يعرف باسم « ابن الوصايا » ، bar mitzvah . وبرغم أن هذا الحفل الطقسى غير موجود فى التراث التلمودى فإنه أصبح جزءا مكتملا فى الحياة اليهودية منذ القرن الرابع عشر للميلاد على الأقل (٣٧) . والمعتاد فى هذا الحفل هو دعوة الصبى الى قراءة من الكتاب المقدس اليهودى تتلى أسبوعيا فى المعبد من لفائف التوراة فى أيام السبت ، وقد لا يسمح للصبى بالمشاركة فى هذا الطقس (لصغر سنه) فيكتفى بإعلان المجتمعين فى المعبد ، بأن هذه التلاوة انما هى بمناسبة وصول الطفل (فلان) الآن الى مرحلة النضج « البلوغ » ، ويحضر أفراد الأسرة والضيوف المدعوون الى المعبد للمشاركة فى هذا الطقس وبعد أن يتلو الطفل (الصبى) التبريكات الختامية ، يشكر أبوه الله لأنه أزال عن كاهله (كاهل الأب) المسئولية فيما يتعلق بخطايا ابنه (٣٨) . ويقدم والدا الطفل وجبة خفيفة (كدوش Kiddush) عقب هذا الطقس ، وعادة ما تلقى فى هذه المناسبة خطب التهنة . وأثناء ممارسة هذا الطقس Service ، يلقي الراوى عظة تحتوى على نصائح موجهة للصبى تحضه على الالتزام بتعاليم الدين ، ودعوات لوالدى الطفل وجديه أن يكون هذا الصبى المحتفى ببلوغه bar mitzvah boy

مصدر فرح للأسرة ، وتعرف هذه الدعوات باسم ناخات Nachal
(وباللغة اليدوية ناخاز Nachas)

ويدعو والدا الصبي في أحد أيام الأسبوع التالية لهذا الطقس
افراد الأسرة والأصدقاء ، وغالبا معارف العمل الحميمين لمادبة تعد مقياسا
لوضع الأسرة في المجتمع ، فالضغط الاجتماعي الواقع على الوالدين لتقديم
هذه المادبة يجعلها تساوى - ان لم تزد - في سخائها المادب الذي اعلمها
الجيران لأطفالهم ، ومعنى هذا ان المعنى الدينى لهذا الحفل بين يهود
الطبقة الوسطى في الغرب - يكاد يختفى تماما . وقد أدى هذا الوضع
الى معارضة واضحة خاصة من الرابيين الأرثوذكس في الولايات المتحدة
الأمريكية ، فقد أفتى واحد منهم وهو الرابى موسى فينستين
R. Moses Feinstein بما هو آت :

« لو كان لدى السلطة لأبطلت كل طقوس الاحتفال ببلوغ الولد
(البار ميتسفاه bar mitzvah) في هذه البلاد . فمن المعروف ان هذا
الطقس لا يقرب أحدا الى التوراة والوصايا ، ولا حتى الصبي المحتفى
به . . . بل العكس هو الصحيح ، ففي أماكن كثيرة يؤدي هذا الى انتهاك
السبت وغير ذلك من المحرمات » (٣٩) .

وعلى العكس من الاحتفالات الطقسية المحيطة ببداية « بلوغ »
الصبي ، فان الفتاة تمر بمرحلة البلوغ ولا تكاد تعرف الجماعة في وسط
اليهود التقليديين شيئا عن ذلك . « فالبلوغ » بالنسبة للصبي يعنى
وصوله الى مرحلة المسئولية العامة ، لقد أصبح الآن (بعد البلوغ) مؤهلا
لان يكمل النصاب المطلوب لصلاة الجماعة minyan وهو عشرة ذكور ،
ومؤهلا لحضور تلاوة التوراة ، وأصبح يلبس التيفيلان tefilin
أو « التيمية » خلال صلاة الصبح . أما حياة البنت ، فتبقى بعد البلوغ
- نسبيا - دون تغيير ، فهي - بمسافة - أصبح يتحتم عليها الالتزام
بالشرائع الدينية المختلفة التى سبق لها التدرب عليها فى الأعوام السابقة
على « بلوغها » ، وبالتالي ليست هناك حاجة لتعريف الجماعة اليهودية

بوصفها الجديد . وفي بواكير القرن التاسع عشر كان طقس « ابن الوصايا bar mitzvah » قد حل محله طقس « التثبيت Confirmation » للصبيان والبنات على سواء في بعض المحافل اليهودية الإصلاحية في ألمانيا German Reform . وكان هذا الطقس الاحتفالي يتم لجماعة من البالغين (وليس لبالغ واحد) بعد اتمام برنامج دراسي في الدين والأخلاق اليهوديين ، وغالبا ما كان يعقد عندما يقترب البالغ من العشرين . وأخيراً ، اعتبر عيد الحصاد (الشافوت Shavuot) أكثر المناسبات ملاءمة لإجراء طقس « التثبيت » الآنف ذكره . وقد انتشر هذا الاحتفال الطقسي المبتدع — برغم المعارضة الشديدة التي أبداها الزعماء الدينيون الأرثوذكس — بين المجتمعات اليهودية الإصلاحية في غرب أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ، ولا زال يوجد حتى اليوم ، برغم إعادة تقديم طقس « ابن الوصايا bar mitzvah » الأكثر تقليدية .

واحد الملامح المميزة لطقس « التثبيت » الاحتفالي اذ يعقد للولد والبنات على سواء وثمة تطور أكثر حداثة وهو ابتداء حفل طقسي للبنات يوازي الحفل الطقسي للأولاد . وعرف هذا الطقس الاحتفالي الخاص بالبنات باسم بات ميتسفاه Pat mitzvah ، أي « بنت الوصايا » ، وقد أخذ بهذا الاحتفال الطقسي حتى بعض الدوائر الأرثوذكسية . وبرغم عدم وجود إجراءات محددة لطقس « بنت الوصايا / بات ميتسفاه » ، واختلافها من محفل يهودي إلى آخر ، فإن الشكل المعتاد هو إقامة حفل طقسي لجموعة من البنات في المعبد بعد تجاوزهن سن الثانية عشرة ، وبرغم تردد الرابينين إزاء هذا الحفل الطقسي للأنثى ، فإنه من الممكن أن يؤدي ضغط الأنثى ذوات الدور المتعاضم في الحياة اليهودية التقليدية ، إلى أن يكون طقس « بنت الوصايا أو بات ميتسفاه » ملحقاً دائماً من ملامح الحياة اليهودية .

شعائر مراحل العمر : الزواج والشيخوخة

الأخلاق الجنسية اليهودية

يمكن ايجاز اتجاه الشريعة اليهودية (الهالاخاة) نحو السلوك الجنسي لليهودى بأنها تشجع العلاقة الجنسية من خلال الزواج ، وتحرم الاتصال الجنسي قبله وخارج نطاقه كما تحرم الشذوذ الجنسي ، وقد صاغ ابن ميمون اتجاه الشريعة اليهودية كالتالى :

« قبل نزول التوراة كان يمكن للرجل أن يلتقى بالمرأة فى السوق ، فان اتفقا على الزواج أمكنه أن يأخذها الى بيته ويتصل بها جنسيا فتصبح زوجته بدون شهود ، فلما نزلت التوراة أمرت الرجل بأن يشهد على زواجه منها شاهدين ٠٠ واذا رغبت فى الطلاق لزم حصولها على مستند طلاق ، (١) .

ولمنع الاتصالات الجنسية المحرمة ، سواء الاتصالات الأكثر خطورة كالزنا وسفاح المحارم ، أو الأقل خطورة كالاتصالات الجنسية (وهى أيضا محرمة) قبل « الدخلة » برغم عقد القران ، وضعت الشريعة اليهودية (الهالاخاه) قيودا متزايدة على العلاقات الاجتماعية بين الجنسين ، فشجعت الرجال على الابتعاد عن النساء ، وآلا يتصرفوا بطيش باصطحابهن ، وأن يفضوا الطرف فلا يتفرسوا فى جمالهن ،

والا يتشمسوا عطورهن ولا يسيروا وراهن ، بل وحظرت على الرجال الاقتراب من المواخير (بيوت الدعارة) وسماع غناء النساء ، وحرمت على الرجل استخدام المرأة خادمة له ان جمعته بها خلوة ، كما حرمت عليه ان يعانق أو يقبل قريباته المباشرات باستثناء تقبيل الوالدين لاولادهما قبل البلوغ (٢) prepubescent .

وذكرنا أنفا تحريم الشريعة اليهودية للخلوة Yichud ، أى البقاء داخل غرفة مغلقة أو منزل مغلق مع فرد من الجنس الآخر فى غير وجود آخرين . ويطبق هذا بصرف النظر عما اذا كان أحد الطرفين (المرأة أو الرجل) متزوجا أم لا ، يهوديا أم من غير اليهود (الأغيار) ، باستثناء الوالدين مع أطفالهما والأزواج مع زوجاتهم ، والبالغ مع بنت دون الثالثة أو صبي دون التاسعة . وعلى النحو نفسه يحرم أن يكون الرجل فى موضوع مسئولية عن النساء ، ان أتاح له وضعه هذا الاختلاط بهن . ويشمل هذا التحريم منع الرجل غير المتزوج والمرأة غير المتزوجة من التدريس للصغار ، لأن مهمة التدريس تنطوى على اتصال متتال بأشخاص من الجنس الآخر هم آباء الأطفال وأمهاتهم الذين يأتون لتسلم أولادهم (٣) .

وقبل اليهود الأرثوذكسى كل هذه القيود الضابطة للسلوك الجنسى ، كوضع أمثل لتنفيذها حرفيا بقدر الامكان فى مثل هذه الأمور . ومن الطبيعى بدرجة كافية أن يكون هناك حل وسط أو تسوية بالنسبة لليهود الذين يعيشون فى مجتمع حضرى حديث ، ما دام الصراع بين الانارة الجنسية التى تسببها الاعلانات والسينما والتليفزيون و (موضة) الأزياء الحديثة للنساء ، ومثل الشريعة اليهودية (الهالاخاه) قد خلقت توترا شديدا (فى نفوس اليهود) . وبرر اليهود التقليديون الذين اتخذوا موقفا وسطا موقفهم بأن الزمن قد تغير ، وما كان يعد « جنسيا شهوانيا » فى فترة لم يعد كذلك فى فترة أخرى ، وأن الأمر يختلف من مجتمع الى مجتمع ، وأن الشريعة اليهودية كما وردت فى مدونة شولحان عاروخ

Shulshan Arukh كانت صدى لظروف اجتماعية مختلفة تماما . وقد تخلصت اليهودية التقدمية - عموما - من كثير من تفاصيل الشريعة المتعلقة بالأمور الجنسية ، على اعتبار أنها - أى هذه الأمور - تمثل خليطا من اتجاهات العصور الوسطى والاتجاهات الفيكتورية . ولا زالت الفكرة المحورية فى العلاقات الجنسية لدى المفكرين اليهود التقدميين **Progressive** ، تتمثل فى زوجين (زوج وزوجة) يخلص كل منهما للآخر .

التودد تمهيدا للزواج (*) ، والزواج

انه لواجب ايجابى يقع على كاهل كل يهودى أن يتزوج وينجب أطفالا ، وشاهد ذلك هو الأمر الذى وجهه الله الى آدم وحواء فى سفر التكوين (٢٢/١) والى نوح فى سفر التكوين أيضا (١/٩ ، ٧) . فاليهودى الذى لا يحاول تكوين أسرة يعتبر كمن أراق دما ، وكمن قلل من صورة الله ، التى خلق الله الانسان على مثالها ، ويتسبب فى مفارقة الحضور الالهى **God's presence** لاسرائيل (٩) . والسن المعتادة للزواج هى ١٨ سنة ، برغم أن الذكر اليهودى البالغ ١٣ سنة يمكنه أن يتزوج ، وكان الزواج المبكر فى الأزمنة الأقدم مفضلا . وفى الجيل الأخير ، يجب على المرء أن يؤخر الزواج الى ما بعد العشرين ، واعتادت السلطات الدينية اليهودية أن تمارس ضغطا على الأعزب الذى تجاوز هذه السن ليقترن بزوجة . والسبب الوحيد المقبول لاطالة فترة العزوبة هو رغبة المرء فى تكريس حياته لدراسة التوراة ، اذا اقترن هذا بالتأكد من القدرة على التحكم فى رغباته الجنسية . وعلى أية حال ، فحتى فى هذه الحالة لا يشجع رجال الدين العزوبة مادام من واجب اليهودى أن

(*) المعنى الحرفى التودد أو الفزن ؛ لكن السياق يفيد ما أوردناه فى المتن

(المترجم) .

ينجب اطفالا ، ليكون « مشرا مكاثرا » ، ويعتبر اليهودى قد ادى هذا الواجب اذا انجب ولدا وبنتا ، لكن الأطفال يعملون نعمة من الله ، ومن هنا فان الأسرة كثيرة العدد تعد نموذجا دينيا يقتدى به ، كما تعد حقيقة اجتماعية قائمة بين اليهود الأرثوذكس (١٠) . ومن المفيد صحيا للرجل الذى ماتت عنه زوجته أن يتزوج مرة أخرى ، برغم أنه قد يكون انجب من زوجته المتوفاة ، وينطبق الوضع نفسه على المطلقة .

والوصية الدينية *mitzvah* بالتناسل (الانجاب) غير موجهة مباشرة الى المرأة اليهودية ، برغم أن بعض السلطات الدينية بعد الفترة التلمودية ذهبت الى أن المرأة عليها - بشكل غير مباشر - أن تسمى للزواج ، وعليها أن تنجب اعتمادا على الآية رقم ١٨ فى الاصحاح رقم ٤٥ من سفر اشعيا والتي مفادها أن الله لم يخلق العالم ليكون هجورا ، وانما ليكون معمورا (*) . بالاضافة الى سبب آخر وهو أنه على المرأة أن تشارك فى الوصية الدينية *mitzvah* الموجهة لزوجها ، بتمكينه من أن يكون له أطفال (١١) . ولا يستطيع اليهود الشبان فى ظل الفصل الصارم بين الجنسين فى المجتمعات اليهودية التقليدية ، أن يلتقى الواحد منهم بشريكة حياته المرتقبة فى ظروف الحياة الاجتماعية المعتادة . فعادة ما يتم تقديم كل منهما الطرف الآخر عن طريق طرف ثالث يعرف الأسرتين ، مما يمكنه من اقتراح اقترانهما . ويمكن أيضا الاستعانة بخاطب محترف (**) (شادخان Shadkhan) للقيام بهذه المهمة . وكان

(*) النص فى الترجمة العربية للكتاب المقدس : « لأنه هكذا قال الرب خالق السماوات هو الله . مصور الأرض وصانعها . هو قهرها ، لم يخلقها باطلا . للمكن صورها » .

(**) الترجمة الحرفية سمسار زواج او وسيط زواج marriage broker .

وسيط هذا (الخاطب) جزءا فاعلا فى الحياة اليهودية فى المصور الوسطى ، بل انه قد ورد فى التلمود أن أحد حكماء اليهود (الحاخامات) كان يعاقب أى رجل « يخطب » فتاة دون زواج مرتب (١٢) . وللإشارة الى صعوبة جمع الرؤوس فى الحلال بشكل ناجح (عقد الزيجات الموفقة) ، قال الراييون أن الله بعد أن خلق الكون قضى وقته فى ترتيب الزيجات ، فوجدما مهمة شاقة فى نفس صعوبة شق البحر الأحمر (١٣) .

فترتيب الزواج لا يعنى - ببساطة - عقد لقاء بين فتى وفتاة ، وإنما هو « زواج » بين أسرتين لكل منهما رأى فى مدى موامة هذا الزواج وامكانية نجاحه . وعادة ما يسعى الوالدان فى أى مشروع زواج الى البحث عن السلالة الطيبة ، وأن يكون للأسرة أجداد مشهورون يدعون للفخر ، وأن يكون الوضع المالى لزوجة ابنهم المرتقبة جيدا ، وأن يتوقعوا أن يقوم والداها بمساعدتها وزوجها ، وتسمى أسرة الفتاة أن يكون زوج ابنتهم متعلما ويهوديا يخاف الله ، وهذا أمر مهم جدا . ويمكن للفتى والفتاة أن يلتقيا للمرة الأولى فى منزل طرف ثالث يعرف كليهما ، وإذا كان هذا اللقاء ناجحا أمكنهما اللقاء لمرتين ، حتى تأتلف روحاهما . وفترة التودد هذه تكون قصيرة نسبيا ، مادام هذا الارتباط لم يقترح فى الأساس الا بعد التحقق من الانسجام والتوافق بين خلفية الطرفين واتجاهاتهما ، مما يضمن قبول كل طرف للآخر . فان رضى الطرفان ولم يكن ثمة اعتراض من أى من الأسرتين ، تكون الخطوة التالية هى ترتيب « التينيم tenaim » أو (حفل الارتباط) ، حيث يضع كل طرف من الطرفين شروطه للزواج ، كالمهر ، وعقوبة فسخ الارتباط . وبرغم أن هذا التينيم (حفل الارتباط) ليس له معنى دينى ، فانه يكون مصحوبا باحتفال ووليمة وفيه تقرا وثيقة الارتباط (التينيم) بصوت عال ،

وفيه يجرى كسر طبق من مخار . ويفسر كسر طبق الفخار بأنه حتى في لحظات الفرح الغامر لابد أن يتذكر اليهودي تدمير القدس بما يتفق مع ما ورد في المزمور رقم ١٣٧ . وقد يعنى تهشيم طبق الفخار أيضا إبعاد الشياطين التي يعتقد أنها أكثر ما تكون نشاطا في أوقات الفرح والاحتفال (١٤) . وثمة اعتقاد شعبى يهودى مؤداه ، أن أية فتاة غير متزوجة تأخذ لبيتها كسرة من هذا الطبق الفخارى المكسور لابد أن تتزوج في غضون عام (*) .

وبرغم أن التينيم (الارتباط) يمكن فسخه في أى وقت قبل حفلة الزواج الفعلي شريطة دفع التعويض المتفق عليه ، فإن بعض الجماعات اليهودية تعتبره تعهدا ملزما . ومن هنا ، فإن أتباع الحركة الكاسيدية (حاسيديم) ، وأتباع إيلياه الفلنى Elijah of Vilna المعارض للكاسيديم (الحاسيديم) ، كلاهما يرى من الأفضل الاستمرار في إجراءات الزواج وطقوسه ، ثم الطلاق ، فهذا - فيما يرون - أفضل من فسخ التينيم (الارتباط) (١٥) . وقد فتح التينيم الطريق لليهود المعاصرين للارتباط المدني ، ولم يعد له وجود إلا في الدوائر اليهودية التقليدية .

الزواج

ويتكون الحفل الطقسى للزواج من عنصرين كانا في وقت من الأوقات منفصلين لكنهما اندمجا بعد ذلك في طقس واحد . الأول هو الاروزين Erusin أو الكدوشين kiddushin ، ويعنى ارتباط ما قبل الزواج وفيه يرتبط الطرفان برباط الزوجية ، ويتطلب انفصالهما طلاقا ، لكن لا تتم علاقة جنسية فعلية بين الطرفين (الزوج والزوجة) (**)، ثم تكون الشوباه Chupah ، والكلمة تعنى الظلة Conopy التي ترمز الى دخول العروس في بيت العريس ، وقتها تنتهى إجراءات الزواج (وتتم

(*) خرافة يهودية (المراجع) .

(**) أى انهما زوج وزوجة شرعا (قانونا) لا فعلا (ممارسة) . المترجم .

المباشرة الجنسية) . أما الممارسة المقبولة اليوم ، فهي أن يتم الارتباط (الايروزين أو الكداس) تحت ظلة العرس قبل الشوباه **Chupah** (فتكون الاجراءات فى وقت واحد ومكان واحد) (*) ، ويكون تسلسل الوقائع السابقة على حفل الزواج (الذى يشمل الارتباط والدخلة) كالتالى : فى يوم السبت السابق للعرس يدعى العريس للمعبد ليقرأ الهافتاراه **Haftarah** ، وهو جزء من سفر الانبياء او جزء من القراءات التى تقرأ اسبوعيا من اسفار موسى الخمسة . ويعرف هذا الطقس بين اليهود الاشكيناز باسم اوفروف **Aufzuf** . وبعد أن ينتهى العريس من القراءة يحييه المجتمعون بقولهم بصوت عال : « مازال توف **Mazal Tov** » أى : حظ سعيد ، وفى بعض المجتمعات اليهودية تنلى الترانيم لطلب البركة للزوجين . وثمة عادة فى بعض المجتمعات اليهودية لا تسمح للعريس بأن يتابع طريقه منفردا بعد هذا الطقس الأخير . وثمة عادة أخرى وردت فى انشولحان عاروخ **Shulchan Aruch** تمنع العريس من أن يكون منفردا طوال الأسبوع الأول بعد العرس . وذلك خوفا من مهاجمة الشيطان له ، فالشيطان لا يهاجمه ان كان معه أحد آخر . ويعدد التلمود ثلاث فئات فى حاجة الى حراسة ، مخافة مهاجمة الشياطين : المريض والعريس والعروس .

يوم العرس

جرت العادة أن يصوم العريس والعروس فى يوم حفل العرس . من الفجر حتى تنتهى طقوس الاحتفال . وهما يعترفان فى صلواتهما بخطاياهما ، ويرددان فقرات دينية خاصة طلبا للتوبة (١٧) . والفكرة

(*) بتعبير المادات الاسلامية : عقد القران والزفاف مما (المحرم) .

الكامنة وراء الصوم ذات شقين . فمن ناحية ، يرى التراث اليهودى فى الزواج مرحلة جديدة تماما فى حياة اليهودى ، تغفر مع بدايتها كل خطاياهم ليبدأ بها جديدا تماما . وعلى هذا ، وجب أن يتوب الزوجان ويندما على ما مضى ، ويطلبوا غفران ما قد يكونان قد اقترفاه من ذنوب . والسبب الثانى لهذا الصوم ذو طبيعة دنيوية ، وهو ألا يبدأ المرء اجراءات زواجه وهو سكران (١٨) .

وقبل حفل الزواج الطقسى يتم اعداد وثيقة الكتوبة *kettubah* ويوقع عليها شاهدان . والكتوبة ليست عقد زواج كما هو مألوف ، وانما هى مجرد اشتراطات لما سيدفعه الزوج عند حدوث الطلاق ، كما إنها تحدد مسئوليات الزوج اثناء الزواج . ولا يسمح للزوجين بالمعاشرة الجنسية قبل أن يكون لدهما كتوبة *ketubbah* ، واذا فقدت كتوبة أحد الطرفين وجب كتابة كتوبة جديدة . وبعدها يذهب الزوج الى غرفة العروس التى تكون فى انتظاره ؛ وقد أسدلت على وجهها حجابا قبل أن يقتادها أبوها وحموها (أبو زوجها) الى الظلة ، واذا كان والد أحد العروسين ميتا ، حل محله أحد الأقرباء أو الأصدقاء فى هذه المهمة التى تعد طقسا دينيا ذا أهمية كبيرة وفقا (الوصايا الدينية) للميتسفا *Mitzvah* ، ففى التراث الرابى أن الله والملائكة المفوضين *ministiring* قاموا بهذا الدور فى يوم غرس آدم وحواء (١٩) . يقف العريس تحت الظلة مواجهها القدس ، ويقف فى مواجهته الرابى وقائد المرتلين (أو المنشدين) ، ويستخلم اليهود الأشكيناز الظلة التى تتكون من قماش مطرز يعرش فوق أربعة أعمدة ، وتقام هذه الظلة فى صحن المعبد (الساحة المكشوفة - غير المسقوفة - للمعبد) ، وعادة ما يقوم اليهود الصغاردي *Sefardi* بتكليف أربعة رجال برفع الطاليت *tallit* (شال الصلاة) عاليا كظلة (نمرش على العروسين) حتى بيت الزوجية . وكثير من تجمعات اليهود الأشكيناز - خاصة فى المناطق الباردة - نقلوا عن الصغاردي ممارستهم تلك ، لكن هذا لم يحظ بموافقة اجماعية من قبل الرابينين الأشكيناز (٢٠) .

ويحضر العروس الى الظلة Canopy أمها وأم زوجها (حماتها) ،
 اللتان تحملان شموعا مضاءة . ويكون دخولها مصحوبا بعزف موسيقى
 وغناء ، ويتجه الضيوف لمقابلتها والسير معها الى الشوباه Chupah
 (الظلة التي تمثل الجزء الأخير من حفل الزواج اليهودي وفقا للعقوس) .
 هذا ما يحدث في حفلات الزواج التقليدية . وفي بعض المجتمعات تطوف
 العروس حول العريس سبع مرات ، وفي مجتمعات أخرى يقتصر طوافها
 حوله على ثلاثة أشواط ، قبل أن تتخذ مكانها الى جواره . وينشد المنشد
 الذي يقود جموع المنشدين خلال الدعوات أو الصلوات العامة ، والذي
 غالبا ما يتم اختياره لجمال صوته - الأناشيد التي تتضمن تحية للعروس
 والعريس طالبا لهما من الله البركة . حان الآن وقت ملء كأس من النبيذ
 ليرتل عليها الرابي المعين الدعوات بالبركة بعد أن يكون قد بارك
 الايروسين (القديسين) (وهو الجزء الافتتاحي من الحفل حيث يقدم
 العريس لعروسه خاتما) (*) . وبعد أن يتذوق العروسان النبيذ ، يتناول
 العريس دبلة الزواج (أو دبلة العرس) وهي من الذهب الخالص أمام
 الشاهدين الأنف ذكرهما ويضعها - أي الدبلة - في الاصبع السبابة
 في اليد اليمنى لعروسه قائلا : « بهذه الدبلة (أو الخاتم) أنت حل لي
 وفقا لشرائع موسى واسرائيل » . وقبول العروس لهذه الدبلة (الخاتم)
 يعني رغبتها في الزواج من العريس . ولا تسمح الممارسات الأرثوذكسية
 اليهودية بتبادل الدبل (الخواتم) ؛ لأن هذا قد يعني رفض العروس
 خاتم (دبلة) العريس والا فما معنى الباسه خاتما (دبلة) . واستخدام
 الدبل (الخواتم) كطقس في بداية الزواج لم يرد في التلمود ، وإنما ورد
 للمرة الأولى في التراث اليهودي geonic literature البابلي في القرن
 العاشر للميلاد . والعادة المتبعة بأن يكون ذهب الخاتم (الدبلة) من
 الذهب الخالص ، جرت الإشارة إليها للمرة الأولى من قبل علماء الشريعة
 اليهود (الهالاخاوين) في أوروبا في العصور الوسطى ، الذين شرحوا

(*) راجع معجم المصطلحات العبرية بأخر الكتاب . (المترجم) .



أن وجود أحجار نفيسة في الخاتم (الدبلة) قد يؤدي الى بلبلة فكر العروس بشأن قيمته الحقيقية (٢١) . ولتأكيد صحة الزواج ومشروعيته ، يسأل العريس : أحقا هذا الخاتم (الدبلة) هو خاتمه ؟ ويتمين أن يقر الشاهدان أن الخاتم ذو قيمة تمثل الحد الأدنى ، وأنه لا جدال حول قيمته .

وبعد الإيروسين Erusin ، تقرأ الكتوبة Ketubah بصوت عال باللغة الآرامية ، وفي بعض المجتمعات اليهودية الغربية تتم قراءة موجز لمحتواها أيضا باللغة الانجليزية ، ثم تسلم وثيقة الكتوبة للعروس ؛ ومن ثم يبدأ الجزء الثاني من الاحتفال الطقسي ، فيتناول الراي كاسا أخرى من النبيذ وباركها ثم يترنم بالتبريكات السبعة المرتبطة بالزواج ، والتي تنتهي بالكلمات الآتية .

« عجل يا ربنا بأن يسمع في مدن يهوذا وفي خلوات القدس أصوات الفرح والبهجة ، صوت العريس ، وصوت العروس . وأصوات كل العرسان المملوءة بهجة نتيجة زواجهم ، وأصوات كل الشباب المملوءة بهجة ، فليفتنوا ويبتهجوا . مبارك انت يا ربنا فانت تجعل العريس والعروس يعيشان في هنا » .

ويشرب العروسان مرة أخرى من كأس النبيذ ، ثم يكسر العريس الكأس بقدمه مع صيحات الضيوف : « حظا سعيدا / مازال توف mazal tov » . وكسر الكأس الزجاجة مثله مثل كسر الطبق الفخاري في طقس التنيم (*) tenaim يشير لمعنى الحداد لتدمير الهيكل في القدس ، حتى في أوقات السعادة البالغة ، كما أنه - أي كسر الكأس

(*) الحفل الطقسي للارتباط ، المترجم .

الزجاجية - عمل وقائي ضد الشيطان . ويظهر معنى الحداد أيضا في
عادة تلطيخ العريس جبهته بالرماد قبل الحفل الطقسي للزواج .

وبعد اتمام الطقس الأخير (الشوباه Chupah) ، يتم اصطحاب
العروسين الى حجرة ليكونا في خلوة (لا احد معها Yichud) ، ويؤكد
الشاهدان أن الخاتم ذو قيمة تمثل الحد الأدنى ، وأنه لا جدال حول
أن الخلوة بغير زواج محرمة . وينتهز العروسان هذه الخلوة ليتناولوا
شيئا من الطعام (لكسر صيامهما to break their fast) والخلوة شرط
لصحة الزواج وفقا لراى بعض علماء الشريعة اليهودية ، وبدونها لا يكون
الزواج قد تم (تكون الشوباه ناقصة) (٢٥) . والآن ، حان ميعاد وليمة
العرس ، وعند اليهود الأرثوذكس يقوم المدعوون الذكور بالرقص حول
العروس والعريس ، والرقص مع العروس نفسها ويكون بين العروس
والراقصين معها وشاح . ويفنى الحاضرون أغاني عاطفية خفيفة تكريما
للعروسين . والقاء الخطب جزء متمم في معظم حفلات الزفاف اليهودية ،
وتضم هذه الخطب توجيهات تعليمية وثناء على العروسين ، وأسرتهما ،
وتنتهى الوليمة بدعوات هى صلاة المائدة التى تعقب تناول الوجبات ،
وبعد ذلك تتكرر تبريكات الزواج السبعة على كأس من النبيذ . وطوال
أسبوع ، ما بعد الزفاف يظل الأقرباء والأصدقاء يدعون الزوجين الى وليمة
كل مساء . وتستلزم تلاوة تبريكات الزواج وجود عشرة رجال وأن
يكون بينهم « وجه جديد » ، ويقصد به شخص لم يكن قد حضر الزفاف .
وتعرف هذه الولائم الاحتفالية باسم التبريكات السبعة (شيفا براخوت
Sheva berakhot) ، ولا يلتزم غير اليهود التقليديين بالتفرغ لشهر
العسل بعد الزفاف مباشرة .

المباشرة الزوجية

برغم ما يبدو من اتجاهات متزمنة نحو العلاقات الجنسية ،
فان اليهودية لا تعتبر مباشرة الزوج لزوجته جنسيا شرا لا بد منه .

الشريعة اليهودية تنظر للعلاقة الجنسية بين الزوجين باعتبارها العلاقة الجنسية الوحيدة المقدسة . فالمبادئ الشرعية المحيطة بالعلاقة الجنسية الزوجية تظهر ازدواجية (تضاربا) بين التركيز على الفعل الجنسي باعتباره ملمحا يعزز الحياة في العالم الذي خلقه الله ، وحقيقة - ونقا لتعاليم القبالة - كرمز للتكوين الداخلي للذات الالهية (*) .
the inner structure of the divine

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نجد الاتجاه التقشفي المنطوي على قمع واحد من أقوى الدوافع في الانسان . ونجد في التلمود وجهات نظر متضاربة بشأن الطريقة التي يتم بها اللقاء الجنسي بين الزوج وزوجته . وعلى هذا ، فزوجة الرابي اليعازر بن هيركانوس R. Eliezer ben Hyrcanus ، اول حكيم يهودي في القرن الثاني للميلاد ، ذكرت انه خلال مباشرة زوجها لها جنسيا كان يظن ان الشيطان هو الذي يدفعه او يحثه على الاتيان بهذا الفعل ، وهو الامر الذي شرحه أحد مفسري العصور الوسطى بقوله ، ان هذا الرابي كان يسرع مندفعاً لممارسة الجنس مع زوجته كما لو كان الشيطان يدفعه الى ذلك دفعا . وثمة ملاحظات أخرى أبدتها هذه الزوجة جرى تفسيرها لتعني أن الرابي اليعازر كان يعمل على التقليل من لذته أثناء اللقاء الجنسي ، مبدياً زهداً وتقشفه في المتعة الجنسية (٢٣) . وهذا الاتجاه هو الاتجاه المثالي الذي فضله الشريعة اليهودية (الهالاخاه) في العلاقة الجنسية بين الزوج وزوجته . وعلى أية حال ، فهذا يتعارض مع تعليمات تلمودية أخرى عن حكماء يهود آخرين لم يتفقوا مع وجهة نظر اليعازر ، واعتبروا اللذة الجنسية أمراً شرعياً كجزء من الزواج فكما ورد في التلمود : « فليفعل الرجل كل ما يرغب فيه مع زوجته » ، (٢٤) .

(*) إشارة لعقيدة الشخيناه الوارد ذكرها عند الحديث عن القبالة اليهودية - راجع

أيضا مادة شخيناه في معجم المصطلحات . (المترجم) .

ويختلف التوجه - نسبيا - فى تراث الشريعة المتأخر زمنا بين هذين الاتجاهين : الزهد المعتدل من ناحية والبهجة الشرعية بالمتعة الجنسية ، بين علماء الشريعة اليهود . وعلى أية حال ، فإن الاتجاه الذى ينحو أكثر نحو الزهد هو السائد . ونحن نجد أربعة دوافع شرعية للسلوك الجنسى فى مدونات الهالاخاه مرتبة ترتيبا تنازليا وفقا لقيمتها الدينية : (١) من أجل انجاب الأطفال . (٢) لمصلحة الجنين الذى تحمله المرأة الحبلية ؛ اذ يعتبر الرابيون أن الاتصال الجنسى بالأم فى مراحل معينة من الحمل مفيد له . (٣) ارضاء رغبات الزوجة الجنسية ، وثمة وصية دينية (ميتسفا) فى الكتاب المقدس اليهودى بأن يباشر الزوج زوجته فى اوقات محددة ، وتعرف هذه الوصية بوصية اوقات الجماع mitzvah of Onah . (٤) لارضاء رغبته الجنسية ليمنع نفسه عن الخطية ، برغم أنه من الأفضل ان استطاع أن يتغلب على شهوته الجنسية فى مثل هذه الحال (٢٥) . وتضيف المصادر الشرعية (الهالاخاوية) نفسها ، وفقا للوارد فى التلمود ، أن على الرجال فى مختلف الوظائف والمهن مباشرة زوجاتهم بين الحين والحين وفقا لظروف عملهم : اما كل ليلة ، او كل ليلتين او كل اسبوع او كل شهر وكذلك فى نهاية فترة الحيض . وعلى أية حال ، فلا يجب أن يباشر الرجال الجنس مع زوجاتهم بقصد تحقيق المتعة لهم (للرجال) ، ولا يجب أن يعمد الرجال الى اثارة غرائزهم الجنسية فى اوقات أخرى لمجرد تحقيق المتعة من خلال اللقاء الجنسى . وبرغم أن المدونات الشرعية تورد وجهات النظر المذكورة فى التلمود، وفى المصادر الشرعية بعد فترة التلمود التى تعتبر المتعة الجنسية مسألة ليست تطهيرية تماما ، فالنتيجة الأساسية لهذه المناقشات هى أن على الرجل أن يطهر نفسه من الخطية حتى فى هذه الامور (الجنسية) (٢٦) .

والمؤلفون اليهود المعاصرون الذين كتبوا عن الاتجاهات التقليدية فى العلاقات الجنسية ، يميلون الى التركيز الشديد على الحد الأدنى من المثالية التقشفية (التقليل من الاتجاه نحو الزهد فى العلاقات الجنسية) ،

بينما يتجاهلون المخزى الرئيسى للشريعة المقننة Codified halakhaéh ربما نتيجة رغبتهم فى اظهار اليهودية بمظهر المتفق مع الانكار الحديثة حول الموضوع . فعلى سبيل المثال، نجد هيرمان ووك Herman Wouk فى معرض حديثه العام عن اليهودية الأرثوذكسية يقول : « تعتبر اليهودية الجنس رباطا يربط بين محبين ، من أجل الحياة : لتحقيق قوة مشتركة ، ومتعة وراحة ولانجاب الأطفال ٠٠٠ وزواج اليهود ، الانبياء مهم والقديسين والعاديين منذ ابراهيم وموسى الى الآن ، ليس فيه ما يشير الى انه يفضى الى بعض الآثام ، أو شرور الجسد ، كما هو مفترض ، (٢٧) .

ولابد من مقارنة هذا بالنص التالى الوارد فى المدونة اليهودية الشرعية المعروفة باسم شولحان عاروخ Shulshan Arukh :

« لا يجب أن ينهمك المرء فى الاتصالات الجنسية كثيرا ٠٠٠ فهذا مسلك به منقصة كبيرة ، ولا معنى له والشخص الذى يقلل من الاتصال الجنسي هو الأكثر استحقاقا للثناء ٠٠٠ وحتى عندما يمارس المرء الاتصال الجنسي فى الأوقات المحددة فيحب ألا يكون هدفه هو تحقيق المتعة لنفسه ، وانما عليه أن يكون كشخص يؤدي واجبا (يؤدي ما عليه من دين) ، ما دام من واجبه أن يعاشر الزوجة فى هذه الأوقات المحددة ، وايضا ليكون مثمرا مكاثرا [أى منجبا للأطفال] تنفيذا لأوامر الخالق ، (٢٨) .

« كتب البعض أن الحائض niddah بمجرد أن ترى دم حيضها تحتم ألا تلخل المعبد أو تصلى أو تذكر اسم الله المقدس أو تمس الكتاب المقدس . بينما يرى البعض أن كل ذلك مسموح به لها - وهو الراى الصحيح . ومع هذا ، فقد جرت العادة فى هذه البلاد على الراى المذكور أولا ، (٣٣) .

وبرغم ان مفسرى هذه الفقرة يذكرون قيودا (محاذير) وضعتها
سوابق دينية اخرى على الحائض ، منها انها يجب الا تنظر فى لغائف
النسوة المفتوحة ، فانهم مختلفون فى عدد المحرمات التى ذكرها
اسرلز . Isserles .

وفى هذه الايام ، يحرم الاتصال الجنىسى بالمرأة طوال فترة الحيض
ولعدة ايام بعدها ، ويتحتم على المرأة ان تنظف وتنظفها طقسيا (شعائريا)
بعد فترة الحيض بان تستحم بمياه من مصدر طبيعى (الميكفاه
mikveh) . والتراث الشرعى (الهالاخاوى) المتعلق بالمرأة الحائض
- بما فى ذلك كل مباحث التلمود البابلى - والسبعة عشر فصلا من
المدونة الشرعية المعروفة باسم شولحان عاروخ Shulshan Arukh تحوى
كثيرا من الاضافات التى اضافها الرابيون لمحرمات الكتاب المقدس اليهودى
بالاضافة الى المسائل الفنية ، كالفرق بين دم الحيض والافرازات الاخرى ،
والطريقة التى يجب على المرأة ان تفحص بها نفسها لاكتشاف بداية الحيض
وحساب دورته . والدقائق التى اوردتها الشريعة اليهودية فى هذا
الموضوع مهمة فى حالة نزف المرأة دما نتيجة الاتصال الجنىسى بها او فى
حالة ما اذا كانت دورة الحيض غير منتظمة (الفترة الزمنية بين كل
حيضة واخرى غير كافية) ، وفى هذه الحالات التعسة لابد من الرجوع
لدقائق الشريعة لمعرفة ما اذا كانت تسمح بالجماع ام لا . وبشكل عام ،
فكلما تقسم الزمن وجدنا المراجع الشرعية فى الفترات المتأخرة زمنا تطبق
المحاذير الدينية الخاصة بالحائض بصرامة اشد ، بدعوى ان المصادر
الشرعية الاولى لم تقدم فروقا دقيقة بين حالات نزول الدم المختلفة .

وتعتبر المرأة حائضا (نداء niddah) خلال فترة نزول دم الحيض
وبعد توقفه بسبعة ايام . وعليها ان تفحص نفسها للتأكد من توقف
نزول الدم قبل ان تبدأ فى عد الايام السبعة بعد توقفه ، وان نزل الدم
خلال هذه الفترة بدأت العد من جديد . والممارسة المقبولة هى ان تبدأ

عد الأيام السبعة التي بغير دم « clear » days بعد مرور خمسة أيام من بداية نزول الدم لتضمن أن نزوله لم يستمر لفترة أطول ، وفي المساء بعد انتهاء الاثنى عشر يوما تستحم (استحماما طقسيا - الميكفاه mikveh) ولها أن تستأنف الاتصال الجنسي بزوجها . ولا بد أن تكون المياه التي تستحم بها (الميكفاه) تضم حدا أدنى من ماء « حى » ، سواء كان ماء مطر أو ماء من بعض المصادر الطبيعية الأخرى . وبعد أن يكون التطهر الطقسي (شعيرة الاستحمام بعد فترة الحيض) قد تم على وجهه الاكمل ، يمكن اضافة ماء الصنبور (الحنفية) . ويستخدم هذا الماء المي (الميكفاه) أيضا لاستحمام المحولين لليهودية ، كما يستخدمه ذكور اليهود قبل يوم الكفارة ، كما يستخدمه اليهود الحاسيديم Chasidic كل يوم قبل الصلوات . كما يستخدم لغسل الاواني المشتراة من الاغيار (غير اليهود) ؛ حتى يمكن لليهود استعمالها فى اعداد الطعام وتقديمه .

ولمنع الزوج والزوجة من انتهاك المحرمات المفروضة على المباشرة الجنسية فى فترة الحيض ، وضعت بعض الاجراءات الاحتراسية لتحد من علاقة الزوجين فى هذه الفترة . فلا يجب أن يتوددا جنسيا ولا يثيرا عواطفهما ، ولا يتلامسا ولا يناما معا حتى لو كانا بثيابهما ، ولا يجب أن ينظر الرجل لزوجته وهى عارية أو نصف عارية ، ويجب أن يقلل الطرفان من الاحتكاكات التى اعتادا عليها معا (٣٤) . وبرغم أن اليهود الارثوذكس يعتبرون المحرمات المرتبطة بالحيض جزءا أساسيا من الحياة اليهودية ، فان قلة قليلة من اليهود هى التى تلتزم بها اليوم التزاما فعليا حقيقيا . وكثير من المجتمعات اليهودية ليس لديها أو بالقرب منها مصدر للماء « الحى » (الميكفاه mikveh) ، وقد تخلى اليهود الاضلاحيون عن كل الأفكار المرتبطة بالمرأة الحائض niddah ؛ باعتبارها مرتبطة بمعتقدات بائدة عن الطهارة والنجاسة لم يعد لها معنى فى حياة اليهودى المعاصر . فمادام الاطفال المولودون من زوجين لا يراعيان الطهارة الطقسية لا تصعبهم



الشريعة بأية وصمة بل هم يهود كاملو اليهودية ، فان الزواج هو الزواج سواء روعيت فيه المحظورات المفروضة على الحائض أم لا . وفى الوقت الحاضر ، ظهر على نحو ما احياء استخدام الماء « الحى » ، (الميكفاه) بين اليهوديات حتى بين دوائر اليهود الاصلاحيين ، وربما يرجع هذا فى جانب منه الى جهود تحديث مفهوم الميكفاه نفسه . وفى اسرائيل . لابد ان تحضر كل عروس الميكفاه قبل عرسها وان تجهز شهادة بذلك قبل ان يقوم الرابيون الرسميون باتمام اجراءات الزفاف . واحد اسباب نص التلمود على فترة انفصال الزوجين أثناء الحيض وبعده ، هو منع الزوج من اعتبار اتصاله الجنىسى بزوجته مسألة مضمونة مفروغا منها . فاعادة مواصلة الاتصال الجنىسى بعد انقضاء الفترة المحددة (نداء niddah) ، تجعلهما وكأنهما قد أصبحا عروصين من جديد (٣٥) .

تجديد النسل Birth Control

بصرف النظر عن الوصية الدينية (الميتسفاه) التى مؤداها أن انجاب ولد وبنت يعد أمرا كافيا ليكون اليهودى مثمرا مكاثرا فان كثرة الانجاب - فيما ترى اليهودية - خير وبركة . وعلى أية حال ، وفى العصر الحديث واجهت الشريعة اليهودية قضايا تحديد النسل بعد أن أصبحت وسائل التحكم فى النسل متاحة للزوجين ، ومع ظهور اتجاهات مختلفة حول ضبط عدد الأسرة . وبوجه عام ، فثمة بعض المعارضة لاستخدام وسائل منع الحمل حتى بعد أنجاب ولد وبنت ، وهما الحد الأدنى ليكون اليهودى مثمرا . ويكاد الاجماع ينعتقد أن القذف خارج الفرج بمثابة اهدار « لبذور الرجل » أى حيواناته المنوية Wasting seed ؛ وبالتالى فهو محرم مثل الاستمناء (ممارسة العادة السرية) ، برغم وجود رأى أخذ به أقلية فى التلمود تسمح بمثل هذه الممارسة اذا كان الحمل سبباً مشكلاً للام المرضعة (٣٦) nursing mother . وانعتقد اجماع



مماثل ضد استخدام الرجل للكبود (كيس يضعه الرجل لمنع وصول المنى الى المرأة) بين رجال الشريعة اليهودية المعاصرين ، باستثناء القيادات الدينية اليهودية الأمريكية التي اعتبرت ملجا أخيرا (٣٧) . وحاز استخدام المرأة لأساليب منع الحمل تأييدا واسعا ، في حالة ما اذا كان في الحمل خطر عليها . بل ان أحد علماء الشريعة اليهودية في فترة ما قبل العصر الحديث ذهب الى حد السماح للمرأة باستخدام عازل دون ان يشير ادنى اشارة لمخاطر الحمل ، طالما أن زوجها قد نفذ الوصية الدينية بشأن الانجاب (بمعنى أنه أنجب منها ولدا وبنثا على الأقل) (٣٨) .

والمناقشات الواسعة في تراث الفتاوى اليهودية حول اباحة منع الحمل للمرأة قبل الجماع وبعده ، اعتمدت على فقرة غامضة في التلمود عن فئات النساء الثلاث التي تستخدم وسائل لمنع الحمل (٣٩) . لقد كانت هناك تفسيرات واسعة لهذه الفقرة ، أعنى أن بعض النسوة يجب ان يمنعا الحمل في ظروف بعينها ، بينما نسوة آخرون يمكنهن ان اردن ، وفئة ثالثة يحظر عليها ذلك لأنها لم تمر بالظروف نفسها . ووافق بعض الرابينين على تناول حبوب منع الحمل باعتبارها أحد أساليب تنظيم الأسرة التي تواجه حدا أدنى من المعارضة ، طالما أن اليهودي قد أصبح مثمرا « سبق له الانجاب » ، وطالما أنه ليس لهذه الحبوب آثار جانبية مؤذية أو نزف بعد فترة الحيض (٤٠) . أما استخدام أساليب لمنع الحمل بين الحالبين أو داخل الرحم IND فلم تتعرض الشريعة اليهودية له لأنه غير واضح لعلماء الشريعة ، وربما كان - في الحقيقة - مجهضا ،

الاجهاض

يشير موضوع الاجهاض مسائل شرعية (هالاخاوية) مختلفة عن تلك التي اثارها موضوع منع الحمل . وهناك اتفاق عام على أن قتل الجنين

لا يشكل ازهاق روح عمدا ، برغم أن واحدة من القيادات الرابية على الأقل ناقشت الأمرين (٤١) . فبينما يرى كل علماء الشريعة اليهودية أن الاجهاض محرم في الظروف العادية ، إلا أنه ليس هناك اتفاق على طبيعة هذا التحريم ، وما إذا كان بناء على نصوص الكتاب المقدس اليهودي ، أم بناء على توجيهات رابية . فإذا كان هناك أساس طبي للاجهاض ، فإن اختلاف وجهات النظر حول إباحته وطبيعة الظروف التي تسمح بذلك تعتمد إلى حد كبير على التفسيرات المختلفة لطبيعة التحريم ، فمنه قاعدة مقبولة مؤداها أنه إذا كانت حياة الأم في خطر بسبب تكرار الحمل فيمكن التضحية بالجنين لانقاذ حياة الأم باجهاضها . وبعض المراجع الشرعية تعول على حالة الأم النفسية ، فمثلا إذا كانت الولادة ستؤدي إلى انتحارها ياسا ، فلا بد من اجهاضها وفقا للقاعدة الآنفة ذكرها . وبعض علماء الشريعة يتوسعون في هذه القاعدة ، فيدخلون فيها تهديد مصدر غذاء الطفل من لبن أمه ، فالحمل يؤثر في نقصانه ، ومن هنا يتعرض الطفل (الموجود فعلا) للخطر بسبب الجنين الكامن في بطن أمه ، وتذهب أقلية من علماء الشريعة اليهودية لما هو أبعد وتسمح بالاجهاض حتى لو لم يكن هناك تهديد فعلي لحياة الأم ، وإنما لمجرد تسببيه (الحمل) الآلام الشديدة والاضطراب لها . ولا يوافق بعض علماء الشريعة على هذه الأحكام المتساهلة ، برغم أنهم لا يعارضون الاجهاض إذا ما تم خلال الأربعين يوما الأولى من الحمل أو خلال الشهور الثلاثة الأولى من الحمل وفقا للظروف ، أو إذا كان الطفل سيولد مشوها (٤٢) . والأساس المشترك بين هذه الآراء المختلفة هو الحرص على حياة الأم والتركيز على إنهاء الحمل في مراحله الأولى إن أمكن .

الطلاق

يحدد الطلاق في اليهودية حدو الشكل الوارد من التوراة : « إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمة في عينيه (لم ترق له)

لأنه وجد ليها عيب شيء ، كتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها واطلقها من بيته ، (٤٣) .

فالطلاق حق - مقصور على الزوج الذى يسلم لزوجته جت get (أى وثيقة طلاق) ، ولا بد من تسليمها هذه الوثيقة فى يدها ليكون الطلاق قد تم . وتكتب وثيقة الطلاق التقليدية (الجت get باللفظ الآرامية) ويكتبها كاتب محترف خصيصا لكل من الزوج والزوجة ، والجملة الأساسية فى هذه الوثيقة هى : لك أن تتزوجى من تشائين ، (٤٤) . ووثيقة الطلاق هذه بنصها الكامل ، تحوى اسم الزوج والزوجة ومكان اقامتهما والتاريخ وصيغة الطلاق المفصلة والواضحة . ويوقع هذه الوثيقة شاهدان . والتدقيق الشديد فى صيغة هذه الوثيقة (الجت) مسألة ضرورية للتأكد من عدم وقوع أى خطأ فى جعل المرأة غير مطلقة بشكل شرعى صحيح ، وهذا يمنعها من الزواج مرة أخرى . وتشغل تهجئة أسماء الأشخاص بشكل صحيح ، وكذلك أسماء الأماكن والأنهار والمدن . الخ مساحة كبيرة بشكل غير معتاد فى الفتاوى الصادرة بشأن هذا الموضوع ، طالما كان من المطلوب كتابة هذه الأسماء الإسبانية والبولندية والألمانية والتركية والانجليزية . الخ بحروف عبرية (٤٥) . ولأن الخبرة الفنية بتفاصيل اجراءات الطلاق مسألة ضرورية ، وجدنا التلمود يحذر : كل من لا يتقن طبيعة اجراءات الطلاق . . . يجب ألا يقوم بها ، (٤٦) . لقد نشأت كثير من الانقسامات الخطيرة فى المجتمع اليهودى ؛ لأن صحة احدى وثائق الطلاق (الجت get) التى أعدها أحد الرابيين كانت موضع تحقيق من الرابيين الآخرين .

ولا بد أن يكون تسليم الزوج لوثيقة الطلاق بإرادته الكاملة ، لكن - من الناحية التقليدية على الأقل - ليس من المحتم أن تقبل المرأة ، كما أنها لا تستطيع تطليق زوجها . وفى القرنين الحادى عشر والثانى

عشر ، منع القادة الدينيون فى الجماعات الالمانية اليهودية الزوج من تطبيق زوجته ضد رغبتها (اذا لم تكن هى راغبة فى ذلك) ، وكان هذا المنع اجراء مقبولا بين اليهود الاشكيناى منذ ذلك الوقت . وقد عزى هذا المنع للرأى جيرشوم ابن يهوذا R. Gershomben Judah اشهر حكماء اليهود فى ذلك الوقت ، وعرف (أى هذا المنع) بأنه أحد عناصر الحرم (بكسر الحاء وتسكين الراء) أى الطرد من رحمة اليهودية بالنسبة للرأىينو جيروشيم Rabbenu Gershom ؛ اذ كان يهدد الذين يتجاهلون هذا المنع بالشيريم Cherem (أى الطرد من رحمة اليهودية اى تكفيرهم) . ولم يقبل اليهود الصفاردى Sefardi أبدا هذا المنع . برغم انه أصبح جزءا من قوانين الطلاق التى أصدرتها الحكومة الاسرائيلية والتى تطبق على كل اليهود على سواء ، وتطبق أيضا على غير اليهود فى اسرائيل . فاذا لم يوافق كل من الزوج والزوجة على الطلاق ، فلا طلاق الا اذا لجأ أحد الطرفين الى المحكمة الشرعية اليهودية (بت دين Bet Din) لاجبار الطرف الآخر على الاشتراك فى الدعوى القضائية . والاسباب التى قد تطلب الزوجة الطلاق من أجلها ، هى : أن زوجها غير مخلص أو عقيم أو عنين (ضعيف جنسيا) أو يحرمها من دخلها أو يعاملها بقسوة أو أنه غير متدين . الخ فان حكمت المحكمة الشرعية لصالح الزوجة ، عندها تمارس ضغوطا على الزوج للموافقة على الطلاق . وفى الأزمنة القديمة كان الزوج يضرب حتى يوافق ، ويبدو هذا الاجراء مناقضا لمبدأ تقديم الزوج وثيقة الطلاق بمحض اختياره ، لكن ابن هيمون بور هذا الاجراء كالتالى : « الشخص الذى يقضى القانون بضرورة تطبيق زوجته ، ومع هذا يرفض ، فان المحكمة الشرعية (بيت دين Bet Din) تضربه حتى يقول (اننى أريد أن . . .) والآن ، لماذا يقال ان وثيقة الطلاق (البت) التى تم الحصول عليها بهذه الطريقة خالية من الاجبار ؟ . . . الاجابة هى أن هذا الزوج الذى لا يريد أن يطلق مادام يريد أن يكون عضوا فى شعب اسرائيل ، ويريد أن ينفذ كل الرصاىا الدينية mitzvot وأن يكون مبرا من الآثام ، فانما هو لا يرفض الطلاق ،

وانما نزعة الشر فيه هي التي تحته على ذلك وتحرضه ، فاذا ما ضربت
ضبطت نزعة الشر فيه ، فبمجرد أن يقول : (اننى أريد . .) فانه يكون
فعلا قد طلق زوجته بحريته وارادته ، (٤٨) .

وباستثناء ما يحدث فى اسرائيل الحديثة حيث قد يتم ايداع الزوج
الفاضب السجن حتى يوافق على الطلاق ، فان القيادات اليهودية اليوم
ليس لديها الصلاحيات لجبار الزوج على القبول بحكم المحكمة الشرعية
(بت دين Bet Din) وفى احسن الحالات ، فانها تستطيع أن تحته
او تشجعه على الطلاق او تمارس عليه ضغوطا اجتماعية او تستخدم ضده
روادع اقتصادية . وفى بعض الأحيان تضطر الزوجة الفقيرة لدفع مبلغ
مالى كبير لزوجها ، حتى يحررها بتسليمها الجت (وثيقة الطلاق) .
ويحدث ايضا أن ترفض الزوجة قبول الطلاق من زوجها ، فان كان من
اليهود الاشكيناز فانه لا يستطيع الزواج مرة أخرى ، ما دام تعدد الزوجات
محراما ايضا ويحرم من رحمة اليهودية وفقا لآراء الراى جيرشوم
Gershom وزملانه . لكن هذا اليهودى الاشكينازى يستطيع الزواج
مرة أخرى دون تطليق زوجته فى حالة واحدة ، وهى حصوله على موافقة
مائة راى Rabbi . وهذا الاجراء الأخير يتم اذا كانت الزوجة الأولى
مختلة عقليا ، وبالتالي لا يكون لها ارادة مستقلة فى قبول الجت (وثيقة
الطلاق) . اما اليهود الصغاردي ، فيمكنهم وفقا لاحكام الشريعة أن
يعددوا الزوجات ، وهم بالتالى ليمسوا فى حاجة الى موافقة مائة من
الرايين للاقتراح بزوجة ثانية ، لانه يجوز للرجل منهم أن يطلق زوجته
بمبادرة منه او أن يتزوج أخرى ببساطة ، اذا لم يكن منصوبا فى عقد
الزواج على علم جواز اتخاذ زوجة أخرى . والموقف الذى يسبب مشكلة
كبيرة هو اختفاء الزوج دون وجود دليل على موته . وفى هذه الحال
تعرف زوجته شرعا باسم أجونا Agunah او المرأة المقيدة Chained
اذ تعتبر شرعا امرأة متزوجة حتى يثبت موت زوجها . ومع أن علماء
الفرقة اليهود بذلوا جهودا كبيرة فى محاولة التحايل الشرعى ، لاتاحة



الزواج للأجواناء (المرأة التي غاب زوجها دون دليل على موته) بايجاد قرينة على موت زوجها ، فلم تكن هناك وسيلة اخرى لحل مشكلتها .
اما الزوج الذي تختفى زوجته ، فيمكنه اللجوء الى طلب « heter »
من مائة من الرابيين ، طالما أن منعه من الزواج مرة أخرى ان هو الا من التعاليم الراقبة ، ولا يطبق هذا الا على اليهود الأشكيناى وحدهم .
ويعتبر منع الزوجة من الزواج مرة أخرى فى مثل هذه الظروف ، تعليما من تعاليم الكتاب المقدس اليهودى .

والتفاوت بين موقف كل من الرجل والمرأة فى الطلاق التقليدى .
احد اوجه النزاع الكبرى بين اليهودية الارثوذكسية واليهودية التقدمية Progressive Judaism . وحتى بين اليهود الارثوذكس نجد كثيرين ينتقدون هذا النظام خاصة من قبل المنظمات النسائية ، برغم انهن أخيرا كان عليهم أن يقبلوا القيود فى نطاق تاويلات شرعية مرنة . وقد حاولت الزعامات اليهودية المحافظة فى الولايات المتحدة الأمريكية الخروج من هذا المأزق ، بجعل الزوجين يقران فى مستهل الزواج بالموافقة على قرارات المحكمة الشرعية التابعة لجماعات اليهود المحافظين Conservative Bet Din فاذا رفض الزوج بعد ذلك الرضوخ لقرار هذه المحكمة عرض نفسه لدفع غرامة مالية . وهذا - بطبيعة الحال - ذو تأثير فى حالة وجود الزوج وعدم اختفائه ، وبالتالي فان هذا الاجراء لم يحل مشكلة المرأة الأجواناء (التى اختفى زوجها) . وثمة محاولة مبكرة لحل مشكلة المرأة التى غاب عنها زوجها بجعل الزوج يفوض المحكمة الشرعية باصدار وثيقة الطلاق (الجت) عند غيابه ، لكن هذا الاجراء لم يعمل به لأنه تعرض لنقد قاس من علماء الشريعة الارثوذكسي . كما أن الاقتراح الأكثر اعتدالا بفرض غرامة مالية على الزوج كان أيضا غير مقبول من الرابيين الارثوذكس ، كما انه يتعارض مع القانون المدنى الأمريكى . وبعد ذلك تبنت الرابيون المحافظون اقتراحا جديدا باحياء سلطة الهالاخاويين (مسئولى الشريعة) التى لم يكونوا يستخمنونها ، بإبطال الزواج

annul a marriage . فالزواجان لابد أن يوافقا عند الزواج على أنهما إذا حصل أحدهما على طلاق مدنى ورفض الزوج مع هذا أن يقدم لزوجته وثيقة طلاق (جت) Get ، أصبح من حق المسئولين الدينيين اليهود المحافظين إبطال هذا الزواج marriage will be annulled

الشيخوخة

كما فى معظم الثقافات الشرقية ، ترى اليهودية فى المسن عنصرا مهما للحفاظ على تراث الماضى ونقله للجيل الذى بعده . ويطلق الكتاب المقدس اليهودى على الحكيم كلمة زاكين Zaken ، أى كبير السن باعتباره الزعيم الطبيعى للمجتمع ، ويوليه احتراما كبيرا . واستمر هذا فى التعاليم التلمودية ، بل أننا نجد فيها ضرورة العناية بكبير السن عناية فائقة ، برغم أن الخرف قد اعتراه (نسى ما تعلمه) (٤٩) . والميشسناه عند تعدادها لمراحل العمر التى يمر بها الشخص حتى يصل الى مرحلة الشيخوخة ، تذكر أن الشخص يصبح شابا يافعا فى تمام قوته وهو فى الثلاثين ويصبح حكيما فى الأربعين ويصبح أهلا لأن يستشار فى الخمسين ويصبح شيخا فى الستين وأشيب فى السبعين (٥٠) . والشرية (الهالاخاه) تفهم الوصية التالية « الوقوف أمام الأشيب وتوقير وجهه » ، بمعنى انطباقها على من هو فى السبعين وما فوقها ، سواء أكان متعلما أم لا . وتنطبق أيضا على الأصغر سنا ان كان حكيما (٥١) . وبصرف النظر عن التوصية العامة باظهار الاحترام للكبير سنا ، هناك وصية أخرى mitzvah منفصلة تنطوى على توقير الأبناء لوالديهم والخوف منهم . ووفقا لبعض وجهات النظر ؛ فان هذا التوقير يجب أن يمتد أيضا للجد والجدة لكن بشكل أقل (٥٢) . وحقوق الوالدين كما أظهرت الشرية ، تتنحل فى عدم عصيان أوامرهما وعدم مخاطبتهما بالأسماء المجردة وعدم تعريضهما للبلامة ان تصرفا ازاء أولادهما تصرفا خاطئا أمام الناس ، وألا يفقد الأبناء صوابهم أمام والديهم . ولا بد أيضا أن يطعم الأولاد والديهم ويكسوهما ، وأن يهبوا واقفين ان دخلا وإن يتحدثوا عنها باحترام

حتى بعد مماتها . وان اعتري الوالدين أو أحدهما الخرف (عته الضيعة) وعسر على الأبناء رعايتهما كليهما أو أحدهما ، عهدوا لآخرين بالعناية بهما (٥٣) ولا بد للابن أيضا أن يتأكد أن والديه قد دفنا بالطريقة الصحيحة ، وعليه أن يدفع تكاليف الجنازة .

الموت والدفن

لا توجد في اليهودية طقوس (شعائر) مقدسة أخيرة للشخص المحتضر . وعلى أية حال ، فإن الذين حوله يطلبون منه الاعتراف بخطاياهم ، ولكن يجب ألا يسعوه يفهم أن هذا يعني أنه سيموت بالتأكيد . لابد أن يقال له أن كثيرين ممن اعترفوا بخطاياهم استمروا على قيد الحياة ، وأن الاعتراف على أية حال سيضمن له مكانا بعد الدينونة World to Come . وأن كان واهنا ضعيفا لا يستطيع الكلام ، اعترف بخطاياهم في قلبه . وثمة صيغة موجزة للاعتراف تقال على فراش الموت (ويمكن أن تضاف إليها دعوات أخرى مناسبة) ، كالتالي :

« اعترف يا الهى واله آبائى أن حياتى وماتى بيدك . اشفنى فانت قادر على معافاتى تماما ، لكن ان مت فاجعل موتى تكفيرا لكل ذنوبى وتجاوزاتى وظلمى وكل ما اقترفته بين يديك . وادخلنى جنة عدن (اعطنى نصيبى فى جنة عدن) واجعل لى نصيبا فى الملكوت الآتى (*) الذى جعلته لعبادك الصالحين » ، (٥٥) .

ومحظور أن يتداخل المرء بأى شكل كان مع شخص على وشك الموت حتى لا يعجل بموته ، فهذا عمل يوازى القتل عمدا . ويمتد هذا المنع ليشمل أعمالا مثل الدهن بالمراهم أو الزيوت ، وغسل بدنه فعلية الغسل هذه تتم قبل الدفن (بعد الموت) ، كما يحظر حفر قبر لشخص محتضر اذا كان واعيا بما يجرى (٥٦) . ومن الواجب البقاء مع المحتضر

(*) الحياة الأخرى (المترجم)

حتى لا يموت وحيدا . وعنقما يرى الحاضرون أن الموت أصبح وشيكا ، نزعوا عباءاتهم بقوة وقبلوا حكم الله فهو حكم عدل وباركوه « تباركت يا ربنا فانت قاض عادل » . ويجب سكب كل الماء في الأواني القريبة ، للاعتقاد بأنه ماء لونه ملك الموت وأصبح الشرب منه خطرا (٥٧) . وعرفت الشريعة (الهالاخاه) الموت بأنه اللحظة التي يتوقف فيها التنفس ، ويمكن التحقق من هذا بتقريب ريشة أو مرآة من وجه المحتضر . ومع تطور الطب الحديث ، ثارت عدة قضايا حول هذا التعريف التقليدي للموت وانقسم الرابيون حول كيفية تعديل هذا التعريف ، ان لم يكن استبدال غيره به استبدالاً كاملاً (٥٨) . وبعد التيقن من الموت يجرى الإعداد للجنائز فوراً ، فتأخير الدفن محرم (اكرام الميت دفنه) : فينم أعداد قماش أبيض من كتان وتغسل الجثة جيداً قبل أن ينضغ عليها بقدر من الماء ، وهو نضغ له طبيعة طقسية ثم يدفن بالطيب ، واليهود الأشكينايز يضعون فوق رأسه محتوى بيضة بعد خلطه بالنبيد . وهناك عادات أخرى كثيرة فيما يتعلق بتجهيز الميت للدفن ، تعرف باسم الطهارة taharah ، ويقوم بها عمال يهود متطوعون هم الشيفرا كاديشا Kadisha (الجماعة المقدسة) يراعون أن يكون الغسل بشكل صحيح . ولا بد أن يدفن اليهودى فى أرض موقوفة لهذا الغرض وفقاً لنصوص الهالاخاه (الشريعة) ، ولا يمكن أن يدفن - ببساطة - فى مقابر غير اليهود (٥٩) . واليهود الأرثوذكس لا يحرقون جثة الميت ومعظم الرابينين الأرثوذكس لا يوافقون على هذا ، حتى لو دفن الرماد المتبقى فى تابوت . واليهودية الاصلاحية لا تعترض على عملية الاحراق هذه ، ولا تتفق مع اليهودية الأرثوذكسية فى اعتبار احراق الجثة انكاراً لبعث الجسد فى الحقبة المשיخانية messianic age .

ولا بد أن يكون هناك حداد بين عشيرة الميت الأقربين وتتوقف صرامة الحداد وشدته على درجة القرابة ، وبالتالي فحداد الوالدين على ولعها الميت هو الأشد . ومنذ موت الشخص (وقبل دفنه) يصبح اسم القائم بالحداد أونون Onen ويتحتم عليه أن يمتنع عن أكل اللحم وشرب

النبيذ ، كما يتوقف عن ممارسة الشعائر اليهودية المعتادة . وطوال الايام السبعة التي تعقب الدفن، والتي يشار إليها باسم شيفاه Shivah (ومعناها سبعة) ، يطلق على من هو في حالة حداد آفل Avel وفي هذه الفترة يبلغ الحداد ذروته، فيبقى في بيته حيث تعقد الصلوات، وعليه أن يجلس على مقعد منخفض بلا ظهر أو متكأين وقد ارتدى عباة الخارجية التي شقها حدادا على قربه الميت . ولا يجب أن يحلق شعر رأسه أو لحيته أو أن يلبس حذاء جلديا ، ويحرم عليه المباشرة الجنسية في هذه الفترة ، كما يحرم عليه الاستحمام والعمل ودراسة التوراة والاستماع للموسيقى . وانما يمكنه أن يغادر بيته في يوم السبت - لأن الحداد العام محرم يوم السبت - ليحضر الى المعبد . ويأتي الأقرباء والأصدقاء والجيران الى منزل من هو في حالة حداد ليشاركوا في الصلوات وليواسوه . وأثناء هذا يرتل دعوات القداش (الكاديش) kaddish prayer ، التي سيستمز في تلاوتها طول الاحد عشر شهرا التالية ان كان الفقيد ابا وكل عام في الذكرى السنوية (الياهرتسيت Yahrzeit) . والقداش (الكاديش Kaddish) دعاء باللغة الآرامية يمجّد الله ويطلب منه أن يمنحنا السلام والحياة الطيبة . ولا شك أنه دعاء للميت أو من أجله ؛ لكن القائم بالحداد لا يفهم معناه (لأنه بالآرامية) والقائم بالحداد يرتل هذا الدعاء ليظهر أنه لا زال راغبا في تمجيد الله برغم المصيبة التي ألمت به بفقد عزيز عليه . هذه الفكرة التي تعنى قبول حكم الله والاقرار بعدله ، مرتبطة بكثير من الدعوات والصلوات بمناسبة الموت في الديانة اليهودية . ويعتقد أن الروح بعد الموت تقضى فترة تطهير في الأعراف (المطهر وهو منطقة بين الجنة والنار) تمتد عاما بالنسبة للشرير ، ومن هنا كانت تلاوة القداش (كاديش Kaddish) لمدة احد عشر شهرا فقط وليس لمدة سنة (اثنى عشر شهرا) ، ففي قراءتها لمدة سنة اقرار بأن المتوفى شرير .

وعندما تنتهى الايام السبعة (الشيفاه Shivah) ، يدخل من هو في حالة حداد مرحلة أخرى يكون فيها في نصف حداد وتستمر هذه

الفترة حتى نهاية ثلاثين يوما بعد الجنازة . وتعرف هذه الفترة باسم شلوشيم Shloshim (وتعنى الثلاثين) ، وخلالها لا يحلق شعره ولا يلبس ثيابا جديدة ولا يحضر احتفالات ولا يجلس في مكانه المعتاد في المعبد ، ومع هذا يسمح له بالعمل ومواصلة دوره في المجتمع . وينهى الحزاني على أزواجهم (الزوج على زوجته أو الزوجة على زوجها) أو أبنائهم أو اخوانهم أو اخواتهم ، فترة حدادهم بنهاية الشلوشيم Shloshim (الثلاثين) . أما الحداد على أحد الوالدين فيستمر عاما كاملا ، وإن كان يجوز في فترة الحداد هذه قص الشعر بعد شهرين أو ثلاثة حتى لا يصبح منظره مهوشا قبيحا (٦٠) . ويمكن النظر للحداد في اليهودية على أنه تحرك تدريجي من العزلة والانفصال الى العودة لابتعاد الحياة العادية . ويعتبر عدم الحداد في اليهودية دالا على الغلظة وقسوة الطباع ، وفي الوقت نفسه لا ينصح بالمبالغة في الحداد . وفي اليهودية ، يحاط الحزين في حالة الحداد بترتيبات طقسية أو شعائرية على درجة عالية من الدقة ليكون مستعدا من اللحظة الاولى ، ولابد ان يعبر عن حزنه خلال فترة الحداد هذه . فحالة الذهول والارتباك التي تعترى من فقد قريبا . تتطلب تقديم دعم له من خلال طقوس (شعائر) وتفرض على افراد المجتمع زيارته ومواساته . ولم تعد كثير من قوانين الحداد التي تضع بشكل واضح قيودا على الحياة الاقتصادية والاجتماعية لمن هو في حالة حداد ، موجودة خارج الدوائر اليهودية التقليدية ، فاليهودية الاصلاحية عادة ما تقلل فترة الحداد وتمنع المغالة فيه .

العام اليهودى من خلال الطقوس (الشعائر) :
من بدء العام الجديد الى خيمة الهيكل النقال
(المظلة) ★

اليوم

اهم ملامح اليوم بالنسبة لليهودى التقليدى هو تتابع الصلوات :
صلاة الفجر أو الشاচারيت Shacharit ، وصلاة بعد الظهر أو المنحة
Minchah . والمعنى الحرفى للكلمة هو صلاة القربان ، وصلاة المغرب
أو المساء أو الأرفيت معاريف Arvit/Mariv . هذه الصلوات الثلاث
- التى حددت لها مواقيت تتفق مع المواقيت التى كان اليهود يقسمون
فيها الأضاحى فى الهيكل قبل خرابه - تتكون من دعاء واحد محورى
تقوم عليه العبادة ، وهذا الدعاء المحورى هو دعاء الشيمونه عشرة
Shemoneh Esreh ومعناه « الرقم ١٨ » ، وهو يتكون من ١٩ تبريكا ،
اذ اضيف تبريك خاص (أو استعاذة) تقاء الهراطقة - خاصة
« المسيحيين اليهود - Jewish Christians » - فى أواخر القرن
الأول للميلاد وأوئل القرن الثانى عشر . ويتم ترديده فعليا وبدون تغيير
فى كل مناسبة ، وينطوى محتواه على الأفكار الثلاث الآتية :

(★) Tabernacles (المترجم)

١ - الشناء على الله رب الآباء Patriarchs الواحب الرزاق الشافى المعافى الصادق العهد فى احياء الموتى القدوس holy (ثلاثة تبريكات) .

٢ - دعوات لطلب المعرفة والتوبة والمغفرة والخلاص redemption والشفاء ، والأرض المباركة ، وجمع يهود المنفى والقضاة العادلين ، وتدمير الكفار (الهرطقة) واثابة الصالحين ، واعادة بناء القدس ، ومجيء المسيح الداودى (*) Davidiv Messiah ، وطلب استجابة الدعاء (١٣ تبريكة) .

٣ - دعاء لمودة صهيون Zion واعادة بناء الهيكل واقامة العبادة به ، وشكر لله لرحمته ومعجزاته وطلب السلام والرحمة والحياة لاسرائيل (ثلاثة تبريكات) . ولترديد دعاء الشيمونه عسرة (صلاة الثمانية عشر تبريكا) ، لابد أن يكون المرء واقفا ووجهه قبالة القدس ، وغالبا ما يشار اليه باسم أميداه (العاميدا Amidah) والكلمة تعنى « الوقوف Standing » . وتوجد صياغات أخرى مختلفة نوعا ما بين الجماعات اليهودية المختلفة ، لكن الفحوى والتكوين واحد . وعندما يردد المنيان minyan (أى المجموعة المكونة من عشرة أشخاص بالنين الذين يشكلون الحد الأدنى لصلاة الجماعة) هذا الدعاء ، فان كل واحد منهم يردده أولا فى سريره ، ثم يقوم الامام Cantor بترديده جهرا ، وذلك - فى الأساس - لصالح أولئك الذين لا يعرفون هذا الدعاء ، فيقولهم « آمين Amen » عقب ترديد الامام للدعاء يكونون كمن رددوه بأنفسهم . وعند ترديد هذا الدعاء (الأميداه أو العاميدا Amidah) ، يتم اتمام جزء خاص يعرف باسم الكدوشاه (القدوشاه Kedushah) ، أى قداسة الله « وصف الله بأنه قدوس » . ويضم هذا الجزء الذى يصف الله بأنه قدوس : فقرة من سفر أشعيا (٣/٦)

(*) غير المسيح عليه السلام المعروف . (المترجم) .

رأية من سفر حزقيال (١٢/٣) وآية من المزامير (١٠/١٤٦) يرددها
 المسلمون والإمام ، ويتم ترديد الأמידاه (العاميدا) Amidah في صلاة
 الصبح وصلاة المغرب (المساء) مسبوقة بتلاوة الشيماء (١) (*)
 Shema وتبريكاتها . والشيماء (دعاء توحيد الله والاخلاص له)
 تشغل مكانا محوريا في اليهودية ، وتستخدم كصيغة لتأكيد الايمان
 يشترك فيها كل اليهود (النص : في حالة علم وجود عقيدة رسمية
 (In the absence of a formal creed) . فالمقطعان الأولان من
 الشيماء هما اللذان يظهران في الميتسوفاه (الوصايا الدينية
 mitzvah) ، وهما اللذان يكتبان بخط اليد على لفافة من رق
 (بفتح الراء - بمعنى جلد رقيق) تعلق على عضادة كل باب من ابواب
 بيت اليهودى . وهذان المقطعان هما أنفسهما ، بالإضافة الى فقرات
 توراتية أخرى ، يشكلان محتوى التفيلين tefillin (التمانم أو
 الأحجية) التى تأخذ الواحدة منها شكل صندوق جلدى أسود له
 شراريف سوداء يضعه اليهودى فوق رأسه ويعلقه على ذراعه اليسرى
 أثناء صلاة الصبح فى كل يوم من أيام الأسبوع . والفقرة الأولى من
 الشيماء هى « اسمع يا اسرائيل ، الله ربنا اله واحد » (**) وهذه الشهادة
 يرددها المحتضر حتى يموت ، وقد نطق بشفتيه ما يفيد أن الله واحد ،
 ونى صلاتى الصبح والمغرب (المساء) هناك بالإضافة الى الأמידاه
 (العاميدا Amidah) (والشيماء Shema الآنف ذكرهما نجد أن فى
 الصلوات الثلاث اليومية آيات وفقرات من الكتاب المقدس اليهودى ،
 خاصة من المزامير ، ومن ترانيم ودعوات وصفت فى فترة التلمود
 وما بعدها . وأطول صلاة يهودية هى صلاة الصبح التى تشمل -
 يومى الأحد والخميس بالإضافة لما ذكرناه - قراءات من لفافة التوراة
 Toran Scroll

(*) مجموعة من ثلاث فقرات من الكتاب المقدس اليهودى تتلى مرتين يوميا فى
 الليتورجية (العبادة الدينية الطقسية) ، يردد فيها اليهودى توحيد الله وضرورة الاخلاص له
 سبحانه اخلاصا بغير حد .
 (**) النص فى سفر التثنية (٤/٦) : « اسمع يا اسرائيل ، الرب الهنا رب واحد »
 (الترجم) .

وبرغم أن التلمود والمسونات الشرعية تكرر مساحة كبيرة زاخرة بالتفاصيل فيما يتعلق بالمواقيت الدقيقة للصلوات ، فإن اليهود الحاسيديم (الكاسيديم) المتصوفة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر جنحوا الى الصلاة في الاوقات التي حرمت فيها الشريعة اليهودية (الهالاخاه) الصلاة . وبرغم أن البعض برر قيامهم بهذا (صلاتهم في الاوقات التي حرمت فيها الشريعة الصلاة) على أساس قبالي (تصوفى) ، فإنه من الواضح أنه يكمن وراء تمردهم على مواقيت الصلاة رفضهم لمبدأ « الصلاة عند الطلب » . وقد انتقد علماء الشريعة التطهريون موقفهم بشدة **halakhic Purists** ، ويعزى الى الراي مندل

الكوتسكى **R. Mendel of Kotsk** ، وهو زعيم من زعماء اليهود الحاسيديم (الكاسيديم) - قوله : « انه في كوتسك **Kotsk** هناك ارواح لا ساعات » ، وهذا يعنى أنه من المحال أن تصلى لمجرد أن وقت الصلاة قد حان لأن الصلاة الحقيقية تعبير عن الروح . ونحن نجد في المشناه **Mishnah** بالفعل رأيا يعارض تحديد الصلاة بمواقيت ، لأن الصلاة يجب أن تكون تضربا لله (٤) والمعبد اليهودى - تقليديا - هو مكان اجتماع ، ومحور الحياة في المجتمع ، وبرغم أن الكلام يبطل الصلاة في معظم المعابد الأرثوذكسية فإن هذه القاعدة لا تراعى حرفيا . وعلى هذا ، فالحج أثناء الصلاة متحرر وغير متسم بالرسمية ، والحقيقة أن كون الصلاة تجرى باللغة العبرية ، وتقرأ من كتاب الصلوات (السدور **Siddur**) (*) يجعل انهماك غالب المصلين في الصلاة أمرا مشكوكا فيه . واستخدام اليهود الاصلاحيين **Reform** للغة العامية في كثير من صلواتهم يمثل أحد عوامل الجذب لليهودى المعاصر ، بالإضافة الى أن كل صلاة عندهم تختلف عن الأخرى الى حد كبير ، واللباقة والنوق يسودان جو العبادة عندهم ، وبينما يفضل

(*) هذا المسمى هو المستعمل بين اليهود الاشكناز - راجع : معجم المصطلحات

بآخر الكتاب . (المترجم) .

الحاسيديم الانطلاق وعدم الالتزام بالشكليات ، لأن هذا يسمح بمشاركة أكبر عدد ممكن من المتعبدين ، ويسمح بدرجة أكبر من التعبير عن الذات ، إلا أن جماعة حاسيدية على الأقل حاولت التغاضى عن مواقيت الصلوات ، بتشجيع المنتمين اليها على قضاء وقت يسر كل يوم يناجون فيه ربهم بلغتهم التى يجيدونها (المفهوم أى لغة حتى ولو كانت غير العبرية) ، وهذه الممارسة التى تمارسها الحاسيدية فى براسلاف Braslav تعرف باسم hitbodedut وتعنى : « كن بمردك مع الله » .

الدورة الأسبوعية ويوم السبت

برغم أن الأربع والعشرين ساعة التى تبدأ وفقاً للحساب اليهودى من الليل ، تعد ملمحاً مهماً لتوقيت الشعائر (الطقوس) ، فإن الأسبوع هو الوحدة الأساسية للفرض نفسه . وليس لكل يوم من أيام الأسبوع اسم باللغة العبرية ، وإنما يشار لها ببساطة على هذا النحو : اليوم الأول (الأحد) واليوم الثانى (الاثنين) .. الخ ، أما يوم الجمعة فيطلق عليه اليوم السادس أو « ليلة السبت » أو اليوم السابق على السبت Erev Shabbat (اريف شببات) ويقسم اليوم لأغراض شعائرية الى قسمين : الليل الذى يبدأ عند الغروب أو عند رؤية أول نجم ، والنهار ويحسب من طلوع الفجر أو من ظهور الشمس . وتقسم الشريعة اليهودية (الهالاخاه) كلا من الليل والنهار الى اثنتى عشرة وحدة ، تختلف مددها بين الشتاء والصيف ، فثمة وحدات نهائية أطول فى الصيف ، ووحدات ليلية أطول فى الشتاء . وهناك بعض الخلاف فيما إذا كان يجب حساب وحدات اليوم الاثنتى عشرة من الفجر حتى ظهور النجوم أو من شروق الشمس الى غروبها (٥) . وطريقة حساب الأربع عشرة ساعة بدءاً من المساء قائمة على قصة الخلق كما فى سفر التكوين « وكان مساء وكان صباح » .



أما يوم السبت فيعرف ببساطة باسم « شابات Shabbat » ، ويبدأ من مساء يوم الجمعة قبل ظهور الشفق الأحمر ، وهي الفترة التي تعتبرها اليهودية وسطاً بين الليل والنهار (أو بتعبير آخر هي الفترة غير المحددة إنهار هي أم ليل) وفي إشارات منفصلة للسبت في روايتين للوصايا العشر (٦) نجد ربطاً بينه وبين الخلق (سفر الخروج) وبينه وبين الخروج من مصر (سفر التثنية) . فالسبت ، إذن ، ظهر كتأكيد لخلق الله للكون ، وهيمنته على القدر التاريخي للشعب اليهودي . وتعتبر اليهودية السبت منحة خاصة من الله لليهود وليس شعيرة للعالم من حقه أن يدعيها . حقيقة ، ان (غير اليهود) ممنوعون من حفظ السبت اليهودي تحت التهديد بالاعدام ، ولهذا السبب فإن التحول لليهودية لن يحفظ قوانين السبت كاملة حتى بعد تحوله لليهودية . فالسبت علامة بين الله وبنى اسرائيل ، لأنه خلق العالم في ستة أيام واستراح في اليوم السابع (*) ، بمعنى أن العالم في خاتمة المطاف إنما هو عالم (كون) الله لا عالم الانسان . والمدراش Midrash تصور يوم السبت وهو يشكو لله أن كل الأيام الأخرى لها شريك فالأحد: شريكه الاثنين . . الخ أما هو (يوم السبت) ، فلا شريك له . فأجاب الله على شكواه بأن جموع بنى اسرائيل هي شريكه . فصورة اسرائيل وهو يتزوج السبت توضح مكانة هذا اليوم ، سواء من ناحية الشعائر اليهودية أو التصور اليهودي . وبرغم أهميته ، فإن الميشناه Mishnah تذكر أن كل القوانين (الشفائر) المرتبطة بالسبت إنما هي كجبال معلقة في شعر نظرنا لندرة الاشارات التوراتية للموضوع ، ووفقاً لوجهة النظر التلمودية فإن اليهود اذا لم يحفظوا الا السبت بشكل صحيح لمدة أسبوعين متتالين لضمانوا الخلاص على يد المسيح الآتى (**) messianic Redemption . وقد فسر واحده من الرابينين المعاصرين هذا بمعنى أن اليهود لا يجب أن يحفظوا يوم

(*) مفهوم أن القرآن الكريم ينفي ذلك ، فانه قد خلق الكون « وما منه من لغوب » ،

أي تعب . (المترجم) .

(**) غير المسيح عليه السلام المعروف (للعرجم) .

السبت فقط ، وأنها لابد أيضا أن يكونوا مقدسين طوال الأيام الستة
الوالدة بين السبتين .

وتبدأ شعائر السبت فى البيت اليهودى بقيام الزوجة بأشغال
عصمتين ، وبقيام الزوج بالكدوش Kiddush « التقديس » على كأس
نبيذ بعد عودته من الصلاة فى المعبد ، وفى صباح السبت - قبل الغداء -
يبارك كأسا أخرى من النبيذ بصيغ مختلفة نوعا ما . وتلبس الأسرة
ملابس نظيفة تشريفا لهذا اليوم بعد أن يكون أفرادها قد استحوا يوم
الجمعة قبل بداية السبت (من المفهوم أن السبت يبدأ قبل مغرب يوم
الجمعة كما سبق آنفا) (٣) ، ويتوقع أفراد الأسرة أن يتناولوا ثلاث
وجبات احتفالية ، وجبة فى ليلة الجمعة ووجبة وقت الغداء يوم السبت ،
وتتكون كل وجبة منهما من رغيفين من الخبز المخبوز خصيصا والمعروف
باسم شله (حله Challah) وسمك ولحم ، أما الوجبة الثالثة فاقل
كمية ويتناولونها فى فترة ما بعد الظهر يوم السبت ، وخلال هذه
الوجبات تقرأ الترانيم الخاصة بالسبت على المائدة المغطاة بمفرش أبيض ،
ويظهر نجوم ثلاثة فى ليلة السبت ، يكون هذا السبت (شابات
Shabbat) الشعائرى قد انتهى . ويعقب صلاة المغرب (المساء)
شعيرة (طقس) الهافلاه havalah ، وهى شعيرة احتفالية تفصل
بين قداسة السبت والطبيعة الدنيوية للأيام التى تليه . وتنطوى هذه
الشعيرة على تناول النبيذ أو غيره من المسكرات واستعمال الطيب ، وهذا
يعنى انعاش اليهودى بعد أن غادرت الروح الاضافية التى يعتقد أنها كانت
تلبسه طوال فترة السبت ، ثم توقد شمعة خاصة . وطوال حوالى
خمس وعشرين ساعة هى مدة السبت لايجب ممارسة أى عمل دنيوى ،
وتعد الشريعة (الهالاخاه) باطناب تسعة وثلاثين عملا يحظر ممارستها
يوم السبت ، بالإضافة الى كثير من الأعمال الفرعية . لابد لليهودى أن
يقف عن التحكم فى العالم الطبيعى والعالم الاجتماعى ، حتى يتحقق

(*) ما بين القوسين توضيح من المترجم .

من ان الله وحده هو خالق كل شيء وهو المتحكم في كل شيء . وقد اضاف
الرايون بمرور الوقت طاقة أخرى من الأعمال المحسنة يوم السبت
لتصيق مفهوم راحة السبت وتطويره ، وكان من بين المحظورات المهمة
منع إيقاد النيران أو استخدامها وامتد هذا الحظر ليشمل استخدام
الكهربة ، بل لقد أدرج البعض منع استخدام الكهرباء ضمن المحظورات
التوراتية . ومادام محرماً طبخ الطعام يوم السبت ، فلا بد من إعداد
طعام السبت يوم الجمعة ، وقد يترك على لهب ويضطى عادة بوعاء من
الأسبستوس *asbestos* ليستخدم خلال السبت . وأدى هذا إلى
ظهور عدد من الأطباق ارتبطت بالسبت ، اذ يتم طهيها ببطء في الليل
لتستخدم في غداء السبت ، وأشهر هذه الأطباق طبق الشولنت (الحولنت
Cholent) (يخنى أو يخنة من لحم وفاصوليا أو لوبيا وبطاطس) .
وثمة مصادر شرعية (هالاخوية) تركز على أن الطعام الساخن
يجب أن يؤكل في صباح السبت ، لأن هذا يزيد بهجة السبت
Oneg of Shabbat ، ولكن هذا يخالف وجهات نظر الترائين *Kavaite*
القاضية بعدم ترك نار موقدة في بيت اليهودى يوم السبت (١١) .
وللتأكيد على بهجة السبت والتأكيد على صلاح العالم (الكون) الذى
خلقه الله ، يحظر الصيام في هذا اليوم كما يحظر اظهار الحداد العام ،
لأن هذا قد يفسر على أنه اتجاه سلبي للنظام الذى خلقه الله للأشياء .
والاستثناء الوحيد الذى يسمح فيه بالصيام يوم السبت هو فى حالة ما اذا
رأى اليهودى حلماً مزعجاً (كابوساً) فعلم صياومه ربما - فى الغالب -
يجعله مضطرباً مستاء يوم السبت .

وبالنسبة لليهودى التقليدى ، يعد السبت فترة زمنية خارج النظام
الطبيعى ، فهو لا يستطيع أن يعد (أى يخطط) فى يوم السبت أى شيء
يحتاجه فى الأسبوع القادم ، وهو يقطع نفسه كلية عن قضايا ونسق
حياته اليومية المألوفة فى الأيام المعتادة (غير السبت) . إن يوم السبت
بهذا المعنى أصبح رمزاً لزمان القداسة والتجديد الكامن فى الحقبة التى

يهود فيها المسيح *messianic era* ، ويعتقد أنه - أى السبت - انعكس
 - فى هذا العالم الذى يعيش فيه - للملكوت الآلى (١٢) *World to Come* .
 وتسهب القبالة (الصوفية اليهودية) فى موضوع الوحدة والتناغم
 اللذين يرمز لهما السبت ، وتراث الزهر *zohar* (الصوفى) يرى
 فى هذا اليوم (السبت) الوقت الذى تتزوج فيه الذات الالهية (يتلاحم
 الجانب الأنىسوى فى الذات الالهية بالجانب الذكورى فيها) (*)
as the time when conjugal union of male and female principles
takes place within the Sphere of the divine. وتركز عدة ابتهالات
 وتراثيم - تعود فى أصلها للنواثر الصوفية القبالية ، ولكنها أصبحت
 مقبولة على نطاق أوسع بين المجتمع اليهودى - على الرمزية الصوفية ليوم
 السبت كمعروض التحمت مع عريسها المقدس بسبب وصول قوى الشر التى
 تلعب دورا مهما فى فترة السبت .

الشهور

الشهور فى العام اليهودى قمريه تبدأ مع القمر الجديد وتستمر
 تسعة وعشرين يوما أو ثلاثين يوما . وعلى أية حال ، فالعام الشعائرى
 (الطقسى) عام شمسى ، ومهرجاناته مرتبطة بالفصول الزراعية .
 فعيد الفصح - على سبيل المثال - هو مهرجان الربيع ، ولا بد أن يكس
 العام القمري باضافة سبعة شهور اليه كل تسعة عشر عاما ، حتى
 تتم تغطية الأحد عشر يوما التى تمثل فرقا بين العام القمري والعام
 الشمسى . وفى الأزمنة القديمة كان الشهر الجديد يثبت برؤية القمر
 الجديد ، ولا بد أن يستجوب شهود القمر الجديد أمام محكمة شرعية
 خاصة *Bet Din* فى القدس التى يعلن رئيسها بدء الشهر الجديد .
 وعند إعلان بدء الشهر ، توقد النار فى منارة على جبل الزيتون ، وعن

(*) راجع مادة شخباء فى معجم المصطلحات بأخر الكتاب . (لترجم) .



طريق إيقادها في سلسلة من المنارات تصل أخبار بدء الشهر للجماعات اليهودية في نابل . وتم إبطال هذا الاجراء هنسما قام يهود السامرة Samaritan - الذين اختلفوا مع الفريسيين Pharisees في تفاصيل التقويم - بإيقاد نيران خاصة بهم (للدلالة على بدء الشهر) مما سبب فوضى شديدة ، فصحت المحكمة الشرعية Bet Din الى ارسال مبشرين للمجتمعات اليهودية البعيدة لينقلوا اليهم الأخبار (١٢) ،

وفي القرن الرابع للميلاد ، جرى تثبيت بدايات الشهور ونهاياتها بحسابها مقسما ، وأصبحت الرؤية غير معتول بها لتحديد بدايات الشهور ونهاياتها . ومن التوراة ، كانت رؤية القمر الجديد مناسبة للاحتفالات وتقديم اضحيات خاصة . وعلى أية حال ، ففي زمن لاحق في تطور اليهودية أصبح يجرى احتفال صغير - نسبيا - تجرى فيه صلوات وابتهالات اضافية مثل تلك المساة ، نصف هلال Half-Hallel ، (المزامير ١١٣ - ١١٨ ، مع وجود حذف معين) وتلاوة اضافية لدعوات الاميضاء (العاميدا) والموساف Musaf احياء لذكرى الاضحيات التي كانت تقسم في هذا اليوم . وجرى العادة على الاعلان عن مولد القمر الجديد في المعبد في يوم السبت السابق على بداية الشهر الجديد ، وفي المجتمعات اليهودية المتأثرة بأفكار القبالة يعتبر اليوم السابق لمهرجان القمر الجديد New Moon (روش شودش Rosh Chodesh) بمكانة يوم كفارة مصغر ، يصوم فيه اليهود ويبتهلون طلبا للغفران . وعادة ما يعقد على ليلة السبت بين اليوم الثالث واليوم الخامس عشر من الشهر القمري حفل ديني صغير لمباركة القمر والاحتفاء بظهوره . ولا بد أن يكون القمر مرثيا في السماء أثناء الليل ، ولو للحظة عابرة . وأثناء الابتهالات احتفاء بالقمر الجديد ، يقارن اسرائيل بالقمر الذي يتجدد دائما والذي يمثل لارادة خالقه مميذا . والقمر الآن اقل ضوءا من الشمس ، لكنه في الازمنة القادمة سيستعيد بهام ويصبح متالفا كالشمس ، لذا فان

الابتهاالات احتفاء بالقمر الجديد تتضمن أن اسرائيل ستتخلص من وضعها
الدولى بين الأمم ، وتستعيد بهامها السابق فى العصر الذى سيظهر فيه
المسيح messianic age .

مهرجان العام الجديد

هناك نقطتان يمكن أن يقال ان العام اليهودى يبدأ منها .
الأولى هى بداية شهر الربيع (نيسان Nisan) ، الذى يقع عيد
الفصح اليهودى فى اليوم الخامس عشر منه . ويشار لهذا الشهر فى
اسفار موسى الخمسة بأنه : بداية الشهور ، وأول شهر فى
السنة ، (١٤) . وعلى أية حال ، فالكثير ملامة لليهودى أن يعتبر أول
شهر تشرى Tishri - وهو الشهر السابع بعد نيسان - هو بداية
العام الجديد ، وهو العيد الذى يحتفى به الآن لمدة يومين لدى يهود
الشتات ويهود اسرائيل - عيد رأس السنة اليهودية (روش ها -
شانا Rosh Ha-Shanah) ، وكان الاحتفال به فى الأساس
لمدة يوم واحد ، لكنه امتد ليصبح يومين . ومادام هذا العيد يقع فى
أول الشهر ، فقد كان من الضرورى فى الأزمنة القديمة مراعاة (حفظ)
اليوم الثالث عشر من الشهر السابق عليه (أيلول Eaul) باعتباره
هو رأس السنة (روش ها - شانا Rosh Ha-Shanah) فى حالة
قدوم شهود القمر الجديد - أحيانا - فى هذا اليوم . وإذا لم يأتوا ،
عندئذ يتم اعلان اليوم الحادى والثلاثين من أيلول ، بداية لشهر تشرى
Tishri ومن ثم يكون الاحتفال ببداية العام الجديد ليومين . وإذا
وصل شهود القمر الجديد فى الثالث عشر من أيلول يصبح العيد يوما
واحدا ، على الأقل بالنسبة للقدس وما جاورها ، لكن البعيدين عن القدس
وخاصة يهود الشتات لازالوا يحتفلون به لمدة يومين . وشهر أيلول الذى
يسبق مباشرة عيد رأس السنة Rosh Ha-Shanah هو شهر
للتوبة والتأمل الروحى . وينفخ فى البوق (قرن الكباش أو الشوفار
Shofar) لمدة وجيزة كل صباح بعد الصلوات ، فيما عدا يوم

السبت واليوم السابق على رأس السنة اليهودية (الروش ها - شانا Rosh Ha-Shanah) . وبدأ من الأسبوع الأخير من شهر
أيلول - وهو الأسبوع الذي يقع فيه الاحتفال بعيد رأس السنة -
تتل في الفجر ابتهالات خاصة طلباً للغفران ، وتعرف هذه الابتهالات
باسم سليشوت (سلحوت Selichot) ، وما ذلك إلا لأن عيد رأس
السنة يعتبر يوماً يقضى فيه الله بحفظ العام الجديد (القادم) (١٥) .
وهذا يجعل هذا العيد فرصة جليّة ، ويشار إليه - وكذلك إلى عيد
الكفارة الذي يأتي بعده بفترة وجيزة - باعتباره يومى الحشية من الله
Days of Awe . ومع هذا فإن عيد رأس السنة
Rosh Ha-Shanah لا زال يعد عيد بهجة وفرح ، وقد شرح
التلمود هذا كالتالى :

« جرت العادة بالنسبة للشخص الذى يعلم انه لابد أن يحاكم امام
المحكمة أن يلبس ثوباً أسود .. وأن يطلق لحيته فهو لا يدري كيف
ستسير الأمور معه .. لكن إسرائيل ليس على هذا النحو ، فهم يرتدون
ثياباً بيضا ويشذبون لحاهم ويأكلون ويشربون وفرحون ، لأنهم يعلمون
أن الواحد جل جلاله .. سيصنع المعجزات من أجلهم » (١٦) .

وقبل الموساف Musaf (صلوات رؤية القمر الجديد)
وإثناءها تتلى ابتهالات اضافية ، وينفخ فى البوق (قرن الكباش
الشوفار Shofar) تنفيذاً للتفسير الرأبى للتوصية التوراتية
القاضية بأنه يوم ينفخ فيه البوق (العدد ١٠/٢٩) (*) وفى بعض
المجتمعات اليهودية تعزف نغمات موسيقية تبلغ المائة باستخدام الشوفار
(البوق) ، بتشكيلات موسيقية من أصواته الثلاثة الرئيسية :

(*) رجىنا لسفر المدد فوجدنا النص كالتالى : (وفى الشهر السابع فى الاول من
الشهر يكون لكم محفل مقدس ... يوم هناك بوق يكون لكم ..) (الترجمة) .

العام اليهودى من خلال الطقوس : من بدء العام الجديد

التيكيا tekiah ، وهى النغمة المتواصلة غير المقطعة ، والشفاريم
Shevarim وهى نغمة من ثلاثة أصوات قصيرة ، والترواه teruah
وهى من تسعة أصوات قصيرة .

ويتناول اليهود طعاما خاصا فى رأس السنة Rosh Ha-Shanah
يعتقد أنه يرمز لعام قادم طيب . ففى بعض المجتمعات
اليهودية يأكلون رؤوس السمك ، أو رؤوس الضأن أو أى رؤوس أية
حيوانات أخرى مباحة ، وهذا يرمز الى أن الآكلين سيصبحون فى العام
الآتى « رؤوسا لا ذيولا » ، وللسبب نفسه يغمس خبز الاحتفال فى عسل
النحل بدلا من خلطه بالملح المعتاد ، وكذلك يغمسون التفاح فى عسل
النحل ، رمزا لسنة قادمة « حلوة » . وثمة ملمع آخر لعيد رأس السنة
وهو تبادل التهاني ، بالقول : « عسى أن تكون مكتوبا بين السعداء فى
العام الجديد » ، اعتقادا أن قدر كل شخص مسجل فى كتاب الهى .
ومما ينصح به أيضا ألا ينام الشخص فى نهار رأس السنة حتى
لا « ينام » حظه - فيما يقال - فى العام القادم (١٧) . وثمة عادة شاعت
فى أواخر العصور الوسطى بين اليهود التقليديين ، وهى الذهاب الى نهر
أو بحر أو أى مكان ينساب منه الماء فى فترة ما بعد الظهر فى اليوم
الأول لهذا العيد ، للتخلص طقسيا (شعائريا) من الخطايا فى الماء .
ويعرف هذا الطقس بالتشليخ Tashlikh ، ولا يعرف لهذه الشعيرة
أصل ويفترض أنها طقس نقله اليهود من الأغيار . ومعنى هذه الشعيرة
هو أنها - ببساطة - عمل رمزى يطهر الشخص من خلاله نفسه للعام
الجديد كما تشير الى ذلك الابتهالات والمزامير المصاحبة له ، ويرى بعض
الرايين أن ترديد هذه الابتهالات فى المنزل له الأثر نفسه .

ومما يتفق مع المعنى الكامن فى هذا العيد ، أعنى قبول حكم الله
بشأن ما ارتكبه المرء من خطايا ، ما هو وارد فى صلوات رأس السنة التى
تركز على أن الله هو الحكم العدل ، وهو مالك الكون حقا . واليهود رعاياه

يمرون امامه لتلقى حكمه ، وفى المحكمة الالهية يعد الشيطان الذى يمثل النائب العام موجزا يقلعه به خطايا اسرائيل . ولكن أفراد الشعب اليهودى يتوبون امام مليكهم (ربهم) ويندمون على ما اقترفوا من آثام ويطلبون من الله المغفرة والرحمة ، ملتجئين منه الصفيح لا لانهم يستحقونه ، وانما من أجل اسمه عز وجل . وتمثل العودة الى الله فى تلاوات وقرارات خاصة ترتل فى المعابد تحوى معنى خشية الله فى هذه المناسبة ، وتقرأ قصة صبر اسحق . وفى عيد رأس السنة (روش ها - شاناه) لا يجوز القيام بعمل دنيوى ، تماما كما هو الحال فى عيد الفصح وعيد الحصاد ، وعيد المظال (المفرد مظلة) . وتختلف هذه الأعياد عن « السبت » و « يوم الكفارة » ، اذ يمكن فيها طهى الطعام وكذلك ممارسة الأعمال المرتبطة بالغذاء وعلى هذا فيمكن فيها استخدام النيران لا إيقادها ، ويمكن فيها نقل المواد المختلفة فى الطريق العام . وطوال العام لا يراعى غالب اليهود الحضور للمعبد بانتظام ، خلافا من الاتقياء ، لكن الوضع يختلف فى عيد رأس السنة : اذ تشهد معابد اليهود الأرثوذكس واليهود التقدميين زحاما بحيث أن المقاعد المصفوفة المعتادة تصبح غير كافية للحضور ، وقد تستأجر أراضى مجاورة لاستيعاب فيض الحاضرين . وفى عيد رأس السنة تستغرق الصلوات فى المعابد فترة طويلة ، وتصبح البيوت اليهودية التى هى محور كثير من الشعائر فى الأوقات الأخرى ، ذوات دور ثانوى .

أيام التوبة العشرة

تعرف الأيام العشرة من شهر تشرى Tishri باسم « أيام التوبة العشرة » ، فاليوم الذى يلى عيد رأس السنة Rosh Ha-Shanah هو يوم صيام Tzom Gedaliah ولا صلة جوهرية له بالعيد ، لكنه أحياء لذكرى اغتيال جدليا Gedaliah حاكم يهوذا الذى عينه البابليون بعد سقوط القدس فى سنة ٥٨٦ قبل الميلاد . ووفقا للمرويات اليهودية ، كان اغتياله بمثابة نهاية للحياة اليهودية فى مملكة

يهودا في الجنوب (١٨) . وليس هناك تاريخ محدد في المصادر التوراتية التي ذكرت هذا الحادث (ملوك ٢/٢٥/٢٥ ، ارميا ١/٤١) ، لكن اليوم الثالث من شهر تشرى Tishri هو اليوم الذي حاز قبولا كيوم لهذا الاغتياي . وهو يوم مناسب أيضا بشكل جي كيوم توبة ونسب ليعرض ما ساد في اليومين السابقين من احتمال الاعتماد المبالغ فيه على الغفران (المفهوم لغفرانه سبحانه وتعالى) ، وتنسم هذه الايام العشرة بالابتهالات والصلوات الاضافية ، التوسل الى الله لغفران ما اقترفه المرء من خطايا في العام السابق ، ولتذكير اليهود بخطاياهم من أجل الحياة ، والتركيز على أن الله هو مالك كل شيء . والتوبة والندم على ما فات وهو ما يصرف باسم تشوفاه teshuvah التي تعني حرفيا « العودة الى الله » ، وتردد بعض الجماعات اليهودية أيضا ابتهالات توبة خاصة في الفجر تعرف باسم سليشوت (سلحوت Selichot) ، بينما اعتاد اليهود التقويون Pietistical Jews قراءة كتابات الموصار musar (وصايا اخلاقية) تفضي بقارئها الى التمتع في العبادة والتوجه لله بمزيد من القداسة . وخلال هذه الفترة تكون هناك محاولات للالتزام بالطقوس وشعائر الطهارة بشكل أكثر من ذي قبل .

ويعرف « السبت » السابق على يوم الكفارة « بسبت التوبة » وهو أحد مناسبتين في العام كان يقوم فيهما الراي في الماضي ، بالقاء عظات بحث فيها على العودة الى الله ، أو بتصوير آخر يتناول التشوفاه teshuvah ويتم اختيار سفر هوشع Hosea (الاصحاح ١٤) كقراءة اضافية ، ذلك الاصحاح الذي يبدأ بهذه الكلمات : « ارجع يا اسرائيل الى الرب الهك ، لأنك قد تعثرت باثمك » وهذه الفترة تبلغ ذروتها في اليوم السابق على يوم الكفارة ، وبمعلما يتغير الجو العام اذ يجب على اليهودي أن ياكل جيلا ذلك اليوم ، وأن يتوقف عن ترديد كثير من الابتهالات المعتادة . وعند بعض اليهود الاشكيناز واليهود المتأثرين بالقبالة ، تقام شعيرة الكباروت Kapparot في صباح اليوم السابق

على يوم الكفارة ، وهذه الشعيرة (الطقوس) تقتضى تناول ديك صمير أبيض (أو دجاجة بيضاء) وتمريره حول رأس الرجل أو المرأة ثلاث دورات ، مع ترديد العبارة التالية : « هذا فداء لى ، هذا بديل عنى . هذا كفارتى ، هذا الديك (أو الدجاجة) سيموت وساستمر أنا على قيد الحياة الطيبة المديدة وأكون فى سلام » ثم يذبح هذا الديك أو الدجاجة ذبيحا طقسيا وتلقى أحشاؤه للطيور ، أما لحمه فاما أن يقدم لأحد الفقراء ، أو يتم طهيه واكله على أن يدفع ثمنه لأحد الفقراء عوضا عنه . وقد ذكرت هذه الشعيرة للمرة الأولى فى القرن التاسع فى بابل ، وادرجها الرابى موسى اسرائيلز Moses Isserles الأشكيناوى ، الذى شارك فى وضع المدونة الشرعية شولحان عاروخ Shulchan Aruck ضمن الممارسات المعتادة . وعلى أية حال ، فقد عارضها بشدة بعض علماء الشريعة اليهودية فى العصور الوسطى واعتبروها تأثيرا وثنيا ، وكتب الرابى سليمان أردت Solomon Ardet فى القرن الثالث عشر :

« لقد وجدت هذه العادة (الكبارات Kapparot) منتشرة انتشارا كبيرا فى مدينتنا ، بالإضافة لعادات أخرى . . . وهى عادات تبدولى مثل الطرق الأمورية Amorite ، فبذلت كل جهدى (لمحو هذه العادات) وبفضل الله استمع أهل المدينة لكلماتى فانتهت هذه العادات وأصبحت مدينتنا خالية منها ، (١٩) . . »

والرابى يوسف (جوزيف) كارو Joseph Caro المؤلف الصفاردى للمدونة القانونية شولحان عاروخ Shulchan Arukh يقول انه ينبغى منع الناس من ممارسة هذه العادة (٢٠) ، لكن برغم هذه التحفظات فقد أصبحت هذه العادة ذات جنور عميقة فى الحياة اليهودية . وأولئك الذين اعتبروا هذه العادة وثنية لأقصى حد ، ولا تتمشى مع ميولهم ، وفسروها على أنها عملية نقل أو تحويل سحرية أسى . فهمها يتلقى فيها الديك العقاب بدلا من الانسان - هؤلاء استخلصوا النقود لأجراء هذا الطقس بدلا من الديك أو الدجاجة ، وبعد أن يحركوا النقود

حول الرأس وهم يرددون الابتهاالات المطلوبة ، يتصدقون بهذه النقود .
وبهذا ، ترتبط هذه الممارسة بالفكرة اليهودية القديمة التى مؤداها أن
الصدقة Charity ، من بين أمور أخرى ، تساعد على إبعاد الشر عن
المتصدق .

ويوم الغفران (يوم كيפור Yom Kippur) هو ذروة
شعائر التوبة ، وطلب المغفرة من الله . وعلى أية حال ، فطالما أن هناك
عقيدة مؤداها أن الله لا يغفر الخطايا التى ارتكبها الإنسان ضد أخيه
الإنسان إلا إذا سامحه صاحب الحق ، فقد تحتم أن يطلب الإنسان -
أولا - السماح ممن أخطأ فى حقّه قبل يوم الغفران (يوم كيפור
Yom Kippur) . وقد جرت العادة أن يتقرب اليهودى من أساء
اليهم ويتودد لهم ويحاول إرضاءهم ، وإن رفضوا مسامحته بعد ثلاث
محاولات كان قد فعل كل ما فى وسعه وليس عليه أن يقوم بمحاولات
أخرى . ويوصى أن يستحم كل يهودى بالميكفاه mikvel (مياه من
مصدر طبيعى) فى اليوم السابق على يوم كيפור أو على الأقل أن يستحم
على نفسه قدرا كبيرا من الماء دفعة واحدة ، وذلك كعلامة على الطهارة
الشعائرية من اللقاءات الجنسية والاستمناء (الغسل من الجنابة)
أو كرمز - وفقا لوجهات أخرى - للتوبة والخلص من الآثام . وقلما
يمارس يهود اليوم طقس الجلد بشریط جلدى (كرباج) بعد صلوات
بعد الظهر وأثناء الاعتراف العلنى بالخطايا وفقا للصياغات الواردة فى
كتاب الصلوات - برغم أن هذا الطقس مذكور فى المدونات الشرعية .
وينظر لجلد المرء نفسه على أنه يؤدى للتوبة ، ولا زال اليهود التقويون
يمارسون هذه الشعيرة ، برغم أن عملية الجلد عادة ما تكون رمزية أكثر
حما هي جلد حقيقى يؤدى للألم . والصوم الذى هو أحد معالم يوم
الغفران (يوم كيפור) يبدأ قبل غروب الشمس مباشرة .

يوم الغفران (يوم كيפור)

ترسخ فى الوجدان الدينى العام لليهود أن يوم الغفران هو ذروة السنة
اليهودية ، وهو مقياس لارتباط اليهودى بتراته ، وسجلت الشريعة



اليهودية ذلك أيضا . فحتى اليهود غير الملتزمين بالشعائر اليهودية الأخرى يحرصون على المشاركة في هذا العيد بالحضور في المعبد أو - على الأقل - الصيام فيه . وفي دولة إسرائيل الحديثة حيث يسيطر اليهود الأرثوذكس على الحياة اليهودية ، يصد اليهود العلمانيون للقيام بنزهات ورحلات في يوم كيبور ، ويعلنون عن رحلاتهم هذه بإعلانات صاخبة . ولا يتيح لهم هذا التخلص من الجو الدينى المكثف في المدن فحسب ، وإنما أيضا ليعلموا استخفافهم وامتعاضهم من المؤسسة الدينية ، وبالإضافة إلى الصيام - الذى يشبه في شروطه كل صيام في اليهودية من حيث الامتناع تماما عن الطعام والشراب - فإن يوم كيبور يوم يمنع فيه الاستحمام واللمن بالزيت وارتداء الأحذية الجلدية والمباشرة الجنسية . وكما هو الحال في « السبت » ، يحظر مباشرة أى عمل ذى طبيعة دنيوية في يوم كيبور .

وتبدأ العبادة في العيد مساء ، بتناول لفافة أو لفافتين من لفائف التوراة من الصندوق المخصص لها إلى المنصة المرتفعة في وسط المعبد ، ويرتدى الذكور المجتمعون الشيلان ذوات الشراريب الخاصة بهم والمخصصة للصلاة ، والتي لا تلبس عادة إلا في النهار ، وغالبا ما يرتدون أيضا عباءة بيضاء أو « كتل Kettel » فوق ملابسهم . وتفسر هذه الأزياء بطرائق مختلفة ، فعلى سبيل المثال نجد أن اللون الأبيض يرمز للنقاء وغفران الخطايا ، والكتل Kettel يرمز للكفن الذى يكفن به الإنسان بعد الموت ولبسه يشير إلى التواضع (٢٢) . وفي الصلاة الافتتاحية ، يطلب الامام الاذن من المضيفين السماويين والجموع أن يصلوا مع هؤلاء الخطاة الذين لم يحضروا للعيد إلا هذا اليوم لسبب أو لآخر . ويعقب ذلك انشاد « الكول ندرى Kol Nidrei » ، ويكرر اليهود الأشكيناز هذا الانشاد ثلاث مرات بنغمات وزينة وبالتناوب . « الكول ندرى Kol Nidrei » هو - في الأساس - إبطال للنذور (اليهودية) ، ويقصد به تحرير اليهودى من النذور الدينية التى نذرها ونسى الوفاء بها ، وكان عدد من علماء الشريعة غير سعداء



بشميرة الغاء ما نذره اليهودى تلك ، بل ان رئيس اليهود الأرثوذكس
الألمان فى القرن التاسع عشر وهو الرابى سمسون ر . هيرش
Samson R. Hirsch حاول - ذون جدوى - ابطال هذا الطقس
فى مرحلة من مراحل توليه لمنصبه الدينى (٢٣) * وبرغم أن الاتهامات
المتكررة التى يوجهها غير اليهود (الأغيار) لليهود ، والتى مؤداها انه
لا يوثق فى قسم اليهودى لأنه يستطيع - ببساطة - أن يتخفف من عبه
قسمه هذا بشميرة ابطال النذر (كول ندرى Kol Nidrei) - نقول
انه برغم أن هذه الاتهامات قائمة على عدم فهم للنذور او المهود Vows
المقصودة بهذا الابطال ، فان هذه الشميرة (الطقس) قد سببت بؤسا
شديدا لليهود على مر العصور ، وكانت مبررا لهؤلاء الرابينين الراغبين
فى ابطال هذا الطقس (الشميرة) *

لقد أحييت شعبية الكول ندرى (شميرة ابطال النذور والعهود)
التحذيرات الراقية حولها ، وظلت جزءا متما لاحتفالات يوم كيبور
(يوم الغفران) * والعبادة المسائية التى تعقب ذلك تشمل اعترافا
عاما بالخطايا ، وترديد الترانيم التى تنطوى على عجز الانسان ،
وفيض الله ورحمته *

وخلال اليوم التالى تقام صلوات طويلة فى المعبد لاتنتهى فعلا الا عند
هبوط الليل ، عندما ينفخ فى البوق (الشوفار Shofar) لاعلان انتهاء
الصيام * وتراعى بعض الجماعات اليهودية بحماس نغماتها التقليدية
فى انشاد الابتهاالات التى غالبا ما يؤديها الأعضاء الأكبر سنا باستمتاع
بالغ ، لأنها تذكرهم بالايام التى كان آباؤهم يصحبونهم فيها للمعبد وهم
شباب * ومن بين الملامح الطقسية الأساسية فى يوم كيبور الصلاة
ترحما على الأموات ، وتؤدى هذه الصلاة نفسها فى نهاية عيد المظلة
(خيمة الهيكل النقال Tabernacles) وعيد الفصح وعيد
الحصاد ، ويتم ايقاد شمعة تذكارية طويلة قبل الصيام احياء لذكرى
الكاهن الأعظم أيام وجود الهيكل ، واثناء ذلك يسجد الحضور عند ذكر
الوالدين المتوفين * وتروى باطناب تفاصيل الطقوس التى كان يجريها

الكاهن الأعظم أيام وجود الهيكل ، وأثناء ذلك يسجد الحضور عند ذكر وقائع بعينها تقليدا لما كان يجرى زمن وجود الهيكل : الحزن المصيق لموت حكماء صهيون العشرة الذين استشهدوا خلال الأعدامات التي قام بها هديران (اتريان) فى القرن الثانى للميلاد وفقا للمرويات اليهودية ، وقرائة سفر يونان . Jonah خلال صلاة ما بعد الظهر لاستحضار فكرة ان الفجران ممكن بالنسبة لمن تابوا وأناوبوا وتركوا طريق الشر . والآنر العام الذى يتركه يوم كيبور (عيد الغفران) بما فيه من تكثيف للمبادات والخشية من الله ، والصيام والملابس البيض والأنعام الوقورة وسجود المنشدين وامامهم والصلوات والابتهالات ، كل ذلك يعطى جوا روحيا عميقا ، وتطهريا خالصا . وبرغم ان فكرة الشريعة المقبولة هى ان يوم كيبور هو مجرد رجم للآثام والخطايا التى غفرت حقا ، فانه من الواضح ان يهودا كثيرين يتطهرون ويتجددون لمجرد التعبد طوال يوم كامل . حقيقة ، ان حياتهم فى العام المقبل قد تختلف عن حياتهم فى العام المنصرم ، لكن الاعتقاد فى ان الله قد غفر ما سلف يتيح لهم مستقبلا يتخففون فيه من عبء الذنوب (الماضية) .

عيد المظلة (*) (خيمة الهيكل النقال)

بعد عيد الغفران (Yom Kippur) بخمسة أيام يجرى الاحتفال بعيد المظلة (خيمة الهيكل النقال / سكوت Sukkot) . والسكوت هو سقيفة أو كوخ مسقوف بأفرع الأشجار ، تقام فى مكان مكشوف . يقيم فيه اليهودى التقليدى طوال الايام السبعة التالية . وفى الأزمنة القديمة ، كان السكوت Sukkot واحدا من اعياد الحج الثلاثة ، والاثنان الآخران هما عيد الفصح ، وعيد الحصاد ، والسكوت كعيدى الحج الآخرين ارتبط فى التوراة بالخروج من مصر :

(*) أو المظال ، وهى الكلمة المستخدمة فى الترجمة العربية للمهد القديم .



• مستسكن فى السقائف سبعة أيام •• لكى تعلم الأجيال القادمة
انى أسكنت بنى اسرائيل فى السقائف عندما أخرجتهم من
مصر ، (٢٤) (٢) •

ومع تلميع الهيكل الثانى ، وتشتت اليهود خارج فلسطين تشتتا على
نطاق واسع ، أصبح ارتباط السكوت Sekkot بالحصاد ارتباطا
ثانويا تماما • وحتى الآن •• لازال يوجد فى طقوس الأعياد المختلفة
ما يربطها بالحصاد ، خاصة استخدام أربعة أصناف (من أغصان الأشجار)
للتلويح بها فى عيد المظال (أو عيد المظلة / السكوت) • ويقوم هذا
الطقس على تفسير ما ورد فى الاصحاح ٢٣ ، كفقرة ٤٠ فى سفر
اللاويين ، وهذه الأصناف الأربعة هى : سعف النخيل (اللولاف
Lulav) وأغصان اشجار غيباء (الآس العطرى) وأغصان اشجار
الصفصاف البرى ، تجمع معا مع الأترج Etrog (نوع من الليمون
الحامض) ، ويتم التلويح بها أثناء تلاوة مزامير هلوليا (Hallel
وهى المزامير رقم ١١٣ - ١١٨ ، فى المعبد • وهذا التوقيت الغريب للمبد
من حيث وقوعه فى فصل الخريف ، بينما الخروج من مصر كان فى فصل
الربيع - يفسره الرابيون باستمرارية الرسالة الدينية :

(★) النص فى سفر اللاويين / الاصحاح ٢٣ : • فى مظال تسكون سبعة أيام •
كل الوطنيين فى اسرائيل يسكنون فى المظال ، لكى تعلم أجيالكم انى فى مظال أسكنت
بنى اسرائيل لما أخرجتهم من أرض مصر ، الفقرات ٤٢ - ٤٣ •

(★★) ١ هلوليا • سبحوا يا عبيد الرب • سبحوا اسم الرب ٢ • ليكن اسم الرب مباركا
من الآن وإلى الأبد • ٣ من مشرق الشمس إلى مغربها اسم الرب مسبح • ٤ الرب عال فوق
كل الأمم • فوق السموات مجده • • من مثل الرب الهنا الساكن فى الاعمال ٦ الناهر
الأسفل فى السموات وفى الأرض ٧ المقيم المسكين من التراب • الرافع اليأس من المزيل
٨ ليجلسه مع أشراف شعبه • ٩ المسكن العاقر فى بيت أم أولاد فرحانة • هلوليا •
• هلوليا •

المزود المئة والرابع عشر

١ • عند خروج اسرائيل من مصر • بيت يعقوب من شعب اعجم ٢ • كان يهوذا مقدمة •
واسرائيل محل سلطانة • ٣ البحر رآه فهدب • الأردن رجع إلى خلف • ٤ الجبال قفزت
مثل الكباش والأكام مثل حملان الغنم • • مالك أيها البحر قد هربت ومالك أيها الأردن
رجعت إلى خلف ٦ • وما لكى أنتها الجبال • قفزت مثل الكباش وأيتها التلال مثل •

• ترتبط الوصية بالسكوت (عيد المظلة أو المظال) في الكتاب المقدس اليهودي بالخروج من مصر •• لأن •• هذا الخروج يعلم حقيقة وجود الخالق الذي خلق كل شيء وفقا لمشيئته •• والمظال التي يشير اليها الكتاب المقدس اليهودي الى أن الله قد جعلنا (بنى اسرائيل) نسكر فيها ، هي منحجب بجلاله وعظمته التي احاطهم (بنى اسرائيل) بها حتى لا تستفهم الرياح الحارة والشمس المحرقة •• فبرغم خروجنا من مصر في شهر نيسان ، فان الله لم يأمرنا بصنع مظال في ذلك الوقت لان هذه الايام كانت هي بداية الصيف ، وجرى العادة ان يقيم كل شخص لنفسه مظلة يستظل بها ، ومن هنا فان اقامتنا للمظال في هذا الوقت قد لا تبدر وحية من وصايا الله ، لهذا فان الله أمرنا باقامة هذه المظال في •• الفصل المطير •• لقد كان علينا ان نترك منازلنا لنقيم في المظال وسيكون هذا واضحا للجميع على انه امر من الملك ، (٢٥) •

من الواضح أن هناك غلة طبقات من المعاني كامنة في عيد المظال (السكوت) ، يشكل الخروج من مصر واحدا منها ، والارتباط بمحصول الخريف هو أحد الملامح المرتبطة بتوقيته • ويعد طقس (شعيرة) سحب

= حضان الغنم ٧ • ايها الأرض تزلزلي من قدام الرب من قدام اله يعقوب ٨ المحول الصخرة الى هدران ومياه الصوان الى ينابيع مياه

الزمور المئة والخامس عشر

- ١ عند خروج اسرائيل من مصر وبيت يعقوب من شعب اعجم ٢ كان يهوذا مقدسه •
- امالك ٣ • اذا تقول الهم أين هو الههم • ٣ ان الهنا في السماء • كلما شاء صنع •
- ٤ اصنامهم فضة وذئب عمل ايدي الناس • ٥ لها الهواه ولا تتكلم • لها أعين ولا تبصر •
- ٦ لها آذان ولا تسمع • لها مناخر ولا تشم • ٧ لها ايد ولا تلمس • لها أرجل ولا تمشي • ولا تنطق بتخارجها • ٨ نقلها يكون صانعوها بل كل من يتكل عليها •
- ٩ يا اسرائيل اتكل على الرب • هو معينهم ومجنهم • ١٠ يا بيت هرون اتكلوا على الرب • هو معينهم ومجنهم • ١١ يا منفي الرب اتكلوا على الرب • هو معينهم ومجنهم •
- ١٢ الرب قد ذكرنا فيبارك • يبارك بيت اسرائيل يبارك بيت هارون • ١٣ يبارك منفي الرب الصغار مع الكبار • ١٤ ليزد الرب عليكم • عليكم وعلى آبائكم • ١٥ انتم مباركون للرب الصانع السموات والأرض • ١٦ السموات سموات للرب • اما الأرض فاعطاهم لبني آدم • ١٧ ليس الاموات يسبحون الرب ولا من ينحدرو الى ارض السكوت • ١٨ اما نحن فنتبارك الرب من الآن وإلى آخر الدهر • مللوي •



الماء الذى كان يمارسه الفريسيون على أيام الهيكل بعد اليوم الأول من السكوت (عيد المظال) - ملمحا خاصا للطبيعة الزراعية لهذا العيد . وكان الصدوقيون يعتبرون هذا الطقس غير توراتى ، والميشناه تذكر كيف ان جموع الحجاج كانوا يقذفون الكاهن الصدوقى - الذى كان يريق الماء على الأرض بدلا من سكبه على المذبح - بما فى أيديهم من فاكهة الأنسرج etrog . والكتابات التلمودية تصف الفرحة الفامرة المصاحبة لمهرجانات سحب الماء ، والرقص والموسيقا والأغاني قائلة : « ان الذى لم يشهد فرحة موضع سحب الماء لم يشهد الفرح الحقيقى » فالمشاركون فى هذا الطقس ، بمن فيهم الزعماء الفريسيون البارزون ، كانوا يقولون انهم يسحبون الروح القدس Holy Spirit ، لقد كان هذا الطقس يتم بحماسة وتوهج (٢٧) . واحتفالات سحب الماء هذه لازالت حتى اليوم تجرى بين اليهود الأرثوذكس (الأصوليين) مصحوبة بالغناء والرقص ، اللذين يستمران حتى وقت متأخر من الليل . لقد كانت هناك ، اذن ، محاولة لاستعادة روح الحيوية والمرح كما كانت فى الطقس (الشعيرة) القديم . ويظهر الماء والارتباط بالزراعة أكثر وضوحا فى الممارسات المعاصرة فى الصلوات الخاصة من أجل نزول المطر فى اليوم الثامن من عيد المظال (السكوت Sekkot) . وهذا اليوم (يومان بالنسبة ليهود الشتات) يعد عيداً منفصلاً يعرف باسم شيميني أتزريت Shemini Atzeret ، لكنه مرتبط بنهاية عيد المظال Sukkot . وبشكل عام ، يعد عيد المظال (السكوت) أكثر الأعياد بهجة فى العام اليهودى ، ووصف فى كتب الشعائر بأنه وقت « فرحنا » . والشيميني أتزريت هو ذروة الفرح والبهجة ، اذ يعبر عنه فى القداسات المحيطة باكتمال دورة العام التوراتى ، وهذه القداسات تصرف باسم سيمحات تورا Simchat Torah « أفراح التوراة » ، وتجرى فى اسرائيل فى اليوم الثامن للسكوت (عيد المظال) ، ويجريها يهود الشتات فى اليوم التاسع منه . ويتم انتخاب عضوين من المجتمعين لاكمال قراءة التوراة (أسفار مرسى الخمسة) ، ثم يبدأ قراءتها من

جديد مبتدئين بالاصحاح الاول من سفر التكوين على التوالى . ويمتلئ
المعبد بالمتعبدين الراقصين الذين يحملون لفائف التوراة فى موكب سعب
يصحبهم الاطفال ، وهم يغنون ويلوحون بالاعلام . ويقود حشد المحتفلين
عادة اثنان منهم (الآنف انتخابهما) ، ويتناول المحتفلون قدرا كبيرا
من الكحول لتأكيد جو المرح . وفى هذه المناسبة يظهر اليهود خارج
المعبد الارثوذكسى بمظهر غريب حقا ، وفوضوى ، وقد ذكر صاموئيل
بييز Samuel Pepys ، الذى حضر مهرجان افراح التوراة
Simchat Torah فى لندن فى ١٤ أكتوبر سنة ١٦٦٣
فى يومياته :

« لكن الله برؤيته لهذه الفوضى والضجك واللعب وعدم المراعاة
وانما اضطراب فى كل العبادات ، مما يجعلهم أقرب للبهائم منهم لبشر
يعرفون الله الحق ، قد يتفضل على المرء بالا يراهم مرة أخرى ، والحق
اننى لم ار ابدا كهذا ، ولم أستطع أن أتصور وجود مثل هذا السخف
فى أى دين فى العالم » .

وثمة يوم آخر فى مهرجان السكوت (عيد المظال) يتفرد بالطقوس
المرتبطة به . انه اليوم السابع من المهرجان المعروف باسم هوشانا رابا
Hoshana Rabba ، وهو رسميا ليس يوم مهرجان (عيد)
أو مناسبة للتوقف عن الأعمال الدنيوية Yom Tov ، لكنه يتسم
بعدد من الطقوس (الشعائر) المهمة . ففيه تتلى ابتهالات الهوشانا
(بالانجليزية hosanna) حول المعبد ، ويحمل المجتمعون أثناءها
أفرع الأشجار وثمار الأترج الآنف ذكرها (الكلمة هوشانا تعنى التهليل
أو هتاف المجد لله) ، وتهدف هذه الابتهالات الى طلب الخلاص من الله
وبعدها يقوم كل يهودى بتناول فرع من فروع الصفصاف ويظل يضربها
حتى تتساقط كل أوراقها أو معظمها . ويعود هذا الطقس الى أيام طقوس
الهيكل (٢٨) . وينظر للهوشانا رابا كنهاية فترة الحكم الالهى التى تبدأ
من العام الجديد (تقدير الله المقادير للعام القادم) . والاعتقاد الشعبى

اليهودى أنه اذا لم يتخلص اليهود من الظلة Shadow فى مساء يوم الهوشانا رابا ، فلن يعيش بعد العام . وثمة عادة كانت تجرى فى العصور الوسطى اعادت تأكيدها أفكار القبالة اللاحقة ، وهو القيام طوال الليل لقراءة نصوص دينية خاصة بهذه المناسبة ، ويفسر هذا باعتباره آخر عمل من أعمال التوبة لا يقاط قلب المرء للتشوفاه teshuvah (ومضاهها العودة الى الله) .

واستمرار كل شعائر السكوت (عيد المظال) بكل التفاصيل كما وضعتها الشريعة (الهالاخاه) ، سبب مشاكل كبيرة لليهود الذين يعيشون بعيدا عن موطن هذه الممارسات ، فالأترج (تلك الفاكهة الحمضية) بالنسبة لليهود قاطنى أوروبا يصعب الحصول عليه ، وان تم الحصول عليه كان ثمنه باهظا ، والجماعة اليهودية كلها لاتستطيع الحصول الا على مجموعة واحدة من أفرع الأشجار اللازمة لاداء هذا الطقس ، بينما يقتضى الأمر أن يكون لدى كل يهودى مجموعة ، وقد تم تجاوز هذه الصعوبة بالنسبة لجموع اليهود الذين عادوا الى اسرائيل بشكل كثر أم قل ، وتم ايجاد مزارع كاملة للأترج etrog لامداد يهود الشتات به ، ويهود المدن - خاصة أولئك الذين يسكنون فى شقق عالية فى العمارات ، يجدون دائما صعوبة فى بناء مظال مفتحة على السماء وقريبة منهم ليقطنوها ويأكلوا بها ويناموا . وفى اسرائيل وكذلك عند بعض جماعات يهود الشتات ، تم تجاوز هذه الصعوبة بتصميم شرفات (بلكونات) ليس فوقها شرفات أخرى حتى لاتحجب الظلة العلوية السماء عن الظلة السفلية ، وبذا يمكن إقامة ظلة فيها وفقا لشروط الشريعة . أما بالنسبة لليهود الاصلاحيين Reform Jews ، فلم تجر العادة بينهم أن يقيم كل واحد لنفسه مظلة (الجمع مظال) ، وانما تقام السكة Sukkah (المظلة) فى المعبد الخاص بهم ليشغلها المتعبدون عند قدومهم للاحتفاء بهذا العيد فى المعبد .

الفصل العادى عشر

العام اليهودى من خلال الطقوس : من الشانوكاه (الحانوكاه) الى شهر آب (AV)

الشانوكاه (الحانوكاه)

بعد عيد المظال (السكوت Sukkot) بحوالى شهرين فى اليوم الخامس والعشرين من الشهر العبرى كيسلو Kislev ، يبدأ الاحتفال بالشانوكاه (الشانوكاه) الذى يستمر ثمانية أيام . والشانوكاه هو عيد النور اليهودى ذو الأصول غير التوراتية ، احياء لذكرى قصة المعجزة المرتبطة بانتصار المكابيين على الحكام السلوقيين فى فلسطين ، فى حوالى سنة ١٦٥ قبل الميلاد . ووفقا لما ورد بالتلمود ، فان المكابيين Hosmoneans عندما كانوا يعيدون تكريس الهيكل لم يكونوا يستخدمون سوى جرة زيت صغيرة كانت تحتوى على ختم Seal رئيس الكهنة ، لأنها - باحتوائها على ذلك الختم - تكون طاهرة (غير نجسة) . وهذه الكمية الضئيلة من الزيت لابد أن تبقى ليوم على الاكثر ، لكنها - فعليا - تحرق فى ثمانية أيام تعتبر كافية لتجديد زيت آخر نقى (طاهر) . وفى العام التالى ، يتم الاعلان عن هذه الايام الثمانية كايام عيد (١) festive days ، وثمة رواية أخرى مختلفة لهذه القصة نجدها لدى المكابيين فى القرنين الاول والثانى ، حيث يفسر هذا العيد - ببساطة - على أنه اعادة لتكريس الهيكل أو اشارة الى

احتفالات سليمان التى استغرقت ثمانية ايام بمناسبة اكمال الهيكل .
وتربط رواية المكابيين ايضا ايام الاحتفال الثمانية بايام السكوت
Sukkot (عيد المظال) ، التى كان الجنود المكابيون فيها منشغلين
غير قادرين على الاحتفال . وتربط المصادر المدراسية تاريخ الحانوكاه
باقامة موسى المظال فى البرية . ذلك التاريخ لابد أن يكون هو اليوم
الخامس والعشرين من شهر كسلو Kislev ، لكنه اجل . وعلى هذا ،
فالله جل جلاله رتب الامور بحيث يعيد المكابيون Hosmoneaus
اعادة تكريس الهيكل فى هذا التاريخ (٢) . وقبلت اليهودية التقليدية
وجهة النظر التلمودية عن اصل الحانوكاه ومعناها ، ومن هنا كان من
المنطقى أن يكون تفسيراً لعادة ايقاد الشموع طوال ثمانية ايام . وعلى
اية حال ، فلم يظهر ذلك كموضوع فى الابتهالات الخاصة بالحانوكاه
والمعروفة باسم الها-نسيم Ha-Nissim التى تضاف لليتورجية
(الطقوس العبادية) ، والتى لا تعنى سوى النصر واعادة تكريس الهيكل
وضرورة شكر الله .

وباللغة الطقسية اليهودية ، فان هذا لا يعنى الاحتفاء بالنصر
العسكرى الذى حققه المكابيون ، ولا حتى اعادة تكريس المعبد ،
بل الأقرب أنه احتفاء بالمعجزة الالهية المتمثلة فى استمرار قدر قليل
من الزيت فى جرة صغيرة فى الاشتعال طوال هذه المدة الطويلة ،
مما يؤكد وجود قيمة دينية . والملح الطقسى البارز فى الحانوكاه هو
ايقاد الشموع ، شعة فى اليوم الأول ، وشمعتين فى اليوم الثانى .
الخ وثمانى شمعات فى اليوم الثامن ، ويعقب ذلك انشاد ترنية دينية
(ماؤز تسور Maoz Tzur) . وقد اعطى هذا الشكل الفنى الطقسى
طابعه كله متمثلاً فى الشمعدان ذى الثمانى شعب المعروف باسم
المينوراه (المنارة menorah) ، والذى يعرف فى اسرائيل اليوم باسم
حانوكية Chankiyah . وبرغم أن شموعاً ملونة خاصة تستخدم
عادة فى هذه المناسبة ، فان اليهود الاتقياء يعدون الى استخدام زيت
زيتون وفتائل ، لأن قصة المعجزة تشير الى جرة زيت زيتون . ولا بد

من إيقاد أضواء الحانوكاه فى مدخل أو نافذة حتى يراه المارون فيعرف الجميع بالمعجزة . والهانوكاه ليس عبدا بالمعنى الحقيقى ، اذ لا تحظر فيه مباشرة الأعمال الدنيوية ، ولا يتم فيه كنوش Kiddush (تبريكات على النبيذ) . والحقيقة ، انه لا توجد فيه وجبات دينية موصى بها شرعا ، برغم وجود عادات غذائية فى هذه المناسبة اعتمدها الناس ، وترسخت بمرور الوقت : كتناول فطائر الجبن والكعك المحلى الذى يدخل الدهن فى صناعته . ويحصل الأطفال على هدايا مالية ويشجعهم أهلوهم على اللعب بدورات على جوانبها حروف عبرية (خذاريڤ *) أو دبابير خشبية أو معدنية) ، أما الكبار فقد اعتادوا لعب الورق فى هذا العيد ، مع أن هذا يغضب - على نحو ما - علماء الشريعة . وفى اسرائيل الحالية ، نجد أن الثورة البطولية للمكابيين الذين أعادوا استقلالهم عن الحكم الأجنبى يمكن ببساطة أن تكون متفقة مع أفكار العلمانيين الاسرائيليين ، ومن ثم جرى التركيز على هذا المفهوم أكثر من التركيز على المعجزة الالهية . ولهذا السبب ، فإن إيقاد أضواء الحانوكاه أصبح شائعا على سواء بين القطاعات المتدينة وغير المتدينة فى إسرائيل . وبرغم أن الحانوكاه تقع فى وقت غير بعيد عن الانقلاب الشمسى الشتائى ، فلم تظهر محاولة عامة لربطها بفكرة النور والظلمة فى الطبيعة . الا أن أحد اللاهوتيين اليهود هو الرايى يهوذا لوب Juddah Loeb (من براغ) أحدث هذا الربط فى القرن السادس عشر ، وكان هو الوحيد الذى عقد هذا الربط بين الحانوكاه وفكرة النور والظلمة فى الطبيعة :

• يجب أن تعلم أنه من الملائم أن تكون الحانوكاه فى اليوم ٢٥ من شهر كسلو (كسلف Kislev) ، ففيه ينطلق النور للعالم . ففي الشهور الثلاثة السابقة عليه ، يتناقص نور الشمس تدريجيا . وبدءا من الحانوكاه يبدأ النور فى الانتشار .

(*) المزمع خذروف بضم الغاء وتسكين الذال . (الترجيم) .

بين الحانوكاه (شانوكاه) والبوريم (الساخر)

بعد اسبوع تقريبا من الحانوكاه يكون يوم صيام كامل يعرف باسم عشرة بي - طيت Asarah be-Tevet ، والعبارة تعني العاشر من شهر طيت Tevet والذي يحيى ذكرى بدء حصار نبوخذ نصر للقدس . وما دام شهر طيت Tevet هو الشهر العاشر اذا بدانا من شهر نيسان وهو شهر خروج اليهود من مصر ، فان التلمود يفهم هذا على انه صوم الشهر العاشر الوارد في سفر زكريا (٩) Zechariah (١٩/٨) . ومثل مناسبات الصيام الصغرى ، يستمر هذا الصيام فقط من الفجر حتى هبوط الليل ، لكنه يتفرد بأمر واحد . ان حدث وكان يوم جمعة فلا يتغير تاريخ الصيام ، برغم ان العادة جرت على منع صيام اليوم السابق على السبت ، لان حزقيال Ezekiel يقول عن اليوم الذي حاصر فيه ملك بابل القدس : « اكتب اسم اليوم حتى لو كان هو اليوم نفسه » . وهذا يعنى ان هذا اليوم لا يجب تقديمه او تأخيره ، وانما تحيا ذكراه في التاريخ الصحيح (٤) (٣٣) .

وفي الشهر التالى يجرى الاحتفال بصام الأشجار الجديد New Year for Trees ، فى ١٥ شباط (شفات Shevat) ويمنع فيه الصيام وتحذف ابتهالات التوبة من طقوسه الدينية (الليتورجية) ، وجرت العادة على تناول الفاكهة فى هذا اليوم ، خاصة تلك المرتبطة بأرض اسرائيل فى التوراة : العنب والتين والرمان والتمور والزيتون . وفى اسرائيل اليوم ، أصبح التوبى - شباط - Tu bi-Shevat (وهو الاسم الذى يعرف به هذا العيد اليوم) وقتا لاقامة طقوس زراعة الأشجار ويشارك تلاميذ المدارس فيه فى البلاد كلها . وهذا التوبى - شباط - Tu bi Shevat عيد مهم أيضا لليهود المتدينين فى

(★) هكذا قال رب الجنود ، ان صوم الشهر الرابع وصوم الخامس وصوم السابع وصوم العاشر يكون ليبت يهوذا ابتهاجا وفرحا واعيادا طيبة فاحبوا الحق والسلام . . . (★★) النص فى حزقيال (٢/٢٤) يا ابن آدم اكتب لنفسك اسم اليوم ، هذا اليوم يمينه فان ملك بابل قد اقترب الى اورشليم هذا اليوم يمينه . . . (الترجم ٢) .

اسرائيل ، لان الفاكهة التى تثمرها الاشجار بعد هذا التاريخ تعد من فاكهة العام الجديد ، ومنها تدفع العشور (*) وتنطبق عليها الشمان (الطقوس) الأخرى المتعلقة بالزراعة .

البوريم (عيد المساخر) (**) وشهر آذار Adar :

يقع عيد البوريم (المساخر) فى الرابع عشر من شهر آذار وهو أكثر الشهور بهجة فى العام اليهودى ، فكما ورد فى التلمود اذا أتى آذار لابد أن ينتهج المرء ابتهاجا كبيرا ، (٥) ، ففي السابع من آذار ولد موسى وفى التاريخ نفسه مات وفقا للروايات اليهودية (٦) . وجرى العادة بين أعضاء جماعة الدفن اليهودية Jewish burial Society (الشيفرا كاديشا Chevra Kaddisha) أن يصوموا خلال نهار هذا اليوم ، ويفطروا بالليل بوجبة ذات طابع شعائرى (طقسى) ، ولأنه وفقا للتفسير اليهودى للروايات التوراتية لموت موسى ، فإن الله نفسه هو الذى دفنه ، وإن أحدا ما لا يعرف موضع دفنه ، وفقا لما ورد فى سفر التثنية (***) (٦/٢٤) ، فقد أصبح من المعتاد فى هذا اليوم تذكّر أولئك الجنود الذين لا يدري أحد مواضع دفنهم . ويحتفى بعيد البوريم (المساخر) فى معظم الأماكن فى ١٤ آذار ، لكن فى المدن التى تعود الى زمن يشوع Jashua والتى تذكر الروايات أنها كانت مسورة فى تلك الفترة ، يجرى الاحتفاء بهذا العيد فى ١٥ آذار . وسبب هذا وفقا لسفر إستير (١٨/٩) هو أن يهود شوشن Shushan - العاصمة الفارسية - كانوا يحتفلون فى ١٥ آذار ، وحتى لا تشوه سمعة مدن اسرائيل القديمة فعل سكانها مثلهم . أما تفسير التاريخ المتقدم للمدن عصر يشوع المسورة ، فهو أنه فى زمن الأسر البابلى - وهو الزمن الذى وضعت فيه حكاية البوريم - كانت مدن اسرائيل فى حالة دمار .

(*) زكاة الزروع . (المترجم) .

(**) الاسم الشائع لدى عرب فلسطين . (المترجم) .

(***) « ودفنه فى الجواء فى ارض موآب مقابل نفور ، ولم يعرف انسان قبره الى هذا اليوم » . (المترجم) .

واليوم السابق على البوريم (عيد المساخر) هو يوم صوم ويعرف باسم « صوم استير Taanit Ester » ، ويراعى هذا الصوم فى ١٣ آذار احياء لذكرى صوم استير ، واليهود لمدة ثلاثة أيام قبل زيارتها للملك (١٥/٤) ، وهذا الصوم الخاص لم يرد ذكره فى التلمود . والبوريم (عيد المساخر) - مثل الحانوكاه - ليس عيدا أصيلا ، أو بتعبير آخر ليس يوم توف Yom Tov (ليس عيدا تحرم فيه معظم الأعمال الدينية) . فالعمل مسموح به فيه برغم انه غير مستحب بشكل عام (٨) . والملاحع الرئيسية لهذا اليوم هى قراءة المجلاه Megillah (وهو مصطلح يطلق على لفافة مكتوبة بخط اليد تضم سفر استير) مرة فى المساء ومرة اثناء النهار ، وتضمن الطقوس الدينية ابتهالات خاصة بهذا العيد ، وتقديم الصدقات للمحتاجين وارسال الهدايا من الطعام للأصدقاء والجيران ، ولابد من تناول وجبة ذات طابع طقسى (شعائرى) فى فترة ما بعد الظهر ، ويلقى اليهود فى هذا اليوم تشجيعا لشرب الكحول حتى لا يميزوا بين مردخاى المبارك Mordecai (بطل قصة البوريم) وهامان Haman النذل . وبعض المصادر الشرعية لا تفسر هذه الدعوة للسكرك تفسيرا حرفيا ، وتشير الى أنه يكفى أن يشرب المرء قدرا قليلا من الكحوليات أكثر من المعتاد ثم ينام ، وبالتالي فانه لا يستطيع أن يميز بين البطل والنذل (٩) . واليهودية التى عادة ما تركز بوقار على طقوسها ، لابد أن تركز على ضرورة أن يشرب المرء حتى يفقد التمييز ، وقد تعرض التراث الشرعى والقبالى لهذا الأمر بالتفصيل . ويرى البعض فى استخدام الكحول رمزا لخلاص اليهود فى قصة البوريم ، كما تظهر فى ولائم الشرب التى كان يحضرها الملك الفارسى . ويركز آخرون على البعد الأقرب للصوفية أو المنحى الباطنى بمعنى التسامى على كل ما فى العالم من خير وشر (مردخاى رمز الخير ، وهامان رمز الشر) ، الى درجة يلتحم فيها العنصران (الالتحام بين النقيض) .

وحول هذه المتطلبات الشرعية (الهالاخاوية) ، ظهرت سلسلة من العادات أعطت للبوريم (عيد المساخر) جو اللهو والمسخرة ؛ اذ يلبس

اليهود في هذا العيد أقنعة وأزياء مختلفة وغالبا ما يرتدى الرجال أزياء نسائية والعكس بالعكس ، برغم أن العادة جرت على تحريم هذا التصرف . وينتقل الأطفال من بيت الى بيت ؛ مرتدين ملابس خاصة ويقومون بتشغيل تمثيلات عادة ما تكون مستقاة من قصة استير تعرف باسم بوريم سبييل Purim Spiel ويجمعون الأموال للصدقة . والطلبة يسخرون من معلمهم ويقدمون تفسيرات مضحكة للتعاليم اليهودية . وعند ورود ذكر هامان أثناء قراءة المجلة Megillah (لفافة سفر استير المكتوبة بخط اليد) ، يخطب المجتمعون بأيديهم وأرجلهم ، ويصدرون أصوات ازدراء ويحدثون جلبة حتى لا يسمع لاسمه ذكر . وتوضع كعكات ، الواحدة منها بثلاث زوايا وقد ملئت ببذور الأفيون ، وتسمى شعبيا أذننى هامان ، وعادة ما يتم أكلها (تسمى باللغة الييدية هامانتاشين hamantaschen) ، وعيد البوريم هذا هو أكثر الأعياد بعدا عن الدين ، إذ لا يشار الى ذكر الله بشكل مباشر في سفر استير ، وهو أيضا عيد ذو طابع شعبى جدا ويتم الاحتفال به في إسرائيل المعاصرة كوقت للهو على المستوى الوطنى ، وتتحرك فيه العربات في مواكب خلال شوارع تل أبيب . وفى السنة اليهودية الكبيسة ، يقم شهر بعد آذار يعرف باسم آذار شينى Adar Shenى (أى آذار الثانى) ، وفى حالة اضافة هذا الشهر يعتبر كأنه شهر آذار الأصيل ، وتجرى احتفالات البوريم خلاله .

عيد الفصح (*)

قصة خروج اليهود من مصر ، وما أعقب ذلك من تجل على جبل سيناء ، وتجول بنى إسرائيل فى البرية قبل أن يدخلوا أرض الميعاد ، كل هذا من الموضوعات الأولية فى الوعي الدينى اليهودى . فكل نفى أو خروج يعتبره اليهود امتدادا لتجربة خروجهم من مصر . وعيد الفصح المعروف باسم ببساح Pesach هو عيد الخروج بغير منازع برغم أنه

(*) أو الفصح أو عيد ببساح ، وكلمة الفصح تعنى الفرج بعد الضيق ، وتعنى أيضا البور أو المرور ، أو عيد الربيع عند اليهود . (المترجم) .

ايضا عيد زراعى مرتبط بمحصول الشعير . ويستمر ببساح سبعة ايام فى اسرائيل وثمانية ايام لدى يهود الشتات ، واليوم الاول فى هذه الفترة وكذلك اليوم الاخير يعدان مناسبة طقسية دينية تحرم فيهما الاعمال الدنيوية (يوم توب Yom Tov) بالنسبة ليهود اسرائيل ، واليومان الأولان واليومان الاخيران ، بالنسبة ليهود الشتات . اما الايام الاخرى ، فهي كالايام الوسطى فى السكوت (عيد المظال) ايام عيد Chol ha-moed . وان كان يسمح فيها بممارسة الاعمال الدنيوية مع تضيق مجالها . واليوم السابق على البساح (عيد الفصح) والذي يبدأ فى ١٥ نيسان هو يوم صيام لمن كان بكرا first-born males ، وان كان البكر صغيرا لا يصوم صام عنه ابوه حتى يبلغ النضج . بل وتوجد وجهة نظر شرعية مؤداه ان البكر من الاناث يجب ان تصوم هذا اليوم ايضا ، برغم ان الاتفاق لم ينعقد على ذلك (١٠) . والتعليل الاكثر شيوعا لهذا الصيام فى التراث اليهودى هو ان اولاد اليهود الابكار قد انقذهم الله ، بينما دمر الطاعون العاشر ابناء المصريين البكور . وعلى اية حال ، فان هذا الصيام لا يتم من الناحية العملية ، وبدلا منه يتم ترتيب وليمة للاحتفاء باكمال التلمود ، وتحل هذه الوجبة الطقسية محل الصيام .

واكثر الملامح وضوحا فى عيد الفصح (بساح) هو تحريم تناول أى شكل من اشكال الخبز المصنوع من عجينة مختمرة ، بل وتحريم اقتنائه ، ويطلق على الخبز المختمر المحرم اسم شاميتز Chametz . ولا يشمل هذا المنع الخبز المألوف فحسب وانما ايضا اية عجائن من دقيق وماء ، الا اذا جرى صنعها فى ظل شروط صارمة لضمان عدم وجود خميرة بها . فلا بد ان يكون الخبز المستهلك فى هذا العيد بدون خميرة ويعرف باسم ماتسah matzah ، وهو مصنوع من دقيق يتم الاحتفاظ به جافا ويخلط بالماء ويخبز فى خلال ثمانى عشرة دقيقة من خلطه بالماء . ويصنع هذا الخبز باستخدام الآلات او باليد ، وبعض اليهود المتشددين لا يصنعونه الا يدويا ويكون على شكل رقائق مربع او بيضوى ، ولا بد من استخدام أدوات مطبخ خاصة ومواعين خاصة وسكاكين خاصة لصنعه ،

حتى لا تنتقل الخميرة اليه اذا جرى استخدام الأدوات المألوفة طوال العام . لذا ، فاليهود الأرثوذكس لدى الواحد منهم فى الغالب أدوات مطبخ خاصة ومائدة خاصة لا تستخدم الا فى الفصح (ببساح Pesach) برغم ان بعض الأدوات التى تستخدم طوال العام قد تستخدم أيضا فى أيام الفصح ، بنقعها فى الماء أو غليها فيه أو تعريضها للنار حتى تصير حمراء ، وتعرف هذه العملية بتحليل استخدام هذه الأدوات Kashering (من الكلمة العبرية كاشر Kashar) . ومادامت كل أنواع الخميرة لابد من إبعادها قبل الفصح ؛ فان إجراءات موسعة « لتطهير الربيع » يتم اتخاذها فى الأسابيع السابقة عليه . وفى يوم السبت السابق على عيد الفصح والمعروف باسم « شابات ها - جادول Shabbat Ha-Gadol » ، يلقي الرابى عظة يذكر فيها اليهود بجوانب طقوس الفصح . ولكل جماعة يهودية محرماتها التى تفرضها فى الفصح ، فاليهود الأشكيناى - على سبيل المثال - لا يأكلون البقول والحمص والأرز . لهذا ؛ فان الخبز المختمر لا ينبغى القاؤه ببساطة وانما يمكن جمعه وبيعه لغير اليهود لشرائه مرة أخرى بعد الفصح ، ولابد أن يتم ذلك من خلال وثيقة بيع صحيحة وعادة ما يكون الرابى هو ممثل الجماعة اليهودية فى عملية البيع . واذا ترك الخبز المختمر ، ولم يتم بيعه جرى النفثيش عنه فى المساء السابق على الفصح ليتم إحراقه ؛ حتى لا يستخدم فى الصباح التالى .

وليلة الفصح الأولى - أو الليلتان الأوليان عند يهود الشتات - هى أهم ليالى العيد وتعرف بليلة السدر Seder ، وفى هذه الليلة يتناول اليهود وجبة خاصة ذات طابع شعائرى ، وغالبا ما يتناولونها مع أفراد العائلة (الأسرة والأقرباء) ؛ اذ يجتمع على المائدة الجدان والأعمام والخالات وأبناء العمات وأبناء الخالات ؛ بالإضافة للضيوف المدعوين . وهذه الوجبة ذات الطابع الشعائرى ، تعد محاكاة للتجمع العائلى الذى كان يتم أيام وجود الهيكل لتناول حمل عيد الفصح المضحى به . واليهود على مختلف مستويات التزامهم الدينى ، يراعون طقوس السدر (الليلة الأولى

من الفصح ، أو الليلتين الأولين بالنسبة ليهود الشتات) ، برغم أن بعضهم يجعل هذه الطقوس فى أضيق الحدود ويجعلون المساء فترة تجمع فيها الأسرة معا . وفى ليلة السدر التقليدية ، تروى قصة الخروج من نص جرى اعتاده سلفا أو من الهجادة Haggadah . ويزود كابر من هذه النصوص برسوم توضيحية دقيقة مع ترجمات الى اللهجات الدارجة ، وفى العصر الحديث أضيفت اليها رواية معدلة من القصة لتتفق مع لاهوت اليهودية الإصلاحية ، أو الأيديولوجية العلمانية التى أخذ بها اشتراكيو الكيبوتس Kibbutz الاسرائيليون . ولأن موضوع الهجادة هو التحرر من العبودية ، فقد تعرض للموامة والتعديل وأعاد اليهود الأمريكيون الراديكاليون كتابته من وجهة نظر سياسية ليجعلوا منه اعلانا للحقوق المدنية ولحركات التحرر فى العالم الثالث . وتقوم الهجادة على النسق الاساسى الوارد فى الميشناه (١١) ؛ لكنه طور ليضم أشعارا وأغاني يجرى انشادها بأنغام مثيرة تجذب أطفال الدار .

والطقوس الرئيسية المصاحبة لتلاوة الهجادة هى : شرب أربع كؤوس من النبيذ احياء لذكرى تعبيرات الخلاص الأربعة الواردة فى سفر الخروج (٦/٦ - ٧) ، فالكأس الأولى يتم تناولها لكدوش العيد festival Kiddush

يجلس الذكور حول المائدة وقد مالوا جميعا ميلا خفيفا نحو اليسار ، وفى هذا إشارة الى أنهم أحرار وفقا للدلالة القديمة . وتناول الخضراوات المنقوعة فى الماء المالح ، ويتقدم أحد الأطفال الحاضرين ليوجه عدة أسئلة معلة سلفا عن طقوس المساء فيجيب عنها رب الدار ، انشاد مزامير هللويا (*) Hallel ، تناول حد أدنى محدد من الخبز غير المختمر matzah ، تناول أعشاب مرة ، عادة ما تكون الجرجير والخس ، وترتب المائدة التى توضع عليها الأطباق المختلفة ذوات الطابع الطقسى بما فى

(*) المزمور ١١٣ وما بعده (سفر المزامير) . أوردناه فى حاشية سابقة .

(المترجم) .

ذلك عظمة ساق الحمل المحترقة رمزا لحمل الفصح ، وبيضة رمزا لافصح الفصح ، ولا يؤكل أى منهما فى المساء . وبعد الانتهاء من تناول الوجبة ، وقبل تلاوة الجزء الختامى من الهجادة ، يتناول اليهود المجتمعون حول المائدة آخر قطعة من الخبز غير المختمر matzah ، ويعرف هذا باسم افيكومان Afikoman وهذه الكلمة يونانية وتعنى عقبة dessert (ختمة) ما بعد الوجبة ، ويكون تناولها مصحوبا بفرحة ذات طابع احتفالى . ولأن قطعة الخبز غير المختمر matzah هى آخر ما يتم تناوله ولا ختمة ، بعدها ، فقد أطلق على هذا الطقس الأخير فى الوجبة اسم الماتساء (*) matzah . وكانت هذه القطعة من الخبز غير المختمر قد

(*) ارتبط. فطير الفصح فى كل الكتابات العربية عن اليهودية وبعض الكتابات الغربية أيضا بقتله الدم ، ومفادها إضافة اليهود لفطير الفصح أو خبزه شيئا من دم الأيثار ، ولعل هذا الطقس قد توقف لأسباب صحية على الأقل ، لكننا نورد هنا فقرات كتبها باحث مسيحى عن هذا الأمر الوارد فى كثير من المراجع العربية والفرنجية ، الكتاب بعنوان اليهودية العالية وحربها على المسيحية ، تأليف إيليا أبو الروس ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٩٣ (ص ٤٦ - ٤٩) .

• ان الاعتقاد الدينى السائد لدى اليهود تبعا لنصوص التلمود أنهم اذا لم يهضوا دم المسيح فى خبز الفطير ، فى عيد الفصح ، فإن الفطير ينتن ، ودم المسيح يهرودى لأنه تذكار لما أمر الله به بنى اسرائيل بأن يسلطوا أبواب بيوتهم بدم الحمل المذبح بعيد الفصح عندما كانوا تحت عبودية فرعون . ثم هم يستعملون هذا الدم فى الرضى على طاولات الطعام قبل المشاء انسى ، ويضعون منه قليلا فى الخمر ، ثم يلعنون الديانة المسيحية ..

وقد شرح ذلك الكاتب الفرنسى هنرى ديبورت Henri Desportes فى كتابه « سر الدم لدى اليهود فى جميع الأزمان » .

وسر الدم المكتوم لا يروح به أحد من اليهود ، بل يبقى فى خلايا صدورهم محرما على الألمان والسلمهم ، واذا اضطر أحدهم الى ذكره فى مؤلف ، كان ذلك تحت اشارات رمزية لا يفهمها أحد سواهم ، كان يقولوا ديك ويقصدون به طعنا . وقد اكتفى الحاخامون الذين رفضوا المعتد التلمودى ، بالقول ان اليهود يستنزفون دماء المسيحيين ، ولكن لم يفل أحد منهم كيف ولماذا ، وذلك خوفا من أن يتألم اذى اليهود .

الحاخام متنصر بفشى السر

ويقول الحاخام داوود طوس التارك المذهب العبرانى ، والداخل فى الدين المسيحى (ترجمة لوماس بنجادي البهادى - مكتبة تونس الخضراء)

• • • • •

• .. ولا قصد خدمة الدين المسيحى فى اشهاره بل أريد تنبيه المسيحيين حتى لا يلجأوا إلى اللجاج التى ينصبها لهم اليهود ليلقوهم فى الحجب التى لا تخترقها إلا بصار •
وهناك حيث لا يسمع لهم صوت أنين ولا تستجاب لهم استغاثة ، يستنزفون دماء عروقهم بصورة لا يستطيع أن يراها انسان ولا حيوان الا من تكون المبادئ التلمودية جرت فى مروه • وما أنا الآن بعد اطراحي ونبذى هذه المبادئ تنبش لريصتى وتأخذنى القشعريرة من مجرد مرور صورة تلك المشاهد فى وهى مع أنى حين كانت مبادئ التلمود راسخة فى فكرى ومقبولة لدى حكى كنت أمارس بيدي هذه الراجفة الآن والقوية حينئذ طريقة استنزاف الدم • أى نعم ان هذه اليد التى كانت تحمل المذبة وتدنس بسفك الدم الزكى لا تتطهر الا باخذ وإظهار هذا السر •

وبهذه الاعتبارات أثنى هذا السر متمنيا أن يقع ما أكتبه تحت كل نظر وينزل فى كل سمح ، ويدركه كل فكر وملتزما سبيل السذاجة والصدق مؤيدا قول بانياتات ظاهرة وبراهين واضحة لماقول :

ليعلم ان هذا السر لا يعلمه الا الرؤساء والحاخامات والكتبة والفريسيون المعروفون باسم خاسيدوم • وهؤلاء يكتفون فى أخفى طبقات صدورهم عن سواهم من اليهود ومن كل بنى الانسانية وهم ذواتهم لا يتسلمه أحد منهم الا بعد الايمان المفلظة بحفظه مكتوما كل الكتبان حتى ولو كان فوق رؤوسهم السيف وتحت أقدامهم النطع •

اسباب استنزاف اليهود دم المسيحيين

وأما الأسباب التى من أجلها يستنزف اليهود دم المسيحيين فثلاثة :

الأول : البغض الشديد الذى ينمو فى صدور اليهود ضد المسيحيين قبل أن ترفع عنهم لغائفهم وهم يدرجون ويلعبون فى أزقة حاراتهم المنقطعة على حدة فى الغالب •
ولذلك فهم يعتبرون دم أحد المسيحيين مسلوكا فى أيديهم ضحية لله وقربانا كما سبق للمسيح وأعلن ذلك لتلاميذه حيث قال انه سيأتى ساعة يقن فيها كل من يقتلكم أنه يقرب قربانا لله (يوحنا ص ١٨ عدد ٢) •

الثانى : هو اعتقادات اليهود المبنية على الوهم والباطل التى تصور لهم أن الدم المسيحى ذو فعل فى بعض أعمال سحرية يعملها رؤساؤهم وحاخاماتهم متخفين هذا الدم فيها بمقام التعاويذ والرقى وغير ذلك من الجهالات التى لم يبدد طمعاتها الى الآن نور التمدن العصرى ، بل قدر هؤلاء الحاخامات أن يبقوها فى قوتها القديمة توصلنا الى حفظ العصبية القومية بين اليهود المبنية على مبادئ حب الذات والانفراد بجمع المقتنيات كما يشاهد فى أسرار هيئة اجتماعهم •

الثالث : هو اعتقاد الرؤساء والحاخامات الداخل بأن المسيح الذى صلبه اليهود هو المسيح الحقيقى المنتظر ، انما لا يوافق وجود هيئة اجتماعهم الاقرار بهذه الحقيقة •
ولذلك فهم يجمعون رأيا على وجوب احراز الدم المسيحى لاستعماله فى بعض الطقوس الدينية على أفراد الأمة ، والنجاة من الهلاك بواسطة تطهرهم به •

وضعت جانباً غنى بداية الوجبة ، ولأن الشعيرة تقتضى ضرورة تناولها قبل منتصف الليل ، فثمة عادة لدى بعض الجماعات اليهودية أن يعاود أطفال الأسرة « سرقته » ولا يعيدوها الا بطلب هدية ؛ نظراً لأهميتها فى اتمام شعيرة السدر . وقد ظهرت كثير من العادات الأخرى حول هذه الطقوس : كصب النبيذ فى كأس للنبي الياه Elijah ، وفتح الباب الأمامى للدار ودعوته للدخول ، وقلب النبيذ من كؤوس الحاضرين كلما ورد ذكر واحد من الطوائع (جمع طاعون) العشرة ، وهذا يعنى مشاركة رمزية فى معاناة المصريين (زيادتهم بلاء على بلانهم) ، تلك المعاناة الضرورية ، ويرتدى الذكور الكتل Kittel الأبيض ، أو يلبسون ملابس كالتى كان يرتديها بنو اسرائيل عند مغادرتهم مصر . ولكل جماعة يهودية أسلوبها المحدد فى الاحتفال بالسدر ، وهذه الأساليب ظلت تعدل حتى اليوم ، ومن ذلك ترك مقعد شاعر للتذكير باليهود غير القادرين على الاحتفال بالفصح بحرية .

وبدا من الليلة الثانية للفصح ، تبدأ فترة الأومر Omer (أعطية الشعير من المحصول الجديد) (*) ، وكل يوم من أيام أعطية الشعير هذه (Omer) يحسبه اليهود التقليديون وفقاً لتفسيرهم لما ورد فى سفر اللاويين (١٥/٢٣) :

= ثم أن للآخامات مبدأ آخر وهو أن مقتنيات المسيحيين حلال لهم كدمهم وذلك لاعتقادهم أنه سيصبح يوم يكونون فيه أرباب هذه الأموال .

من دلائل كراهية اليهود الشديدة للمسيحيين

ثم يقول ، بعد أن يصف بغض اليهود للمسيحيين مدلاً على ذلك بإشاراتهم ورموزهم وأفعالهم :

« ومن شاء أن يقف على شدة كراهية اليهود للمسيحيين وعلى ما يكتنون لهم بنوع خاص وللأمم المائرة عموماً فعليه بمطالعة الراس الثالث والثلاثين من تأليف بولس الطيب ففيه الكفاية فيستعمله اليهود فى كثير من طقوسهم الدينية ومنها الزيجة وذلك بأن يصوم المروسان من المساء الى المساء عن كل شيء وبعد عقد الزيجة يتناولها الحاخام يهبة مسلوبة لياكلانها بعد أن يغمساها برماد الكتان المشرب قبلاً من الدم المسيحى . . . »

(*) زكاة الزروع . (للتزجيم) .

• ثم تحسبون لكم من غد السبت من يوم اتيانكم بحزمة التريدي
سبعة اسابيع تكون كاملة •

ويستمر الحساب لمدة ٤٩ يوما ، واليوم الخمسون يكون هو عيد
الحصاد ، بدءا من اليوم الذى تجلب فيه الاومر Omer (حزمة الشعير)
لتكون قربانا من المحصول الجديد ، لتقديمها الى الهيكل فى القدس •
وبرغم ان الفريسيين يفسرون هذه الفقرة فى سفر اللاويين « اليوم الذى
يكون فى غير السبت » باعتباره اليوم الثانى فى الفصح (ببساح) ،
واليوم الاول هو يوم توب Yom Tov (أى تحرم فيه الأعمال الديوية)
يسمى أيضا يوم سبت لأنه لا عمل فيه ، فان الصدوقيين والقرايين بعد
ذلك يأخذون بالمعنى الحرفى ، أى ان المقصود « بغير السبت » هو يوم
الأحد ، وعلى هذا ، فهم يحتفلون دائما بعيد الحصاد يوم الأحد الذى
ياتى بعد ذلك بسبعة أسابيع • وبالنسبة لليهود المعاصرين ، فان كل
هذه الأبعاد الزراعية والمرتبطة بالفدية (تقديم حزم الشعير) لا تلعب
سوى دور صغير فى حياتهم ، فكل ما يفهمونه من هذا الأمر هو أن حبوب
المحصول الجديد لا يمكن تناولها الا بعد ثانى أيام الفصح (ببساح) •

وهناك شيء من الخلاف بين علماء الشريعة (الهالاخاه) حول ما اذا
كان هذا الحظر ينطبق على اليهود خارج اسرائيل أم لا (١٢) • وحساب
فترة الاومر Omer (طقس حزم الشعير) مازال موجودا حتى اليوم ،
لكن هذه الفترة أصبحت من بين الفترات الحزينة نسبيا (تأخذ طابع
الحداد الى حد ما) ، لا يخلق فيها اليهود الارثوذكس شعير رؤوسهم
ولا يحلقون لحاهم ولا يقيمون حفلات العرس طوال معظم فترة هذه
الأسابيع السبعة • واصل هذا الحداد غير واضح • وأكثر التفسيرات
شيوعا بهذا الصدد هو انه فى القرن الثانى مات تلاميذ الرابى اكييفا
R. Akiva خلال فترة الاومر Omer (الفترة التى تقدم فيها حزم الشعير) •
ومن الناحية العملية ، ليس هناك اتفاق على وقت بدء هذا الحداد ولا على
نهايته ، وفى تراث الشريعة اليهودية ذكر لعادات مختلفة فى هذا

الشان (١٣) . وعلى أية حال ، هناك اتفاق عام على انتهاء فترة الحداد في اليوم الثالث والعشرين للأمر (تقديم حزم الشعير Omer) المعروف باسم لاج با - أمر Lag ba-Omer ، وهو يوم تشيع فيه الأعراس عند اليهود الأشكناز .

وطبيعة هذا اليوم Lag ba-Omer غامضة وهناك عدة تفسيرات لأصل الاحتفاء به ، وقد قبل الخيال العام تعاليم القبالة التي مؤداها ان هذا اليوم ba Omer هو اليوم الذي أفضى فيه الرابي سيمون بار يوشاي R. Simeon ba Yochai أخيرا بتعاليمه السرية لتلاميذه ثم مات ، والرابي سيمون هو مؤلف الزهر المشهور Zohar ، ويحتفل القباليون بهذا اليوم احتفالا كبيرا ويصفون موت الرابي سيمون بأنه حفل عرس بين روحه والله ، ويحجون الى قبره في ميرون Meron بالجليل حيث يضرمون نارا هائلة ويرقصون كثيرا ويغنون . وهذا الحج (زيارة القبر) مهم ؛ خاصة بالنسبة لليهود الشرقيين الذين يعسكرون في ميرون Meron ويجعلون للمكان طابع السوق ، وينحرون الخراف مما يزعم السلطات الاسرائيلية المستولة عن الصحة .

ومن المعتاد تماما بالنسبة لليهودي في الجماعات اليهودية الشرقية ، ان يقدم نذرا لزيارة قبر الرابي سيمون ليشفى من مرضه أو يحظى بحظ سعيد . وتضاء الشموع على القبر في هذا اليوم Lag Ba-Omer وتدرس الزهر Zohar ، ويحلق الأطفال الذين بلغوا الرابعة من عمرهم شعورهم لأول مرة في ميرون ، ويلقى الشعر المحلوق في النار التي أوقدوها والتي ذكرناها آنفا . ويجرى الاحتفال في كل أنحاء اسرائيل في هذه المناسبة بايقاد النيران وبالعاب رياضية باستخدام الأقواس والسهام .

ولمضى الأزمنة الحديثة ظهرت أيام أخرى خلال الأوامر Omer (تقديم حزم الشعير) أخذت شكل الأعياد الصغرى بين بعض قطاعات اليهود ، بل ان قيود الحداد تزاح في هذه الأيام ، فهناك عيد الاستقلال الذي يحتفى به في اليوم العشرين من الأمر Omer (اليوم الخامس



من الشهر العبرى آيار وهو اجازة وطنية فى اسرائيل) واليوم السابق له هو يوم تخليد لذكرى القتلى فى الحروب الاسرائيلية . وليس هناك شكل محدد لطقس (شعيرة) دينى أصبح متفقاً عليه للاحتفال بيوم الاستقلال ، فبينما يرى الصهيونيون المتدينون أنه كعمل يفيد الخلاص الالهى ويأخذ طابع مجيء المسيح (الذى لم يأت بعد) ، فان الأرثوذكس المناهضين للصهيونية يظهرون الحداد العام لما يعتبرونه انتهاكا من اليهود الصهيونيين للقيم اليهودية . رتبة احتفال وطنى يهودى آخر هو « يوم القدس » ، وذلك احياء لذكرى توحيد المدينة بعد حرب سنة ١٩٦٧ ، ويقع هذا العيد فى اليوم الثالث والأربعين من الأومر Omer (تقديم حزم الشعير من المحصول الجديد) الموافق ٢٨ آيار . هناك يوم آخر ذو طبيعة مختلفة لا خلاف حوله الا قليلا ، وهو ذكرى المحرقة (الهولوكوست Holocaust) فى اليوم الثانى عشر من الأومر Omer الموافق ٢٧ نيسان ؛ وفيه يجتمع اليهود فى التجمعات اليهودية المختلفة فى مختلف انحاء العالم لتذكر ما حاق باليهود من اباداة جماعية فى عهد الحكم النازى (*) ، وليحتفلوا بالمقاومة اليهودية فى ثورة جيتو وارسو Warsaw Ghetto . ولأن كثيرين ممن عاصروا المحرقة لازالوا احياء ؛ فان هذا اليوم ظل عنصرا مهما فى الحياة اليهودية .

عيد الحصاد

عيد الحصاد او الشافوت Shavuot - وهو الاسم الأكثر شيوعا بين اليهود - يستغرق يوما واحدا (يومان عند يهود الشتات) ولم يرد له تاريخ محدد فى التوراة . وهو فى اليوم الخمسين من الأومر Omer (تقديم حزم الشعير) . ومع استخدام التقويم القائم على الحساب أكثر من قيامه على رؤية القمر ، حدد هذا العيد بيوم السادس من شهر سيفان Sivan العبرى . ويوصف فى التوراة بأنه عيد الحصاد (الخروج

(*) تكتب الصحف بالإضافة لدراسات كثيرة ظهرت بما يفيد أن الروايات اليهودية من المحرقة فيها شيء كثير من المبالغة . (المترجم) .

(١٦/٢٢) ؛ لكن معناه الأساسى بالنسبة للوعى اليهودى أصبح ارتباطه
 بنزول التوراة على جبل سيناء . وعنصر الحصاد فى هذا العيد تابع
 لموضوع العهد الذى أعطاه الله فى سيناء ، وقد أعيد تفسير الطقوس
 الزواجية والعادات المرتبطة بهذا العيد (الشافوت Shabaut أو عيد
 الحصاد) لتتنشى مع هذا المفهوم (ارتباطه بالعهد) . وعلى هذا ، فقد
 جرت العادة بتزيين المعبد بالنباتات الخضراء استعدادا لهذا العيد ، وهى
 عادة عارضها بعض علماء الشريعة اليهودية ؛ لأنها تشبه ما اعتاد عليه
 للمسيحيون من تزيين الكنيسة وقت الحصاد بالطريقة نفسها (١٤) ،
 والتي جرى تفسيرها باعتبارها رمزا للخضرة المحيطة بجبل سيناء .
 وعادة أكل وجبات الجبن والحليب فى عيد الحصاد (الشافوت)
 ارتبطت بأعياد الحصاد فى الثقافات الأخرى ، وجرى تفسيرها تفسيرات
 مختلفة رابطة إياها بسيناء ، فعلى سبيل المثال قيل ان اليهود لم يكونوا
 يستطيعون أن يتناولوا سوى الحليب عندما كانوا فى سيناء لأنهم كانوا
 ملتزمين بشعائر التقشف بعد الوحي ، ولم يكن لديهم وقت كاف لنحر
 قطمانهم نحرا شرعيا . وحتى عادة خبز أرغفة خاصة للشافوت الذى
 هو عيد لحصاد القمح ، يعتبرها البعض تفسيراً انحرف عن المعنى الذى
 قصده التوراة بإشارتها لخبز اليهود الروحي Spiritual 'bread' of Jews

ويقضى اليهود الأرثوذكس ليلة العيد الأولى فى دراسة تعبدية طويلة
 للتوراة تنتهى مع صلاة الفجر . وفى القدس ، تتخذ الجموع بعد ليلة من
 دراسة التوراة طريقها قبيل الفجر للحائط الغربى (حائط المبكى) لجبل
 الهيكل للصلاة . وعادة دراسة التوراة طوال الليل والمعروفة بأسم
 تكون ليل شافوت Tikum Leil Shavuot فسرهما اليهود الأرثوذكس
 من الروايات المدراسية التى تشير لكيفية تغلب النوم على بنى إسرائيل
 فى سيناء ، وكيف أيقظهم موسى . وعلى هذا ، فإن سلالتهم يظلون
 مستيقظين طوال الليل ، ليكونوا مستعدين لتلقى التوراة من جديد .
 وأصبحت هذه العادة مؤتلة منظمة بتأثير القباليين ، فتم اعداد كتاب خاص
 يضم قراءات تتلى خلال الليل . وفى يوم العيد تقرا الوصايا العشر من

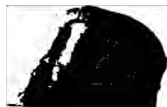
لفالة التوراة فى المعبد ، بدءا من الاصحاح الاول فى سفر حزقيال
Ezekiel الذى يتناول رؤيا النبي للعرش الالهى ، وجرت العادة ايضا
بقراءة سفر راعوث Ruth خلال العيد ، مادامت قصة راعوث قد وضعت
زمن الحصاد وان سليل راعوث الملك داود قد مات - كما اشتهر - فى
شهر سيفان Sivan . ويترنم اليهود فى المعبد بعدد من الترانيم
الخاصة ، تشريفا للتوراة والتجلى الذى حدث فى سيناء . وفى الأزمنة
الحديثة ، اضيف بعدا جديدا لهذا العيد ، فقد اصبح عند اليهود
الاصلاحيين فترة لتثبيت ايمان شباب اليهود حتى يتيقنوا من « العهد »
القديم ؛ ولأن قصة راعوث Ruth تفيد قبوله الدين اليهودى طوعا .
وفى اسرائيل ، وجدنا أن الجوانب الزراعية للشائولاه قد احيها يهود
الكيبوتس العلمانيون ، بطقوس مرتبطة بحصاد المحصول ونضوج بشائر
الفاكهة . وهم باتجاههم هذا يتفقون - بشكل عام - مع الاتجاه السائد
لدى الاسرائيليين العلمانيين لايجاد دين متجدد مرتبط بالأرض ذى هوية
وطنية يعطى معنى للأعياد التقليدية ، ويفضلون هذا الاتجاه عن اتجاه
ربط الأعياد بمناسبات تاريخية طقسية .

اسباع الحداد الثلاثة

والجزء الأخير من العام اليهودى الشعائرى حتى شهر أيلول Elul
وعيد رأس السنة الذى يعقبه - هو فترة حداد عميق للتذكير بتدمير
الهيكل الأول والهيكل الثانى . فهذا الجزء ينطوى على مجمل تجربة
المعاناة التى خاضها اليهود أثناء الخروج . وتبدأ هذه الفترة بصوم
يوم ١٧ تموز (الذى عادة ما يقع فى شهر يوليو) ، وصوم الشهر
الرابع وارد فى سفر زكريا (١٩/٨) وفقا لرأى المفسرين الرايين .
والمرويات اليهودية تربط هذا التاريخ بخمسة أحداث مأسوية ، أكثرها
دلالة الصدع الذى حدث فى أسوار القدس قبل تدمير الهيكل الثانى .
وفى الأساس ، كان الصيام يتم فى التاسع من تموز ، وهو التاريخ الذى
سجله ارمياء Jeremiah (٦/٥٢) لحدوث صدع فى أسوار القدس
أثناء فترة الهيكل الأول . ونظرا لمقرب التاريخين أحدهما من الآخر

ولأن تدمير الهيكل الثاني كان بالنسبة لليهود أكثر مدعاة للأسى ، فقد تم اختيار ١٧ تموز ليمثل زمن دمار المعبدين . بل ان تلمود القدس يقرر ببساطة ان ٩ تموز - وهو التاريخ الاصل - انما هو تاريخ خاطئ بسبب خلط التواريخ ، وأن الصدع حدث في الحالتين يوم ١٧ تموز (١٥) . وتنقسم فترة الحداد التي تعقب الصوم بمنع اقامة الاعراس وتحريم اللحم والنبيد طوال ايام الأسبوع وتحريم قص الشعر وتحريم ارتداء عباءات جديدة ، بل وتحريم ارتداء ملابس غسلت وكويت حديثا . وفي معظم المجتمعات اليهودية ، نجد هذه المحاذير - فيما عدا اقامة الاعراس - لا تراعى الا خلال الايام التسعة الأخيرة من فترة الأسابيع الثلاثة ، والتي تنتهى بصوم اليوم التاسع من شهر آب (Tishah Be-Av) . وترى الميشناه في هذا الشهر وقتا لأسى اليهود واسفهم : « عندما يبدأ شهر آب ، لابد ان يتناقص الفرح والسرور » (١٦) . وباستثناء يوم الغفران Yom Kippur ، فان التاسع من آب هو يوم الصوم الوحيد الذي يبدأ من غروب الشمس ويستمر الى هبوط ليل اليوم التالي . وكعلامة على الحداد، يحرم لبس احذية جلدية (حتى لا يشعر المرء بالراحة) ، ولا يسمح بدراسة التوراة لانها « تسعد القلب » ، فيما عدا المقاطع التي تنبر عن المعاناة ، ولا يجب ان يجلس اليهودى طوال نصف اليوم على كرسي أو مقعد . وتطق الأتوار في المعبد ، ولا يبقى منها الا اقل القليل مما يمكن المصلين من قراءة ابتهالاتهم ، ويتم ابعاد الساتر الذي يغطي الصندوق المشتمل على لفائف التوراة . ولا يرتدى اليهودى الطاليت (شال الصلاة) ولا التيفيلين (صندوق التعاويذ) حتى صلاة ما بعد الظهر ، وتحذف الأجزاء المبهجة في الصلوات (وفي الليتورجية) ، ويقرا اليهود سفر المراثى ، بالاضافة الى ابتهالات ذات طابع حزين (كينوت Kinot) .

ان كل ما فى هذا اليوم (Tishah Be-Av) يجعله أكثر ايام العام اليهودى مدعاة للحزن والأسى ؛ فالروايات تركز على ان الهيكلين الاول والثاني قد دمرا فى هذا اليوم ، برغم ان الاحتراق الفعلى للهيكل الاول



وفقا لما ورد فى سفر ارميا (١٢/٥٢) حدث فى العاشر من « آب » .
وربط هذا اليوم ايضا باحداث مأسوية اخرى فى التاريخ اليهودى ؛
فاصبح رمزا لما عاناه اليهود من مرارة منذ ذلك الحين . ويتم تذكر صهيون
Zion والقدس بالدموع المنهمرة ، لكن اليوم يجلل بامنية ان يكون الصيام
فى العام القادم فى يوم سعادة . كما تنبأ زكريا (١٩/٨) . وفى اسرائيل
الحديثة ، ارتفعت اصوات تطالب بالغاء الصيام على اساس ان اليهود
عادوا الى وطنهم (*) ؛ لكن احدا من الرابين لم يبد رغبة فى اتخاذ خطوة
خطيرة كالغاء الصيام كلية . وحتى الصيغة الطقسية (الشعائرية)
الجديدة التى ادخلها شلوموجورن Shlomo Goren ، والتى غير فيها
المناجاة المنطوية على تحسر لما مر بالقدس فى الماضى - لم تحظ بقبول
عام ، مع انه - أى الرابي جورن - واحد من رابى اسرائيل الكبار .

(*) الكتابات العربية التى تنفذ هذا كثيرة . ومعلوم ان مؤلف هذا الكتاب يهودى .
ويهمنا جميعا معرفة ما يفكر فيه الآخرون - (المترجم) .

الفصل الثانى عشر

المعبد والبيت والمجتمع اليهودى

المعبد

كل مجتمع يهودى يقوم حول مركز هو المعبد الذى قد يكون مبنى راقيا بنوافذ من زجاج ملون ، وقد يكون بيتا عاديا خصص للعبادة . وفى بعض الأحيان يكون المعبد جزءا من مركز المجتمع : يلبي احتياجات أعضائه ويتيح لهم حياة اجتماعية ، ودروب تسلية . والمعبد اليهودى باللغة اليبودية هو School ، وهى كلمة ألمانية تعنى مدرسة لأن المعبد فى أوروبا الشرقية كان غالبا مكانا للدراسة . وفى الواقع ، هناك نوعان من المعابد هما : « ها - كنيست بيت bet ha-keneset ويعنى التجمع » وهو معبد مخصص تماما للصلاة وغيرها من الشعائر الطقسية ، وبيت ها - مدراش ويعنى « بيت التفسير » وهو مخصص للدراسة ؛ بالإضافة للعبادات النظامية (المنتظمة والمرتبطة بأوقات محددة) . ويختلف الموقف الشرعى من هذين النوعين : فبينما النوع الأول (بيت التجمع) هو المبنى الأعلى بين المباني المحيطة به ولا يجوز تناول الطعام أو النوم فيه ، فإن النوع الثانى (بيت التفسير) لا ينطبق عليه ذلك (١) . وهذان المعبدان يختلفان أيضا فى تصميمهما المعمارى الداخلى وفى الأثاث والجو العام ، فمعبد بيت التفسير (بيت ها - مدراش) عادة ما يحوى عددا كبيرا من الكتب ، وبه أثاث مصفوف بطريقة متجاورة

لتمكن الرجال من الدراسة في مجموعات ، بينما في البيت ها - كنيست (بيت التجمع) توجد مقاعد طويلة ذوات ظهور ومنصة ثابتة bimah في الوسط وصندوق خلف ستارة مزركشة في نهاية المبنى في اتجاه القدس تحفظ به لفائف التوراة ، ويوجد ممر منفصل خاص بالنساء في المعابد التابعة لليهود الأرثوذكس .

وقد طورت كل جماعة يهودية معبدها ليكون له شكله المتفرد ، بما يتفق مع طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه اليهود، والذي يوجد به المعبد، ربما يتفق مع عادات اليهود المترددين على المعبد ووجهات نظرهم الدينية . فاليهود الشرقيون ، الذين تعمد أقلية منهم الى خلع أحذيتهم قبل دخول المعبد . يرتبون مقاعدهم ازاء جدران المعبد والمنصة الوسطى (البيما bimah) ، بينما معظم اليهود الغربيين يجلسون على مقاعد طويلة (دك) في صفوف ووجوههم ناحية القدس . والجو العام في المعابد اليهودية التقدمية Progressive وكذلك في معابد اليهود الأرثوذكس الألمان يتسم بالرسمية والاحتشام ، بينما في معبد الحاسيد Chasidic prayer house المعروف باسم شتيل Shtetle « حرفيا : الغرفة ، نشم عبير التحرر والانطلاق ؛ لاعتقادهم أن التزمت لا يتمشى مع العبادة الصادرة من القلب . وهناك معابد يهودية أخرى تتخذ موقفا وسطا بين التحرر (عدم الالتزام بالرسميات) في المعابد الحاسيدية والالتزام التيوتوني Teutonic بالشكليات ، ويميل معظم اليهود الأشكناز للاتجاه الأول . وكانت الشروط اللازم توافرها في المعبد ليكون صالحا للصلاة ، مشار نزاع طويل بين اليهودية الأرثوذكسية واليهودية التقدمية . فالرأبيون الأرثوذكس قد رسخوا مبدأ وجود مكان منفصل تصلى فيه النساء ، بينما لا يوجد مثل هذا الحاجز mechitzah بين الجنسين في المعابد اليهودية التقدمية Progressive . وعندما أدخل اليهود الإصلاحيون - لأول مرة - نظام العبادة المختلطة بين الجنسين في القرن التاسع عشر في أوروبا ، عارضها بشدة الرأبيون الأرثوذكس ، فالرأبي موسى سوفر Moses Sofer عالم الشريعة البارز بين يهود المجر ركز

على مبدأ انفصال الجنسين لمنع تسلسل أفكار ذات طبيعة جنسية الى نفوس المتعبددين ؛ لأن هذا يجعل الله غير متقبل لصلواتهم (٢) . وكتب تلميذه موسى شك Moses Schick فتوى لتجمع يهودى ، كان بعض أفرادها راغباً في إدخال نظام المقاعد المشتركة (بين الجنسين) فى المعابد :

« الجنة محرمة عليكم ٠٠٠ ان بقيتم صامتين امام فسق هؤلاء المنحرفين ، لأنه وفقاً لأحكام الشريعة لابد من فصل الرجال عن النساء .. هذا ضرورى ٠٠ حتى لا يرى الرجال النساء ، فرويتهم لهن تؤدى الى انحراف قلوبهم والى آثام أخرى ، يجب أن نعترض على هذا الوضع ونوبخ هؤلاء الخطاة » (٣) .

وثمة أمور أخرى متعلقة بالعبادة فى المعبد كانت مثار نزاع شديد بين اليهود الأرثوذكس واليهود الاصلاحيين ، مثل : احتساب المرأة لاكمال النصاب اللازم لصلاة الجماعة minyan أو الطقوس التى يلزمها هذا النصاب ، ومثل دعوة النساء لقراءة التوراة ، والسماح للمرأة أن تكون اماماً أو نرسيمها لتكون رابياً ، فقد اعتبر الرابيون كل هذه الأمور مقوضة لمبادئ الشريعة التقليدية . كما أدان الرابيون الأرثوذكس - بشكل عام - استخدام اللهجات العامية فى الصلوات وما حدث من تغييرات فى الطقوس واستخدم الكورس Choirs فى المعابد والعزف الموسيقى المصاحب للانشاد الدينى باعتبار هذا تقليداً للمسيحية ، برغم أن بعض هذه المظاهر موجودة فى المعابد الأرثوذكسية الحديثة . ومقاومة التغيير من جانب التقليديين يعكس قيمة العبادات الجماعية من وجهة نظر الشريعة (الهالاخاه) ، لأنه برغم امكانية أن يصلى المرء منفرداً فى البيت ، فقد كان هناك اصرار فى التراث الرابى على أهمية صلاة الجماعة والتعبد مع مجموعة . وقد بدأ المعبد نفسه كمؤسسة خلال فترة الأسر البابلى بعد تدمير الهيكل الأول ، وأصبح عنصراً محورياً فى الحياة اليهودية العامة بعد تدمير الهيكل الثانى . واليوم هو جزء مكمل للحياة الدينية اليهودية الجماعية ، بل انه حل محل البيت كمحور للحياة الشعائرية (الطقسية) بالنسبة لبعض اليهود .

البيت اليهودي

البيت اليهودي هو المركز الكبير لحياة اليهود وطقوسهم ، وثمة عدة ملامح فارقة تميز البيت اليهودي (عن سواء) ، فمن الناحية التقليدية لابد أن يكون عند كل مدخل من مداخله لفافة رق (بفتح الراء) مكتوبة بخط اليد للشما Shema (فقرات من الكتاب المقدس اليهودي تشير لتوحيد الله والأخلاص له) - تعرف بالميزوزاه mezuzah مثبتة في عضادة الباب ، تنفيذا لما ورد في التفسير الحرفي لفقرتين في سفر التثنية (*) ٩/٦ و ٢٠/١١ ، وتلف بحيث يمكن دقها بالمسامير في عضادة الباب . ويلبسها اليهودي التقى بأصابعه ومن ثم ، يقبل أصابعه كلما مر بالباب ، خاصة ان غادر البيت . وكثير من اليهود - وحتى لو لم يكونوا من الأرثوذكس - يحتفظون بهذه اللفافة (الميزوزاه) على الأقل في الباب الرئيسي للبيت ، وعادة ما ينظر اليها كتميمة تحفظ البيت من الشيطان . وعلماء الشريعة الماثرون بالقبالة يدافعون عن الخواص التيممية (الحفظ من الشيطان أو الشر) اعتمادا على سوابق تلمودية (٤) . والاعتقاد في هذه الفقرات المعلقة المأخوذة من نص التوراة كحافظ أو مانع من الشر أدى الى اضافة صيغ أخرى مختلفة لها ؛ مما أدى الى اعتراض ابن ميمون عالم الشريعة العقلاني المشهور :

« لكن هؤلاء الذين يكتبون أسماء الملائكة والأسماء القدسية أو الأشعار أو الاختام في هذه اللفافة (الميزوزاه mezuzah) ، انما يدخلون فيها ما لا مكان له في الملكوت الآتي (**) World to Come لأنه لا يكفي هؤلاء

(*) النص :

اسمع يا اسرائيل . الرب الهنا رب واحد . فتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك . ولتكن هذه الكلمات التي انا اوصيك بها اليوم على قلبك وقصصها على اولادك وتكلم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق وحين تنام وحين تقوم واربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك واكتبها على قوائم ابواب بيتك وعلى ابوابك . (المترجم) .

(**) (★★) أو يوم الدينونة - (المترجم) .

الأغنياء انهم ابطالوا الوصية *mitzvah* ؛ بل انهم تعاملوا معها كما لو كانت تعويذة تحقق منفعة ؛ ذلك لأن قلوبهم الغيبة تظن انها شيء يحقق النفع في هذه الدنيا الفارغة ، مع أن لهذه اللقافة أهمية أكبر باحتوائها على توحيد اسم الله تقدس اسمه وتبارك ، وتحوى حبا له وإخلاصا ، .

وجرت العادة أيضا أن يكون في البيت اليهودى علامة تشير الى اتجاه القدس ، وتعرف بين اليهود الغربيين باسم المزارح *mizrach* (ومعناها الحرفى الشرق) وعادة ما تكون من الحروف العبرية لكلمة مزارح محاطة برسوم زخرفية . ويجد المرء عند اليهود الشرقيين لوحات تشير لجهة القدس أكثر اتقاناً ، وبها رسوم ومكتوب عليها صيغ من التران القباى ، عادة ما تأخذ شكل يد وتعلق على الحائط ، وغالبا ما ينظر اليها كتمويذة . وتشترط الشريعة اليهودية أن يبقى جزء صغير من الجدار في بيت اليهودى دون زينة أو رسوم ، احياء لذكرى تدمير الهيكل (٦) . وعلى أية حال ، فقد تخلى اليهود المعاصرون - الى حد ما - عن هذا التقليد الأخير المبر عن الحداد الدائم .

الأسرة

ما دام اليهود ينظرون للبيت باعتباره مركز النشاط الدينى ، فإن الأسرة تلعب دورا ليس فقط باعتبارها الوحدة الاجتماعية الأساسية ، وانما أيضا باعتبارها الوسط الذى تتم فيه الطقوس الدينية ، فكل الأعياد تخطلها طقوس تتم في البيت ، فشعائر يوم السبت تقوم حول الوجبات الأسرية ، وفي الأسمرة اليهودية التقليدية يحتل رب البيت (الرجل) مكانا بارزا كرم للأسرة وفي الأمور الدينية . وتصف المدراس الزوجة المثالية بأنها تلك التى تنفذ ما يريده زوجها ، وقد كتب موسى ابن ميمون في ملونته :

• يأمر حكماء اليهود الزوجة اليهودية أن تكون حية في بيتها ، والا تفرط في الدلال والخفة أمام زوجها . . . ويأمر الحكماء أيضا الزوج

ان يكرم زوجته ويقدمها على نفسه ، وأن يحبها كحبه لنفسه . . . والا يجعلها تخافه كثيرا . . . ولا بد ان يكون حديثه معها رقيقا ، ولا يجب ان يكون شديد الحساسية لمضربا . . . وهم يأمرون الزوجة ايضا ان توتر زوجها ، وان تقف : اجلالا له . . .

هذه الصورة التقليدية تعدلت في الأزمنة الحديثة مع التغير الحادث في دور المرأة والتزاماتها ، وقد رفض اليهود الأرثوذكس الذين يعيشون في جيتو فرضوه على أنفسهم (باختيارهم) هذه الاتجاهات الحديثة ، ويجد المرء عند بعض الجماعات اليهودية الشرقية نماذج من الأسر المرتبطة ارتباطا شديدا بنظام سيطرة الذكور . والطقوس الدينية اليهودية نفسها تحفظ للرجل قدرا من الأولوية ، برغم أن الشكل النمطي الشائع للزوجة اليهودية - وكذلك الأم - هو أنها مستبدة متسلطة . وربما كانت السيطرة الرسمية للزوج - ببساطة - مجرد مظهر أو قشرة خارجية تغطي الدور غير الرسمي للزوجة الذي تمارس فيه سلطة حقيقية على أولادها ، وأحيانا على زوجها المطواع ، ومن المؤكد أن الأولاد والبيت يكونان الى حد كبير في مسئوليتها ، ما دام الزوج ينشغل بالعمل وحضور الصلوات ، والدراسة في المعبد .

القوانين الشرعية للطعام

كثرة الشروط الواجب توافرها في الطعام الصالح للتناول والتي تطبع العادات الغذائية بطابعها ، تعد مسألة محورية في حياة اليهودي الأرثوذكسي ، ومسألة محورية أيضا لكن بدرجة أقل في حياة اليهودي التقدمي Progressive . ويتراوح الالتزام بهذه الشروط بين التمسك بها بصرامة كما هو الحال بين اليهود الأرثوذكس ، ومراعاتها جزئيا أو إهمالها كلية ، كما هو الحال بين اليهود الإصلاحيين ومعظم اليهود العلمانيين . حتى أولئك الذين يهتمون البعد الطقسي للطعام diet غالبا ما يميلون لتناول طعام على نسق الطعام الكوشر Kasher (الذي تحله الشريعة) الذي ظهر نتيجة المطبخ اليهودي التقليدي . والاكل

بالنسبة لليهودى الأرثوذكس نشاط طقسى (شعائرى) متصل بالمعنى الدينى ؛ لذا فهو يبدأ وينتهى بتبريكات خاصة مناسبة . ويقتضى تناول بعض الأطعمة غسل اليدين . وتظهر قوانين الطعام الشرعية كجزء من محاولة اضاء القداسة على الحياة العادية للانسان وتحويله الى كائن مقدس لله . والاسم الاصطلاحي العام للطعام المسموح بتناوله هو كاشر Kashrut ، الذى تحول فى الانجليزية الى كوشر Kasher بسبب نطق اليهود الاشكيناز لهذه الكلمة على هذا النحو ، وفى الشريعة اليهودية سلسلة من الكلمات الاصطلاحية تطلق على أنواع مختلفة من الأطعمة المباحة Kasher ؛ لكن الكلمة كاشر Kasher هى الكلمة المقبولة على المستوى الشعبى العام للدلالة على كل أنواع الأطعمة التى قد يتناولها اليهود التقليديون .

اللحم والسمك

أباح التوراة تناول لحوم بعض الحيوانات ، وحرمت لحوم حيوانات أخرى (٨) . فالحيوانات المجتررة التى لها ظلف مشقوق كالماشية والضأن والماعز والأيائل لحومها حلال ، أما الحيوانات التى لا يتوافر فيها هذان الشرطان ، أو ينطبق عليها شرط واحد فحرام اكل لحومها كالجمال (مع أنها مجتررة) والخنازير (مع أنها مشقوقة الظلف) . والأسماك التى لها زعانف وقشور حلال اكل لحومها ، وفيما عدا ذلك فمحرم تناول لحوم كل الكائنات البحرية . أما بالنسبة للطيور فالحكم الشرعى فيها أكثر تعقيداً على نحو ما ؛ لأن التوراة — ببساطة — ذكرت قائمة بأربعة وعشرين نوعاً من الطيور مجرم اكل لحومها بعضها غير معروف ولم يستطع علماء الشريعة التعرف عليه . وعلى هذا ، فالطيور تعتبر طعاماً حلالاً إذا كانت هناك مروييات موثوق بها تفيد أن اليهود تناولوها فى الماضى ، واحتفظت المجتمعات المختلفة بعباداتها الخاصة المرتبطة بهذه المروييات . وذكر بعض أنواع الجراد كطعام محلل Kasher ، واليهود فى البلاد التى بها جراد — كالمغرب الأقصى واليمن — يأكلون هذا الجراد ، ولديهم مروييات دينية تفيد أن اكله حلال Kasher

والأطعمة الحلال المختلفة من لحوم الحيوانات والطيور تحتاج لذبح هذه الحيوانات والطيور ، ذبحا شعائريا قبل اعدادها للتناول . وهذا الذبح الشرعى شحيته (شيشيته Shechitah) لابد ان يقوم به يهودى (من الناحية العملية يهودى بالغ) ، برغم ان المرأة أو صغير السن نظريا يمكن ان يقوموا بالذبح . والشحيته (الشيشيته) أى الذبح الشرعى ، هو تمرير سكين حادة تماما لتقطع قصبة الحيوان الهوائية وبلعومه . ولابد ان يتم هذا بسرعة . وحرام اكل لحم الحيوان الذى مات ميتة طبيعية أو اميت أو قتل بطريقة اخرى غير الذبح الشرعى الآنف ذكره ، لحرام مثلا اكل طرف من اطراف حيوان قطع منه وهو حي . وبالنسبة للحيوانات أو الطيور غير المنزلية ، لابد من سفك دمها ثم تغطية هذا الدم بالتراب أو الرماد وفقا للتفسير الرابى لسفر اللاويين (١٧/١٣) ولابد من تبريك الذبيحة ، عند تغطية الدم المسفوح بالتراب . ولا يحتاج السمك والجراد لذبح طقسى ، وانما يمكن تناول كليهما ميتا . ولابد من فحص الحيوان جيدا قبل ذبحه للتأكد من انه ليس مريضا ، فان ذبحه وهو مريض اعتبر تيريفا (طريف) terefah يحرم اكل لحمه . ولابد من فحص الرئتين - على نحو خاص - جيدا ، وكذلك الاعضاء الداخلية فقد يكون بها ثقب نتيجة ابتلاع الحيوان لمواد صلبة .

وبعض أجزاء الدهن فى لحوم الحيوانات الداجنة محرم ولابد من ازالته ، ولابد من ازالة عصب الورك المعروف باسم عصب عرق الفخذ (١٠) the Sinew of the thigh vein ، ولابد من ازالة الشريان الاكبر من الحيوانات الداجنة وغير الداجنة . وازالة هذه الأجزاء المحرمة تحتاج لخبرة كبيرة ، وعادة ما لا يستهلك معظم يهود الدياسبورا (الشتات) كل الأجزاء الخلفية من الذبائح واذا تم استبعاد الأجزاء المحرمة ملح اللحم (الباقي) لازالة الدم ، فالولا يتقع اللحم لحوالى نصف ساعة

(*) « وكل انسان من بنى اسرائيل ومن الغريب النازلين فى وسطكم يصطاد صيدا وحشا أو طائرا يؤكل ، يسفك دمه ويغويه بالتراب لأن نفس كل جسد دمه هو نفسه فقلت لبني اسرائيل لا تأكلوا دم جسد ما ... » (المترجم) .

لتوسيع المسام ثم يفرغ منه الماء لفترة وجيزة قبل ان يغمر في ملح خشن ويترك لمدة ساعة . واخيراً يتم شطف اللحم لازالة الملح وما يكون قد علق به من دم . وتقوم ربة البيت بهذه العملية كلها ؛ لكن الجزار اليوم يقوم بهذه العملية قبل بيع اللحوم . ولا يمكن ازالة الدم من الكبش بالتمليح ، وانما لابد من شوائها على النار بعد تقطيعها سطحياً وذرها بملح خفيف . ويمكن ازالة الدماء من اللحم ايضاً بالشي ، لكن ازالتها بالتمليح — بالطريقة التي ذكرناها آنفاً — هي الوسيلة الأكثر استخداماً .

اللحم واللبن (الحليب)

حرام طبخ اللحم واللبن معاً ، وحرام تناولها معاً ، وفقاً للتفسيرات الراحية لتحريم التوراة في ثلاثة مواضع طبخ الجدي في لبن امه (١١) . وقد وسعت الشريعة هذا التحريم فطبخته على كل الحيوانات والطيور ، ورغم ان الاشارة التوراتية في الأساس كانت مفهومة على انها تعنى الحيوانات الداجنة فقط . ولا يشمل هذا التوسع في التحريم السمك والجراد (١٢) ؛ لكن السمك واللحم لا يؤكلان معاً انطلاقاً من اسباب صحية .

ولدى اليهودي الارثوذكس مجموعتان من اوانى المطبخ منفصلتان وغسلتان للأطباق كل واحدة بعيدة عن الاخرى — آنيتان فخاريتان ، ومجموعتان منفصلتان من السكاكين وأدوات المائدة ، وذلك ليضمن الفصل الكامل بين اللحم والحليب (اللبن) ، وأحياناً يتم تعليم آنية الحليب بعلامة خاصة لتجنب أى احتمال يخلطها بتلك المستعملة للحم . والأدوات والأطباق التي لا تستخدم مع الحليب أو اللحم تسمى بـ Parve ، وامتد الفصل بين تناول اللحم والحليب لدرجة مراعاة وجود فاصل زمني بينهما يمتد من ساعة الى ست ساعات ، باختلاف التجمعات اليهودية . وتفسر الالتزام بهذا الفاصل الزمني هو ما يتخلف بين الأسنان من بقايا لحم أو بقاء طعم اللحم في الفم ، مما يستلزم وقتاً للتخلص منه . وجرت

(*) لا تطبخ جدياً بلبن امه (التثنية ٢١/١٤) .

العامة على مراعاة هذا الفاصل الزمني بين تناول الجبن اليابس وطبق من اللحم ، برغم انه بعد تناول البان أخرى يكون كل ما هو مطلوب هو تنظيف الفم واليدين قبل اكل اللحم (١٣) . ولا يعد الحليب او البيض طعاما حلالا الا اذا كانا من حيوانات محللة (كاشير) ويستثنى من هذا عسل النحل ، فالنحل نفسه ليس كاشير (اكله ليس حلالا) وتميل تحليل اكل عسل النحل وتحريم اكل النحل ، هو ان العسل ليس - على الحقيقة - جزءا من النحل ، وانما هو مادة يستخلصها النحل (١٤) .

الخضراوات والفواكه

مادامت الشريعة تحرم اكل الحشرات والديدان ؛ لذا فلا بد من فحص الخضراوات والفواكه وتطهيرها مما قد يكون فيها من ديدان وحشرات قبل أكلها . فالخس - على سبيل المثال - لابد من غسله جيدا والبحث بين ثنأياه للتأكد من ازاحة كل الحشرات الصغيرة عنه . وبالإضافة لهذا ، هناك محرمات عامة بشأن عدم زراعة النباتات البذرية معا (بشكل مختلط) وعدم زراعة محاصيل أخرى مع الكرم (العنب) ، وعدم تطعيم بعض النباتات بعضها ببعضها الآخر . وتفاصيل هذه الشرائع معقدة ، وعند الرايين نظام تصنيفي خاص للافتاء بالأصناف النباتية المختلفة وبعض هذه القوانين لا تطبق الا على ما تنتجه أرض اسرائيل ، بينما هناك قوانين أخرى تطبق على يهود الدياسبورا (الشتات) . وتعرف هذه المحاذير باسم كيلايم Kilayim ، وسنندها الشرعي فقرات في التوراة (١٥) .

ومحرم ارتداء ملابس منسوجة من صوف وكتان معا ، واليهود الأرثوذكس ، الحساسون على نحو خاص ازاء هذا التحريم ، يستعينون بخبير ليفحص عباءاتهم الجديدة للتأكد من عدم وجود هذا الخليط (شاتنز Shaatnez) ، وفاكهة الشجرة الجديدة محرمة طوال السنوات الثلاث الأولى ولا يجب الاستفادة منها . وهذا التحريم يعرف باسم أورلاه

(*) « .. وحطك لا تزرع مننين » (المزمع) .

Orlah ، وسنده ما ورد فى سفر اللاويين ١٩/٢٣ (١) . وفاكهة العام الرابع لابد أن تؤخذ الى القدس لتستهلك هناك أو تباع ، ويشترى بشئها طعام يؤكل فى القدس . وفى هذه الأيام تفتدى الفاكهة - رمزيا - بقطعة عملة صغيرة . وتنطبق هذه القوانين الشرعية أيضا على الكرم (العنب) .

وهناك سلسلة كاملة من الأحكام الشرعية تعود لزمان التوراة ، تناول ما تنتجه أرض اسرائيل . ومعظم هذه القوانين لا تمس الا الفلاح ، لكن طائفتين منها تعدان جزءا من الأحكام الشرعية للطعام مما يمس المستهلك اليهودى . الأولى هى الحاجة لدفع عشر انتاج الأرض المقدسة ، وهذه الأعشار تقدم للكاهن Kohen واللاوى ، وأما أن تقدم للفقراء أو تحمل الى القدس لأكلها هناك . أما اليوم ، فقد جرت العادة - ببساطة - على تجنب ما يزيد قليلا على جزء من مائة من الانتاج وإطلاق اسم العشر عليه ، ثم افتدائه بدفع قطعة عملة صغيرة . وباستثناء قدر صغير يجب وقد لا يؤكل ، فإن بقية الطعام قد أصبح الآن رسميا مزكى (دفع عشره) ، وبالتالي يمكن استهلاكه . وثمة عشر tithe آخر مفروض على عجينة الخبز أو الكعك (١٦) ، وكان هذا « العشر » لا يدفع الا فى اسرائيل ، لكن دفعه امتد الى يهود الدياسبورا (الشتات) . فعند عجن الدقيق يجب العشر ، ويطلق عليه شلة Challah ليعطى للكاهن ، لكنه اليوم يحرق لعدم وجود كاهن للتطهير الطقسى . وتقليديا ، يعد فصل (تجنب) الشلة Challah وصية دينية mitzvot على ربة البيت تنفيذها ، ورغم أن الخبازين اليهود عادة ما يأخذون الشلة (عشر العجين) من انتاجهم .

(١) سفر اللاويين : « ومتى دخلتم الأرض وغرستم كل شجرة للطعام فحسبون ثمرها غرلتها . ثلاث سنين تكون لكم غلواء لا يؤكل منها ، وفى السنة الرابعة يكون كل ثمرها قدسا لتعبد الرب ، وفى السنة الخامسة تاكلون ثمرها لتزيد لكم غلتها ، أنا الرب الهكم » . (المترجم) .

والطائفة الثانية من الأحكام الزراعية الشرعية التي تؤثر في المستهلك بشكل مباشر ، هي تلك المتعلقة بإنتاج أرض إسرائيل خلال السنة الأخيرة من دورة السنوات السبع (الشيمتاه Shemittah أو كل سبع سنة ، وهي السنة السبتية للأرض) (*) ، ويوصى الكتاب المقدس اليهودي بترك كل الأعمال الزراعية تماما أثناء هذا العام والشرعية اليهودية تمد هذا المنع الى انتاج الأرض المقدسة بعد أن يصبح غير متاح في الحقول ، وتمنع كذلك الاتجار في ما أنتجته الأرض أثناء الشيمتاه Shemittah (السنة السبتية) (**) وقد أحدث الرابيون (الحاخامات) الإسرائيليون تطورا في الأحكام الشرعية لحل مشكلة السنة السبتية ، حتى يتجاوزوا ما ينتج عنها من صعوبات اقتصادية لإسرائيل في الزراعة والتصدير والسوق الداخلية . وتضمن هذا الحل بيع كل الأراضي التي يمتلكها اليهود للأغيار (غير اليهود) لمدة هذا العام السبتى ، ما دامت الأحكام الشرعية المتعلقة بهذه السنة لا تطبق إلا على ملاك الأراضي من اليهود . وبرغم أن هذا الحل قائم على حكم بعض الزعماء الدينيين (الحاخامات) في المائة سنة الأخيرة ، فإنه لاقى معارضة دؤوبة من علماء شريعة آخرين اعتبروه غير صحيح شرعيا وغير فعال . وكانت حجج الفريقين ذات طبيعة فنية (أى مرتبطة بالمصطلحات الشرعية) في الأساس ، لكن أولئك الذين أيّدوا حل البيع كانوا بشكل عام صهاينة ، وكان الذين عارضوه مناهضين للصهيونية . وبينما كان غالبية اليهود الأرثوذكس يعملون على بيع الأرض ، فإن أقلية كبيرة مالت كثيرا الى شراء منتجات الأراضي الزراعية التي يمتلكها عرب أو المستوردة من الخارج ، اذ وجدوا هذا أفضل من تناول طعام الشيمتاه Shemittah (الذى أنتجته أراض يمتلكها يهود في السنة السبتية) .

(*) بعض الكتب العربية (القوى الدينية في إسرائيل للكتور رشاد عبد الله الشامي) تسميها سنة التبوير . (المترجم) .
 (**) أو سنة التبوير . (المترجم) .

النبيذ والحليب والجبن وما طبخه الأغيار

بينما كان للأحكام الشرعية للغذاء نتيجة عرضية مؤداها ان اليهود الراغبين في الالتزام بها يحتاجون للعيش في مجتمعات يهودية حيث توجد المؤسسات الداعمة للطعام الحلال Kashrut ، فقد كانت هناك سلسلة أخرى من الأحكام الشرعية كان من بين أهدافها تقليل التفاعل الاجتماعي بين اليهود وغير اليهود (الأغيار) . انه لأمر حقيقي ان يهودا كثيرين لا يلتزمون بالأحكام الشرعية للطعام الا في بيوتهم فقط ، ولا يجدون حرجا في تناول الطعام غير الشرعى في المطاعم وفي بيوت الآخرين . وربما كان ظهور التسريب بدرجة كبيرة بين اليهود في المجتمعات الحديثة وراء ادخال الرابينين مزيداً من الأحكام الشرعية التى تفرض قيودا على الطعام بقصد عدم تشجيع التفاعل الاجتماعي بين اليهود والأغيار ، ومنع ما ينتج عنه من زواج مختلط . ومن بين هذه المحرمات التى وضعها الرابيون مؤخراً ، تحريم النبيذ الأغيار وطعامهم الذى طبخوه حتى ولو كان كاشير (أى حتى لو كان هذا الطعام لا يحوى شيئاً مما حرّمته الشريعة اليهودية) . وأتى تحريم النبيذ الأغيار فى الأساس بسبب ما ينبعث منه من وثنية (بسبب صانعيه او مقدميه) ، مما يجعله حراماً على اليهودى . وحتى لو لم يقدم هذا النبيذ غير يهودى ، فانه يظل محرماً فى رأى الرابينين « وذلك بسبب بناتهم » بمعنى ضرورة منع أية بهجة يسببها شرب هذا النبيذ حتى لا ينتهى الأمر بزواج مختلط (بين يهودية وغير يهودى) (١٧) . ولم يقتصر الأمر على تحريم النبيذ الأغيار ، وانما امتد التحريم ليشمل النبيذ اليهودى الذى حمله غير اليهودى اذا لم تكن زجاجة النبيذ مغلقة وانواع الكحول الأخرى غير النبيذ حلال شربها (حتى لو كانت من صنع الأغيار) ، طالما شربها اليهودى فى بيته أو شربها عرضاً بين أغيار ، على الا يودى ذلك الى اثاره أو زواج مختلط (١٨) .

والطعام الذى طبخه الأغيار محرم اذا كانت محتوياته الأساسية لا تؤكل نيئة ، وكان من نوع الأطعمة التى تقدم على « مائدة الملك »

a king's table • وهذه الشروط تمكن اليهود التقليديين من تناول كثير من الأطعمة التي أعدها الأغنياء • وبعض الرابينين لا يحرمون الأطعمة التي طبخها الأغنياء. إن كانت من المعلبات وتم انتاجها بكميات كبيرة ، لأن استخدامها لن يؤدي الى تفاعل اجتماعي بين اليهود وغير اليهود • وإن كان هناك طبخ غير يهودي يعمل في بيت يهودي ، قام بعض أهل البيت بالمشاركة الرمزية في اعداد الطعام كاشعال الغاز أو تحريك القدر ، للتأكيد على أن الطعام المطبوخ ليس من اعداد هذا الطباخ غير اليهودي وحده •

وتحريم الحليب الذي يقدمه الأغنياء لا يقوم على أساس منع التفاعل الاجتماعي بين اليهود وغيرهم ، وإنما بسبب الرغبة في التأكد من أن هذا الحليب هو حليب محلل شرعي (كاشير Kasher) • ومن الناحية النظرية ، لا بد أن يكون اليهودي حاضرا عند حلب اللبن • وعند جماعات اليهود الأرثوذكس ، لا بد أن يكون انتاج الأغنياء للحليب تحت إشراف يهودي • وعلى أية حال ، فاليهود - أساسا - يعتمدون على الترتيبات الحكومية التي تقصر بيع اللبن على مصانع الانتاج التي لا تستخدم سوى لبن الأبقار ، وقد أقر هذا الاجراء واحد من الرابينين (الحاخامات) المهمين في أمريكا ، برغم أن اقراره هذا تعرض لبعض النقد (٢٠) • وجبن الأغنياء محرم أيضا لعدد من الأسباب وردت في التراث الحاخامي (الرابي) ، ولم يكن هناك اتفاق عام بين علماء الشريعة اللاحقين عن سبب هذا التحريم إذا كانت المواد التي صنع منها الجبن كلها حلال (كاشير) • وبرغم أن بعض المراجع الدينية في العصور الوسطى ذكرت أن هذا التحريم لم يمد قائما ، فإن غالب علماء الشريعة يصرون على أن جبن الأغنياء حرام حتى لو استعمل في صنعه أنفجة نباتية Vegetarian rennet ، ولا يمكن أن يكون حلالا (كاشير) إلا إذا أشرف على انتاجه يهودي •

الجماعة اليهودية

الجماعة اليهودية التقليدية تحتاج لعدد كبير من رجال الدين والمختصين بالطقوس لأداء المهام الشعائرية والطقسية للمجتمع •

والمجتمعات الأكبر عادة ما يقوم بهذه المهام فيها أكثر من شخص في كل مجال ، بينما تستعين المجتمعات الأصغر بأفراد من خارج المجتمع في المناسبات المختلفة أو تعين شخصا متعدد المهام يقال له كول - بو - نيك Kol-bo-nik ، ليقوم بعدد من الأدوار المختلفة ، وفي المجتمعات الحديثة - التي يعد المعبد فيها جزءا من مركز المجتمع ، نجد عددا من الاختصاصيين يقدمون برامج ، ويعملون في مجال الخدمة الاجتماعية ، وكقادة للشباب . . الشيخ . وأهم هؤلاء المسئولين الدينيين أو القائمين بانשמائر الطقسية والذين يطلق عليهم كيلاي كوديش Kelei Kodesh - وهذا المسمى الأخير ينطوى على انقاص من قدرهم على نحو ما - هم :

الرابي The Rabbi

الكلمة رابي تعنى معلمى My Master وكانت تطلق على حكماء اليهود في فلسطين في عصر التلمود ، وكان دوره الأساسى هو أنه معلم teacher . وهو شخص خبير بالتوراة ، وتم ترسيمه ليقضى في أمور الشريعة اليهودية ، برغم أنه يدبر أمور معيشتة بوسائل أخرى . واستمر هذا الوضع في العصور الوسطى ، فقد كان عدد من كبار الرابينين المشهورين أطباء أو تجارا حرموا على أنفسهم تقاضى أموال مقابل تعليم التوراة . وجرى تبرير دفع مبالغ نقدية للرابي ، بأن هذه المبالغ ليست مقابل ما يؤديه من عمل ديني ، وإنما هي تعويض له عن عمل آخر كان سيؤدي في فترة انشغاله بمهامه الرابية . أما الآن ، فالرابي عادة ما يتقاضى أجرا من الجماعة التي يقوم فيها بدور المعلم والواعظ وخبير الشريعة والقائم بطقوس الزواج والجنائز والراعى المستشار .

ولابد للرابي الأرثوذكسى الجديد أن يتلقى ترسيما من رابي آخر مرسوم بالفعل ، ويعرف هذا الترسيم باسم سميخاه Semikhaeh ولكي يصبح هذا الرابي الجديد أهلا للترسيم ، لابد من إتقانه أجزاء معينة من المدونة الشرعية شولحان عاروخ Shulchan Arukh ، التي تتناول الأحكام الشرعية المعقدة للطعام الحلال Kashrut ، وأن يكون

عارفاً بأحكام الشريعة في أمور الحياة اليومية وملتزماً بها . وبطبيعة الحال ، فإن هذا التدريب اللازم للحصول على الترسيم لا يؤهل - بالضرورة - الرابي في المعابد الحديثة لأداء عمله ، لذا فإن هناك برامج بحثية وتعليمية لاعداد الرابينين بين الحركات اليهودية الارثوذكسية الحديثة والتقدمية تشتمل على مناهج دراسية وبحثية اوسع .

وفي المجتمعات اليهودية الاكبر ، نجد محاكم شرعية (رابية) بت دين Bet Din - تعمل بدوام كامل او بعض الوقت . وتنظر هذه المحاكم في أمور الطلاق والتحول لليهودية وكذلك الأمور الشرعية الأخرى ، ان وجد رابينون اكفاء بين أفراد هذه المجتمعات . والاشراف على الذبح الحلال (الشعائري) وتحمل مسئولية الطعام الحلال بشكل عام Kashrut يمكن أيضاً أن تكون تحت اشراف بت دين Bet Din ، الذي تلقى أعضاؤه تدريبات ودراسات تقليدية أكثر من الرابينين المحدثين .

وبرغم أن الاسم العام للمستول الرسمي الرئيسي في المعبد هو رابي Rabbi ، فإنه ليس كل من يشغل هذا المنصب رابياً Rabbi تلقى ترسيماً رسمياً . ورابي معبد التجمع ليس كاهناً ، إذ يمكن أن يمارس معظم المهام في هذا المعبد يهودي متعلم ، سواء تلقى « ترسيماً » Semikhah أم لا . وفي بريطانيا ، كان القائد الروحي لليهود الذي لم يرسم يطلق على نفسه : الموقر Reverend بينما كان يطلق عليه في أمريكا الشمالية لقب « رابي Rabbi » تجاوزاً . واليهود السيفارد عادة ما يفضلون لقب حاخام Chakham على لقب « رابي » ، برغم أن بعض الدول الأوروبية جنحت لاستخدام اللقب الأشكيناзи ، أي رابي Rabbi . وليس من غير المألوف أن نجد أن القيادة الدينية اليهودية للشريعة - مع شهرتها العالمية - لا تتمثل في الحقيقة في أي منصب رسمي كمنصب الرابي . فالتقوى والعلم - وليس أي وضع رسمي - هما اللذان يحققان له الشهرة كحكيم يهودي ، بالإضافة لفتاويه في الأمور الشرعية ، التي تلقى قبولاً كفتاوى موثوق بها .

امام الصلاة والابتهالات Cantor

وفقا للشريعة اليهودية ، يمكن لاي يهودى (ذكر) ان يؤم المصلين فى الصلوات وأن يقرأ التوراة ويقوم بالشعائر الاخرى فى المعبد . والمعبد اليهودى مؤسسة علمانية (غير دينية) تماما ، وليس مطلوباً منه سوى ما يقدمه الكاهن Kohen من تبريكات لمرتديه . وفى الجماعات اليهودية الارثوذكسية فى الشتات ، يقدم الكاهن هذه التبريكات فى الاعياد الكبرى ، أما فى اسرائيل فيقدمها فى مناسبات اخرى كثيرة بالاضافة للاعياد الكبرى . وفى معابد اليهودية التقدمية Progressive ، لا يقدم التبريكات سوى الراى Rabbi وليس مجرد كاهن ، وبرغم انه من الممكن أن يقوم شخص من غير رجال الدين بالمهام الدينية فى المعبد ، فان معظم المعابد الكبرى تعين امام صلاة وابتهالات تلقى تدريبات خاصة ، ليكون متفرغا لامامة الصلاة وقيادة الابتهالات . . الخ ، ويعرف باسم شازان (حازان Chazan) وهو لقب كان يطلق على احد المسؤولين فى فترة التلمود كان يقود العبادات ويعود دوره الى زمن سابق على الفترة التلمودية . أما الامام المعاصر ، والاسلوب الموسيقى الذى يستخدمه الآن ، فقد بدأ فى الظهور فى القرن التاسع عشر مع الانعتاق (التحرر) اليهودى الاوروبى European Jews وقد سادت التقاليد الموسيقية الحاسيدية (الكاسيدية Chasidic) ، وكذلك الميلوديات اليهودية الشرقية والمؤلفات الموسيقية الحديثة فى اسرائيل على التأثيرات الموسيقية التى كانت سائدة فى وسط أوروبا .

والامام المثالى لابد أن يكون مبرا من الخطايا ، غير سيىء السمعة وان يكون متواضعا مقبولا من الجماعة . ولابد أن يكون صوته جميلا ، لكن الشريعة اليهودية تركز على تقواه وعلمه أكثر من تركيزها على صوته (٢٢) . وتتوقع الجماعة اليهودية من الامام أن يقوم بدور فعال متقنا لعمله مع ضرورة توافر التقوى فيه ، فالتقوى هى الخلفية الأساسية التى تجعل دوره مقبولا .

الجزار الشرعي (الشوحيط)

كان تعيين شوحيط - جزار شرعي - أمرا ضروريا للمجتمع اليهودي بسبب الالتزام بضرورة تناول طعام كوشر (حلال) . وفي المجتمعات اليهودية الصغيرة ، قد يجمع الشوحيط (الجزار الشرعي) بين عمله كجزار وأدائه لواجبات دينية أخرى : كقيامه بالتدريس والختان وإمامة الصلاة والابتهالات . ولأن المسئوليات المنوطة بالشوحيط تستدعي أن يكون شخصا موثوقا به تماما ، فلا بد أن يكون لديه شهادة تفيد كفاءته كذابح شرعي . وقد ثارت في الماضي خلافات عامة حول الجزارين الشرعيين (شوحيطيم) الذين كانت طريقة ذبحهم موضع شك ، وكان لابد للرابي أن يفحص الشوحيط وسكينه ، للتأكد من صلاحيتهما . وان وجد الرابي في الشوحيط أي نقص ، أعلن له أنه لا يصلح ذابحا شرعيا ، وبالتالي تصبح ذبائحه طعاما غير حلال . (كاشير Kashar) . ومن مهام الشوحيط ، أن يفحص الحيوان الذي ستذبحه ليكتشف أي مرض به يمكن أن يجعله محرما (طريف terefah) .

وبرغم أن اليهودية توافق على تناول اللحم الحلال (كاشير) باعتبار ذلك يتفق مع الشريعة اليهودية تماما ، فقد كان هناك غموض يحيط بدور الشوحيط وازهاقه حياة ، للحصول على الطعام . ونتج هذا عن حكاية تلمودية عن الرابي يهوذا الأمير الذي اعتراه حزن شديد لأنه قال لعجل احتسى بعباءته بينما كان يقاد للذبح : « اذهب فقد خلقت لهذا » . لقد عانى واعترفته الأحزان لأنه لم يشفق على هذا الحيوان ، ولم تفارقه المعاناة والأحزان إلا في وقت لاحق عندما أنقذ مجموعة فئران في جحرها كانت خادمته على وشك قتلها (٢٥) .

وظائف صفرى ذوات طابع ديني

بالإضافة للرابي والامام (شازان) والجزار الشرعي (الشوحيط) الشخصيات الاجتماعية الدينية الرئيسية ، هناك عدد آخر من الأدوار الأقل التي غالبا ما ترتبط معا بوظائف (مهام) ذوات طبيعة مختلفة .

فهناك الشماش Shamash الذى يعتنى بالمعبد ، وكان فى الأزمنة القديمة يدعو الناس لحضور الصلوات اليومية . وهناك مساعدة الامام (الحازان شينى Chazan Sheni) الذى غالبا ما يقرأ فى المعبد القسم المحدد قراءته من التوراة كل يوم ويؤم الصلوات خلال أيام الأسبوع . وهناك الموهيل mohel أو الخاتن ، وهناك الميلامد melamed الذى يقوم بالتدريس فى المدرسة الدينية الملحقة بالمعبد Cheder ، والناسخ Sofer الذى يكتب بخط يده لغائف التوراة أو يرمم اللغائف القديمة منها كما يكتب المزوزاه Mezuzah (قطع الرق التى تحوى آيات توراتية ، والتى يعلقها اليهود على أبواب بيوتهم) . كما يكتب وثائق الطلاق فى المحكمة الشرعية Bet Din .

القيادة العلمانية

ويدير المعبد نفسه موظفون منتخبون ، وهم مسئولون عن الأمور الادارية ومناصبهم شرفية . وفى المعابد اليهودية الأرثوذكسية ، يتم انتخاب مجلس الادارة ورئيس المعبد Rosh Ha-Kahel والامناء Gabbaim من بين الرجال فى الجماعة اليهودية . وتشكل النساء رابطة الأخوة النسائية التى جرت العادة أن تتولى أمانة الصندوق واعداد الطعام ، وغير ذلك من النشاطات الثانوية فى المعبد . وتلعب المرأة اليهودية فى الجماعات اليهودية التقدمية Progressive دورا أكثر فاعلية فى ادارة المعبد ، بل انها فى بعض الحالات تشغل منصب الراى بدوام كامل ، وكذلك تعمل كامام للتراثيل والصلوات . ويقوم منع المرأة من مواقع الادارة فى المعبد اليهودى الأرثوذكسى على أحكام الشريعة التى تجعلها فى درجة أدنى من الرجل ، فقد كان الملوك اليهود دوما رجالا لا نساء (٢٦) . والمعارضة الأرثوذكسية لدور النساء كرايات rabbis وائمة وصلت الى مدى أبعد ، وهى قائمة على افتراض اختلاف الأدوار الدينية للرجال عن الأدوار الدينية للنساء .

تنوع الجماعات اليهودية

يرتبط اليهود بسلسلة من المنظومات الدينية والشعائرية المتشابكة ، ويتركون فى فكريات تاريخية واحدة ، كما يربطهم وعى

متجذر عميق بهويتهم وذاتيتهم وتضامنهم . لكل هذا ، فالمجتمعات اليهودية كتل تتسم بالتعددية تختلف ليس فقط بين مجتمع (جماعة) يهودي وآخر ، بل ايضا بين جماعة فرعية وأخرى داخل الجماعة الواحدة . وثمة نكتة مشهورة تفيد أنك اذا جعلت اثنين من اليهود معا فستحصل منهما على ثلاثة آراء ، وحدثنا آخر عن اليهودي الذي جنحت سفينته عند جزيرة صحراوية فعندما أنقذ نفسه اتضح أنه بنى معبدين في الجزيرة ورغم أنه كان فيها وحيدا واعتبر نفسه منبوذا (مضطهدا) ، وقد شرح عمله الغريب قائلا : « لقد شيدت معبدين ، واحد لأصلي فيه ، والآخر لن أضع قدمي به » .

واحد التقسيمات التي طال أمدھا بين اليهود ، هو تقسيمهم الى اشكينازيم وصفارديم . والمصطلح « اشكينازي » بمعناه الضيق « ذو الأصول الألمانية » والمصطلح « صفاردي » الى حد ما « ذو الأصول الإسبانية » ، اعتمادا على الفهم الذي ساد في العصور الوسطى عن استخدام المصطلحين في سفر التكوين (٣/١٠) (*) وعوبديا (٢٠/١) (**) . ووفقا للفكر الشائع - وان كان هذا الفكر الشائع يبسط الأمور أكثر مما ينبغي - فان يهود وسط وشرق أوروبا اشكيناز كانوا قد هاجروا من ألمانيا ، واليهود من شمال أفريقيا والشرق الأوسط والشرق الأدنى صفارديم ، وكانوا قد قدموا من شبه جزيرة أيبيريا (اسبانيا والبرتغال) ، وعلى أية حال ، فبينما معظم اليهود الاشكيناز لديهم ثقافة مشتركة كانت في وقت من الأوقات قائمة على اللغة اليديشية Yiddish التي كانت لغة مشتركة بينهم ، فانه من غير الممكن جعل كل اليهود الآخرين تحت عباءة الصفارديم . فيهود ايطاليا واليمن وحوريا السوفيتية احتفظوا بتراث يهودي محدد خاص بهم ، ولا يمكن ببساطة أن نصنفهم مع الصفارديم . وهناك أيضا فوارق كبيرة بين كثير من الجماعات اليهودية الشرقية Oriental تشربت بعضا من ثقافة

(*) النص : « وينو جومر اشكيناز وريفاك وتوجرمة ... » (المترجم) .
 (**) النص : « وسبي اورشليم الذين هم صفارد يرثون مدن الجنوب ... » (المترجم) .

يهود ايبيريا الراقية جدا الذين هاجروا الى بلادهم ، وادمجوها بعاداتهم اليهودية ، وهناك أيضا اليهود الاسبان والبرتغاليون الذين هاجروا الى هولندا ودول شرق البحر المتوسط . وهؤلاء الآخرون احتفظوا باللادينو Ladinio ، وهى لهجة اسبانية ، كلغة يهودية لهم بعد طردهم من شبه جزيرة ايبيريا ، بالاضافة لاحتفاظهم بكثير من العناصر الثقافية اليهودية التى شاعت بين يهود اسبانيا .

وقد تطور كل من الاشكينازيم والصفارديم فى عزلة نسبية عن بعضهما فى العصور الوسطى : فالاشكينازيم عاشوا وسط الدول المسيحية ، والصفارديم عاشوا فى محيط اسلامى . وكان هناك بعض التأثير الفكرى المتبادل بالأعمال العلمية التى وجدت طريقها من ثقافة فرعية لآخري ، ولكن قنوات الاتصال هذه كانت تختلف من زمن الى زمن ومن مكان الى مكان اختلافا كبيرا . والخلافات الأساسية بين الاشكينازيم والصفارديم هى فى الاستخدامات الطقسية لكل منهما وفى المصطلحات والمفاهيم الشرعية ، وفى العادات وفى طرائق الدراسة وفى نطق اللغة العبرية وفى التراث الموسيقى وفى اتجاهاتهم نحو الأغيار (غير اليهود) المحيطين بهم ، وفى مدى تأثير أفكار القبالة وفى المعتقدات الخرافية التى تشربها الناس على المستوى الشعبى من وحي بيئاتهم ، لكن ليس هناك فروق لاهوتية كبرى بينهما تمثل حاجزا يعوق التزاوج بين اشكينازى و صفاردى ، أو يمنع أيا منهما من التردد على معبد الآخر أو يمنعه من المشاركة فى طقوسه . ومعظم اليهود الاشكيناز اليوم يأخذون بالتعاليم والثقافة الغربيين ، مما أوجد فجوة اجتماعية واقتصادية كبرى فى اسرائيل بينهم وبين رفاق دينهم من الصفارد الشرقيين ، فالاشكينازيم فى اسرائيل يمثلون مجموعة مميزة اجتماعيا ، بينما الصفارديم الذين تعتمد ثقافتهم على أنماط سابقة زمنا على الأنماط الاسلامية الحديثة (*) - يمثلون قطاعات غير مميزة فى المجتمع اليهودى .

(*) أى تعتمد على ممارسات يهودية مختلفة سابقة على الاسلام وموجودة فى صميم اليهودية أيضا . (المراجع) .

وعلى أية حال ، فلم يمض وقت طويل جدا حتى رأينا الصفارديم الذين سبق ان هاجروا الى بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية واستقروا فيها ، أصبحوا أكثر تطورا اجتماعيا من يهود شرق أوروبا الأشكينازيم الذين هاجروا بعدهم الى هذه الأنحاء . وحتى اليوم ، هناك على المستوى الاجتماعي وصمة عار تلحق باليهودي المنتمى لعائلة صفاردية عريقة ان تزوج من أشكينازية . وفي اسرائيل ، تأخذ وصمة العار اتجاها آخر فالكثير من اليهود ذوي الأصول الأشكينازية يرون أنه مما يخزيهم أن يتزوجوا من امر يهودية شرقية . وفي اللغة اليديشية عدد من المصطلحات ذات المعاني الازدرائية تطلق على اليهود الصفارديم ، وثمة أقوال شعبية تسخر منهم . واليهود الشرقيون في اسرائيل يشيرون الى رفاق دينهم من اليهود الأشكيناز بأنهم « فوز - فوزيم Vuzz-Vuzzim » ، وهو مصطلح يسخر من طريقة الأشكيناز في الحديث .

لقد وجدت الفروق كلها بين الأشكينازيم والصفارديم بدرجات كثرت أم قلت بين الجماعات اليهودية الفرعية المندرجة تحت هذين القسمين الكبيرين (أشكينازيم و صفارديم) ، فاليهود الأشكينازيون ينطقون لغتهم العبرية بطرائق مختلفة ، واليهود الألمان والمجريون واللتوانيون والروس والبولنديون يؤدون صلواتهم وابتهالاتهم بلهجات مختلفة ، كالاختلافات الموجودة بين الأشكينازيين والصفارديين أنفسهم . وعلى النحو نفسه ، هناك خلافاً في نطق العبرية بين اليهود الطليان واليهود اليمنيين وغيرهم من الصفارديين . وثمة طقوس وعادات في هذه المجموعات اليهودية الفرعية الكثيرة ، وكذلك تتباين الاتجاهات بينها فيما يتعلق بثقافة الأغيار والقبالة والخرافات الشعبية . وفي الجماعات اليهودية الأشكينازية والصفاردية ، نجد من ينظر باحتقار لعناصر داخل القسم الذي ينتمون هم أنفسهم اليه . فهناك منافسات مريرة وأحكام جائرة بين اليهود الألمان واليهود البولنديين ، وبين البولنديين والروس ، وبين المجريين والروس البولنديين وبين اليهود الرومانيين واليهود الآخرين في شرق أوروبا . وهناك كثير من الفكاهات العرقية (الاثنية)

تعكس الصفات السلبية : اذ يوصف اليهود الالمان بأنهم باردون غير واسعى الأفق ولا يفعلون أى شىء الا اذا ورد فى كتاب ، ويهود جنوب بولندا والمجر أغبياء أتقياء ، واليهود اللتوانيون علماء غير أتقياء واليهود الرومانيون لصوب متطرفون . وكثير من هذه الأحكام المسبقة - كالتى بين الاشكنازيين والصفارديين - ظلت محفورة بعمق فى وعى الاجيال اليهودية كبيرة السن . وعلى أية حال ، فان اتجاهات الآباء والأجداد بدت للأطفال اليهود - الى حد كبير - غير مرتبطة بحقائق الحياة اليهودية فى الغرب وفى اسرائيل . فالى حد كبير حطم الاضطهاد النازى وهجرة اليهود الواسعة خلال الأربعين سنة الأخيرة والوعى الوطنى اليهودى ، الحدود القديمة التى كانت توجد فارقا بين جماعة يهودية وأخرى .

اليهودية المعاصرة : اتجاهات وحركات

الاختلافات الدينية

الانقسام بين الأشكينايزم والصفارديم (*) . يرجع - فى الأساس - الى عوامل تاريخية وجغرافية ، انه نتيجة تطور منفصل وعزلة جماعة عن اخرى طوال قرون ، لكن الانفصال بين اليهودية الأرثوذكسية واليهودية التقدمية ذو طبيعة مختلفة ، فغالبا ما يمثل فروقا حقيقية فى النظرة والاتجاهات ، فحتى وقت قريب نسبيا كان الانفصال الأرثوذكسى - التقدمى لا يؤثر الا فى اليهود الأشكينايز وعدد قليل من اليهود الصفارديم الذين يعيشون فى أوروبا الغربية . ولم يؤثر هذا الانفصال فى المجتمعات اليهودية الصفارديمية الكبيرة التى تعيش فى وسط اسلامى . فلم يحدث أن تأثر هؤلاء اليهود الصفارديم بهذا الأمر الا بعد الخروج الجماعى لليهود من البلاد العربية والآسيوية بعد تأسيس دولة اسرائيل ، فمن وقتها ظهر بينهم صراع بين التقليدية والحداثة وبدأ الانفصال بين اليهودية التقليدية واليهودية الأرثوذكسية يؤثر فيهم . وعلى أية حال ، فلم تظهر بينهم - أى الصفارديم الذين عاشوا فى محيط اسلامى - حركة مهمة لاصلاح المفاهيم اليهودية وتحديثها ، ويعزى هذا الى حد كبير الى الوسط

(*) كتبناها بالصاد كما فى صدر عربدها / ٢٠٠ (المترجم) .

المختلف الذى اتوا منه ، حيث كانوا يعيشون فى عزلة ثقافية .
أما اليهود الأوروبيون ، فقد أدى تحررهم واتصالهم بالعالم المسيحى -
حيث كانت القيم المسيحية مازال فاعلة مؤثرة برغم حركة التنوير -
وكذلك اليهود فى اسرائيل الحديثة - (حيث لازال هذا التححرر
(الانعتاق) الجديد قائما) ، الى أن أصبحت الثقافة غير اليهودية السائدة
هى ثقافة العالم الغربى العلمانية التى أعقبت الثورة الصناعية .

اليهودية الإصلاحية

بدأت اليهودية الإصلاحية فى القرن الثامن عشر بمطالب المفكرين
اليهود الألمان بتغيير فى الشعائر والعقيدة اليهودية . وكان هؤلاء الدعاة
للتحديث لا يزالون يعتبرون أنفسهم فى حضي اليهودية التقليدية ودافعوا
عن بدعهم الجديدة ، على أساس أنها تجعل اليهود واليهودية عناصر
مقبولة فى مجتمع الأغيار . وعلى هذا ، حاول موسى مندلسون أن ينقى
لغة أبناء دينه بترجمة الكتاب المقدس اليهودى للألمانية ، وهو العمل
الذى بدأه فى سنة ١٧٨٠ . ورغب فى مراجعة البرامج التعليمية ،
ليتيح لليهود اتقانا أكثر للغة العبرية والكتاب المقدس اليهودى والقيم
الأخلاقية اليهودية . وأزاد أيضا أن يتاح التدوين الحرفى لشباب
اليهود ، وأن يتاح لهم أيضا خلفية موضوعية فى علوم كالرياضيات
والأدب . الى جانب الدراسات اليهودية التقليدية . وهذه العملية التى
جُمع بها - مندلسون - وتلاميذه أصبح لها زخمها الخاص الداخلى (بمعنى
أنها تفاعلت بعد ذلك تفاعلا ذاتيا) ، وبدأت المسيحية أقل تنافرا مع
اليهودية فى عيني اليهودى المنعق والمعلم ، ولأن فى المسيحية كثيرا مما
تتشارك فيه مع الموروث اليهودى (*) ، فقد كان انتقال اليهودى الى جرن
المسيحية baptismal font (أى تحوله للمسيحية) تطورا طبيعيا
فى رأى بعض اليهود . وآخرون ممن اعترضوا على من رفض تراثهم

(*) المشترك بين الاسلام من ناحية واليهودية والمسيحية من ناحية اخرى ، أكثر من
المشترك بين كل من المسيحية واليهودية . (راجع مقدمة الترجمة العربية) (المتوجم)

الدينى ، كانوا مع ذلك راغبين فى رؤية اعتناق اليهود الناجح ، وعملوا على احدث تغييرات فى التراث اليهودى لتأكيد هذا الاعتناق ، لقد كانوا راغبين ايضا فى ان يكونوا قادرين على الاستمرار مع اولئك الذين حققوا هذه العملية بالفعل ونعنى عملية التحديث الثقافى نتيجة الاحتكاك بثقافات اخرى ، ووجدوا انفسهم بالتالى غرباء عن معبد العالم القديم .
المقصود ابتمدوا عن التراث الدينى اليهودى التقليدى (*) .

والاصلاحات التى ادخلها اسرائيل جاكوبسون Israel Jacobson فى طرائق العبادة والطقوس الدينية بدأت منذ سنة ١٨١٠ ، وكانت تهدف الى دعم اعتناق اليهود الذين لم ينعقدوا بعد ، وتقديم تسهيلات لمن اعتنق منهم بالفعل . ومن الخطوات التى اتخذت فى هذا الاتجاه ، ادخال الترانيم الالمانية واستخدام الارغن والخورس المختلط وطقس التثبيت للأولاد . وبرغم ان جاكوبسون Jacobson سعى مكان العبادة الخاص الذى انشاه معبدا Temple ليميزه عن السيناغوج Synagogue التقليدى (**) (اى استخدم كلمة temple بدلا من Synagogue) ، فانه لم يعتبر نفسه منشئا لحركة دينية جديدة ، وانما اعتبر نفسه ملتزما باليهودية فى مرحلة ما قبل الاعتناق . وفى الوقت نفسه ، فقد كانت هناك اعادة تقييم عام لعناصر فى العقيدة اليهودية بلغت متعارضة مع اتجاهات اليهودى الالمانى المنتمج فى مجتمع الاغيار ، مثل افكار الامل فى العودة الى صهيون Zion واعادة بناء الهيكل فى القدس واعادة تأسيس نظام الاضاحى ، فهى جميعا قد تجاوزها الزمن بالنظر لما حققه اليهود من اعتناق (تحرر) .

وعلى اية حال ، فلم يكن لعملية اصلاح الطقوس واعادة تقويم القيم الدينية حدود طبيعية (تقف عندها) :

(*) ما بين القوسين عبارة شارحة من المترجم .

(**) لاحظ استخدام Temple بدلا من Synagogue . ولاحظ ايضا ان كلمة

Temple تطلق ايضا على هيكل القدس . (للترجم) .

نصدر كتاب جديد للصلوات والابتهالات لمعبد هامبورج Hamburg Temple في سنة ١٨١٩ ، وصدرت طبعة ثانية في سنة ١٨٤١ أحدثت خلافا - كانت تعكس بالفعل اعادة لتفسير فكرتي المسيح الآتي (المشياه / وهو غير المسيح عليه السلام الذي آمن المسلمون بسجيته ، وآلهه المسيحيون) (*) وفكرة صهيون . وفي المراحل المبكرة ، عمد مؤيدو الاصلاح الى الاستشهاد بسوابق من الشريعة ، الا ان دعواهم تلك لم تلق قبولا من معارضيهم الاكثر تمسكا بالتقاليد . ومع تطور المناخ الفكري الجديد كله ، ذلك المناخ الفكري الذي ارتبط بدراسة تاريخ اليهود وآدابهم القديمة ، عرفت الحركة باسم علم اليهودية Science of Judaism . وظهرت محاولات ندد الاصلاح الى مجالات اوسع في الحياة اليهودية وطقوسها . لقد أصبح لدى الاصلاحيين الآن منظور ايدولوجي عن البنية التطورية لمسيرة الدين اليهودي . وأصبح الخلاف بين التقليديين والاصلاحيين الآن ليس - ببساطة - مسألة مقاومة احداث تغيير في الشريعة يجعلها مقبولة (يجلها) ، وانما مقاومة تغيير اساسي في الاتجاهات يمس طبيعة التعاليم اليهودية ومصادقيتها . لقد ظهر مفكرون يهود راديكاليون في كل من أوروبا وأمريكا ، رغبوا في اعادة تشكيل اليهودية من جديد وحذف معظم الطقوس (الشعائر) المرتبطة بالغذاء والختان والسبت Shabbat والاعیاد . وكان تبريرهم لاتجاههم هذا هو أن اليهودية قد نمت خلال ثقافات مختلفة وامتصت في مسيرتها كثيراً من التأثيرات الخارجية ، وحتى تبقى اليهودية في العالم المعاصر لابد أن نخرج منها الصيغ والاشكال التي عفا عليها الزمن ونحل محلها صيغاً واشكالا جديدة .

واستمر الاختلاف بين الاصلاحيين المعتدلين مثل ابراهيم جيجر Abraham Geiger ، والاصلاحيين الراديكاليين مثل صاموئيل

(*) ما بين القوسين عبارة شارحة من المترجم .

مولدهيم Samuel Holdheim في نطاق اليهودية الاصلاحية حتى اليوم ، لقد كان هذا الخلاف سمة واضحة ليس فقط في القارة الأوروبية ، وانما ايضا في كل منطقة وصلتها الحركة الاصلاحية اليهودية ، ففي بريطانيا ، ظهر أول تجمع اصلاحى فى سنة ١٨٤٠ من مجموعة من تجار لندن الاثرياء الذين قطعت صلتهم تماماً بالمعابد الارثوذكسية . وكانت اتجاهاتهم الاصلاحية معتدلة ، ومنذ ذلك الوقت اصبح الاعتدال سمة من السمات الدائمة لليهودية الاصلاحية البريطانية . وهذا التجمع الذى كونه (معبد غرب لندن لليهود البريطانيين) قبل الكتاب المقدس اليهودى واقر بقديسيته ، لكنه اتخذ موقفاً رناناً من التراث الرابى (الحاخامى) . وعدلوا كتاب الصلوات والابتهالات الذى نشره ليكون على نسق كتاب الصلوات والابتهالات Shabbat الارثوذكسى مع تغييرات طفيفة فى الطقوس ، اما عن موقفهم اللاهوتى من اعادة الهيكل ومن المسيح (*) (المشياه) وعودة صهيون ، فلا تعكس تحذيرات بعض الاصلاحيين الالمان . ومع تأسيس اليهودية الليبرالية Liberal Judaism فى سنة ١٩٠٢ كان ظهور التطور التالى الاكثر راديكالية ، فقد وصلت هذه الحركة الأخيرة الى حد تغيير حفظ السبت Shabbat واحلال الاحد مكانه . وقبل كلود مونتفيور Claude Montefiore ، أحد قادة اليهودية الليبرالية المبكرة ، بفكرة ان تمسفار موسى الخمسة لا مكلة لها بموسى ، ورفض الصهيونية لأنها تنفى عالمية اليهودية ، وتعاطف مع تعاليم يسوع ومع المسيحية . وأدار ليليان مونتاج Lilian Montague — أحد معاوني مونتفيور فى تأسيس الحركة الليبرالية اليهودية ، والتي كانت معروفة وقتئذ باسم الاتحاد الدينى ايهودى Jewish Religious Union — أدار بنفسه الطقوس التعبدية — وكان هذا ظاهرة غير معروفة لمعبد غرب لندن الذى كان ينحو نحو أكثر ميلاً للاتجاه اليهودى التقليدى . وأنه

(*) الاتى وليس المسيح المعروف (المترجم)

لامر حقيقي ذلك الذي جرى في سنة ١٩٠٣ : فمنع طلب التجمع
الليبرالي الوليد استخدام معبد غرب لندن الآنف ذكره ، كان أحد الشروط
التي اشترطها مسئولو المعبد هو الفصل بين الجنسين أثناء
العبادات (١) .

وهذا الانقسام نفسه بين المعتدلين والراديكاليين حدث في الأيام
الأولى لليهودية الإصلاحية في الولايات المتحدة الأمريكية ، في النصف
الثاني من القرن التاسع عشر . فاسحق م . ويز Isaac M. -
زعيم المعتدلين وأحد مؤسسي المركز الإصلاحي لكلية الاتحاد العبري
Reform Seminary Hebrew Union College في Cincinnati -
كان هو مخطط منصة كليفلاند (بلاتفورم) Cleveland Platform .
حيث وضع أساس اليهودية الأمريكية الإصلاحية . وقد اعترف
البلاتفورم Platform بقسمة التوراة وصحة التراث الرابعي
(الحاخامي) ، برغم أن وجهات نظر ويز Wise الشخصية في هذه
الموضوعات كانت بعيدة عن وجهات النظر الأرثوذكسية ، لقد أراد ويز
Wise أن يتخذ موقفا وسطا واعتقد أن أية تغييرات يتم ادخالها في
طقوس العبادة اليهودية يجب أن تكون من النوع الهادف لتحسين شكل
اليهودية الأمريكية ، وجعلها كافية للنمو . ومن هنا ، فقد رفض الفصل
بين الجنسين في المعابد كما رفض أن تستمر الأعياد لأكثر من يوم ،
وفي سنة ١٨٧٣ رفض حتى ضرورة أن يغطي المصلون رؤوسهم أثناء
الصلوات والابتهاالات . وظهر اصلاحيون أكثر راديكالية كان على رأسهم
داود اينهورن David Einhorn - ومن بعده زوج ابنته
كوفمان كوهلر (كولر) Kaufman Kohler - الذي عارض اتجاهات
ويز Wise التجريبية النفعية وطالب بإصلاح أكثر استمرارية
وعمقا . وفي بلاتفورم بتسبرج Pittsburgh Platform سنة ١٨٨٥
الذي شارك كوهلر Kohler مشاركة فعالة في تكوينه ، كان من رأى
المجتمعون أن الكتاب المقدس اليهودي يحوى أفكارا عفا عليها الزمن ،
وهذا لا يمنع من أنه لا زال ذا قيمة كبرى كمصدر لليهودية . فالتعاليم

الأخلاقية اليهودية فقط ، يمكن ربطها بأية شعائر تظهر حياة اليهودي المعاصر . أما القيود المتعلقة بالطعام والتطلعات والوطنية للعودة لفلسطين وإما عقائده مثل البعث والثواب والعقاب بعد الموت - فقد رفضت جميعا . وفوق هذا ، فإن الجناح الأكثر راديكالية في اليهودية الإصلاحية هو الذي سيطر على اليهود الإصلاحيين الأمريكيين .

منذ الأيام الأولى للإصلاح ، زاد عدد المؤيدين للحركة خاصة في أمريكا الشمالية . فمنظمتها هناك - اتحاد التجمعات العبرية الأمريكية (*) - تضم حوالى ٨٠٠ معبد اليوم . وبرغم أنه لا تزال هناك خلافات بين المعتدلين والراديكاليين حول مكانة المعايير التقنيديّة في الحياة الإصلاحية اليهودية ، فهناك - بشكل عام - حركة للعودة للتراث في بعض الجماعات وميل قوى للاتفاق مع الصهيونية ودولة إسرائيل . والطقوس التي كان قد تم استبعادها أعيد إدخالها في عبادات بعض التجمعات الإصلاحية الراديكالية . والجماعات الإصلاحية المعتدلة تعيد الآن دراسة جوانب الممارسات الربانية (الحاخامية) ، التي سبق أن رفضتها في بدايات الحركة الإصلاحية . وقد انشغل الرابيون الإصلاحيون في الولايات المتحدة الأمريكية اليوم ، انشغالا خاصا بقضية قيامهم بطقوس الزواج المختلط بين اليهود والأغيار . فبينما المؤسسة الربانية الإصلاحية (المؤتمر المركزي للرايين الأمريكيين) تعارض قيام الرايين بطقوس هذا الزواج المختلط من حيث المبدأ ، فقد سمح للرايين الأفراد باتخاذ قراراتهم الخاصة بهذا الشأن وفقا لسياساتهم الخاصة . وهيئة نيويورك للرايين New York Bord of Rabbis والمشكلة من ارتوذكس ومحافظةين وإصلاحيين أصدرت قرارا في سنة ١٩٧٣ ، بمنح عضويتها لمن يعتمد هذه الزيجات المختلطة . وقد أدى هذا إلى استقالة عدد من الرايين الإصلاحيين من الهيئة .

Union of American Hebrew Congregations

(★)

(للترجم) .



وتعد اجراءات الطلاق التي يتخذها اليهود الاصلاحيون هي اخطر مشكلة طال الخلاف حولها بين اليهود الاصلاحيين ، واليهود الاكثر ميلا الى اليهودية التقليدية . فالمرأة المتزوجة التي لا تقوم باجراءات طلاق تقليدية تعتبر من وجهة نظر الشريعة اليهودية لاتزال متزوجة ، وای اطفال يولدون من زواج لاحق يعتبرون اولاد زنا (مامزيريم mamzerim) ، ولا يمكنهم ان يتزوجوا بحرية من ابناء (او بنات) دينهم . وما دام زواج الاصلاحيين لا يتم وفقا للشريعة اليهودية ، فقد زاد عدد المواليد في الجماعات الاصلاحية ممن يعتبرون اولاد زنا (مامزيريم) وهذه الوصمة ستنتقل بالتالي لانجالهم . وبمرور الوقت قد يقصر اليهود الارثوذكس الزواج في نطاق الارثوذكس ، وقد يفعل اليهود الاصلاحيون الشيء نفسه ، فتصبح كل جماعة مقتصرة في زواج افرادها على افراد من الجماعة نفسها ، طالما انه ليس في الامكان ازالة وصمة المامزيروت mamzerut (اولاد الزنا) عن مثل هذا العدد الكبير .

اليهودية المحافظة

التوتر نفسه الذي حدث بين التقليدية والحداثة والذي أدى الى ظهور اليهودية الاصلاحية في فترة ما بعد الانتماء اليهودي ، هو الذي أدى أيضا الى بدايات حركة اليهودية المحافظة . وكان أيديولوجيو هذه الحركة هم علماء اليهود الأوروبيين الذين طوروا ما يسمى المدرسة التاريخية في حصر تيار علم اليهودية Science of Judaism . لقد عارض زكريا فرانكل Zacharias Frankel - مؤسس المدرسة التاريخية - بشدة اصلاحات معاصريه مثل هولدهيم Holdheim وجيجر Geiger ، وانسحب من مؤتمر فرانكفورت الرابعي Frankfort Rabbinical Conference المنعقد في سنة ١٨٤٥ احتجاجا على موقفه . وكان يرى أن الاصلاحات المعتدلة ضرورية ، ولكنها لابد أن تعكس روح ماضي اليهودية ، لا أن تنتهك تلك الروح خضوعا للحداثة . وكون فرانكل Frankel جهازا مؤثرا للبحوث

التاريخية في التراث اليهودي ليبين كيف تطورت اليهودية مع الزمن .
وهذا يحدد بالتالي اتجاه ما يمكن احداثه من تطورات جديدة . وساعد
هل تأسيس المعهد الدينى اليهودى اللاهوتى فى بريسلاو Breslau .
وراسه، وكان هذا المعهد نموذجا للمؤسسات الدينية اليهودية المحافظة
اذ مزج بين المقررات الدراسية التقليدية والدراسات التاريخية . وكان
اتجاه المحافظين غير مقبول من اليهود الاصلاحيين ، لنفور المحافظين
(المدرسة التاريخية) من ابطال نظم العبادة « التى عفا عليها الزمن » ،
كما اعتبر الأرثوذكس اتجاههم التاريخى الثقلى رجسا (فيه تدنيس
للمقدسات) .

وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، دغب عدد من الرابيين
الأمريكيين الذين انطلقوا من بيئة أوروبية تقليدية فى تعديل الطقوس
(الليتورجية) والشعائر اليهودية لتكون متوائمة مع الحياة الأمريكية .
وكانوا منزعجين من رفاقهم فى الدين ، الاصلاحيين الراديكاليين ، برغم
انهم عملوا معهم لفترة فى محاولة لتوحيد الجماعة اليهودية فى أمريكا .
وكان المقدم بين هؤلاء اليهود المحافظين هو اسحق ليسر
Isaac Leeser ، الذى بدأ فى نشر صحيفة فى سنة ١٨٤٣ جل لها
عنوانا هو « الغرب Occident » ، لتكون أداة لخدمة تعديل
اليهودية مع المحافظة على المنحى التقليدى . لقد عمل ليسر Leeser
مع الرابيين المهاجرين الآخرين - مثل سباتوموريز Sabbato Morais
وماركوس جامسترو Marcus Jastrow واسكندر
كوهت Alexander Kohut - للمحافظة على استخدام اللغة العبرية
فى الطقوس الدينية (الليتورجية) واستمرار مراعاة حفظ السبت
ومراعاة قيود الطعام اليهودى الحلال (الكشروت) . واتخذوا أيضا
اتجاهات محافظة فيما يتعلق بالأمل فى عودة المسيح (المשיح) وهو غير
المسيح عليه السلام المعروف (وقضية الهوية الوطنية اليهودية
والصهيونية ، ما جعلهم فى خلاف مع الزعامات اليهودية الاصلاحية .

واسس موريز **Morale** المعهد الدينى اليهودى اللاهوتى فى نيويورك الذى بدأ فى تدريب الرابينين وفقا لتراث اليهودية التاريخية فى سنة ١٨٨٧ . وكان هذا المعهد يهدف فى الأساس لاستيعاب التجمعات الأرثوذكسية ليكونوا مؤيدين لاتجاهاته ، لكن الأرثوذكس وجسروا اتجاهاته الدينية مستعدين كثيرا . ولهذا ، اضطر المعهد أن يطور نفسه بشكل مستقل عن كل من الأرثوذكس والاصلاحيين . وفى سنة ١٩٠٢ ، تم استدعاء صليمان ششتر **Solomon Schechter** من انجلترا ليرأس المعهد ليوجه موقفه اللاهوتى المستقل . وكان ششتر - الذى تلقى تعليمه التلمودى فى شرق أوروبا وكان يقوم فى ذلك الوقت بتدريس التراث الرابى فى كمبردج - قد حقق بالفعل شهرة عالمية ، لاعادته ذخائر من المخطوطات القديمة كانت مخبأة فى مخزن بالقاهرة (١) (جنيزة **Cairo Genizah**) وكانت كفافة ششتر فى مجال اللاهوت وبراعته الادارية - أكثر من علمه - هما اللذين مكناه من تحويل الحركة الوليدة الى قوة كبرى بين اليهود الأمريكيين .

وفى سنة ١٩١٣ ، أسس ششتر معهد أمريكا الموحد على نسق المعهد الموحد فى لندن مع بعض المرونة ، وذلك بهدف توحيد كل تجمعات اليهود المحافظين فى أمريكا الشمالية . واليوم ، فان معهد أمريكا الموحد هو أكبر منظمة يهودية رسمية فى الولايات المتحدة الأمريكية ، فهو أكبر من منظمى اليهود الاصلاحيين واليهود الأرثوذكس ، ولا زال يزدهر بشكل أسرع من منظمات مناقسيه . وبينما كان معهد أمريكا الموحد مكونا من تجمعات تختلف اتجاهاتها اختلافا كبيرا ازاء الطقوس اليهودية ، فان المعهد الدينى كان دائما يمثل أكثر المواقف تقليدية فى نطاق الحركة الاصلاحية . وكان الطعم التقليدى للمعهد من صياغة ششتر نفسه ، الذى وجه أقوى نقد للكتاب المقدس اليهودى باعتباره معاديا للسامية أكثر من غيره (٢) **higher anti-Semitism** ، والسلى كان يسرى أن التغيير فى

(١) الجنيزة مخزن تحفظ به النصوص الدينية المقدسة التى اعتبرت او منعت من

الدأول . (المترجم) .



الكنيسة اليهودية لابد أن ينطلق من اجماع « اسرائيل الشاملة »
Catholic Israel ، . فكرة « اسرائيل الشاملة » - الكيان الحي
للإهود - تنطوي على يهوديتهم في الحياة والممارسة الفعلية . ورغم أن
شستر لم يعرفها بدقة ، فإنها استخدمت كخازوق Lynch-pin
إيديولوجي للاتجاهات المحافظة (٣) . وتورط شستر أيضا مع الصهيونية ،
برغم أنه كان يعتبرها في الأساس أحياء للوطنية الثقافية اليهودية
ورمانة لاستيعاب اليهود (في المجتمعات التي يعيشون فيها) ، أكثر من
اعتبارها حركة سياسية علمانية . وبشكل عام ، فقد كان يرى في
الحساسية الإصلاحية لبعض أخوانه في الدين عنصرا غريبا مقحما يطبق
الاتجاهات المسيحية على الأشكال اليهودية ذات الطبيعة الخاصة في
التمييز الديني .

واتبع تلاميذ شستر موقفه التقليدي ، ورغم أن البعض أيد الاتجاه
النقدي للكتاب المقدس اليهودي ، فإنهم كانوا متحفظين إزاء إدخال تغييرات
في الشريعة (الهالاخاه) ، إذا كان ذلك يؤدي إلى عداوة مع القيادات
الدينية الأرثوذكسية . فالمعابد المحافظة سمحت - بمرور الوقت - بجلوس
الرجال والنساء معا وسمحت بالنقل يوم السبت ، وأبطلت إجبار أخى
المتوفى من غير عقب على الزواج من أرملة أخيه (*) ، كما ألغت القيود
المفروضة على زواج الكهنة وبذلك منعت ضرورة استمرار استخدام النساء
لمياه من مصدر طبيعي للاستحمام الشعائري (الميكفاه mikveh) ،
وسمحوا بأداء الصلوات والابتهالات باللغة الانجليزية . هذه التغييرات
وكثير من التغييرات الأخرى المشابهة أعطت لليهودية المحافظة سمعتها
المميزة بوضوح عن الأرثوذكسية وجعلتها - إلى حد كبير - أفرادا من
أفرازة أمريكا الشمالية . وظلت - كحركة - متمسكة بمحاولة صياغة
عقيدة الوحي لتكون - بعد صياغتها الجديدة - أساسا من أسس اللاهوت

(*) أشار ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) لهذا في كتابه هداية الحيارى (القاهرة ،
المكتبة القبية) ص ٢٠٥ ، وأشار غيره أيضا ، لكننا نورد نص ابن قيم الجوزية لتوافره
بين أيدينا :



المحافظ . وظلت متمسكة باقترابها من التراث اليهودي . وبينما نجد معظم المفكرين المحافظين اليوم يرفضون فكرة أن أسفار موسى الخمسة موسى بها من الله إلى موسى ، فإنهم يرغبون في الاحتفاظ بمنصر مقدس وممتد في يهودية التوراة ويهودية ما بعد التوراة ، لكن ثبت أن تحديد هوية هذا المنصر المقدس والموثق في التراث مسألة خلافية بشكل فريد .

ومن فروع اليهودية الإصلاحية حركة إعادة البناء Reconstructionist التي أسسها مورديخاي قبلان (*) Mordecai Kaplan ، الذي كان في وقت من الأوقات ضمن هيئة تدريس المعهد اللاهوتي اليهودي Jewish Theological Seminary واعتبر « لاهوت » قبلان - غير المقبول من كثير من زملائه المحافظين -

.. ورد مقدم في التوراة : « إذا أقبل أخوان في موضع واحد ومات أحدهما ولم يحط ولدا فلا تحصر امرأة الميت إلى رجل أجنبي بل حوصا ينكحها ، وأول ولد يولدها ينسب إلى أخيه الدارج ، فإن أبى أن ينكحها خرجت متشكية إلى مديخة قومه قائلة قد أبى حصوي أن يستقي أسما لأخيه في بني إسرائيل ولم يرد نكاحي ، فيحضره ويكلفه أن يقف ويقول ما أردت نكاحها ، فتتناول المرأة ثعلها فتخرجه من رجله وتمسكه بيدها وتبصق في وجهه وتنادي عليه : كذا فليصنع بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه . ويدعى لها به بالخلوع النمل ، ويتبرز بنوه بهذا اللقب » .

وفي هذا كالتلجنة له ال نكاحها ، لأنه إذا علم أنه قد فرض على المرأة وعليه ذلك وربما أستحيا وأنجل من شبل ثعلها من رجله والبصق في وجهه وتبرزه باللقب المستكره الذي يبقى عليه وعمل أولاده عاره ولم يجد بدا من نكاحها فإن كان من الزمها والكراهة لها بحيث يرى أن هذا كله أسهل عليه من أن يبطل بها وهان عليه هذا كله في التخلص منها لم يكره على نكاحها ، هذا مقدم في التوراة . وتسا لهم من ذلك فرع مرتب عليه وهو : لن يكون مريدا للمرأة محبا لها وهي في غاية الكراهة له ، فأحدثوا لهذا الفرع حكما في غاية الظلم والنضجة فإذا جاءت إلى الحاكم اضطروه معها ولقنوها أن تقول : أن حصوي لا يقبل لأخيه أسما في بني إسرائيل ، ولم يرد نكاحي ، وهو عاشق لها ، فيلزمونها بالكذب طيه وأنها أرادت ما صنعت - لماذا قللت ذلك للزيم الحاكم أن يقوم ويقول : ما أردت نكاحها ، ونكاحها غاية سؤله وأمنيته ، فيأمرونه بالكذب عايبها ، فيخرج ثعلها من رجله ولا أنه لا ... هنا ولا ضرب بل يصق في وجهه وينادي عليه : هذا جزاء من لا يبني بيت أخيه » . (الترجيم) .

(*) بعض الكتب المنشورة في عمان تطلق على حركة قبلان هذه اسم اليهودية

التجديدية . (الترجيم) .

اليهودية كحضارة دينية متطورة ، تعد الطقوس فيها طرائق أو أساليب شعبية خارج وجودها الجمعي ، كما يعد « الله » فيها اختراعا اخترعته النمل البشرية يعكس العملية الكونية بغية الحصول على الخلاص . وتمثل حركة إعادة البناء التيار الرابع في الحياة اليهودية ، وضمت عددا قليلا - لكنه فعال - من بين المفكرين . وتدير الحركة مؤسساتها التعليمية الخاصة بها وتصدر منشوراتها ، ولها تأثيرها في الساحة اليهودية الأمريكية بالا يتناسب مع حجمها .

اليهودية الأرثوذكسية

الجماعات الفرعية التي يتكون منها اليهود الأرثوذكس اليوم تجعلهم كتلة متباينة الاتجاهات غير متجانسة العناصر . ومصطلح اليهود الأرثوذكس - الذي هو مجرد مظلة مفيدة يندرج تحتها اليهود التقليديون المنتمون للمعابد غير المرتبطة بالحركة المحافظة والحركة الإصلاحية - صاغه للمرة الأولى اليهود الإصلاحيون ليعنو به أولئك الذين يقاومون التغيير والتعديل في الحياة اليهودية التقليدية ، وكان هذا المصطلح ينطوي على شيء من الازدراء لمعارض التغيير هؤلاء . والحقيقة ، ان مصطلح الأرثوذكسية اليهودية اسم مفلوط أو مضلل فبينما معظم الجماعات اليهودية التقليدية يمكن وصفها بأنها Ortho-prax ، أي تمارس عمليا - ما يشترك معهم فيه آخرون - الالتزام بالمفاهيم الشرعية (الهالاخاوية) ، فانه لا يوجد هيكل عقدي يوحدهم (بمعنى أن الالتزام بالشرعية قد يجمعهم ، لكن ليس لهم فكر عقائدي أو لاهوتي موحد) .

وفي القرن التاسع عشر ، وجدنا أن اليهود الأوروبيين الذين لم يستجيبوا للانعتاق (التحرر) بتأييدهم لتغييرات راديكالية في العقائد والطقوس اليهودية ، اما أنهم استمروا - ببساطة - متمسكين بالرؤية التي سادت في القرن التاسع عشر للتقليدية اليهودية Jewish traditionalism ، أو حاولوا تشرب الحضارة وادخالها في البنية اليهودية . لقد كان الاختيار الأول الذي أدى الى مواقف

متحفظة متشددة في تحفظها كذلك التي اتخذها الراهب موسى مسوفر
البرسبورجى **Moses Sofer of Pressburg** ، الذى هاجم حتى
الاصلاحات المتدلة تحت شعار « التوراة تحرم البدع » ، او بتعبير آخر
كل ما هو جديد حرمة التوراة ، والكلمة العبرية الدالة على الجديد هي
حاداش **Chadash** ، وتستخدم فى التراث الراهب للإشارة الى
محصول الحبوب الجديد الذى يمنع - حقا - الاكل منه حتى تقدم عنه
الزكاة (*) **Omer** فى ثانى ايام الفصح . وعلى هذا ، فهذا الشعار
يعتبر حكما شرعيا مشهورا استخدمه الأرثوذكس المجريون متلاعبين
بالالفاظ ، لتلخيص اتجاههم امام الاصلاحيين . وقاد مسوفر **Sofer**
وتلاميذه فى امبراطورية النمسا والمجر هجوما مضادا على اى نوع من
الاصلاح ، واصر على أن القيم التقليدية فى القرن التاسع عشر يجب أن
تستمر بدون تغيير .

وثمة تعبير آخر عن هذه المحافظة الأرثوذكسية فى الاتجاه الذى
اتخذه الزعيم الدينى الحاسيدى الراهب شنور زلمان الليادى
Schneur Zalman of L'adi ، الذى أيد القيصر الروسى ضد
نابليون برغم سياسات القيصر المناهضة لليهود ، وبرغم أن سياسات
نابليون هي الأكثر تنورا ، لقد رأى الراهب شنور زلمان فى سياسة نابليون
الهادفة الى اسقاط جنران الجيتو **ghetto** وتحديث اليهود ، تهديدا
للطبيعة التقليدية للحياة اليهودية . وقد رفض الراهب موسى مسوفر
والراهب شنور زلمان كلية ، ثقافة أوروبا العلمانية وما نتج عنها من تأثير
على السلوك اليهودى وعلى الاتجاهات التى سادت بين اليهود .

وثمة استجابة مختلفة تماما للانتماء (التحرر) اليهودى هي
الأرثوذكسية الجديدة **Neo-Orthodoxy** ، التى أخذ بها الراهب
سامسون رافائيل هيرش Samson Raphael Hirsch فى

(*) زكاة الزروع ، وهو قدر من الثمر (او الحبوب عامة) يجرى عهده من
المحصول الجديد فى ثانى ايام عيد الفصح ، ولها معان اخرى . انظر معجم
للمصطلحات العبرية بآخر الكتاب . (المترجم) .



فراكتورت . فبينما نجده يؤكد ثبات المفاهيم الشرعية وعدم قابليتها للتغير إلا من خلال ديناميكية داخلية في المفاهيم الشرعية نفسها تنتهي الى تكييفها (مع المتطلبات الجديدة) ، فانه يقبل تماما قيم الثقافة الأوروبية . وبالنسبة له ، لم يكن التعليم المدني (غير الديني) والمشاركة الفعالة في الحياة العامة للمجتمع مجرد اذعان للزمن أو رضوخ له . ان هناك ضرورة - الصميم - لليهودية لان تستوعب ثقافة المجتمع الذي تعيش فيه ، وأن تصيغ الأفكار والقيم اليهودية بمصطلح هذه الثقافة التي تعيش بينها .

لقد كان شعار هيرش Hirsch هو « التوراة مع الطريق الأرضي » (*) Torah im derekh eretz وهو عبارة استعارها من التراث الرأبي تعني في الأساس أن التوراة يجب أن تكون مصحوبة بهام دينوية . وقد وسع هيرش معنى العبارة وفسرها بقوله ، ان التوراة - أي اليهودية - لابد أن تفسر كتفا بكتف مع ما هو موجود في المكان والعصر الذي يعيش فيه اليهود ، من ثقافة وعلم وعلاقات اجتماعية .

والحق ، ان هاتين الاستجابتين للحدثة من جانب التقليديين حددتا الطبيعة المزدوجة للأرثوذكسية حتى الوقت الحاضر . لقد رفضت قلة من اليهود الأرثوذكس - بمن في ذلك كثير من العلماء الرأبيين - ما حدث من تقدم في الثقافة الحديثة (لقد رفضوا حتى الأزياء الجديدة) كما رفضوا التعليم العلماني ، كما رفضوا المشاركة في الحياة الاجتماعية والفكرية لمجتمع الأغيار (غير اليهود) . وبرغم أنهم قبلوا التطورات التكنولوجية الخالصة ، كاستخدام الكهرباء والسيارات والطائرات والتليفونات والطب الحديث ، فانهم يفضلون العيش داخل جيتو ثقافي فرفضوه على أنفسهم . وأصبح اتصالهم بالعالم خارج الجيتو مقتصرًا على الحد الأدنى مما تفرضه الأسباب الاقتصادية ، وكثير ممن يسمون Ultra-Orthodox Jews ، يرفضون الأرثوذكس المخالون

(*) بصير آخر « التوراة والصل » . (المترجم) .

مشاهدة التلفزيون وقراءة الصحف اليومية . ومن الطبيعي ان يختلف مدى رفض ثقافة الالغيار اختلافا كبيرا بين هؤلاء اليهود ، لكن فى هذا النوع من المجتمعات المترابطة ترابطا محكما توجد شروط معينة لابد من توافرها للانتماء اليها .

وكثرة وجود الجماعات بين اليهودية الارثوذكسية - وقد يكون من الملائم ان نقول ان هذا مما يميز الارثوذكسية الحديثة - هى نتيجة مباشرة لاتجاه هيرش ، برغم ان معظم الارثوذكس قد لايقبلون موقف هيرش الايديولوجى . واليهود الارثوذكس المعاصرون يلبسون الملابس الأوروبية ويلتحقون بالجامعات الأوروبية ، ويقبلون القيم الثقافية الثانوية للمجتمع الذى يعيشون فيه . وبين أتباع هيرش نجد الرجال حليقين ويضعون الهيرستيل hairstyle الحديث على رؤوسهم . وغالب النساء فى مثل هذه الجماعات لا يستعملن الشعر المستعار (الشيتل Sheitel) ، وانما عليهن وضع القبعات على رؤوسهن عند حضور العبادة فى المعبد ، برغم ان أتباع هيرش يصرون على استخدامهن للشعر المستعار عند حضور العبادة .

وقد أسست الارثوذكسية الحديثة مؤسساتها التعليمية على مستوى المدارس الثانوية والكليات ، واشهر هذه الكليات هى كلية اليهود فى لندن ، وجامعة يشيفا فى نيويورك Yeshivah Univ. ، وجامعة بار الان Bar Ilan فى اسرائيل . وبرغم ان أيا من هذه المؤسسات التعليمية لم يتبن الاتجاه النقدى التاريخى لتعليم اليهودية ، فان مناهجها تظهر الاتجاه الحدائى مما يجعلها موضع شك من الارثوذكس المغالين . فبرغم ان الارثوذكسية الحديثة تلتزم بالشريعة (الهالاخاه) ، فانها تفسرها تفسيراً مرناً . فلا بد من النظر للتراث اليهودى من خلال عدسة ملونة بقيم الانسان المعاصر وافكاره ، برغم انه من غير المسموح به أن يكون هذا التراث اليهودى تابعا لهذه القيم أو عاملا ثانويا بالنسبة لها .

وعادة ما يعين المعبد الأرثوذكسي الحديث رابيا (*) rabbi سبق له أن تخرج في الجامعة ويلقى عظاته بالعامية . وبينما يعزل الجنسان أثناء العبادة ، فإن المرء الخاص بالنساء لا يحجب بستارة كما في معابد اليهود الأرثوذكس المتشددين Ultra-Orthodox . وتقوم النساء بدور فعال - لكنه ثانوي - في حياة المجتمع . وكثير من الأعضاء الفعّالين في المعابد اليهودية الأرثوذكسية يقومون بأدوارهم متراوحين بين الالتزام بالتراث والحداثة ، بصرف النظر عن الحدود الرسمية التي صاغتها مقولات الأرثوذكسية الحديثة . وقد لا تختلف مواقفهم من الطعام الحلال (كشروت terefaf) وحفظ السبت والقيود المفروضة على العلاقات الجنسية niddah - قد لا تختلف اختلافا جوهريا عن ممارسات اليهود المحافظين أو اليهود الإصلاحيين . وهم يعرفون أنفسهم بأنهم يهود أرثوذكس نسبة إلى المعبد والجماعة اللذين ينتميان إليهما ، أكثر من النسبة إلى عقيدة لاهوتية معينة أو ممارسات شعائرية خاصة .

وبينما لا يتعاون الزعماء الأرثوذكس المتشددون Ultra-Orthodox مع اليهودية التقدمية لأنهم لا يمتثلون بشكل من أشكال اليهودية يرونها مهملًا لأسس العقيدة اليهودية ، فإن الأرثوذكسية الحديثة منقسمة حول مدى جواز هذا التعاون . وأصر هيرش Hirsch نفسه على أن المجتمعات اليهودية الأرثوذكسية الحديثة Neo-orthodox يجب توظيفها بشكل مستقل تماما عن اليهودية الإصلاحية . وقد أدى هذا إلى انشقاق في صفوف اليهود الأرثوذكس الألمان في القرن التاسع عشر ، وهاجم سيليجمان بامبرجر R. Seligman Bamberger الرابي الأرثوذكس البارز اتجاه هيرش الانعزالي .

(*) سبق القول أن بعض الكتب تكتبها (ربي) وبعضها (ربابي) ، والصيغة التي نستخدمها هي الأدق . راجع مقدمة الترجمة العربية (المترجم)



واستمر التعاون المحدود بين الأرثوذكسية الحديثة ، واليهودية المحافظة واليهودية الإصلاحية مستمرا حتى اليوم بشكل أوضح ، في الوقت الذي يشترك فيه كل اليهود في ذكريات واحدة : معاداة السامية ، والحرقة (الهولوكوست) والحاجة العامة لدعم الصهيونية واسرائيل .

لنا ، فلم يعد من غير المألوف أن تجد زعماء يهودا من الأرثوذكسية الحديثة يصلون جنبا الى جنب مع شركائهم من اليهود التقدميين في قضايا مشتركة وعامة . وعلى أية حال ، فإن الأمور اذا وصلت لتطول الأمور الدينية استاء الرابيون الأرثوذكس ، ولم يدخلوا معهم في مغامرة مشتركة ، خوفا من أن يعتبر هذا اعترافا شرعيا بالحركة الإصلاحية ، ولم يؤد اتجاه بعض الإصلاحيين نحو إعادة تقويم موقفهم من الطقوس التقليدية الى راب الصدع بينهم وبين الأرثوذكسية الحديثة الا بقدر ضئيل . ان تاريخ الخلاف بينهما وشدة العداء متجذران بعمق ، والخلافات اللاهوتية والطقسية بين الفريقين كبيرة جدا بحيث يصعب تجاوز الحاجز بينهما .

اليهود والأغيار (غير اليهود)

تاريخ العلاقة بين الجماعات اليهودية التي تعيش كأقليات - غالباً ما تكون في محيط مسيحي أو اسلامي - والمجتمعات المضيفة ، ما هو الا تاريخ يظهر ما تعرض له اليهود من ازدراء واضطهاد . ولم يحدث الا أثناء قرون قليلة من بين آلاف السنين الماضية ، أن عاش اليهود في هدوء نسبي .

وبشكل عام ، فقد واجه اليهود من السوء في البلاد المسيحية ، أكثر مما واجهوه في البلاد الاسلامية . ففي البلاد الاسلامية كانوا أهل ذمة **protected people** (مشمولين بالحماية) مقابل دفعهم ضريبة خاصة (جزية) ، ولم يكن مسموحاً لهم ارتداء ملابس شبيهة بالملابس التي يرتديها المسلمون ، بالإضافة لفرض عدد من القيود عليهم . وقلما كان المسلمون يجبرونهم على التحول الى الاسلام ، برغم حدوث هذا في حالات قليلة كالتي حدثت في عهد الموحدين **Al-Mohades** المتعصبين



في اسبانيا في القرن الثاني عشر ، وكما حدث في شمال افريقيا ، وفي
ايران في ظل الحكام الشيعة المختلفين في فترات مختلفة .

لقد كان وضع اليهود في العالم المسيحي Christendom
غير آمن بدرجة كبيرة ، لتعرضهم لعداء شديد كثيرا ما كان يشتد اواره
بسبب مزاعم مسئولية اليهود الجماعية عن موت المسيح (*) . وفي
ازمنة مختلفة طرد اليهود من الدول الأوروبية ، وحظر عليهم قبول تحول
المسيحيين لليهودية ، وحدد نشاطهم الاقتصادي ليقتصر على مجال
او مجالين - خاصة الربا (**) . لقد كانوا عرضة للمذابح التي قتل فيها
من لا يحصى عدده من اليهود وصلبوا ونهبوا وصودرت ممتلكاتهم
او دمرت . وكان عليهم أن يدافعوا عن مقولات دينهم ضد دعاوى
المسيحية ، بالدخول في مجادلات لم يستطيعوا أبدا أن يخرجوا منها
رابحين . وجرى احراق التلمود ، وان سمح بنشره أخضع لرقابة
السلطات الدينية المسيحية التي كانت تعتبره معاديا للمسيحية .
لقد عاش اليهود وهم على وعى بأنهم شعب يتبذاه المسيحيون ويعتبرونه
ملمونا من الرب محتقرا من البشر ، واذا لم يجبروا - وكان هذا يحدث
كثيرا - على التعميد (التوجه الى جرن المعمودية) ، فقد كان المسيحيون
يعاملونهم معاملة سيئة ليكونوا عبرة لكل معارض للنسبيج .

(*) ليست مزاعم فيما يرى المسيحيون فالانجيل الأربعة تؤكد ذلك ، أما الرأي
العام بين المسلمين فهو أن المسيح رفق للنساء حية (المترجم) .

(***) التعامل بالربا خاصة مع الأغنياء لم يفرغه احد على اليهود - راجع مقدمة
الترجمة العربية (المترجم) .

ان ذكريات ما حدث كما ورد في الكتب اليهودية ، والاشعار الدينية الطقسية (الليتورجية) والطفوس (الشعائر) التي تحيي ذكرى ما مضى ، تمكس الجوانب السلبية للعلاقات اليهودية المسيحية . وكان لهذا اثره في نظرة اليهود — خاصة اليهود الاشكيناز(*) — للأغيار the goi . كان القائمون على اضطهاد اليهود والخط من شأنهم ينظر اليهم كممثلين للعالم المسيحي : الاساقفة والصليبيون(**) والكهنة المحليون الذين كانوا يحرضون جماهير الفصح ، ومحاكم التفتيش ، والمسيحيون الأتقياء البسطاء واللوردات والبارونات ممن يترددون على الكنائس او حتى في ايام وكيل المسيح نفسه Vicar of Christ . والدين المسيحي بكناثسه ورمزه الاساسي — الصليب — وايقوناته ، بل واسم المسيح نفسه ، قد ارتبط في الوعي اليهودي بالقسوة وعدم الانسانية . لقد ادى ما عاناه اليهود من عناء على يد المسيحيين الى تعمق شعور اليهود بأن اليهودية ارقى من مسيحية ، انجيل الحب ، رقايا بغير حدود ، فاليهود يرون الانجيل خاليا من القيم الانسانية الاساسية . ورغب اليهودي في التركيز على نفسه ، يحفره على هذا اعتقاده انه خادم كتب عليه العناء Suffering Servant يكفر بعنائه آثام العالم . لقد عاش في ظلمات المنفى لكنه يتطلع لفجر العصر الذي ياتي فيه المسيح (اليوم الميثاني(***) messianic day) حيث ينزاح الكابوس ، ويصبح العالم ملكه .

(*) اليهود من اصول المانية وشرق اوروبية — (المترجم) .

(**) الثابت تاريخيا أن الجيوش الصليبية كانت تقتل اليهود . وهي — أي الجيوش في طريقها للشمام ، كما قاتلت اليهود والمسلمين على سرده في فلسطين . (المترجم) .

(***) غير المسيح (عليه السلام) الذي لا يعترفون به . (المترجم) .



الدين المسيحي

المسيحية ، بمقيدتها في التثليث والتجسد واستخدام تماثيل المسيح المصلوب وريم (العذراء) (*) وتقديس القديسين — تعتبر فيما يرى مفكرون يهود كثيرون ديانة وثنية (**) ، وهي تهمة لا يمكن توجيهها للإسلام . ومن هنا ، وجدنا موسى بن ميمون الذي عاش في بلاد اسلامية ولم يخضع لضغوط السلطات الكنسية يذكر مقررًا بشكل مطلق :

• اعلم ان الامة المسيحية التي ضلت بعد يسوع ، برغم تعدد مذاهبها ، هي في مجملها وثنية . . انه من المناسب ان نتعامل مع المسيحيين كما نتعامل مع الوثنيين ، (١) .

وعلى النقيض من هذا ، فان علماء الشريعة اليهود في العصور الوسطى ممن عاشوا في بلاد مسيحية كانوا يميلون الى ايجاد اساس شرعي (هالاخوى) لمعاملة المسيحية باعتبارها دينًا مختلفًا عن الوثنية شيئًا ما . وما دامت هناك اسباب اقتصادية تشكل ضغوطًا على اليهود ، فقد كان لابد من ذلك ليتكمنوا من الدخول في علاقات عمل معهم (اى مع المسيحيين) . هذا هو التفسير العمل الى حد كبير ، خاصة حيث تمنع الشريعة اليهودية التعامل مع الوثنيين .

(*) ما بين القوسين توضيح من المترجم لكن اليهود طبعًا لا يؤمنون بعذريتها
ورأيهم فيها معروف . (المترجم) .

(***) لا يعتبر الاسلام المسيحية ديانة وثنية ، وانما من الديانات المساوية التي لها كتاب . (المترجم) .

وبرغم ان اعادة تفسير الشريعة على هذا النحو سمحت لليهود باقامة علاقات تجارية اساسية مع المسيحيين ، فان عددا قليلا من الرايين قد ذهبوا الى حد استبعاد المسيحيين تماما من بين الوثنيين الذين ذكر التلمود منهم امورا سلبية .

والوثني « الغريب او الذى هو من الاعيار nochri or goi » لا يعتبر فى المستوى الثقافى الاجتماعى او المستوى الخلقى مماثلا لليهودى ، وانما يفهم أنه موجود على نحو ما يكون الوجود الحيوانى (٢) Animal-like existence . فبينما تتطلب المعاملات بين اليهود بعضهم وبعض التزاما اخلاقيا عاليا ومسلكا يراعى فيه الدين ، فان هذا غير ضرورى عند تعامل اليهود مع الوثنيين (*) . فافضل ما يقدمه اليهودى فى تعامله مع الوثنيين يجب الا يزيد عن عدم اثاره النزاع او العداوة (**) .

وكان مناحم ميرى البروفنسى Menachem Meiri of Provence (١٢٣٩ - ١٣١٦) من بين علماء الشريعة القلائل الذين استثنوا المسيحيين من قطاع الوثنيين . لقد قدم حججا مفادها ان المسيحيين متحضرون ويخافون الله ، ولا يمكن مقارنتهم بالوثنيين سيثى الاخلاق فى المصور التلمودية (٣) . وهناك رايون آخرون اکتفوا بابداء ملاحظة عابرة فى مقدمات كتبهم او عندما يرد موضوع العلاقة بين اليهود

(*) المقصود غير اليهود . (الترجم)

(**) راجع مقدمة الترجمة العربية . (المترجم)

والوثنيين لأول مرة ، اذ ينكرون ان ما يكتبونه ينطبق على الاغبيار
(غير اليهود) المعاصرين . وقد يكون هذا هو اعتقادهم فعلا ، لكن
غالباً ما يفهم القارئ اليهودي هذا على انه محاولة لتوقي اعتراض الرقيب
او لتجنب اثارة عداوة المسيحيين .

اليهودى وأرواح الاغبيار

كان علماء اللاهوت اليهود فى المصور الوسطى اكثر اهتماما
بمحاولة اظهار صدق تعاليم اليهودية امام المسيحية والاسلام ، من خلال
شرح الوضع النسبى لكل من اليهودى وغير اليهودى .

وعلى اية حال ، فلاستثناء المهم من هؤلاء هو يهوذا هاليفى
Judah Halevi البنى قدم الحجج فى كتابه « كوزارى
Kuzari » ، لاثبات ان شعب اسرائيل يختلف تماما فى تكوينه الروحى
عن الشعوب الاخرى . فكل يهودى هو وارث للطاقة النبوية (طاقة
النبوة) ، التى تمكن وحدها الانسان من معرفة « نفس » الله « و ارادته » ،
حتى التحول لليهودية لا يكون لديه هذه الطاقة عند تحوله لليهودية ،
اذ تنقصه « الجينات الروحانية » Spiritual genes التى لدى من
يولد يهوديا ، ان جاز لنا استخدام هذا التعبير الحديث .

لقد وجدت الكراهية التلمودية للاغبيار Gol وفى اقوى اشكالها
فى التراث الصوفى الوسيط وما بعد الوسيط ، خاصة فى الزمر
Zohar والقبالة اللوربانية Lurianic ، فليس فيهما - على
عكس ما فى التلمود - الكثير جدا من مسألة ممارسات الاغبيار التى هى
محل خلاف او منار نقاش ، وانما فيهما ما يؤكد الاختلاف التام فى الجوهر
بين اليهودى وغير اليهودى . وبينما يبدو التلمود يحط من شأن الحياة
الروحانية والخلقة لدى اليهودى Gol ، هل اساس نقص قيمه الخلقية



وعدم رغبته في تجاوز الماديات ، وجهله بما هو مقس ، فان القبالة ترى الفرق بينهما من نوع واحد (*) .

فغير اليهودي Goy ينتمى للعالم الفرعى للشيطان ذلك العالم الفرعى الموجود في فكر القبالة . فروحه أدنى درجة من روح اليهودي الذي يمتلك - على الأقل - امكانيات الوصول للبعد المقس (الالهى) ، والقبالة تستند في هذا الى سابقة (شاهد) تلمودية تحكى ان حواء قد لفتها افعى شيطانية ومن ثم فقد تلوثت بنورها ، وظل الامر كذلك حتى ازاح العجل السينوى (تجل الله لموسى في سيناء) هذا التلوث (النجاسة) عن اسرائيل (٤) . فالصوفية يقدّمون بهذا رؤيتهم الخاصة عن عقيدة الخطيئة الاولى (الخطيئة الاصلية 'Original Sin') . فغير اليهودي Goy كان ابنا نجسا (ملوثا) نتيجة اتصال جنسى بين امرأة وافعى هي رمز للقوى الشيطانية ، وما دام غير اليهودي Goy لم يمر بتجربة التطهير من خلال وحى الله بالتوراة ، فانه يظل نصف انسان ونصف شيطان .

هذه الفكرة - حتى لو كانت من خلال رمزية القبالة الفاتنة - يبدو انها تقيم حاجزا لا يمكن اختراقه بين اليهود وغيرهم ، وتسبب مشكلة عويصة للمتحولين لليهودية . وتعترف الشريعة اليهودية بالمتحولين لليهودية كيهود كاملين ، لكن كيف يمكن لنحولهم ان يحلث تغييرا جوهريا في ارواحهم (ارواح الغيار) ؟ والزهر Zohar نفسه يحل المشكلة بالنظر للمتحول لليهودية على ان روحا جديدة اعداها له الله ، وان كانت روحا أدنى من روح اليهودي (٥) (الاصل) . وهناك قباليون آخرون يرون في المتحول لليهودية شخصا لديه روح يهودية كانت في زمن سابق قد ضللت طريقها بين الغيار ، فعل سبيل المثال يكون قد اجبر اجداده على قبول التعميد . فالنحول لليهودية كان في الحقيقة عودة يهودى الى

(*) اى ليست في حاجة لذكر اسبابها لانها موجودة في الجرم او التكوين الاساسي . (المترجم)

حظيرة الايمان ، عودة يهودى كانت الشرارة اليهودية مختبئة فى طياته
فاعادته لحضن اليهودية .

وربما كانت اوضح صياغة عن الفاصل بين اليهود والأغيار هى تلك
التي نجدها فى كتابات المعلم الحاسيدي (*) Chasidic فى القرن
الثامن عشر ، الرابى شنور زلمان الليادى R. Schneur Zalman of Ljadi ، فهو يرى ان لكل يهودى روحين ، روح حيوان ،
وروحا قدسية . فالروح الحيوانية تنبثق من اعل ما فى وسع الشيطان ،
انها مصدر الشر لكنها أيضا ذات طبيعة خيرة ففيها الرحمة او النزعة
لعمل الخير ، مادامت جذورها هى « محارة النور Shell of Light » ، -
اقرب نقطة فى التكوين الشيطاني لجانب القداسة holiness -
اما الروح القدسية ، فجذورها تمتد فى الله ، أو أنها - بمعنى من
المعنى - جزء من الله ، أما غير اليهودى ، فلا تنقصه الروح القدسية
فقط ، بل ان روحه الحيوانية تنبثق من مستويات شيطانية ادنى من
مستوى الروح الحيوانية عند اليهودى .

الاتجاهات اليهودية نحو الأغيار فى هذه الأيام

عنة عناصر أثرت فى وعى اليهودى بنفسه وتفسير وضعه فى
العالم : كثرة ما لحق به من اضطهاد ، وأفكاره التي استقاها من عقيدته
عن الأغيار ، ودور اليهودى الخاص فى شهود تورا الله ، وكونه - أى
اليهودى - سيكون هو الأداة المستخمة فى الخلاص عند نزول المسيح
(فى العصر المשיاني أو المسيحى) (**) . وترى اليهودية التقليدية التاريخ
البشرى ونشاطات الأغيار ، باعتبارها عوامل مساعدة (تحقق الهدف
اليهودى) (***) . فما دام هدف الحياة هو عبادة الله (فما خلق الله

(*) حاسيدوت . (المترجم) .

(**) الذى لم يأت بعد . (المترجم) .

(***) ما بين القوسين توضيح من المترجم .

الناس الا ليعبده) . وما دام هذا الهدف قد تحقق في الأساس -
ان لم يكن كلية - على يد اليهود من خلال رعايتهم للتوراة والوصايا
mitzvot . فان كل الخلق ليس الا عاملا مساعدا لتحقيق مثل
الحياة اليهودية .

وقد وردت هذه الفكرة بالفعل في التعاليم التلمودية : فعند الخلق
اشترط الله على السماوات والارض انه اذا قبل اسرائيل التوراة في
سيناء فسيكون الامر طيبا وصالحا ، وان رفضها بنو اسرائيل فسيعيد الله
الطبيعة كلها الى حالة الهيولى الاولى (اللا تكون) (٧) . وقد صيغ ذلك
في تعبير حديث يعزى الى الراي اسرائيل مير كاجان
Israel Meir Kagan ، الحكيم اليهودي البارز الذي عاش في
القرن العشرين . يقول في حكايته الرمزية :

« ان المسافر الذي لم يسبق له ركوب قطار ، ينشغل قبل ان ينطلق
في رحلة يستخدم فيها القطار باكتشاف كيف يتحرك القطار ، فيتجول
في عربات الدرجة الاولى حيث الاثرياء الذين يتمتعون بالراحة اثناء السفر ،
فيسألهم عما اذا كانوا هم الذين يقودون القطار فتكون اجابتهم بالنفي
فيتجه الى عربات الدرجة الثانية ويوجه الاسئلة نفسها ، وهكذا حتى
يصل اخيرا الى سائق القاطرة فيجده ملطخا بالسخام بسبب الفهم الذي
يجرّفه في الفلاية ، وهنا فقط يجد الاجابة المؤكدة عن سؤاله » .

وهذه الحكاية الرمزية تشير بوضوح الى كيفية تسيير الكون ، ان
اثرياء الانبياء (لغير اليهود) ومتقفيهم الذين يتحكمون في العالم ، ليسوا

هم الذين يسيرون بجردهم لن الحكم العلماني في ايديهم ، وانا الذي
يسيره هم بنو اسرائيل المنبوذون المرفوضون فعبادتهم لله هي حق التي
تحسن استمرار العالم .

ان التقاضي بين اليهود والأغيار ، وقيم اليهود الخاصة المختلفة
المعلقة بالاقتصاد للقدس - تلك الأيديولوجية الراسخة عميقة الجذور -
قد وجد تعبيراً في كثير من المصطلحات التي يستخدمها اليهود بينهم وبين
أنفسهم ليشيروا بها إلى الأغيار . وحرف النظر عن المصطلحات المحايدة
(أي التي لا تكلّف على أزدراء أو غيره) مثل مصطلح *Goi* ، فالكثير
لمصطلحات انتشرت في اللغة اليديشية للإشارة للأغيار هي شكس

Shekatz (غالباً ما تنطق شـكـتس *Sheiget*)
أو *Shaiget*) للذكر ، وشـيـكـاش *Shikash* للأنثى ، وإذا
وصف يهودي يهودياً آخر بهذه الكلمة فمعنى هذا أنه يسبه . وغالباً
ما يشير اليهود الأرثوذكس المتشددون *Ultra-Orthodox* .
للإهود العلمانيين أو الحداثيين بالكلمة شـيـكـاتزيم *Shekatzim* ،
باعتبار أنهم مجرّوا كل ما هو مقدس بتقليدهم للأغيار .

ومع اعتناق اليهودي في القرن التاسع عشر ، وظهور التطورات
الإصلاحية في اليهودية - ظهرت سلسلة كاملة من الاتجاهات المختلفة
لزاء الأغيار . فالأرثوذكس الأكثر اتساعاً نحو التقليدية - الذين احتفظوا
بمسافة اجتماعية وثقافية بينهم وبين عالم الأغيار - لا زالوا يتمسكون
بالاتصال بين اليهود والأغيار كما كان قبل ظهور القيم الجديدة . فعالم
الأغيار له كينونة مجهولة لا يراه اليهودي إلا من خلال منظومة من
الاتجاهات السلبية نحو الوثنيين (بمن فيهم المسيحيون) ، ظهرت
في الأدب اليهودي . ويخشى أن يكون هذا الاتجاه نذيراً لحركة عنيفة
معادية للسامية ووقوداً لمعاداة العقائد اليهودية والاتحلال الأخلاقي
الجنسي - إن لم يكن ذلك قد وجدناه -

واليهود الحدائيون - سواء اكانوا ارثوذكس ام تقديمين - ممن كانوا على صلة مستمرة بثقافة الاعيار ، وكانت تربطهم بهم علاقات اجتماعية - يصلون الى المجال الجوانب شديدة التطرف في تراثهم الديني ، فيما يتعلق بمسألة الاعيار . واقصى ما يمكن ان يصلوا اليه في موقفهم الايديولوجي في هذه المسألة هو اخذهم بالعناصر الاكثر ميلا الى خلاص كل البشر في النهاية والموجودة ايضا في التراث اليهودي ، تلك العناصر التي تشير الى الفروق بين اليهود والاعيار كفروق في الثقافة والدين ، اكثر من اشارتها الى وجود اختلاف في جوهر ، روح ، كل منهما . وعلى أية حال ، فهناك عاملان اثرا في وعي اليهودي المعاصر بعمق وعلا على بقاء النموذج الكلاسي الذي ذكرناه آنفا . العامل الاول هو ذكرى المحرقة (الهولوكوست) التي عمقت - بشدة - الشك في الاعيار ومدى قدرتهم على نبذ معاداة السامية من ثقافتهم ، والعامل الثاني هو ظهور دولة اسرائيل والقومية اليهودية الجديدة .

ومعظم الاجيال الاكبر سنا من بين اليهود المعاصرين عاشوا بين الاعيار في أوروبا قبل المحرقة (الهولوكوست) ، ويحسون تماما - وهم في بلادهم (*) - بمثل هذا الوسط الذي سبق ان عاشوا فيه . لقد أغلق اليهود - بقلعة - باب الشعور بالانتماء مع البشر ومشاركتهم في الانسانية ، بسبب ما حدث لهم نتيجة معاداة السامية في ألمانيا وأوروبا ، فقد أعاد هذا الى اذهان اليهود الفروق القديمة بين الاعيار واليهود بشكلها الحاد وكمقيدة راسخة مرة أخرى . وغالبا ما يعبر اليهود عن هذه العقيدة بقولهم ، بل ان الحلفاء كانوا قاترين ازاء معاملة هتلر لليهود ، ولولا سياسته التوسعية لما رفعت الهراوة من فوق رأس اليهود . ان فشل الحلفاء في بدء غارة جوية ضد معسكر الموت في أوشفيتز **Auschwitz death-Camp** ، قد اعتبر دليلا على ان الحلفاء كان ينقصهم الاهتمام بأمر اليهود .

(*) يقصد بلاد فلسطين - (المترجم)

والدعم الذى تلقاه اسرائيل والصهيونية - بشكل أو آخر - من يهود الشتات (الدياسبورا) ، لازال مرتبطا عند معظمهم بالرغبة فى بقاء الهوية اليهودية . وما يبدو من اختلاف فى مواقف الأغيار الغربيين (الأوروبيين والأمريكيين) من كفاح الكيان الاسرائيلى من أجل البقاء ، وموقفهم المنطوى على معاداة الطموحات الصهيونية - يبدو أنه يعكس موقفا اعتاده اليهود تماما - عالم غير مهتم ينظر بعينى أعشى لمآلئة اليهود . فالدول الأخرى لها حق تلقائى فى الوجود ، لكن على الشعب اليهودى أن يعمل باستمرار على تبرير وجوده أمام الحضارة الغربية التى تنكر عليه باستمرار هذا الحق فى الوجود . وما يعد دلالة على هذا الاتجاه للحضارة الغربية حقيقة ، أن الفاتيكان رفض أن يعترف بإسرائيل لأكثر من ثلاثين عاما بعد قيامها . وعلى هذا ، فمعاداة الصهيونية هى ببساطة - وفقا لشعور اليهودى - الشكل الأخير لمعاداة السامية (*) .

وربما كان كل هذا - بشكله المتطرف - تعبيرا عن جنون العظمة الذى يتسم به اليهود على نحو خاص ، لكن حساسية اليهود فى هذه الأمور تمكس اتجاهاتهم نحو الأغيار . فالشك فى هؤلاء الأغيار Got - يمتد ليتناول كثيرا من حركات الاضطهاد التى تعرض لها اليهود فى الماضى . وما حدث من تغير فى هذه الفكرة فى الوقت الحاضر ، لايمتدى التركيز على وعى اليهود بنواتهم (بتفردهم) ، ذلك الوعى الذى أخذ بعدا لاهوتيا بأنهم « شعب يعيش وحيدا » (**)

a people which dwells alone

(*) المؤلف يتحدث هنا من آراء اليهود ومشاعرهم ، الأمر الذى يهينا معرفته ، لكن شتان بين معاداة السامية ومناهضة الصهيونية . راجع مقدمة الترجمة العربية - (المترجم) .

(**) المقصود من ترجمة هذا الكتاب أن نتعرف فكر اليهود ، وكثير من الأفكار ذات الطابع السياسى فيه مغلوبة : لكن بهذا - بشكل عام - لأسباب سياسية واجتماعية واقتصادية مرفتها للتمامل معها أسوة بما فعل الشهيرستانى مؤلف (الملل والنحل) ، واليهودادى وابن حزم وابن قيم الجوزية ، وفهرهم فى التاريخ الاسلامى - (المترجم) .

حواشی الكتاب

Chapter 1 Some basic categories and complexities

- 1 Matthew 23:15.
- 2 *Contra Apion* 2:40.
- 3 *Wars of the Jews* 2:20:2.
- 4 TB *Pesachim* 87b.
- 5 *Yad:Melakhim* 11:4.
- 6 These laws are associated with God's command to Adam in Genesis 2:16. According to Maimonides, *Yad:Melakhim* 8:11 those gentiles who keep the Noachide Laws because they believe them to be commanded by God in the Bible will have a portion in the World to Come. This is not true if the laws are merely kept because reason dictates them. Maimonides' ruling puzzled many of his commentators since its source, the fourth century *Mishnat Rabbi Eliezer* was only rediscovered in the twentieth century. This may account for the more commonly held view which simply allocates a portion in the World to Come to all righteous gentiles.
- 7 TB *Chagigah* 13a.
- 8 TB *Sanhedrin* 58b.
- 9 *Tosefta Sanhedrin* 13:2
- 10 *Sefer Mitzvot Gadol Asayin* 74.

معجم المصطلحات العبرية

الواردة بالكتاب (★)

ADAM KADMON

آدم كادمون

المفهوم القبالي للانسان البدائي أو الاساسى أو الاصلى ، وهو النموذج الذى أصبح البشر على نسقه •

ADAR

آذار

شهر عبرى عادة ما يكون حول فبراير ومارس • وفى السنة الكبيسة (٣٦٦ يوما) يضاف شهر آخر extra month هو شهر آذار الثانى Adar Sheni •

AFTKOMAN

البيكومان

القطعة الأخيرة من الخبز المصنوع من عجينة بلا خميرة الذى يؤكل فى وجبة عيد الفصح اليهودى •

AGGADAH

الهجادة

النصوص غير القانونية (غير المحتملة شرعا) فى التراث الرابى وتتناول موضوعات أخلاقية ولاهوتية •

(★) نكرنا أكثر من طريقة للنطق وفقا للمتداول فى الكتب العربية • كما أوردنا طرق رسم الكلمات بأشكالها المختلفة ، وأيضا أشرنا للترجمات المختلفة للمصطلح • مثال : السنة الصهية وأيضا سنة النبوير ... الخ • عهد الصبح أو المسح أو بهاج ...

AGUNAH

الأجونة
زوجة اختفى زوجها لكنها لا تستطيع الزواج لعدم وجود دليل
على موته .

ALEINO

الينو
دعوات تتلى بعد نهاية كل عبادة شكرا لله لإيجائه بطبيعته
الحقيقية لإسرائيل .

AL HA-NASSIM

الها - نسيم
دعوات مضمونها المعجزات التي أظهرها الله للشعب اليهودي .
وتتلى هذه الدعوات في عيدى الحانوكاه Chanukah والبوريم Purim
(انظر المصطلحين الآخرين في موضعهما) .

AMIDAH

الميلاد
تسعة عشر تبريكا (من التبركة) ، يتلوها اليهودى وهو واقف
ووجه ناحية القدس . وهذه التبريكات التسعة عشر بصيغها المختلفة
تعد جزءا محوريا في كل ليتورجية (في كل طقس دينى) .

AMORITE WAYS

الوصائل الإمورية
مصطلح يعنى ممارسات سحرية حرمتها اليهودية .
(والأمورى نسبة الى شعوب سامية قديمة عاشت في العراق
وصورية وفلسطين عاشت في الألفين الثالث والثانى قبل الميلاد) .

ARVIT

أرفيت (أربيت / أريبط)
صلاة المساء ، وتعرف أيضا باسم مماريف Maariv .

ASARAH BE-TEVET

عشرة بي - طيب
صيام اليوم العاشر من شهر طيبيت Tevet احياء لذكرى حصار
نبوخذنصر للقدس .

اشكنازي

ASHKENAZI

يهودي يرجع في أصوله الى يهود وسط أوروبا او شرقيا .

أوفروت

AUFRUT

طقس ديني يقوم به العريس بقراءة قسم من سفر الانبياء في
المعبد اليهودي يوم السبت السابق على العرس (الزفاف) .

آب

AV

شهر عبري عادة ما يشتمل على جزء من يوليو وجزء من أغسطس .

آقل (آبل)

AVEL

الشخص في حالة الحداد ، والتي لابد أن يقلل من مساهماته في
الحياة الاجتماعية المعتادة طوال فترة الحداد .

بال تسهوفاه

BAAL TSHUVAH

التائب الذي عدل عن طريق الخطية .

بار ميتسوفاه

BAR MITZUVAH

وصول الطفل اليهودي الذكر لمرحلة النضج الديني في سن الثالثة
عشرة عندما يصبح مكلفا بمراعاة الميتسفوت mitzvot (انظر هذا المصطلح)
عادة ما يحتفل به الوالدان بسخاء ، أما بالنسبة للبنات
فهذه المناسبة تعرف باسم بات ميتسفاه Bat Mitzvah (انظر هذا
المصطلح) لكن اليهود التقليديين لا يحتفلون بهذه المناسبة (بالنسبة
للبنات) بشكل علني :

بيت دن

BET DIN

محكمة شرعية يهودية تضم على الأقل ثلاثة رابين مرمين
(معتمدين ordained) .

BET HA-KENESET

بيت ها - كنيست

بيت التجمع ، و يطلق عادة على المعبد اليهودي .

BET HA-MIDRASH

بيت ها - مدراش

بيت الدراسة ، يستخدم لكل من الدراسة الدينية ، والصلوات
او الدعوات .

BIMAH

بيماه

المنصة المركزية في المعبد اليهودي ، تتل فوقها لفائف التوراة
(التوراة المكتوبة في شريط ملفوف من الرق - بتشديد الراء وفتحها) ،
ومن فوقها أيضا يوجه قائد جوقة الترتيل في المعبد جموع المرتلين .

BUND

بوند

حركة اشتراكية يهودية ضد الصهيونية وضد الدين لكنها تؤيد
الثقافة الييدية Yiddish Culture . أسست في روسيا في
سنة ١٨٩٧ .

CHADASH

حاداش (شش)

الانتاج الجديد لأرض اسرائيل الذي لا يستخدم الا بعد اليوم
الثاني من عيد الفصح اليهودي Passover .

CHAKHAM

حاخام (شاخام)

حكيم . تستخدم بشكل عام لتشير الى الرابين في الفترة
التمودية ، ويستخدمها اليهود السفارديون Sefardi كبديل للفظ
« رابي Rabbi » .

CHALLAH

حله / شله

العشر الذى يؤخذ على الخبز والكعك ، ويقدم - فى الأساس - للكاهن ، لكنه الآن يحرق . ومن قبيل التوسع فى معنى اللفظ يستخدم ليعنى أرغفة خاصة . تخبز لاستخدامها فى أيام السبت (جمع سبت) وفى الأعياد الدينية .

CHAMETZ

شاميتز / حاميتز

خبز من عجينة مختمر محرم فى عيد الفصح اليهودى .

CHANUKAH

حانوكاه

عيد النور الذى يستغرق ثمانية أيام وهو فى شهر ديسمبر .

CHANUKIYAH

حانوكيه

المسى الاسرائيل الحديث لسعدان الحانوكاه Chanukah
Candelabrum ذى الثمانى شعبه .

CHASID

الحاسيد (الكاسيد)

التقوى . تستخدم فى الغالب الأعم لتعنى أحد المنتهين للحركة
التقوية اليهودية (الحركة الحاسيدية أو الكاسيدية) التى بدأها
اسرائيل بال شيم توف Israel Baal Chemtov فى القرن الثامن
عشر . الجمع حاسيديم Chasidim (حاسيديين) .

CHAZAN

حازان

قائد مجموعة المرتلين . وتعنى - فى الأساس - أحد المسئولين
فى المعبد (موظف فى معبد يهودى) .

CHEDER

حدر / شدر

« غرفة » مدرسة لتلقى التعليم الدينية اليهودية ملحقة بمعبد
وملاصقة له .



CHEREM

الطرد من الرحمة الدينية . المقاطعة الاجتماعية أو النبذ
الاجتماعي (من المجتمع) .

CHEVRA KADDISHA

جرا كاديشا
السال الذين يمارسون عملية الدفن ، وعادة ما يكونون من
المتطوعين .

CHOLENT

حولنت
طبق به لحم وبطاطس وبقول يأكله اليهود الأشكناز يوم السبت .

CHOL HA-MOED

حول ها - مود
أيام الأسبوع التي تمثل أعيادا ، وهي أيام الهياكل النقالة
Tabernacles وعيد الفصح ، التي يجب أن يكف فيها اليهود عن
العمل .

CHOSHEN MISHPAT

حوشن مشبات
قسم من المدونة التشريعية الكبرى . والشولحان عاروخ
Shulchan Aruch تناول الشرائع المدنية والجناية .

CHUPAH

جويه
ظلة العرس . مصطلح يستخدم للدلالة على الجزء الأخير من
طقوس الزواج .

EIN SOF

عين سوف
الذات الالهية اللامتناهية في فكر القبالة .

ELUL

أيلول
شهر عبري عادة ما يكون في أغسطس وسبتمبر .

ERVE SHABBAT

اروب صبت (شابات)

يوم الجمعة ، أى اليوم السابق على السبت .

ERUSIN

اروزين

الجزء الأول (التمهيدى) فى طقوس الزواج حيث يخطب العريس عروسه مقلدا لها دبله ring ، ويعرف أيضا باسم كدوشين Kiddushin (قدوشيم) .

ETROG

اتروج / اترجة

فاكهة حمضية خاصة تؤكل فى عيد المصعد النقال (المقام فى خيمة) .

EVEN HA-EZER

اين ها - ايزر

قسم من المدونة الشرعية الكبرى - شولحان عاروخ Shulchan Aruch - يتناول أمور الحياة الجنسية والزواج والطلاق .

GABBAI

جباى

أمين المعبد (القيم عليه) . يشغل منصبه بالانتخاب .

GAMON

جالون

لقب يطلق على الرؤساء الاكاديميين فى بابل بعد الحقبة التلمودية ، كما يطلق على الحكماء المشهورين من اليهود .
الجمع : جاؤونيم Geonim .

CEHINNOM

جهنم (جيهونوم)

هى المطهر أو الأعراف حيث يمر الميت بصليّة يتطهر فيها من خطاياها .

النص الانجليزي :

Hell Cum Purgatory where the dead undergo a refining process for their sins .

GENTZAH

الجنيزة

مخزن توضع به النصوص المقدسة وكذلك الكتابات الدينية التي تمزقت ، وكذلك الكتابات الدينية المحطور تناولها .

GER TOSHAV

جير توشاف

« غريب مقيم » ويقصد به واحد من الأغيار « غير اليهود » يعيش بين اليهود في أرض اسرائيل ويراعى قوانين نوح Noachide Laws ولا بد من معاملته بطريقة طيبة .

GET

جيت

وثيقة طلاق ، يسلمها الزوج لزوجته .

GOI

جوى

التعبير الأكثر استخداما للدلالة على الأغيار أو الأميين أو غير اليهود .

GOLEM

جولم

انسان مخلوق بطرق صناعية ، يخلقه اليهود بوسائل القبالة

GUSH EMUNIM

لديهم .

جوش امونيم

حرفيا « جماعة المؤمنين » ، جماعة صهيونية مسيحية
Group Of Messianic Zionists (تنتظر مجيء المسيح أو المسيح
وهو غير المسيح عليه السلام المعروف) .

هافتاراه

HAFTARAH

قسم من « الأنبياء Prophets » ، تنتهى به قراءات التوراة في يوم السبت .

هجاجاه

HAGGADAH

نص ديني يتلى قبل تناول وجبة عيد الفصح وبمعه ، ويروى هذا النص قصة الخروج من مصر .

هالاخاه / الشريعة

HALAKHAH

الطريق اليهودي . جزء من التعاليم اليهودية متعلق بالطقوس والسلوك ، ويمثل الجانب التشريعي في اليهودية .

هاليل (الهالوليا)

HALLEL

مزامير المديح (أرقام ١١٢ الى ١١٨) تتلى في مناسبات احتفالية .

هافدالاه / الهابدالاه

HAVDALAH

طقس في نهاية يوم السبت .

هيتير

HETER

الترخيص أو الاذن ، الترخيص بشيء كان الظن أنه محرم ، وهذا الترخيص لا يكون الا وفقا لقواعد تسمح بها الهالاخاه - انظر هذه الكلمة .

هيتبوديلت

HETBODEDUT

كون الفرد وحيدا أو لوحده ، والكلمة تعنى على نحو خاص كون الفرد وحيدا مع الله أو مع الله وحده .

HOSHANA

هوشانا
دعوات وصلوات الى الله من اجل طلب الخلاص ، تتلى خاصة في
الاحتفال بعيد المظال (المظلة أو سكوت) Festival of Tabernacles ،
وطول اليوم السابع في العيد المعروف باسم هوشانا ربا
Hoshana Rabba .

IYYAR

ايار
شهر عبري عادة ما يكون بين أبريل ومايو .

KADDISH

كديش
دعوات باللغة الآرامية في مدح الله ، تتلى بين أجزاء العبادة
اليهودية في المصعد . ويتلوها القائمون بالحداد . وتتطلب تلاوتها
حضور مجموعة من عشرة ذكور بالغين .

KAPPAROT

كباروت
طقس التكفير Atonement ، ويتم قبل يوم التكفير أو الكفارة .

KASHER

كاشر
اسم عام يطلق على الطعام الحلال وفقا للشريعة اليهودية .

KAVOD

كافود
الجليل المقدس The Divine Glory — فكرة مهمة في تأملات
المتصوفة اليهود في العصور الوسطى .

KEDUSHAH

كيلوشاه
« القداسة » ، هدف التصرف القائم على الأخلاق كما انه هدف
« ضبط النفس » ، يستخدم اللفظ للإشارة الى أقسام الليتورجية
(الطقوس الدينية) التي تركز على قدسية الله .

KELEI KODESH

كيل كودش
المراكب المقدسة ، الشاغلون لوظائف دينية في المجتمع اليهودي .

KELIPAH

كيليباه
الصدفة أو الخطاء الذي يحيط بالقداسة في الدنيا . وفقا لتعاليم القباله . وترمز لقوى الشر .

KETUBBAH

كتوبه / كتوبه
وثيقة الزواج التي تمنح الزوجة حقوقا على عقارات الزوج .

KETUVIM

كتوفيم
اسم عبري للجزء الثالث من التوراء - الهاجيوجرافا Hagiographa .

KIBBUTZ

كيبوتس
قرية اسرائيلية تدير وفقا للمبادئ الاشتراكية . الجمع كيبوتسيم Kibbutzim (كيبوتسات) .

KIDDUSH

كودش
تبريك وتكريس للنبذة المستخدم في بداية يوم السبت وفي الأعياد .

KIDDUSHIN

كودشين
القسم الاول في طقوس الزواج . ويعرف ايضا باسم ابروسين (انظر هذا المصطلح) .

KILAYIM

كيلايم
تحريم زراعة اصناف معينة من النباتات معا ، وتحريم تطعيم grafting بعضها ببعض .

KINOT

كينوت

عبارات رثاء وتمزية تتلى في صوم التاسع من شهر آف Av
(انظر تعريف هذا الشهر العبري في آف) .

KISLEV

كيسلو

شهر عبري يقع عادة حول نوفمبر وديسمبر .

KITTEL

كينل

عباءة بيضاء ترمز للكفن Shroud .

KOHEN

كوهين

. كاهن من نسل كهنة الهيكل .

KO-BO-NIK

كو - بو - نيك

انسان من أجزاء كثيرة . موظف ديني له أدوار عدة .

KOL NIDREI

كول ندرى

إبطال نذر ديني قبل يوم الكفارة . (يوم الغفران) .

KAVATER

كافاتير

شخص يكرم باحضار الطفل لاجراء طقس الختان له ، بين اليهود
الاشكناز . ومؤنت اللفظ : كافاتيرين Kavaterin .

LAG BA-OMER

لاج با - أومر

اليوم الثالث والثلاثون من الأومر Omer (انظر هذه الكلمة
في موضعها) .

LEOM

ليوم

خانة الهوية الوطنية في البطاقة الشخصية الاسرائيلية (بطاقة الهوية) حيث يقصد بكلمة (يهودى) فئة عرقية (اثنية ethnic) .

LUBAVITSH

لوفافتشى

جماعة فرعية من « التقوية Chasidim / الكازيديم / او الحاسيديم ، تتبع طريق الصوفية العقلية intellectualized mysticism .

MAARIV

ماريب (معاريف)

عبادة مسائية ، وتعرف ايضا باسم اربيت Arvit (اربيط) .

MAMZER

مامزرد

طفل ناتج اتصال جنسى بين المحارم اى الذين تحرم الشريعة الاقتران بهم من ذوى القربى ، وكذلك الطفل ابن الزنا اى الذى تم انجابه خارج علاقة الزواج الشرعية .

MATZAH

ماتزاه

خبز من عجينة غير مختمر يؤكل خلال عيد الفصح اليهودى .

MAZAL TOV

مازال توفى

« حظ سعيد ، تحية متبادلة فى المناسبات السعيدة .

MECHITZAH

ميشيتزاه / مختزاه

الفاصل بين الجنسين فى المعابد اليهودية الاصولية (الارثوذكسية) .

MEGILLAH

مجله

لغافة ، عادة ما تطلق على سفر استير Esther . الجمع : مجلوت (مجلات) Megillot .

MELAMUD

مِلامود
معلم الصبية .

MENURAH

مينوراه (مناره)

شمعدان ذو ثمانى شعب يستخدم فى الحانوكاه Chanukah
(انظر هذه الكلمة الأخيرة فى موضعها) .

MERKABAH

ميركابه (المركبه)

المركبة الالهية الواردة فى رؤى المتصوفين اليهود الأوائل .

METZITZAH

المتزتزاه

امتصاص الدم من الجرح بعد الختان الطقى .

MEZUZAH

ميزوزاه

لفافة صغيرة من الرق (بتشديد الراء وفتحها) مثبتة على عضادة
الباب فى البيت .

MIDRASH

مدراش

طريقة فى تفسير الكتاب المقدس اليهودى قائمة على العظات .
واللفظ حرفيا يعنى المنحعب أو الطريقة .

MIKVEH

مكفاه

استحمام طقى يستخدم فيه - فى الأساس - مياه من مورد
طبيعى .

MINCHAH

مينشاه / منخاه

صلوات بعد الظهر .



منهاج

MINHAG

عادة . عنصر مهم فى السلوك المعيارى Normative behaviour .

مينيان

MINYAN

مجموعة من عشرة يهود ذكور بالغين يعتبر وجودهم ضروريا لأداء بعض الصلوات أو الطقوس الدينية .

ميتناجيد

MITNAGED

المعارضون للحركة التقوية (الحاصيديم أو الكاسيديم) فى القرن الثامن عشر . الجمع : ميتناجديم Mitnagdim .

ميتسفاه

MITZVAH

وصية لكنها تعنى عامة أى عمل دينى مفروض .

مزداح

MIZRACH

« شرق » علامة تشير الى القدس فى المنزل اليهودى .

موهيل

MOHEL

مباشر عملية الختان الطقسى (شعيرة الختان) .

موسافى

MUSAF

عبادة اضافية عند ظهور قمر جديد ، وأيام السبت وفى الأعياد الدينية .

موسار

MUSAR

وصايا أخلاقية .

ناشات / ناخات

NACHAT

السرور . البهجة التى يشعر بها الوالدان عند انجاب أطفالهم .
باللغة اليدوية : ناشاز Nachas .

NETUREI KARTA

نتوراى كاروتا

الجماعة اليهودية الأصولية (الأورثوذكسية) المناهضة
للصهيونية .

NEVIIM

نبليم

اسم عبرى لكتب الأنبياء فى الكتاب المقدس اليهودى .

NIDDAH

نيداه

الزوجة الحائض (التى أتاها الطمث) والتى يجب أن تظهر
نظرا طقسيا قبل أن يباشرها زوجها جنسيا .

NISAN

نيسان

شهر عبرى مرتبط بالربيع ، عادة ما يكون حول مارس وأبريل .

NOCHRI

نوشرى / فوحرى

اسم شائع يطلق على الأغيار - غير اليهود . وتعنى أيضا : غريب
أو أجنبى .

قربان الشعير من المحصول الجديد فى اليوم الثانى لعيد الفصح
اليهودى . وتطلق الكلمة على مسيل التوسع على فترة الأسابيع السبعة
من عيد الفصح الى عيد الحصاد اليهودى Pentecost .

ONAH

اوناه

الوقت الذى يصبح من الواجب على الزوج أن يباشر فيه زوجته .

ONEG

اونج

الفرح الذى يفره اليهود فى أيام السبت والأعياد .

ONEN

اونين (آتين)

وضع الشخص الذى فقد عزيزا عليه بالموت قبل دفن الفقيد .

ORACH CHAMIM

لوراش شيم / لوراح شيم
قسم من المدونة التشريعية الكبرى (الشولشان أروخ The Shulchan Aruch الذي يتناول المسبت والطقوس التي تجرى في الأعياد .

ORLAH

لورلاه
الفاكهة المحرمة من شجرة خلال السنوات الثلاث الأولى لنموها .

PARVE

پارف
الطعام غير اللحم والحليب .

PESACH

پيساح
عيد الفصح .

PILPUL

پيلبول
التحايل الشرعى على القوانين ، ونواميس الأخلاق .

PURIM

پوريم
عيد احياء ذكرى اليهود ، كما ورد في سفر استير Esther .

PURIM SPIEL

پوريم سبييل
مسرحية قصيرة يمثلها في البوريم (انظر هذه المادة) الاطفال وهم يرتدون ملابس تنكرية .

ROSH CHODESH

روش شودش (حودوش)
عيد القمر الجديد في بداية كل شهر قمرى .

ROSH HA-KAHAL

روش ها - كاهال
رئيس جماعة ، أو الرئيس المنتخب لاجتماعات المعبد .

ROSH HA SHANAH

رأس ها شاناه

عيد رأس السنة اليهودية • يقع في الخريف •

SANDEK

ساندك

الآب الرمزي ، وهو الذي يضع الطفل على ركبتيه أثناء عملية
الختان •

SANHEDRIN

سانهدرين

المجلس الديني الأعلى المكون من حكماء اليهود في الأزمنة القديمة.

SEDER

سيدد

طقوس وجبة عيد الفصح •

SEFARDI

سفاردي

يهودي يعود في أصله إلى شبه جزيرة أيبيريا •

SEFIRAH

سيفيراه

والجمع سيفيروت Sefirot • أحد التكوينات العشرة التي
يتم من خلالها الفيض الإلهي ، وفقا للمعتقدات القبالية •

SEGULAH

سيجولاه (سيجوله)

فعل أو طقس يعتقد أن له تأثيرا سحريا •

SELICHOT

سيليحوت

دعوات للتكفير عن الذنوب ، تردد قبل بداية الصام اليهودي
الجديد ، وبعد بدايته •

SEMIKHAH

سميخاه

سيامة أو ترسيم من رابي مسام أو مرسوم بالفعل •

SHAATNEZ

شئاتر

ثياب منسوجة من صوف وكتان ، محرم ارتداؤها .

SHABBAT

شبات / السبت

السبت اليهودى الذى يمنع فيه ممارسة أى عمل دنيوى .

SHABBAT HA-GADOL

شبات ها - جادول / السبت الكبير

السبت الذى يسبق عيد الفصح يعرف بالسبت الكبير .

SHACHARIT

شاخاريت / شخاريت

صلاة الصبح .

SHADKHAN

شادخان

الساعى للتوفيق بين راسين فى الحلال . matchmaker .

SHALOM ZAKHAM

شالوم زاخام

وجبة طقسية يتم تناولها فى ليلة أول جمعة بعد مولد طفل ذكر
وقبل طقس الختان .

SHAMSH

شمش

شماس المعبد . وبالبيدية : شماس Shacas .

SHAVUOT

شالون / شايوت

عيد الحصاد .

SHECHITAH

شيشيتاه / شيجيتاه

الدبح بالطريقة الشرعية .

شيلوت او - تيشيفوت

SHEELOT U-TESHUROT

داسئلة واجابات، ويقصد بها فتاوى الرابين المتعدين . Responsa

شيكيتس

SHEKETZ

اسم احتقار يطلق على الأغيار (غير اليهود) . وباللغة اليدوية شيجتز Shegets والمؤنث شيكسا Shiksha .

شيتل

SHEETTEL

حجاب ينطى شعر اليهودية الاصولية (الاورثوذكسية) المتزوجة .

شخيناه

SHEKHINAH

الحضرة الالهية . اى الجانب الانسوى فى الله (سبحانه)
★ ما بين القوسين من عند المترجم .

شما

SHEMA

مجموعة من ثلاث فقرات من الكتاب المقدس اليهودى تتلى مرتين يوميا فى الليتورجية (العبادة الدينية الطقسية) يردد فيها اليهودى توحيد الله وضرورة الاخلاص له سبحانه اخلاصا بغير حد .

شيمينى اتزيريت

SHEMINI ATZERET

مهرجان فى آخر عيد المظال (المظلة) .

شمتاه

SHEMITTAH

السنة السبتية التى تترك فيها ارض مراحة . (سنة التبوير) .

شيمتوت

SHEMITTAT

عقيدة القباله المتعلقة بدوائر العالم (بمعنى مستويات الارادة
أو التحكم به) World Cycles .

SHEMONEH ESHREH

شيمونه عشرة

التبريكات التي يرددتها اليهودى ثلاث مرات يوميا . وتسمى ايضا اميداء Amidah (عيدها) .

SHEVA BERAKHOT

شيوا براكوت / التبريكات السبعة

تبريكات الزواج وعددها سبعة تبريكات .

SHEVAT

شيفات / شباط

شهر عبرى حول يناير وفبراير .

SHIVAH

شيفاه

ايام الحداد السبعة (التي يكون فيها الحداد شديدا) على فقيد من الاقرباء المباشرين (القريبين) .

SHLOSHIM

شلوшим

الثلاثون يوما الاولى من الحداد .

SHOCHET

شوحيط

الذبح الطقسى الشرعى وفقا للشعائر اليهودية .

SOFER

سوفير / سافر

الكتاب المقدس .

SHOOL

شول

حرفيا « مدرسة » ، وشول هو اسم المعبد اليهودى باللغة
اليديّة :

SHETIBL

شيتيل

« غرفة صغيرة » . مصطلح يستخدم فى اللغة اليدوية للإشارة لمعد يهودى غير رسمى .

SHULCHAN ARUKH

شولحان عاروخ

« حرفيا المائدة المطروحة » . اصطلاحا : المدونة التشريعية اليهودية الرئيسية .

STDDUR

ستدور

اسم يطلق على كتاب الدعوات الاسبوعية وايام السبت ، المتداول بين اليهود الأشكناز .

SIMCHAT TORAH

سيمخات تورا

« بهجة التوراة » احتفال ضمن عيد .

SHEMINI ATZERET

شيمينى اتزيريت

عند اتمام قراءة أسفار موسى الخمسة (الختمة) .

CITRA ACHRA

سيترا اشرا (احرا)

« الجانب الآخر » مصطلح يستخدمه القباليون لقوى الشر evil .

SIVAN

سيفان

شهر عبرى عادة ما يكون بين مايو ويونيو .

SOFER

سوفر

SUKKAH

سوكه / سكه

الغرفة الصغيرة التي يعيش فيها اليهود الاورثوذكس (الاصوليون)
طوال فترة الاحتفال بالهيكل النقال Tabernacles .

SUKKOT

سوكوت / سكوت

احتفال الهيكل النقال Tabernacles (خيمة الهيكل النقال) .

TAANIT ESTER

ثانيت استير

صيام استير Esther قبل يوم بوريم Purim (راجع بوريم) .

TAHARAH

طهاره

غسل الميت قبل دفنه .

TALLIT

تاليت / طاليت

شال ابيض ذو شراريب يستخدم عند الصلاة . وايضا عباءة
صغيرة ذات شراريب يلبسها اليهودي دوما تحت ملابسه المعتادة وهي من
الكتاب وتعرف باسم تاليت كاتان Tallit Katan .

TAMMUZ

تموز

شهر عبري بين يونيو ويوليو .

TANAKH

تاناخ

الكتاب المقدس اليهودي .

TARGUM

تارجوم / ترجموم

الترجمة الارامية للكتاب المقدس اليهودي .

TASHLIKH

تَشْلِيخ / تشليخ

طقس لنبد الخطايا والآثام في عيد العام اليهودي الجديد .

TEFILLIN

تِفْلِين

صندوقان أسودان يضمن رقا (بفتح الراء وتشديد القاف وفتحها)
يضم فقرات من الكتاب المقدس اليهودي يحملها اليهودي أثناء
مسلة الصبح .

TENAIM

تِنِيم

طقس الخطبة .

TEREFAH

تِرِفَا / طرف

حيوان ذبح طقسيا (وفقا لطقس معين) لكن اتضح أن أحد أعضائه
الداخلية مريض أو ناقص .

TESHUVAH

تَشُوفَا

التوبة . حرفيا : العودة الى الله .

TEVET

تيفيت

شهر عبري عادة ما يكون بين ديسمبر ويناير .

TIFERET

تيفيريت

السيفراء الذكرى : وفقا لتعاليم القبالة .
راجع : سيفراء .

TIKKUN

التيكون

التصحيح الضروري لاستعادة التناسق بين الله والعوالم المادية ،
وفقا لمعتقدات القبالة .



TIKKUN LEIL SHAVUOT

تيكون ليل شافوت

النص الذي يقرأ طوال الليل عشية الليلة الأولى من عيد الحصاد .

TISHAH BE-AV

تشرى بي - آف

صيام اليوم التاسع من شهر آف (آب) احياء لذكرى تدمير المعبد
(الهيكل) .

TISHRI

تشرى / تشرى

شهر عبرى بين سبتمبر وأكتوبر .

TORAH

توراه

الفكرة الأساسية التي تتعلق حولها اليهودية . التعاليم المستقاة
من التوراة بفهمها الضيق (أسفار موسى الخمسة) ومن المفهوم
الواسع الذي يعنى كل التراث الدينى التقليدى .

TUBI-SHEVAT

توبى - شباط

١٥ شباط / شيفات ، يجرى الاحتفال به كعام جديد للشجر .
(for Trees) .

TUR

تور / طور

يعرف أيضا باسم توريم Turim . مدونة قانونية كانت بمثابة
نموذج للشولشان أروخ Shulchan Aruch فى القرن الثالث عشر
للميلاد ، . راجع مادة : شولشان أروخ .

TZADDIK .

تزديك / صديق

« القطب » وهو محور حياة المجتمعات الكاسيدية / الحاسيدية
(التقوية) وهو بعبارة أخرى شخص صالح ذو طاقات روحية عالية .

TZIMZUM

تزمزم

تقلص الذات الالهية قبل خلق الكون (لترك فراغ للمخلوقات)
وفقا لمعتقدات القبالة اللورانية .

YAHRTZEIT

ياهو تسييت

مصطلح يلى معنى الذكرى السنوية لموت شخص ما .

YAMIN NORAIM

يامين نوريم

« أيام الخشبة » فترة في أعياد العام اليهودى الجديد ، وتشمل
ايضا عيد الكفارة Day of Atonement .

YESHIVAH

يشيفا

معهد تعليمى للدراسة التلمودية . شكل الدراسة الرئيسى به
قائم على قيام كل طالبين بدراسة النص التوراتى معا ، والتناقش حوله .
وهذا لا يمنع التعليم بالتلقى بالقاء المحاضرات على الطلبة .

YETZER TOV/YETZER HA-RA

يتسر توف / يتسر ها - را

النزعتان : الخيرة والشريرة فى الانسان .

YICHUD

يشود (الخلوة)

تحريم أن يكون اليهودى وحيدا داخل غرفة مغلقة أو منزل مغلق مع
أحد من الجنس الآخر (الخلوة) .

YISHUV

يشوف

الجماعة اليهودية فى أرض اسرائيل .

YOM KIPPUR

يوم كيپور

يوم الغفران (يوم الكفارة) .

YOM TOV

يسوم توف

عيد نكرم فيه مباشرة معظم الأعمال الدنيوية .

YOREH DEAH

يوره ديه

قسم من المدونة التشريعية اليهودية الكبرى (الشولحان عاروخ)
تتناول شرائع الطعام والحداد والطمث (الحيض) . الخ .

ZAKEN

زاكن

كبير السن .

ZIONISM

زيونيزم / الصهيونية

حركة عودة اليهود الى بلادهم القديمة (فلسطين) والتي ظهرت في
القرن التاسع عشر .

● ملحوظة : المؤلف يهودى .

المراجع

General reference works

Encyclopaedia Judaica, Keter, Jerusalem, 1972, 16 vols plus 3 year-books. (This is the most up-to-date work of reference for Jews and Judaism.)

The Jewish Encyclopaedia, originally published by Funk & Wagnalls, New York, 1901-6, reprinted by Ktav, New York, 12 vols. (Although out of date many of the articles are of a high quality, and still of some importance.)

S. W. Baron, *A Social and Religious History of the Jews*, Jewish Publication Society of America (JPS), Philadelphia, 1952-76, 17 vols including Index to vols 1-8. (A massive effort by the author, now in his eighties, which has so far reached the seventeenth century.)

L. Ginzberg, *The Legends of the Jews*, JPS, Philadelphia, 1968, 7 vols. (A collection of all midrashic legends on the Bible, with invaluable footnotes, and a comprehensive index.)

Primary sources

The Mishnah, tr. H. Danby, Clarendon Press, Oxford, 1933.

The Babylonian Talmud, tr. under the editorship of I. Epstein, Soncino, London, 1936.



.. جاء كتاب آلان أنترمان معبراً عن فكر اليهود وعقائدهم كما يراها اليهود.. وقد أشرت إشارات سريعة في هامش بعض الصفحات إلى وجهة النظر الإسلامية بما اتفق عليه رأى المترجم والمراجع، وقد كتب الأستاذ الدكتور المترجم تعليقات وافية بأواخر الفصول بما يفيد سعة اطلاعه.

أ. د. أحمد شلبي

جانب من ترجمة للنزاع المجرى إيزيدور كاوفمان (١٨٥٣ - ١٩٢١) (١٩٠٠)